شرح أصول الكافي

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

كتاب الحجّة القسم الثاني

الجزء الرابع

الشجرة الطيبة

دار العلوم

شبكة الفكر
alfeker.net

شرح أصول الكافي

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة
لمؤسسة الشجرة الطيبة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الشجرة الطيبة

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

المكتب والمستودع :بئر العبد ـ مقابل البنك اللبناني الفرنسي
ص .ب:24/140 ـ هاتف:01/541650 ـ تلفاكس:01/545182 ـ موبايل:03473919
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

شرح أصول الكافي

كتاب الحجة

القسم الثاني

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

الجزء الرابع

الشجرة الطيبة

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بَابُ أَنَّ مَثَلَ سِلَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَثَلُ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ السَّمَّانِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلُ السِّلَاحِ فِينَا مَثَلُ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ[١]، كَانَتْ بَنُو

الحديث الأوّل:

هذا الحديث جزء من الحديث الأوّل في الباب السابق، وقد مرَّ شرحه مختصراً.

[١] **(مثل التابوت في بني إسرائيل):**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(١).

والتابوت هو الذي أنزله الله على أُمّ موسىٰ، فوضعته فيه وألقته في اليمّ، وقد كان عند بني إسرائيل ينتصرون بسببه على أعدائهم، فلمّا استهانوا به رفعه الله من بينهم فذلّوا، وكان موسىٰ عليه السلام قد وضع فيه آثار النُّبوّة والألواح(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) راجع رواياته في البرهان: ج٢، ص٢٣٧ ـ ٢٤٥، والبحار: ج١٣، ص٤٣٥ فما بعد.

إِسْرَائِيلَ أَيُّ أَهْلِ بَيْتٍ وُجِدَ التَّابُوتُ عَلَى بَابِهِمْ أُوتُوا النُّبُوَّةَ، فَمَنْ صَارَ إِلَيْهِ السِّلَاحُ مِنَّا أُوتِيَ الْإِمَامَةَ.

وفي الآية دلالة على عظمة آثار الأنبياء ﷺ، فلذا كان التابوت آية الملك، ومقدَّساً إلى حدّ أنَّ الملائكة تحمله، ودلَّت الروايات على أنَّ بني إسرائيل استخفّوا به فلذا رفعه الله عنهم.

وكذا عظَّم الله تعالى آثار رسوله محمَّد ﷺ بحيث جعل سلاحه علامة الإمامة والعلم، فكلّ من اصطفاه تعالى للإمامة وأعطاه علم الكتاب وسائر العلوم ممَّا كان وما يكون وما هو كائن، جعل معه سلاح رسول الله ﷺ أيضاً.

ويُستفاد من هذه الروايات أنَّ التابوت علامة النُّبوَّة والمُلك معاً، فكلّ من جاءه التابوت صار نبيّاً ملكاً، مع إمكان افتراق النُّبوَّة عن الملك فيمن لم ينزل التابوت عنده، ففي زمان طالوت كان هو ملكاً ولكن النَّبيّ كان أرميا[1]، ثمَّ اجتمعت النُّبوَّة والملك في داود وسليمان حيث نزل التابوت على بابهما، وليس في الآية دلالة على أنَّ طالوت كان نبيّاً، وذلك لأنَّ التابوت رجع إلى بني إسرائيل بعد أن رفعه الله تعالى وكانت الملائكة تحمله بين السَّماء والأرض، ولم تدلّ الآية على أنَّ التابوت نزل على باب طالوت.

وممَّا ذكرناه يتّضح سبب ذكر بعضُ الروايات الملك وبعضُها النُّبوَّة، إذ التابوت كان علامة كليهما، فذكرت بعضُ الروايات هذا وبعضها ذاك، مع ملاحظة الغرض من الكلام: فأيّما رواية ذكرت كون التابوت علامة النُّبوَّة ذكرت كون السلاح علامة الإمامة لأنَّ الإمامة امتداد للنُّبوَّة، وأيّما رواية ذكرت كون التابوت علامة المُلك ذكرت كون السلاح علامة العلم، ولذا مُلك طالوت كان بعلم حيث قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ فلذا كان علمهم امتداداً لعلوم من اصطفاهم الله تعالى، فهم ﷺ ورثة الأنبياء، وزيارات وارث متعدِّدة.

---

(١) راجع تفسير البرهان: ج٢، ص٢٣٨.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السُّكَيْنِ، عَنْ نُوحِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلُ السِّلَاحِ فِينَا مَثَلُ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ[١]، حَيْثُمَا دَارَ التَّابُوتُ دَارَ الْمُلْكُ، فَأَيْنَمَا دَارَ السِّلَاحُ فِينَا دَارَ الْعِلْمُ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلُ السِّلَاحِ فِينَا مَثَلُ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَيْثُمَا دَارَ التَّابُوتُ أُوتُوا النُّبُوَّةَ، وَحَيْثُمَا دَارَ السِّلَاحُ فِينَا فَثَمَّ الْأَمْرُ[١]، قُلْتُ: فَيَكُونُ[٢] السِّلَاحُ ....

الحديث الثاني:

[١] **فقوله: (مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل):**
بيان للتشابه الكامل بينهما في كلِّ الجهات، ثمَّ ذكر الإمام عليه السلام بعض أوجه التشابه.
ويُستفاد من ذلك كون السلاح فيه السكينة كما في التابوت، وأنَّه بحماية الملائكة كما حملت التابوت، وأنَّه لا يصل إلى غير أهله كالتابوت، وقد مرَّت بعض الروايات في كون السلاح محفوظاً.

الحديث الثالث:

[١] **(فثمَّ الأمر):**
أي هنالك الإمامة.

[٢] **(قلت: فيكون):**
لما ذكر الإمام عليه السلام كون سلاح الرَّسول ﷺ علامة الإمامة، استفسر صفوان عن تلازمه مع العلم، وأنَّ السلاح هل يُفارق العِلم ـ سواء كان ممَّا تحتاجه الأُمَّة أو من العلوم التي خصَّ الله بها نبيّه ثم علَّمه النَّبيّ ﷺ

مُزَايِلاً لِلْعِلْمِ[٣]؟ قَالَ: لَا.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا مَثَلُ السِّلَاحِ فِينَا[١] كَمَثَلِ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَيْنَمَا دَارَ التَّابُوتُ دَارَ الْمُلْكُ، وَأَيْنَمَا دَارَ السِّلَاحُ فِينَا دَارَ الْعِلْمِ.

للإمام علي عليه السلام ـ فهل سائر الأئمَّة عليهم السلام لهم ذلك العلم؟

وفي هذا الحديث دلالة على كون السلاح علامة للأمرين: الإمامة والعلم، ويتبيَّن أنَّ سائر الأحاديث ذكرت أحد الأمرين ـ إمَّا الإمامة وإمَّا العلم ـ، فلا معنى لإرجاع أحدهما إلى الآخر.

[٣] **(مزايلاً للعلم):**

المزايلة: المفارقة.

الحديث الرابع:

[١] **(مثل السلاح فينا):**

لعلَّ جعل التابوت والسلاح علامة لجهات:

أمَّا التابوت: فلأنَّ الله أنقذ به موسىٰ عليه السلام لمَّا وضعته أُمّه فيه، وكانت نجاته لحظة مفصلية في تاريخ بني إسرائيل، ثمَّ جعل موسىٰ فيه الألواح التي أنزلها الله فكان يضمُّ العلم، وجعل فيه عصاه وغيرها من آثار النُّبوّة فكان يضمُّ المعجزة والقوّة والتراث.

وأمَّا السلاح: فلأنَّه علامة القوَّة، وقد انتشر الإسلام حينما قوي المسلمون وتمكَّنوا من الدفاع عن أنفسهم، ويكون ظهور الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف بالسلاح أيضاً فيظهر قويّاً لإحقاق الحقّ ودحض الباطل، فلعلَّ الله أراد أن يكون ما هو مظهر القوَّة علامة للإمامة والعلم.

سؤال: إنَّ كون التابوت علامة كان معروفاً بين بني إسرائيل وليس كذلك السلاح في المسلمين؟

والجواب: ليس فائدة العلامة منحصرةً في معرفة عامَّة النَّاس، بل لذلك فوائد لعلَّ منها: الآثار الوضعية للسلاح نفسه، ومعرفة الملائكة له، ومعرفة الخواصّ، وتقوية قلب عامَّة الموالين، وأيضاً معرفة عامَّة النَّاس لدىٰ ظهور الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف.

ثمَّ إنَّ عدم معرفتنا بفوائد شيء ليس بمعنى عدم الفائدة، بل ما أكثر الأُمور الهامَّة التي تتوقف عليها حياتنا ولكنَّنا نجهلها، وليس جهلنا دليل عدم وجودها أو عدم فائدتها.

بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ وَالْجَفْرِ وَالْجَامِعَةِ وَمُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّالِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، هَاهُنَا أَحَدٌ

الحديث الأوّل:

يتضمَّن هذا الحديث الشريف بعض جوانب علومهم وبيان منشأ تلك العلوم:

١ ـ علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام عليّاً عليه السلام مليون باب من العلوم، وفي بعض الروايات أنَّه كان قبيل وفاته حيث سارّه فلما سُئل عليه السلام عن ذلك قال عليه السلام: علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب(١).

٢ ـ وأعظم من ذلك: الجامعة ـ وهي كتاب عليّ عليه السلام ـ، فيها جميع الأحكام الشرعية من حلال وحرام، أملاها رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبها الإمام علي عليه السلام، وهي صحيفة طويلة بطول سبعين ذراعاً.

٣ ـ وأعظم منه: الجفر ـ وهي وعاء من جلد يشبه الصندوق ـ، وهو الجفر الأبيض كما سيأتي في الروايات، وفيه علوم الأنبياء والأوصياء، ومنها الزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم.

٤ ـ وأعظم منه: مصحف فاطمة ـ وهو جامع للصفحات حدَّثها بها ملك

---

(١) راجع الكافي: ج١، ص٢٣٩.

يَسْمَعُ كَلَامِي[١]؟ قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام سِتْراً[٢] بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتٍ آخَرَ فَاطَّلَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ شِيعَتَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَّمَ عَلِيّاً عليه السلام بَاباً يُفْتَحُ لَهُ مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ؟ قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ[٣]، ....

من الملائكة وكتبه الإمام علي عليه السلام ـ، وفيه أخبار المستقبل وبعضاً من الأحكام، وحجمه ثلاثة أضعاف القرآن الكريم.

٥ ـ وأكبر منه: أنَّهم يعلمون علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

٦ ـ وأعظم منه: أنَّ الله سبحانه وتعالى يُطْلِعُهم على جميع التقديرات التي يوجدها في ليل أو نهار.

والحاصل أنَّهم يعلمون أخبار الماضي والمستقبل، ويعلمون جميع الأحكام الشرعية، ويعلمون جميع علوم النَّبيِّين والأوصياء، ويعلمون جميع التقديرات التي يوجدها الله سبحانه.

كلّ ذلك بفضله تعالى ومنّه عليهم، وما ذلك على الله بعزيز.

[١] **(يسمع كلامي):**

لعلَّه للتقيَّة للراوي، أو أراد أن لا يكون الإمام عليه السلام في تقيَّة حتى يجيبه إجابة شافية ـ مع العلم أنَّ أبا بصير كان أعمى ـ.

[٢] **(فرفع أبو عبد الله ستراً):**

لعلَّ الرفع لاطمئنان الراوي، وقد يفعل أحدنا ذلك مع علمه بخلو الدار من أحد، أو أنَّ الجواب كما يكون باللفظ فقد يكون بالفعل أيضاً.

[٣] **(يفتح من كلّ باب ألف باب):**

الظاهر أنَّ الألف الأولىٰ هي العلوم، والثانية: هي كليّات تلك العلوم، مثلاً الفقه باب وهو علم واحد، وللفقه أبواب كثيرة من الطهارة والصلاة والصوم والحج... إلخ.

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الْعِلْمُ[٤] قَالَ: فَنَكَتَ سَاعَةً[٥] فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ:

وفي بعض الأحاديث أنَّ العلم سبعة وعشرين حرفاً، يعرف النَّاس منها قبل ظهور القائم عجَّل الله تعالى فرجه الشريف اثنين فقط وسائر الحروف يتعلَّمونها بعد ظهوره المبارك(١).

قيل: إنَّ أُصول العلوم التي تعرفها البشرية الآن، لا تبلغ مائة علم كالطب والهندسة والرياضيات... إلخ، ولكلّ علم فروع مختلفة.

سؤال: ما فائدة تعليم الرسول ﷺ الإمام عليّاً عليه السلام تلك العلوم، بل ما الفائدة في علم رسول الله ﷺ بها؟

والجواب: **أوَّلاً**: لعلَّ معرفة تلك العلوم ترتبط بأُمور طبيعية أو غيبيَّة، حيث ربط الله تعالى أُمور الكون بالرسول ﷺ وبالأئمَّة عليهم السلام فاحتاج ذلك إلى علمهم بكلّ العلوم بلا استثناء.

وثانياً: ولعلَّه لأجل أن لا يكون أحد من الناس ـ من المتقدِّمين والمتأخِّرين ـ أعلم منهم، في أيّ أمر من الأُمور وفي أيّ حقل من الحقول، بل يكونون أعلم من الكل في كلِّ شيء.

وثالثاً: إن جهلنا بفائدة شيء غير مضرّ، فإنَّا نعلم بأنَّه تعالى حكيم وكلّ أفعاله بحكمة، فتعليمه كلّ العلوم للرَّسول ﷺ وتعليم الرَّسولُ الأئمَّةَ أيضاً بحكمةً وإن كنَّا نجهلها.

ثمَّ إنَّ (الألف) قد يُراد منها المعنىٰ الحقيقي، وقد يُراد منها الكثرة أي علوم كثيرة لا تُحصىٰ، وهذا هو الأقرب في الاستعمالات، وكذا السبعون في الجامعة يحتمل الأمرين.

[٤] **(قلت هذا والله العلم):**

أي العلم الكامل الذي ليس فوقه علم.

[٥] **(فنكت ساعة):**

النكت هو التأثير القليل في الشيء، يُقال: نكت في الأرض بقضيبه،

---

(١) راجع مختصر بصائر الدرجات: ص١١٧.

إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ[٦]. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَامِعَةَ[٧]، وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَامِعَةُ[٨]؟ قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا الْجَامِعَةُ؟ قَالَ: صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٩] وَإِمْلَائِهِ

ينكتُ: إذا أثر فيها(١).

[٦] **(وما هو بذاك):**

أي بذاك الذي تصوَّرته من أنَّه العلم الكامل الذي ليس فوقه شيء، بل هناك علم فوقه.

[٧] **(وإن عندنا الجامعة):**

واسمها في بعض الروايات: (كتاب علي) عليه السلام(٢).

[٨] **(وما يدريهم ما الجامعة):**

الضمير راجع إلى الشيعة، حيث قال أبو بصير في صدر الرواية: «إنَّ شيعتك يتحدَّثون أنَّ رسول الله...» إلخ.

ويمكن أن يُراد منه الأعم، أي ما يدري النَّاس ما الجامعة، فإنَّ العامَّة يصغرونها ويزعمون أنَّها كانت وُريقة يجعلها أمير المؤمنين عليه السلام في غلالة سيفه(٣)، فإنَّهم لما لم يتمكَّنوا من إنكارها لاشتهارها حاولوا تصغير شأنها، وقد مرَّ بعض الكلام في ذلك.

[٩] **(بذراع رسول الله):**

«السبعون» قد يكون بيان لطولها دقَّةً، وقد يُراد به الكثرة فالمعنى طويلة جداً، والأوَّل أقرب لتحديدها بذراع الرسول صلى الله عليه وآله، والذراع المتعارف يُقارب النصف متر.

ثمَّ إنَّ ذكر ذراع رسول الله لعلَّه لتفخيم شأن هذه الصحيفة، وإلَّا فإنَّ

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص١٠٠٩.

(٢) راجع بصائر الدرجات: ص١٦٦، باب ١٢، الحديث ٢٠.

(٣) المصدر نفسه: ص١٦٩، باب ١٣، الحديث ١٥.

مِنْ فَلْقِ فِيهِ[١٠] وَخَطِّ عَلِيٍّ بِيَمِينِهِ، فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ[١١] حَتَّى الْأَرْشُ فِي الْخَدْشِ[١٢]، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَيَّ[١٣] فَقَالَ: تَأْذَنُ لِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ[١٤]؟ قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّمَا أَنَا لَكَ فَاصْنَعْ مَا

جسمه الشريف كان متعارف الطول ـ لا بالقصير ولا بالطويل ـ وكذا ذراعه الشريفة.

[١٠] **(من فلق فيه):**

«الإملاء» أن يقول شيئاً فيكتبه غيره، و«الفلق» الشقّ، أي أملاه من فمه الشريف، والمعنى: أنَّه قاله من غير واسطة.

[١١] **(وكلّ شيء يحتاج الناس إليه):**

من الأحكام الشرعية والأحكام الوضعية ـ كالضمانات ـ.

فإنَّ الحكم ينقسم إلى تكليفي، وهو الوجوب والحرمة والإباحة والكراهة والاستحباب ويجمعها: الحلال والحرام، وإلى وضعي، وهو كلّ اعتبار شرعي ليس من الحلال والحرام، كالزوجيَّة والرقيَّة والملكية والجزئية ونحو ذلك.

[١٢] **(الأرش في الخدش):**

«الأرش»: هو الديَّة، ويستعمل عادة في الجنايات الصغيرة، والخدش: الأثر على البشرة بشقّ صغير فيها وهو أقل من الجرح.

والمعنى: أنَّ الجامعة قد ذُكر فيها كلّ الأحكام، حتَّى الأُمور الصغيرة التي لا يعيرها النَّاس أهمية.

[١٣] **(وضرب بيده إليَّ):**

أي مَدَّها نحوي، وكأنَّ الإمام أراد بيان أنَّ الصحيفة شملت حتَّى الجزئيَّات الصغيرة جداً، والمُراد أنَّها لم تغادر حكماً إلَّا وبيَّنته.

[١٤] **(تأذن لي يا أبا محمَّد):**

إنَّما استأذن الإمام عليه السلام لأنَّ التصرُّف في بدن الغير من غير رضاه غير

شِئْتَ، قَالَ: فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ[١٥] وَقَالَ: حَتَّى أَرْشُ هَذَا ـ كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ ـ، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الْعِلْمُ قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ. ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً[١٦] ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَفْرَ[١٧]، وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَفْرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْجَفْرُ؟

جائز حتَّى بهذا المقدار القليل جدّاً، لأنَّ النَّاس مسلَّطون على أنفسهم ولا يجوز التصرُّف في بدنهم حتَّى في أصغر الأمور، والإمام وإن كانت له الولاية لكنه أراد التعليم.

[١٥] (فغمزني بيده):

الغمز هو الضغط على الشيء باليد ونحوها، وقوله: كالمغضب بيان لكيفية الغمز أي ضغط بشدَّة كما يضغط الغضبان.

ولعلَّ الأرش فيه لأجل الاحمرار الحاصل من أثر الغمز، وإلَّا فمجرَّد الغمز بلا احمرار لا أرش فيه بل هو حرام فقط إذا كان من غير رضىٰ الآخر.

وفي المرآة: «يدلُّ على تأثير إبراء ما لم يجب ـ خلافاً للأكثر ـ»(١) أي إسقاط الضمان قبل ثبوته، كإبراء المريض الطبيب من الضمانات قبل إجراء العملية، وقد قال به جمع من الفقهاء.

ويمكن أن يكون الاستئذان لما ذكرناه من جهة التصرُّف في بدن الغير من غير إذنه فتأمَّل.

[١٦] (ثمَّ سكت ساعة):

لعلَّ السكوت بين الفقرات لأجل أن يشعر السامع ـ وهو أبو بصير راوي الحديث ـ بأهمية الأمر، أو ليتهيَّأ نفسياً لسماع ما هو الأهم!!

[١٧] (وإنَّ عندنا الجفر):

في القاموس ـ ضمن معاني الجفر ـ قال: والجفر جعبة من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها(٢).

---

(١) المرآة: ج٣، ص٥٥.

(٢) عنه في المرآة: ج٣، ص٥٥.

قَالَ وِعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ[١٨] فِيهِ عِلْمُ النَّبِيِّينَ[١٩] وَالْوَصِيِّينَ، وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[٢٠]، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ. ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ عِنْدَنَا لَمُصْحَفَ فَاطِمَةَ عليها السلام؟ وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام[٢١]، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام؟

---

[١٨] **(من أدم):**
«الأديم» باطن الجلد، ويُجمع على أدم وأَدَمة(١)، فالمعنى: أنَّ الجفر كالصندوق من الجلد تُحفظ به الأشياء.

[١٩] **(علم النَّبيِّين):**
سيأتي في الحديث الثالث، أنَّ في الجفر التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وغيرها، ولعلَّها هي جزء من علم النَّبيِّين عليهم السلام.

[٢٠] **(العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل):**
إمَّا عطف الخاصّ على العام، فيُراد بالعلماء الأنبياء والأوصياء من بني إسرائيل، أو أنَّ هؤلاء العلماء لم يكونوا أنبياء ولا أوصياء لكن الله ألهمهم العِلم نظير لقمان والخضر عليه السلام.

[٢١] **(مصحف فاطمة):**
في المفردات: المصحف ما جُعل جامعاً للصحف المكتوبة(٢) فهو كالكتاب حيث يجمع الأوراق المتفرّقة.
ولم يُطلق المصحف على القرآن ـ لا في الكتاب ولا في أحاديث الرَّسول صلى الله عليه وآله ـ وإنَّما هو اصطلاح متأخّر.
وقد أراد بعض أعداء أهل البيت عليهم السلام إيهام عوامهم بأنَّ للشيعة قرآناً آخر اسمه مصحف فاطمة، وليس ذلك إلَّا تدليساً منهم وتعمية على عوامهم، بل هو أوراق جُمعت في كتاب سُمّي مصحفاً بالمعنى اللغوي.

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٤٩، والمرآة: ج٣، ص٥٥.
(٢) المفردات: ص٤٧٦.

قَالَ: مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[٢٢]، وَاللَّهِ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ[٢٣]، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الْعِلْمُ قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ.

---

[٢٢] **(مثل قرآنكم هذا ثلاث مرَّات):**

أراد الإمام عليه السلام بيان حجم مصحف فاطمة فقاس حجمه بحجم القرآن الكريم فقال: إنَّه ثلاثة أضعافه، كما بيَّن حجم الجامعة ـ كتاب علي ـ وأنَّها سبعون ذراعاً.

وقوله: «قرآنكم» إمَّا إشارة إلى قرآن خاص كان عند الإمام وذلك لاختلاف حجم القرائين حسب كتابة النسَّاخ.

وإمَّا إشارة إلى قرآن أهل مكَّة أو المدينة، ولذا قال: «قرآنكم هذا» لأنَّ عثمان بعد حرق المصاحف أرسل قرّائين إلى سبعة أمصار لتكون القرآن الأمّ، فاستنسخ النَّاس منها، ولعلَّ ذلك القرآن كان موجوداً في زمان الإمام الصَّادق عليه السلام.

وإمَّا المقصود القرآن الكريم بشكل مطلق فالمعنى: إنَّ مصحف فاطمة ثلاثة أضعاف هذا القرآن الذي في أيديكم.

[٢٣] **(ما فيه من قرآنكم حرف واحد):**

إذ مصحف فاطمة إنَّما هو للأخبار المستقبليَّة وليس كتاب أحكام ومواعظ وأخبار الماضي ونحوها ـ وهذا ما يُستفاد من سائر أحاديث هذا الباب وغيره ـ.

نعم قد يكون فيه ذكر الأحكام ولكن عَرَضاً، فقد يقتضي خبر أن يذكر معه أُمور أُخرى ترتبط به كالأحكام مثلاً، وبهذا نجمع بين الأخبار الدالَّة على أنَّ مصحف فاطمة ليس فيه الأحكام، وبين ما دلَّ على أنَّه يتضمَّن بعض الأحكام.

وأمَّا القرآن الكريم فبعضه أحكام، وبعضه مواعظ وإرشاد، وبعضه عقائد، وبعضه أخبار الماضين ـ من أنبياء وغيرهم ـ، وأمَّا أخبار المستقبل فقليلاً ما ذكرها القرآن الكريم.

نعم كلّ رطب ويابس موجود في بطون القرآن الكريم، ولكن علم تلك البطون خاصّ بالرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، وأمَّا ما يعرفه النَّاس هو

ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ[٢٤] إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ. قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ؟ قَالَ[٢٥]: مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ، وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٢٦].

الظاهر فقط، ولا توجد الأخبار المستقبليَّة فيه إلَّا أقلّ القليل، ولعلَّه لأجل هذا عبَّر الإمام بـ«قرآنكم» أي الظاهر من القرآن الذي تعرفونه لا يوجد فيه شيء ممَّا في مصحف فاطمة عليها السلام فتأمَّل.

[٢٤] **(علم ما كان وعلم ما هو كائن):**

إنَّ مصحف فاطمة يشتمل على أخبار المستقبل، فبيَّن الإمام عليه السلام في هذا المقطع أنَّهم يعلمون أكثر من ذلك حيث يعلمون علم الماضي أيضاً.

[٢٥] **(فأي شيء العلم؟ قال):**

لعلَّ المراد: ما يحدث من التقديرات الإلٰهيَّة الَّتي تُكتب في لوح المحو والإثبات، فإنَّه تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١) أي كلّ يوم له تقديرات من إحياء وإماتة ورزق... إلخ، وهذا التقديرات قد يغيِّرها تعالى بالدُّعاء ونحوه، فالله تعالى يُطلعهم على تلك التقديرات.

ففرق هذه الفقرة عن سابقتها وعن مصحف فاطمة، أنَّ هذه الفقرة أعمّ فتشمل حتَّى الأُمور الَّتي تُقدَّر ثمَّ يتغيَّر التقدير فيها بالدُّعاء والصدقة ونحوها ـ وقد مرَّ تفصيلها في باب البداء ـ.

[٢٦] **(الأمر بعد الأمر و...):**

هذا عطف بيان أو بدل عن قوله: «ما يحدث باللَّيل والنهار» ولذا لم يعطفها بالواو.

---

(١) سورة الرَّحمٰن: الآية ٢٩.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ[١] فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزْنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،

والأمر والشيء هنا إمَّا بمعنى واحد ذُكرا تأكيداً، أو أنَّ الأمر يرتبط بالأحكام الجزئيَّة والشيء يرتبط بالموضوعات الخارجيَّة.

الحديث الثاني:

[١] (تظهر الزنادقة):

قد مرَّ معنى الزنادقة، وأنَّهم الملحدون الذين ينكرون وجود الله تعالى، وظهورهم بين المسلمين كان في عام ١٢٨، إذ العرب الجاهليون كانوا يعتقدون بوجوده تعالى ولكنَّهم كانوا يشركون الأصنام، قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٢)، وكذا بعد الإسلام لم يكن أحد ينكر وجوده سبحانه إلى أن ظهر مثل ابن أبي العوجاء وأضرابه من الملحدين، وكان ذلك في أواخر العهد الأموي.

وقيل: المراد بهم خلفاء بني العباس، وفي المرآة: وفي السنة المذكورة كتب أوَّلهم إبراهيم السفَّاح(٣) كتاباً إلى أهل خراسان، وجعل أبا مسلم المروزي أميراً عليهم، وكان ذلك مادة شوكة بني العبَّاس(٤).

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٢) سورة الزمر: الآية ٣.

(٣) الظاهر: إبراهيم الإمام ـ وهو أوّل من بويع منهم وكان أخاً للمنصور والسفّاح، قتله الأمويون ـ وأبو العبّاس السفّاح أوّل من ملك من بني العباس.

(٤) مرآة العقول: ج٣، ص٥٧.

فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكاً[٢] يُسَلِّي غَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا، فَشَكَتْ ذَلِكَ[٣] إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكِ[٤] وَسَمِعْتِ الصَّوْتَ قُولِي لِي، فَأَعْلَمَتْهُ بِذَلِكَ، فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ حَتَّى أَثْبَتَ مِنْ ذَلِكَ مُصْحَفاً، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَكِنْ فِيهِ عِلْمُ مَا يَكُونُ.

---

[٢] (فأرسل الله إليها ملكاً):

في الحديث الخامس من هذا الباب أنَّ هذا الملك كان جبرائيل عليه السلام.

[٣] (فشكت ذلك):

أي أخبرته به، وإنَّما عبَّر عنه بالشكاية ـ الَّتي هي بمعنى التوجع من الشيء وإظهار البثّ ـ لأنَّها عليها السلام كانت في حالة حزن شديد لفقدان أبيها صلى الله عليه وآله ومتوجعة من الأُمَّة لخذلانها، فجُعل إخبارها كأنَّها شكوى، نظراً لحالتها، وأمثال ذلك في الاستعمال كثير.

أو أنَّها شكت إلى أمير المؤمنين عدم تمكّنها من كتابة ما يمليه الملك وذلك لما أصابها من الأذى يوم حرق الدار وكشفه حيث أُصيبت في يدها أيضاً وأنَّ في عضدها كمثل الدملج، ممَّا كان مانعاً عن الكتابة.

[٤] (إذا أحسست بذلك):

أي إذا علمت به من جهة الحواس، ويمكن أن يُراد بالحسّ خصوص الرؤية ـ وقد مرَّ بعض الكلام في ذلك ـ.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ عِنْدِي الْجَفْرَ الْأَبْيَضَ، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ؟ قَالَ: زَبُورُ دَاوُدَ، وَتَوْرَاةُ مُوسَى، وَإِنْجِيلُ عِيسَى، وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ[١]، وَمُصْحَفُ فَاطِمَةَ، مَا أَزْعُمُ أَنَّ فِيهِ قُرْآناً[٢]، وَفِيهِ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْنَا[٣] وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، حَتَّى فِيهِ الْجَلْدَةُ[٤]، وَنِصْفُ الْجَلْدَةِ، وَرُبُعُ الْجَلْدَةِ، وَأَرْشُ الْخَدْشِ. وَعِنْدِي الْجَفْرَ الْأَحْمَرَ، قَالَ: قُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ فِي الْجَفْرِ الْأَحْمَرِ؟ قَالَ: السِّلَاحُ[٥] وَذَلِكَ

الحديث الثالث:

[١] (والحلال والحرام):
لعلَّ المُراد بهما الجامعة ـ كتاب علي عليه السلام ـ بقرينة المقابلة مع مصحف فاطمة عليها السلام.

[٢] (ما أزعم أنَّ فيه قرآناً):
أي ليس في الجفر الأبيض من القرآن شيء، بل القرآن ظاهر للكل، ولا يحتاج إلى حفظه في صندوق من جلد.

[٣] (وفيه ما يحتاج النَّاس إلينا):
أي في الجفر الأبيض.

[٤] (حتّى فيه الجلدة):
لعلَّ المُراد أرش قطع الجلدة بل أقلّ منها كنصفها وربعها، والخدش لا قطع فيه بل شقّ للجلد.

[٥] (قال السلاح):
الظاهر أنَّه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو علامة الإمامة كما مرَّ في الباب السابق والذي قبله.

إِنَّمَا يُفْتَحُ لِلدَّمِ يَفْتَحُهُ صَاحِبُ السَّيْفِ لِلْقَتْلِ[٦]، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ[٧] أَيَعْرِفُ هَذَا[٨] بَنُو الْحَسَنِ[٩]؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ كَمَا يَعْرِفُونَ اللَّيْلَ أَنَّهُ لَيْلٌ وَالنَّهَارَ أَنَّهُ نَهَارٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْمِلُهُمُ الْحَسَدُ

---

[٦] **(يفتحه صاحب السيف للقتل):**

لأنَّ القائم عليه السلام يسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في الروايات الصحيحة(١)، وهذا يستدعي الجهاد ـ الذي لا يخلو عن قتل المعتدين ـ، وبيَّن السيِّد العمّ حفظه الله في محاضرة جمعت في كتاب (عبير الرَّحمة) أنَّ الصحيح حسب الروايات الصحاح أنَّ القائم ليس قتَّالاً خلافاً لما مُلِئت به الأذهان بل هو يسير بسيرة الرَّسول والأمير عليهما وآلهما السَّلام.

[٧] **(أصلحك الله):**

دعاء باستمرار الإصلاح.

[٨] **(أيعرف هذا):**

أي أنَّ الجفر الأبيض والأحمر عندكم.

[٩] **(بنو الحسن):**

المُراد من ثاروا في تلك الفترة أي محمَّد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن المجتبى عليه السلام.

فإنَّه ظهرت في أواخر العهد الأموي ثلاث دعوات: دعوة إلى بني العبَّاس قادها إبراهيم الإمام وأخواه السفَّاح والمنصور أبناء محمَّد بن علي بن عبد الله بن عبَّاس، ودعوة إلى بني الحسن، ودعوة إلى الأئمَّة عليهم السلام.

أمَّا الأئمَّة فلم يجرِّدوا السيف، واشتغل الإمامان الباقر والصَّادق عليهما السلام بنشر العلم.

وأمَّا محمد وإبراهيم ابنا عبد الله فقد ثارا وحاربا بني العبَّاس فقتلوا.

---

(١) راجع البحار: ج٥٢، ص٣٤٠، كمثال.

وَطَلَبُ الدُّنْيا عَلَى الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، وَلَوْ طَلَبُوا الْحَقَّ بِالْحَقِّ[١٠] لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ.

وأمَّا بنو العباس فتمكَّنوا من رقاب المسلمين بمعونة أبي مسلم الخراساني، وكان قد راسل الإمام الصَّادق عليه السلام لكن الإمام أحرق رسالته ولم يعطه الشرعية فالتحق ببني العبَّاس، ثمَّ سلَّط الله المنصور عليه فقتله، وفي الحديث: «من أعان ظالماً سلَّطه الله عليه»(١).

[١٠] **(ولو طلبوا الحقّ بالحقّ):**

أي إنَّهم يطلبون الحقّ كثأر الإمام الحسين عليه السلام وإزالة الظلم والجور ونحوه، يطلبونه بالباطل وهو ادعاء الإمامة مثلاً.

ولو طلبوا الحقّ بالحقّ بأن استأذنوا الإمام المفروض الطاعة وعملوا بكلّ ما يقوله، لكان خيراً لهم في الدُّنيا ـ إذ لم يكونوا يقتلوا ـ وفي الآخرة.

ثمَّ اعلم أنَّه يمكن أن يكون قوله: «ولكنَّهم يحملهم الحسد...» إلخ صادراً للتقيّة، لعلمه بانكسار جيش بني الحسن وخلوص الملك إلى بني عبَّاس، فأراد عليه السلام أن لا يصيبه مكروه من بني العبَّاس لما ينتقموا من بني الحسن.

وأمَّا ما روي من مخاشنتهم للإمام الصَّادق عليه السلام وحبسه للبيعة وادعائهم للإمامة وادعاء بعضهم أنَّه المهدي الذي بشَّر به النَّبي صلى الله عليه وآله ونحو ذلك، فله محامل ستأتي إن شاء الله تعالى.

وقد روي بكاء الإمام الصَّادق على بعضهم لمَّا حملوا مقيدين إلى المنصور، وحمله على عاطفة القرابة بعيد جدّاً.

وعلى كلِّ حال فالأمر مَلَبَّس.

---

(١) الخرائج: ج٣، ص١٠٥٨.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ فِي الْجَفْرِ الَّذِي يَذْكُرُونَهُ[١] لَمَا يَسُوؤُهُمْ[٢]، لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ فِيهِ، فَلْيُخْرِجُوا قَضَايَا عَلِيٍّ وَفَرَائِضَهُ[٣] إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ، وَسَلُوهُمْ عَنِ الْخَالَاتِ وَالْعَمَّاتِ[٤]، وَلْيُخْرِجُوا مُصْحَفَ فَاطِمَةَ عليها السلام، فَإِنَّ فِيهِ وَصِيَّةَ

الحديث الرابع:

[١] **(الذي يذكرونه):**

الظاهر ـ بقرينة سائر الروايات ـ أنَّ المُراد من ادّعى الإمامة من بني الحسن ـ أي نُسب إليه ادّعاؤه الإمامة ـ.

[٢] **(لما يسوؤهم):**

وذلك لأمرين ـ ذكرهما الإمام عليه السلام ـ.

الأوّل: إنَّ فيه كتاب عليّ عليه السلام، وفيه الأحكام الصحيحة، وهم يُفتون بخلافه، فلو علموا به ورأوه لساءهم ذلك.

الثاني: إنَّ فيه مصحف فاطمة عليها السلام، وفيه أخبار المستقبل، ومن جملة ما فيه أنَّهم لا يملكون بل يقتلون، وهذا أيضاً يسوؤهم.

[٣] **(قضايا عليّ وفرائضه):**

لعلَّ المُراد (كتاب علي عليه السلام) أو المُراد بـ(القضايا) أحكامه في القضاء، فإنَّه خالف فيها أحكام أئمَّة الجور. وبـ(الفرائض) المواريث، فإنَّه عليه السلام أيضاً قسّم المواريث بلا عول ولا تعصيب وأجرى فيه أحكام الشرع كاملة، خلافاً لحكّام الجور.

[٤] **(عن الخالات والعمّات):**

أي عن إرثهنَّ، فإنَّ فيه فروع لا يعرفها إلّا الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام ومن تعلَّم منهم، أمَّا هم فيعملون فيها حسب فقه المخالفين.

فَاطِمَةَ عليها السلام[٥]، وَمَعَهُ سِلَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٦]، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ[٧]: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

---

[٥] **(وصيَّة فاطمة):**

في المرآة: وصيَّة فاطمة في أوقافها وأولادها، أو وصيَّة جبرائيل لفاطمة عليها السلام في أمر أولادها، وما يقع عليهم(١).

[٦] **(ومعه سلاح رسول الله):**

أي مع المصحف، أو مع الجفر، والقصد أنَّهم لا يملكون سلاح الرَّسول صلى الله عليه وآله، وهو علامة الإمامة والعلم ـ كما مرَّ ـ فليسوا أئمَّة حقّ.

[٧] **(إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول):**

شأن نزول الآية في عُبَّاد الأصنام لكن حكمها عامّ لأنَّ خصوصية المورد لا تخصّص الوارد، فالسؤال عامّ لكلّ من يقول باطلاً، ولذا استشهد الإمام عليه السلام بالآية لبيان عدم امتلاكهم للدليل على دعواهم ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن، كالذكر في الكتب السَّماويَّة السابقة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ أي بقيَّة ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ الأوَّلين تؤيِّد ادّعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تدَّعون.

وسيأتي تفسير ﴿أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ بأنها علم أوصياء الأنبياء(٢) فلعلّ الإمام عليه السلام لمّا ذكر «الجفر» و«كتاب عليّ و«مصحف فاطمة»، بيّن أنَّ هذه هي من بقية علم الأوصياء وهي عندنا.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٥٨.

(٢) سياتي في (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) الحديث.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْجَفْرِ؟ فَقَالَ: هُوَ جِلْدُ ثَوْرٍ مَمْلُوءٌ عِلْماً[١]، قَالَ لَهُ: فَالْجَامِعَةُ؟ قَالَ: تِلْكَ صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ مِثْلُ فَخِذِ الْفَالِجِ[٢]، فِيهَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَلَيْسَ مِنْ قَضِيَّةٍ[٣] إِلَّا وَهِيَ فِيهَا، حَتَّى أَرْشُ الْخَدْشِ. قَالَ: فَمُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام؟ قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلاً[٤]، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَبْحَثُونَ

الحديث الخامس:

[١] **(جلد ثور مملوء علماً):**
ذكر نوعية الجلد وأنَّه مملوء علماً، لعلَّه ليتداعى إلى الأذهان (القنطار)، وهو جلد ثور مملوء ذهباً، فيدرك السامع عظمة هذا الجفر الأبيض، فإنَّ الناس عادة يعرفون قيمة المعنويات لمَّا يقيسونها بالأمور المادية العظيمة عندهم.

[٢] **(في عرض الأديم):**
«الأديم»: الجلد، و«الفالج»: الجمل الضخم ذو السنامين ـ ويُقال له البُخاتي ـ، وكأنَّ المُراد أنَّ تلك الصحيفة لمّا تُطوى وتُلَفّ تكون في ضخامتها كفخذ هذا الجمل حجماً.

[٣] **(وليس من قضية):**
أي موضوع يتعلّق به حكم شرعي.

[٤] **(فسكت طويلاً):**
لعلَّ سكوته لأجل ما انتابه من الحزن، من مصائبها لمّا ذكر فاطمة عليها السلام وسبب كتابة المصحف.
أو أنَّ سكوته لبيان أهمية المسؤول عنه ـ وهو مصحف فاطمة ـ أو ليتهيّأ السامع للجواب بجمع فكره.

عَمَّا تُرِيدُونَ وَعَمَّا لَا تُرِيدُونَ[٥]، إِنَّ فَاطِمَةَ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَمْسَةً وَسَبْعِينَ يَوْماً، وَكَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا، وَكَانَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام يَأْتِيهَا فَيُحْسِنُ عَزَاءَهَا[٦] عَلَى أَبِيهَا، وَيُطَيِّبُ نَفْسَهَا، وَيُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا وَمَكَانِهِ، وَيُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا[٧]، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَكْتُبُ ذَلِكَ[٨]، فَهَذَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام.

---

[٥] **(عمَّا تريدون وعمَّا لا تريدون):**
لعلَّ المُراد: إنَّكم تسألون عن أشياء ولكن لا يُعجبكم الجواب فكأنَّكم لا تريدون معرفة ذلك الجواب.
ولذا لم يجب الإمام عليه السلام إلَّا مختصراً وبيَّن بعض ما في مصحف فاطمة عليها السلام لا كلّه.

[٦] **(فيحسن عزاءها):**
أي يُسلّيها ويخفّف عن مصيبتها، و«تطييب النَّفس» هو إدخال السرور في قلبها بالأخبار السارة، فقوله: «ويخبرها عن أبيها ومكانه» لعلَّه عطف تفسيري لقوله: «ويطيّب نفسها».

[٧] **(في ذرِّيَّتها):**
هذا طرف ممَّا كان يحدِّثها به جبرائيل، لم يذكر الإمام عليه السلام التفصيل ـ بأنَّ جبرائيل أخبرها بكلّ ما يكون في المستقبل ـ ولعلَّ ذلك لأجل عدم تحمُّل السائل لذلك فذكر الإمام عليه السلام بعض الجواب، ولعلَّ قوله عليه السلام: «إنَّكم لتبحثون عمَّا تريدون وعمَّا لا تريدون» إشارة إلى ذلك، والله العالم.

[٨] **(يكتب ذلك):**
الظاهر أنَّ «ذلك» إشارة إلى «ما يكون بعدها في ذرِّيَّتها»، أي إنَّ عليّاً عليه السلام كان يكتب الأخبار المستقبليَّة عن الذرِّيَّة.
ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الخبرين ـ أي الخبر عن أبيها ومكانه،

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ كَرِبٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ عِنْدَنَا مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى النَّاسِ، وَإِنَّ النَّاسَ لَيَحْتَاجُونَ إِلَيْنَا، وَإِنَّ عِنْدَنَا كِتَاباً إِمْلَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١] وَخَطُّ عَلِيٍّ عليه السلام، صَحِيفَةً فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَا بِالْأَمْرِ[٢] فَنَعْرِفُ إِذَا أَخَذْتُمْ بِهِ وَنَعْرِفُ إِذَا تَرَكْتُمُوهُ.

والخبر عن الذرِّيَّة ـ وذلك للجمع بين الأخبار مع عدم التنافي بينها، لأنَّها مثبّتات، وكلّ خبر يبيِّن طرفاً من المصحف.

فتحصل أنَّ مصحف فاطمة يتضمَّن أخبار المستقبل كلّه، ومنها أخبار ذرِّيَّتها، كما يتضمَّن أحوال الرَّسول صلى الله عليه وآله في البرزخ والقيامة، ومكانه من الجنَّة.

الحديث السادس:

[١] **(إملاء رسول الله):**

«إملاء» إمَّا مرفوع، خبر لمحذوف أي هو إملاء. . . ، وإمَّا بدل عن كتاباً أي وإن عندنا إملاء الرَّسول وخطّ علي. وكذا الاحتمالان في (صحيفة).

[٢] **(لتأتونا بالأمر):**

أي تأتونا بالمواضيع التي يلزم بيان حكمها الشرعي، والمقصود تسألوننا عن حكم القضايا الخارجية، ونحن نجيبكم مع أنَّا نعلم أنَّ بعضكم لا يعمل بها، وذلك لأنَّ تكليف العالم أن يُظهر علمه وأن يجيب إذا سُئل ـ إن لم يكن محذور ـ سواء علم بعمل السائل أم بعدم عمله، فكلّ له تكليف.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ وَبُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ وَزُرَارَةَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ أَعْيَنَ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ الزَّيْدِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ قَدْ أَطَافُوا بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[١] فَهَلْ لَهُ سُلْطَانٌ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ عِنْدِي لَكِتَابَيْنِ[٢] فِيهِمَا تَسْمِيَةُ كُلِّ نَبِيٍّ وَكُلِّ مَلِكٍ يَمْلِكُ الْأَرْضَ، لَا وَاللَّهِ مَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

الحديث السابع:

[١] **(قد أطافوا بمحمَّد بن عبد الله):**

أي اجتمعوا حوله، وبايعوه بالإمامة، من الطواف وهو الدوران حول الشيء، وهو محمَّد بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

[٢] **(إنَّ عندي لكتابين):**

لعلَّهما ورقتان من مصحف فاطمة، لأنَّ الكتاب هو ما يُكتب فيه، فيُطلق حتَّى على الورقة الواحدة.

وقيل: لعلَّ الكتابين هما الجفر ـ حيث فيه علوم الأنبياء، ففيه أسماؤهم بالتبع ـ، ومصحف فاطمة إذ فيه أخبار المستقبل.

ثمَّ إنَّ ذكر النُّبوَّة إمَّا لأجل أنَّ البعض كان يقول بنبوَّته!! وإمَّا لأجل كتابة أسماء أوصياء الأنبياء مع أسماء الأنبياء، وكان هؤلاء يزعمون أنَّه المهدي الذي بشَّر به الرَّسول صلى الله عليه وآله، وإمَّا لأجل بيان أنَّ الإمام يعلم بأسماء من يرتبط بهم الدِّين أو الدُّنيا ثمَّ بيان أنَّ محمَّد بن عبد الله بن الحسن ليس منهم فلا يرتبط به الدِّين ولا الدُّنيا، فتأمَّل.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ سُكَّرَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: يَا فُضَيْلُ: أَتَدْرِي فِي أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُ أَنْظُرُ قُبَيْلُ[١]؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: كُنْتُ أَنْظُرُ فِي كِتَابِ فَاطِمَةَ عليها السلام لَيْسَ مِنْ مَلِكٍ يَمْلِكُ الْأَرْضَ إِلَّا وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، وَمَا وَجَدْتُ لِوُلْدِ الْحَسَنِ[٢] فِيهِ شَيْئاً.

الحديث الثامن:

[١] (قبيل):

أي قبيل دخولك، حذف المضاف إليه لوضوحه.

[٢] (لولد الحسن):

أي المعاصرين للإمام الصَّادق عليه السلام الذين ثاروا على بني العبَّاس، كمحمَّد وإبراهيم ابني عبد الله، وليس المُراد ولد الحسن ولو في المستقبل، فإنَّ كثيراً من ذرِّيَّة الإمام الحسن عليه السلام ملكوا، ولا زال بعض منهم حاكماً.

بَابٌ فِي شَأْنِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وَتَفْسِيرِهَا

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ـ جَمِيعاً ـ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَرِيشِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: بَيْنَا

الحديث الأوّل:

خلاصة الحديث يتعلّق بتعيين الأوصياء من الله تعالى ويبدأها بمقدّمة تتعلّق بعلم الأوصياء عليهم السلام، ويمكن تقسيم الحديث إلى مقاطع:

أوّلاً: علمهم لا اختلاف فيه ولا تناقض، بل يصدّق بعضه بعضاً، وهم يعلمون ما يحتاج العباد إليه.

ثانياً: سبب ذلك أنّ علمهم مأخوذ عن الله تعالى، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتلقّىٰ علمه جميعاً عن الله تعالى.

ثالثاً: طريقة تعليم الله لهم تختلف عن طريقة تعليمه رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ علم الرّسول إمّا عن طريق مَلَك يراه وهو جبرائيل عليه السلام، وإمّا بوحي مباشر بلا واسطة.

أمّا علومهم فبعضها يحدّثهم الملك ولكنّهم في حال التحديث لا يرونه بل يسمعونه، وبعضها يتلقّونه بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله.

رابعاً: إنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا في زمان أئمّة الجور والضلال، فلذا كانوا يظهرون علومهم للخواصّ، وكانوا يتّقون من غيرهم فلا يظهروه لهم، حتى يكون زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام فإنّه يظهر العلوم بلا تقية لأنّ الله عزّ وجلّ جعل ملائكة تحت تصرّفه يقتلون الكفّار الظالمين فلا خوف منهم.

وفي ذلك شباهة مع الرَّسول ﷺ حيث قد اكتتم لفترة إلى أن أمره الله تعالى بإظهار علمه.

وسبب كتمانه ﷺ في البداية وجهره بعد ذلك كان مراعاة للمصلحة، فلم تكن مصلحة أوّلاً في الإظهار ثمَّ لمّا حان الوقت ـ لتحقُّق المصلحة ـ صدع بما أُمر به وجهر به.

خامساً: بعد ذلك يستدلّ الإمام عليه السلام على أنَّه لا بدَّ من تعيين الرَّسول ﷺ للأوصياء من بعده بأمر الله تعالى، ولا بدَّ من أن يكونوا معصومين، ويتضمَّن الدليل ثماني مقدِّمات وبعد ذلك الاستنتاج.

سادساً: بعد ذلك يجيب الإمام عن شبهتين هما:

الشُّبهة الأولىٰ: أنَّ علم الرسول كلّه من القرآن فقط، والقرآن موجود الآن فلا حاجة إلى من يستخلفه الرسول!!

والجواب أوَّلاً: بأنَّه في ليلة القدر تقدّر أُمور مستجدّة تنزل على الرَّسول ﷺ في حياته وعلى خليفته بعد وفاته.

وثانياً: لا بدَّ للنَّاس من حاكم فإن لم يكن معصوماً مستخلفاً من الرَّسول بل يخطىء فلا يكون ممَّن يخرجه الله من الظُّلمات إلى النُّور، فكيف يخرج به النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور؟

الشُّبهة الثانية: أنَّ الحاكم هو القرآن!!

والجواب: أنَّ القرآن كتاب هداية، فلا بدَّ من وجود من يطبّق القرآن، وكذا يرشد النَّاس إلى الصواب إن اختلفوا في معناه وفي تفسيره، مضافاً إلى أنَّه تُعرض فتن ومسائل غامضة لا يوجد جوابها لا في ظاهر القرآن ولا في السُّنَّة ولا هي من الضروريات، فلا بدَّ ممَّن يجيب ويحكم بحكم الله تعالى، ولا يكون إلَّا من يعيِّنه الله ويكون عنده علم الرَّسول ﷺ.

وهذه مصيبة علم الله بها قبل وقوعها كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾[1] ولذا جعل الحلّ لها وهو

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.

أَبِي عليه السلام يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ إِذَا رَجُلٌ مُعْتَجِرٌ[١] ....

تعيين الأئمة عليهم السلام.

سابعاً: بيّن الإمام الباقر عليه السلام أنَّ الله عيَّن الحجَّة وجعل القرآن دليلاً له، يستنبط كلّ الأحكام منه، لأنَّ القرآن تبيان كلّ شيء، فكلّ الحدود في القرآن، وتفسيرها عند الإمام عليه السلام.

ثامناً: وفي ختام الحديث يطلب إلياس عليه السلام من الإمام الباقر عليه السلام ذكر اسم الإمام الذي عيَّنه الله تعالى، لأنَّ الكلام كان في إثبات لزوم الحجَّة الذي لا اختلاف في علمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد إثبات لزوم الحجّة، ينتقل الكلام إلى بيان المصداق لهذه الحجَّة، فيجيب الإمام الباقر عليه السلام بأنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله. ورفض النَّاس له شقاءٌ لهم، ويفسِّر قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾(١) الآية.

[١] **(رجل معتجر)**:

«الاعتجار»: لفّ العمامة على الرأس ـ من غير إدارة تحت الحنك(٢) ـ وذلك يقتضي التنقُّب ببعضها.

وهذا الرجل هو إلياس عليه السلام كما سيأتي في وسط الحديث، وإلياس عليه السلام من الأنبياء الأحياء وقد ادّخره الله تعالى إلى يوم ظهور القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وقيل: إنَّ الأنبياء الأحياء أربعة اثنان في السَّماء هما: عيسى ويونس عليهما السلام، واثنان في الأرض هما: إلياس والخضر عليهما السلام(٣)، وروي أنَّ إلياس والخضر يجتمعان في كلّ موسم(٤) أي يجتمعان في عرفات يوم عرفة من كلّ سنة.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.

(٢) مقاييس اللغة: ص٧١٢.

(٣) راجع البحار: ج١٣، ص٤٠٢.

(٤) راجع البحار: ج١٣، ص٣٩٩ و٣١٩ عن مصادر العامّة، وقد اختلف في نبوّة الخضر فروي أنّه ليس بنبي وروي أنّه نبي، فراجع التفصيل في البحار: ج١٣، ص٢٨٣ فما بعد، والبرهان: ج٦، ص٢٥٢.

قَدْ قُيِّضَ لَهُ[٢]، فَقَطَعَ عَلَيْهِ أُسْبُوعَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ إِلَى دَارٍ جَنْبَ الصَّفَا، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَكُنَّا ثَلَاثَةً، فَقَالَ: مَرْحَباً يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ بَعْدَ آبَائِهِ. يَا أَبَا جَعْفَرٍ[٣]: إِنْ شِئْتَ فَأَخْبِرْنِي، وَإِنْ شِئْتَ فَأَخْبَرْتُكَ، وَإِنْ شِئْتَ سَلْنِي، وَإِنْ شِئْتَ سَأَلْتُكَ، وَإِنْ شِئْتَ فَاصْدُقْنِي، وَإِنْ شِئْتَ صَدَقْتُكَ، قَالَ: كُلَّ ذَلِكَ أَشَاءُ، قَالَ: فَإِيَّاكَ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُكَ عِنْدَ مَسْأَلَتِي بِأَمْرٍ تُضْمِرُ لِي غَيْرَهُ[٤]!! قَالَ: إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ[٥]

---

[٢] **(قيِّض له):**
أي جيء به من حيث لا يحتسب، «أسبوعه» أي طوافه، ولأنَّه سبعة أشواط سُمِّي أسبوعاً.

[٣] **(يا أبا جعفر):**
أي ثم التفت إلى أبي وقال: «يا أبا جعفر».

[٤] **(تضمر لي غيره):**
في العبارة احتمالان:
الأوَّل: بمعنى لا تكتم عنِّي شيئاً وتقول غيره، لأنَّك لست في تقيَّة، ولعلَّه يقصد بكلامه هذا أن يعرف الأصحاب الذين يبلغهم هذا الحديث أنَّه ليس بتقيَّة كما سيأتي في قوله: «ما سألتك عن أمرك، وبي منه جهالة، غير أنِّي أحببت أن يكون هذا الحديث قوَّة لأصحابك».
والثاني: أو بمعنى القول بشيء مع عدم الالتزام بلوازمه، كما في علوم أهل الضلال حيث يقولون بأشياء لا يلتزمون بلوازمها(١).

أوَّلاً: عدم اختلاف علمهم عليهم السلام

[٥] **(إنَّما يفعل ذلك):**
على الاحتمال الأوَّل: فالمقصود هو في غير التقيَّة.

---

(١) مرآة العقول: ج٣، ص٦٢ ـ بتصرُّف ـ

مَنْ فِي قَلْبِهِ عِلْمَانِ يُخَالِفُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبى أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ فِيهِ اخْتِلَافٌ[٦]، قَالَ: هَذِهِ مَسْأَلَتِي وَقَدْ فَسَّرْتَ طَرَفاً مِنْهَا[٧].

أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ، مَنْ يَعْلَمُهُ؟ قَالَ: أَمَّا

وعلى الاحتمال الثاني: فالمقصود هو أنَّ القول بشيء مع عدم القول بلوازمه إنَّما هو بسبب عدم معرفة الحقائق، فيحصل تناقض في المعلومات من حيث لا يشعر الإنسان، كمن يعتقد بطلوع الشمس لكنَّه لا يعتقد بوجود النهار لغفلته عن التلازم بينهما، وكاعتقاد المخالفين بعد عصمة الخلفاء مع غفلتهم عن استحالة خلافة غير المعصوم.

ولذا كان الجواب النقضي من الأجوبة المسكتة للخصم، إذ يُقال له: بأنَّ لازم كلامك ما لا يمكنك الاعتقاد به، فهو وإن لم يحلّ الإشكال بل يزيده لكنَّه يفحم المتحاور.

[٦] **(أبىٰ أن يكون له علم فيه اختلاف):**

لأنَّ منشأ الاختلاف الجهل، والله يتعالى عن ذلك، لعلمه بكلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(١)، ولعلَّ في كلامه عليه السلام ردّ على التصويب أيضاً.

[٧] **(وقد فسّرت طرفاً منها):**

أي سؤالي كان عن العلم من جهتين:

الأولى: عن الاختلاف في علمه؟

الثانية: وأنَّ هذا العلم عند مَن؟

وقد أجبت أنت عن السؤال الأوّل.

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

جُمْلَةُ الْعِلْمِ[٨] فَعِنْدَ اللَّهِ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ، وَأَمَّا مَا لَا بُدَّ لِلْعِبَادِ مِنْهُ[٩] فَعِنْدَ الْأَوْصِيَاءِ، قَالَ: فَفَتَحَ الرَّجُلُ عَجِيرَتَهُ[١٠] وَاسْتَوَى جَالِساً وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ[١١]،

ثانياً: سبب عدم اختلاف علمهم عليهم السلام

[٨] **(جملة العلم):**

أي العلم كلّه، وهذا خاصّ بالله تعالى، لأنَّ العلم لا نهاية له، وحيث إنَّ الله سبحانه غير محدود فعلمه ـ الذي هو عين ذاته ـ لا حدَّ له، أمَّا غيره فعلمهم مهما كَثُر فإنَّه محدود بالمقدار الذي أراد الله أن يعلّمهم منه.

[٩] **(ما لا بدَّ للعباد منه):**

إمَّا بمعنى ما يحتاج النَّاس إليه، وهذا لا ينافي علمهم بعلوم أُخرى لا يحتاج النَّاس إليها، لأنَّ الكلام في صدد إثبات هذه الجهة من العلم، لا لنفي غيره.

وإمَّا بمعنى العلوم التي يلزم تعليمها للعباد ـ سواء احتاج النَّاس إليها أم لا ـ فبعض ما لا بدَّ للعباد منه يرتبط باحتياج النَّاس، وبعضه يرتبط باحتياج سائر الخلق، وبعضه يرتبط بكمال خلفاء الله تعالى.

[١٠] **(ففتح الرجل عجيرته):**

أي كشف نقابه، بفتح طرف العمامة الذي كان على وجهه.

[١١] **(تهلّل وجهه):**

تهلَّل السحاب ببرقه: تلألأ، كأنَّ البرق شُبِّه بالهلال(١)، ثم استُعمل في ظهور السرور على الوجه، كأنَّه أضاء وتلألأ.

وفتح العجيرة، والاستواء جالساً، وتهلّل الوجه، كلّها إظهار للسرور من أمر هام، وإلياس عليه السلام كان يعلم بأنَّ العلم عند الأوصياء، ولكن الاستماع إلى فضائلهم ومكانتهم توجب انشراح صدر المؤمن مرَّة بعد أُخرى، حتَّى وإن كان عالماً بها.

---

(١) مقاييس اللغة: ص١٠١٦، وراجع المفردات: ص٨٤٣.

وَقَالَ: هَذِهِ أَرَدْتُ وَلَهَا أَتَيْتُ[١٢]، زَعَمْتَ أَنَّ عِلْمَ «مَا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ» عِنْدَ الْأَوْصِيَاءِ، فَكَيْفَ يَعْلَمُونَهُ؟ قَالَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُهُ[١٣] إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ[١٤] مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى، لِأَنَّهُ كَانَ نَبِيّاً، وَهُمْ مُحَدَّثُونَ، وَأَنَّهُ كَانَ يَفِدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١٥] فَيَسْمَعُ الْوَحْيَ، وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، سَآتِيكَ بِمَسْأَلَةٍ صَعْبَةٍ.

---

[١٢] (هذه أردت ولها أتيت):

لأنَّه كان يريد معرفة الأصحاب بعلم الأئمَّة عليهم السلام، فكلّ سؤال قبله إنَّما هو مقدِّمة لذلك، وكذا سائر الأسئلة تصبُّ في هذا الغرض.

ثالثاً: كيفية تعلّمهم عليهم السلام لهذا العلم

[١٣] (كما كان رسول الله يعلمه):

أي علم مأخوذ من الله تعالى، وإن كانت طريقة التلقِّي تختلف.

[١٤] (إلَّا أنَّهم لا يرون):

هذا الفرق الأوَّل في التلقِّي، فرسول الله ﷺ كان يرى الملائكة كجبرائيل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾(١) أي رأى محمَّدٌ ﷺ جبرائيلَ بصورته الأصلية مرَّة عند غار حراء وأُخرى عند سدرة المنتهى.

أمَّا الأوصياء عليهم السلام فلم يكونوا يرون الملائكة حينما كانوا يحدِّثونهم، وقد مرَّ في (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدَّث): أنَّ الإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص، فراجع.

[١٥] (وأنَّه كان يفد إلى الله عزَّ وجلَّ):

هذا الفرق الثاني في التلقِّي، فإنَّ رسول الله ﷺ كان يوحي الله إليه مباشرة ومن غير واسطة ملك أحياناً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ

---

(١) سورة النجم: الآيتان ١٣ ـ ١٤.

أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الْعِلْمِ مَا لَهُ لَا يَظْهَرُ[١٦]؟ كَمَا كَانَ يَظْهَرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: فَضَحِكَ أَبِي عليه السلام[١٧] وَقَالَ: أَبَى اللَّهُ[١٨] عَزَّ وَجَلَّ

ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(١)، أمَّا الأوصياء فكانوا يأخذون تلك العلوم عن الرَّسول ﷺ.

فتحصل أن الفرق في تلقّيهم أمران:

١ ـ الرَّسول ﷺ كان يرى ويسمع الملك الذي هو واسطة عن الله تعالى، والأوصياء عليهم السلام لم يكونوا يرونه وإنَّما كانوا يسمعونه.

٢ ـ الرَّسول ﷺ كان يتلقّىٰ بعض علومه مباشرة من الله تعالى، والأوصياء عليهم السلام كانوا يتلقّون تلك العلوم بواسطة الرَّسول ﷺ.

و«الوفود» هو القدوم مسرعاً.

رابعاً: سبب عدم ظهور كلّ علمهم عليهم السلام

[١٦] **(هذا العلم ما له لا يظهر):**

أي لا تجاهرون به علناً، بل تذكرونه للخواص فقط، ثمَّ توصون بعضهم بالكتمان أيضاً.

[١٧] **(فضحك أبي عليه السلام):**

لعلَّ تبسُّمه لأجل أنَّ إلياس عدَّ هذه المسألة صعبة، مع أنَّ المسائل كلّها عندهم عليهم السلام سواء، فلا صعب عندهم.

[١٨] **(وقال أبى الله):**

حاصل الجواب أنَّ الرَّسول ﷺ أيضاً كتم علمه في بداية الدعوة إلَّا عن أهله، ثم أمره الله تعالى بإظهاره فقال له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ وكذلك الأئمَّة عليهم السلام أُمروا بكتم هذا العلم إلَّا عن أهله، حتَّى يُؤمروا بإظهاره حين ظهور قائمهم عجَّل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

أَنْ يُطْلِعَ عَلَى عِلْمِهِ إِلَّا مُمْتَحَناً لِلْإِيمَانِ بِهِ[١٩]، كَمَا قَضَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ، وَلَا يُجَاهِدَهُمْ إِلَّا بِأَمْرِهِ، فَكَمْ مِنِ اكْتِتَامٍ قَدِ اكْتَتَمَ بِهِ، حَتَّى قِيلَ لَهُ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ[٢٠] وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، وَايْمُ اللَّهِ أَنْ لَوْ صَدَعَ قَبْلَ ذَلِكَ لَكَانَ آمِناً، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا نَظَرَ فِي الطَّاعَةِ[٢١]، وَخَافَ

وفي المرآة: إنَّ ظهور هذا العلم مع رسول الله ﷺ دائماً في محل منع، فإنَّه كان في سنين من أوَّل بعثته مكتتماً إلَّا عن أهله ـ لخوف عدم قبول الخلق منه ـ حتَّى أُمِر بإعلانه، وكذلك الأئمَّة عليهم السلام يكتمون عمَّن لا يقبل منهم حتَّى يُؤمروا بإعلانه في زمن القائم عليه السلام(١).

[١٩] (ممتحناً للإيمان به):

أي اختبر قلبه فرآه محلّاً قابلاً للإيمان بذلك العلم.

قيل: وأصل الامتحان هو وضع الذهب في النَّار ليظهر خالصه من مغشوشه. وهذه العلوم عالية المضامين، ومن الحكمة كتمانها عن قلب لا يتحمّلها.

وقد تواترت الروايات بأنَّ أمرهم صعب مستصعب لا يتحمَّله إلَّا ملكٌ مقرَّبٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان، بل بعض أمرهم لا يتحمَّله حتَّى هؤلاء فكتمت عنهم أيضاً(٢).

[٢٠] (فاصدع بما تُؤمر):

أي اجهر يا رسول الله بما تُؤمر من الأوامر، ولا تُبال بالمشركين، فقد كفيناك المستهزئين بك، فلا يصل شرّهم إليك.

[٢١] (ولكنَّه إنما نظر إلى الطاعة):

في العبارة احتمالان:

الأوَّل: طاعته لله تعالى، فإنَّه أراد أن يطيع الله تعالى، فلم يكن يخطو

---

(١) المرآة: ج٣، ص٦٤.

(٢) راجع البحار: ج٢، ص١٨٣ فما بعد ففيه عشرات الأحاديث بهذه المضامين وبالفاظ متقاربة.

الْخِلَافَ فَلِذَلِكَ كَفَّ، فَوَدِدْتُ أَنَّ عَيْنَكَ[٢٢] تَكُونُ مَعَ مَهْدِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالْمَلَائِكَةُ بِسُيُوفِ آلِ دَاوُدَ[٢٣] بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تُعَذِّبُ أَرْوَاحَ الْكَفَرَةِ مِنَ

خطوة إلَّا بإذنه تعالى، فلذا انتظر إلى حين أمره الله تعالى بالجهر، فإنَّه ﷺ كان نبيّاً منذ ولادته لكنَّه لم يكن مأموراً بالتبليغ، فلمَّا بعثه الله تعالى رسولاً ـ وهو في الأربعين ـ أمره بإبلاغ أهله، ثمَّ أمره بإبلاغ عشيرته الأقربين، ثمَّ لأهل مكَّة، ثمَّ لعامَّة النَّاس، فكذلك الأئمَّة عليهم السلام يكتمون أو يظهرون حسب مشيئة الله تعالى.

الثاني: طاعة الناس للرسول، فإنَّ الغرض من التبليغ هو هداية النَّاس، فلا بدَّ من اختيار أفضل الأساليب، ففي بداية الأمر لم يكن مصلحة في الإظهار لأنَّه لم يكن يؤدِّي إلَّا إلى عدم هدايتهم، ثمَّ لما تحقَّقت أرضية مناسبة لقبول الدعوة ـ ولو بالتدريج ـ جهر رسول الله ﷺ بها.

[٢٢] **(قوله: فوددت أن عينك...)**:

أي فكذلك نحن نكتم الآن عن غير أهله، إلى أن يقوم قائمنا فيُجهر، إذ لا تقيَّة حينئذٍ، فإنَّه يتغلَّب على الكفَّار بإذن الله وبنصرة الملائكة، فلا يبقىٰ محذور في الجهر علناً.

ثمَّ إنَّ إلياس من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ـ كما سيظهر من هذا الحديث ومن غيره ـ، فقول الإمام الباقر عليه السلام: «فوددت أن...»:

إمَّا بمعنى أنَّ مشاهدة عذاب أرواح الكفرة خاصّ بالمهدي عليه السلام، فكنت أتمنى أن تراه أنت أيضاً، ولذا قال: «وددت أن عينك».

وإمَّا المقصود تمنّي سرعة تحقُّق الظهور، أي فوددت سرعة ذلك لترى بعينك ما يراه المهدي عليه السلام.

وإمَّا بيان لحبِّه عليه السلام لهذه الرؤية، فهي من المشاهد المرغوب في رؤيتها.

[٢٣] **(بسيوف آل داود)**:

أي الملائكة بسيوفهم التي تشبه سيوف آل داود عليه السلام، أو نفس السيوف التي كانت بحوزة سليمان عليه السلام هي بحوزة هؤلاء الملائكة، أو المُراد منه

حكم آل داود، أي الملائكة بحكم آل داود يعذِّبون الكفرة ويقتلونهم، وهذا هو الأظهر كما سنبيِّنه.

وهنا ثلاثة أُمور:

الأمر الأوَّل: صفة هؤلاء الملائكة، قال الإمام الصادق عليه السلام: كأنِّي أنظر إلى القائم على ظهر النجف ـ إلى أن قال ـ: فإذا نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله انحطّ عليه ثلاثة عشر ألف مَلَك وثلاثة عشر ملكاً، كلُّهم ينتظرون القائم عليه السلام ـ وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السلام حين أُلقي في النار، وكانوا مع عيسى عليه السلام حين رُفع ـ، وأربعة آلاف مسوَّمين ومردفين وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً يوم بدر، وأربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليهما السلام، فلم يُؤذن لهم، فصعدوا في الاستئذان وهبطوا وقد قُتل الحسين عليه السلام، فهم شُعث غُبر يبكون عند قبر الحسين إلى يوم القيامة[1].

الأمر الثاني: تظافرت الروايات أنَّ القائم عليه السلام يحكم بحكم آل داود عليه السلام أي يقضي بما يعلمه واقعاً دون الأخذ بالوسائل الظاهرية من الإيمان والبيِّنات.

وهذا لا ينافي ما ورد في صحاح الروايات من أنَّه يسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لأنَّه من شرع الإسلام هو بطلان البيِّنة واليمين إذا تعارضت مع القرائن القطعية مثلاً إذا قامت البيِّنة على أنَّ هذا المولود حديثاً هو ابن لزيد الذي مات قبل عشر سنوات قطعاً، فإنَّ هذه الشهادة مردودة لتعارضها مع العلم الذي لا شكَّ فيه، وكذا حين الظهور المبارك يكون كل القضاء بالعلم وبالقرائن القطعية.

ولذا نشاهد في قضاء أمير المؤمنين عليه السلام ما يعبِّر عنه الفقهاء بـ(قضية في واقعة) ويريدون أنَّه لا تُعمّم ولا يُؤخذ بحكمها في موارد أُخر، ومقصودهم أنَّ في تلك الواقعة قامت قرائن قطعية على الواقع فعمل

(١) البحار: ج٥٢، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦، عن كمال الدِّين، وقريب منه ما في كامل الزيارات.

الإمام علي عليه السلام بالعلم الناتج عن تلك القرائن، ممَّا لا تتوفَّر تلك القرائن في قضايا أُخرى، فلا تُقاس عليها، نعم لو فرض حصول تلك القرائن الموجبة للعلم في كل قضية لأخذ بها، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[١]، ثمَّ إنَّ هناك خلافاً بين الفقهاء في جواز عمل القاضي بعلمه ـ المجرَّد عن القرائن ـ.

مضافاً إلى احتمال التخصيص أي إنَّ حكم الشرع هو العمل بالإيمان والبيِّنات إلَّا في زمان الظهور فيعمل بالعلم، وهذا تخصيص أزماني.

وفي إرشاد المفيد: إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل وارتفع في أيَّامه الجور ـ إلى أن قال ـ: وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمَّد صلى الله عليه وآله[٢].

ورَوىٰ أيضاً عن الصادق عليه السلام: إذا قام قائم آل محمَّد عليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بيِّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه[٣].

الأمر الثالث: أرواح الكفَّار في وادي برهوت على ما يظهر من بعض الأخبار[٤] فقوله عليه السلام: «والملائكة بسيوف آل داود بين السَّماء والأرض تعذِّب أرواح الكفرة...».

إمَّا بمعنى أنَّ أرواحهم تنقل إلى الأعلى ليشاهدها المهدي عليه السلام، أو هو وأصحابه، أو الناس أجمعون.

وإمَّا قوله: «بين السَّماء والأرض» خبر للملائكة، أي الملائكة بين السَّماء والأرض حال كونهم يعذِّبون أرواح الكفرة، فيكون المعنى: إنَّ الملائكة وهم بين السَّماء والأرض يقومون بمهمَّة عذاب الكفَّار وقتل الأحياء منهم وقيل: فيه إشارة إلى الرجعة، فتأمَّل.

---

(١) سورة يوسف: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) البحار: ج٥٢، ص٣٣٨ عن الإرشاد.

(٣) المصدر، عن الإرشاد.

(٤) راجع الكافي: ج٣، ص٢٤٦.

الْأَمْوَاتِ، وَتُلْحِقُ بِهِمْ أَرْوَاحَ أَشْبَاهِهِمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجَ[٢٤] سَيْفاً ثُمَّ قَالَ: هَا إِنَّ هَذَا مِنْهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبِي: إِي وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّداً عَلَى الْبَشَرِ، قَالَ: فَرَدَّ الرَّجُلُ اعْتِجَارَهُ[٢٥] وَقَالَ: أَنَا إِلْيَاسُ، مَا سَأَلْتُكَ عَنْ أَمْرِكَ وَبِي مِنْهُ جَهَالَةٌ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ قُوَّةً لِأَصْحَابِكَ. وَسَأُخْبِرُكَ بِآيَةٍ[٢٦] أَنْتَ تَعْرِفُهَا إِنْ خَاصَمُوا بِهَا ....

---

[٢٤] **(ثمَّ أخرج):**

أي أخرج إلياس عليه السلام وقوله: «ها» حرف تنبيه أو بمعنى خذ.

[٢٥] **(فردَّ الرجل اعتجاره):**

في المرآة: ولعلَّ ردّ الاعتجار لأنَّه مأمور بأن لا يراه أحد بعد المعرفة الظاهرة(١).

[٢٦] **(وسأخبرك بآية):**

لعلَّ المُراد من الآية ـ هنا ـ: الدليل القوي الذي يكون علامة على الحقّ.

أو المُراد بها الآيات المتعلّقة بليلة القدر، ففي صدر الدليل استدلال بسورة القدر، وفي ضمن الدليل استدلال بآيات من سورة الدخان تدلُّ على نزول القرآن وعلى نزول القضاء الإلٰهي في ليلة القدر على حجَّة الله، فجمعت ليلة القدر بين علم القرآن وعلم القضاء والقدر.

خامساً: الدليل على إمامتهم وعلمهم عليهم السلام

وخلاصة الدليل:

١ ـ أنَّ عِلم الرَّسول صلى الله عليه وآله كلّه إنَّما هو من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(٢)، تلقَّاه عن الوحي إمَّا في

---

(١) المرآة: ج٣، ص٦٤.

(٢) سورة النجم: الآيتان ٣ ـ ٤.

ليلة القدر أو في غيرها من الأيَّام واللَّيالي.

٢ ـ وأنَّه لا بدَّ من إظهار العلم الذي يحتاج النَّاس إليه، لأنَّ كتمان العلم ـ في غير التقيَّة ـ من أكبر المحرَّمات، فرسول الله ﷺ قد أظهر ذلك العلم.

٣ ـ لا تناقض فيما أظهره الرَّسول ﷺ، إذ منشأ التناقض هو الجهل، فالعلم المأخوذ من الله لا جهل فيه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(١).

٤ ـ إذا تناقض حكم إنسانٍ، فهو قد خالف حكم الرَّسول ﷺ، لأنَّ حكم الرَّسول ﷺ لا تناقض فيه، فلا يعقل التناقض في حكم من وافق الرَّسول ﷺ في حكمه.

٥ ـ وقد دلَّ القرآن على وجود راسخين في العلم، لا يناقض حكمهم حكم الله تعالى، إذ الرسوخ هو الثبوت، والعلم المتناقض لا ثبوت فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(٢).

٦ ـ وأوَّل الراسخين هو رسول الله ﷺ، إذ لا يعقل أن ينزل الله على رسوله شيئاً من غير أن يُعلِّمه تأويله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٣).

٧ ـ إنَّ رسول الله ﷺ قد بلَّغ كلّ ما علَّمه الله تعالى، فبيَّن التأويل ومعاني الآيات والأحكام... إلخ.

٨ ـ بعد رحيل الرَّسول ﷺ هل يعقل أن يترك اللَّهُ تعالى والرَّسولُ ﷺ الأُمَّة في حيرة من أمرهم فيما يستجدّ عليهم من أُمور، أو فيما ضاع من كلامه ﷺ وخاصة مع كثرة الكذابة واختلاط الغث بالسمين، ولو تركهم لكان مضيِّعاً للأجيال القادمة.

وبهذه المقدِّمات يثبت أنَّ هناك مَن عيَّنهم الرَّسول ﷺ من بعده وهم معصومون لا يختلف علمهم عن علمه.

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٨٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.

سؤال: بعد نصب الأئمَّة المعصومين لم يرتفع الإشكال بل ازداد بين مؤيِّدٍ لهم ومعارض؟

والجواب: إنَّ الله قد لطف بالعباد، والرَّسول ﷺ قد عيَّن الأئمَّة بأمر الله، فالإشكال إنَّما هو من أغلب النَّاس حيث رفضوا ما عيَّنه الله تعالى ورسوله ﷺ، فالحجَّة لله على النَّاس، كما أنَّه تعالى أرسل الأنبياء لهداية النَّاس ورفع الخلاف بينهم، ومع ذلك لم يهتد الأكثر ولم يرتفع الخلاف بل ازداد أحياناً، فليست المشكلة في لطفه تعالى بل المشكلة في بغيهم كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾(١)، فإرسال الرُّسل وإنزال الكتب كان بغرض رفع الاختلاف بين النَّاس لطفاً بهم ورحمة، لكنَّهم اختلفوا في الكتاب نفسه فرفضه الأكثر بغياً وتعدياً، فالمشكل منهم لا منه تعالىٰ.

إن قلت: الخاصَّة من أهل الحقّ أيضاً اختلفوا في كثير من الفروع وعملوا بالأحكام الظاهرية.

قلت: الخاصَّة لم يختلفوا في أُصول الدِّين، فكلّ معتقداتهم حقّ اتفقوا عليها ببركة الأئمَّة عليهم السلام، وأمَّا اختلافهم في بعض الفروع فهو بسبب رفض أكثر النَّاس للأئمَّة عليهم السلام وإقصائهم وقتلهم، فاقتضت الحكمة تغييب الإمام الثاني عشر عليه السلام عقوبة للنَّاس وحفظاً له إلى أن يحين وقت ظهوره ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولو كان النَّاس ينصاعون للأئمَّة عليهم السلام ويجعلونهم حيث جعلهم الله تعالى لما كان في أيّ مسألة اختلاف، كما كان يراجع النَّاس رسول الله ﷺ فيما لا يعلمون أو فيما يختلفون من أُمور وأحكام كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٢).

فهذا الاختلاف كان بسبب غالب النَّاس، وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٢) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

فَلَجُوا[٢٧]. قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبِي: إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِهَا؟ قَالَ: قَدْ شِئْتُ، قَالَ: إِنَّ شِيعَتَنَا إِنْ قَالُوا لِأَهْلِ الْخِلَافِ لَنَا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[٢٨] يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ـ إِلَى آخِرِهَا ـ فَهَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئاً لَا يَعْلَمُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَوْ يَأْتِيهِ بِهِ جِبْرَائِيلُ عليه السلام[٢٩] فِي غَيْرِهَا؟ فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ: لَا، فَقُلْ لَهُمْ: فَهَلْ كَانَ لِمَا عَلِمَ بُدٌّ[٣٠] مِنْ أَنْ يُظْهِرَ؟

لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾(١).

أمّا لو لم يعيّن الله بعد الرّسول أحداً من الأئمّة لكان سبب الخلاف عائداً إليه فلم تتمّ الحجّة، مع أنّه يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(٢)، كما أنّه بعث الرُّسل فله الحجّة، ورفض أغلب النّاس لهم جعل الحجّة عليهم كما قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(٣).

[٢٧] (فلجوا):

في المقاييس: فُلج الرجل على خصمه، إذا فاز(٤).

[٢٨] (إنَّ الله عزَّ وجلَّ...):

هذه المقدّمة الأولى.

[٢٩] (أو يأتيه به جبرائيل):

عطف على المنفي، ـ يعلمه ـ، فالمعنى: أو لا يأتيه جبرائيل في غيرها، «سيقولون: لا» أي ليس له علم من غير الله، بل كلّ علمه منحصر بما يأتيه في ليلة القدر وبما يأتيه به جبرائيل عليه السلام.

[٣٠] (فهل كان لما علم بدٌّ...):

هذه المقدّمة الثانية، والمعنى: هل كان مناص ومفرّ من إظهار العلم؟

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٣) سورة النّساء: الآية ١٦٥.

(٤) المقاييس: ص٧٩٧.

فَيَقُولُونَ: لَا[٣١]، فَقُلْ لَهُمْ: فَهَلْ كَانَ فِيمَا أَظْهَرَ[٣٢] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ـ عَزَّ ذِكْرُهُ ـ اخْتِلَافٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا، فَقُلْ لَهُمْ فَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمِ اللَّهِ[٣٣] فِيهِ اخْتِلَافٌ فَهَلْ خَالَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ـ فَإِنْ قَالُوا لَا فَقَدْ نَقَضُوا أَوَّلَ كَلَامِهِمْ ـ فَقُلْ لَهُمْ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ[٣٤] إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ

---

[٣١] **(فيقولون: لا)**:

أي لا بُدَّ من إظهاره.

[٣٢] **(فهل كان فيما أظهر...)**:

هذه المقدِّمة الثالثة: «اختلاف» أي تناقض، مثل أن يقول أمراً ثمَّ يقول ضدّه بلا نسخ ولا تغيُّر في الشروط ـ مثلاً ـ.

[٣٣] **(فمن حكم بحكم الله...)**:

هذه المقدِّمة الرابعة: «فيقولون»: حاصله أنَّ جوابهم لا يخلو من أحد أمرين:

إمَّا أن يقولوا: نعم خالف، وهذا الجواب هو المطلوب.

وإمَّا أن يقولوا: لم يخالف، وهذا نقض لكلامهم الأوَّل حيث قالوا: لا اختلاف في علم الرَّسول ﷺ، لأنَّ معنى ذلك أنَّه لا اختلاف في علم من يُطابق علمه علم الرَّسول، إذ لو كان اختلاف في علم هذا مع تطابقه مع علم الرَّسول لكان اختلاف في علم الرَّسول ﷺ، وهذا قياس المساواة، مثلاً يُقال: علم زيد فيه تناقض، وعلم عمرو يطابق علم زيد، فعلم عمرو فيه تناقض أيضاً.

[٣٤] **(وما يعلم تأويله...)**:

هذه المقدِّمة الخامسة: فهناك راسخون في العلم دلَّ القرآن الكريم على وجودهم، والرسوخ في العلم بمعنى الثبوت فيه، وهذا يدلُّ على مطابقة علمهم للواقع، وإلَّا فالجهل المركّب ليس رسوخاً في العلم بل دخول في الجهل.

مضافاً إلى أنَّ تغيُّر الرأي وتناقضه دليل عدم الثبوت في العلم.

فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]. فَإِنْ قَالُوا: مَنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؟ فَقُلْ: مَنْ لَا يَخْتَلِفُ فِي عِلْمِهِ، فَإِنْ قَالُوا: فَمَنْ هُوَ ذَاكَ؟ فَقُلْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٣٥] صَاحِبَ ذَلِكَ، فَهَلْ بَلَّغَ[٣٦] أَوْ لَا؟ فَإِنْ قَالُوا: قَدْ بَلَّغَ، فَقُلْ: فَهَلْ مَاتَ ﷺ[٣٧] وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا، فَقُلْ: إِنَّ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُؤَيَّدٌ وَلَا يَسْتَخْلِفُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَنْ يَحْكُمُ بِحُكْمِهِ وَإِلَّا مَنْ يَكُونُ مِثْلَهُ إِلَّا النُّبُوَّةَ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ فِي عِلْمِهِ أَحَداً فَقَدْ ضَيَّعَ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ مِمَّنْ يَكُونُ بَعْدَهُ.

فَإِنْ قَالُوا لَكَ: فَإِنَّ عِلْمَ[٣٨] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْ:

---

[٣٥] **(فقل: كان رسول الله...):**
هذه المقدِّمة السادسة، «صاحب ذلك» أي الرسوخ في العلم.

[٣٦] **(فهل بلَّغ...):**
هذه المقدِّمة السابعة.

[٣٧] **(فهل مات ﷺ...):**
هذه المقدِّمة الثامنة، وحاصلها: أنَّ الرسول إمَّا خلَّف معصوماً لا تناقض في علمه، فهذا هو المطلوب، وإمَّا لم يستخلف في علمه أحداً يعلم تأويل المتشابه، فقد ترك الأجيال اللاحقة في حيرة من أمرها، فإن ضلّوا فبسبب تركهم بلا راعٍ فتكون لهم الحجَّة، وأبىٰ الله إلَّا أن تكون له الحجَّة البالغة.

شُبهة وجوابها

[٣٨] **(فإن قالوا لك فإنَّ علم...):**
حاصل الشُّبهة: أنَّ كلّ علم الرَّسول ﷺ من القرآن، والقرآن موجود عندنا فلا نحتاج إلى من يستخلفه الرَّسول ﷺ.
والجواب من وجهين:

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٣٩] [الدخان: ١ ـ ٥] **فَإِنْ قَالُوا لَكَ: لَا يُرْسِلُ**

الأوَّل: أنَّ آيات سورة الدخان دلَّت على استمرار فصل الأُمور والإرسال في ليلة القدر، لقوله تعالى: ﴿يُفْرَقُ﴾ وهو فعل مضارع يدلُّ على التجدُّد والاستمرار، وكذلك قوله تعالى في سورة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾، ولم يقل: «نزلت» مثلاً.

إذن، فلا بدَّ من وجود من تنزل الملائكة والرُّوح عليه دائماً، ففي حياة الرَّسول ﷺ كانت تنزل عليه، وبعده لا بدَّ من نزولها على من يستخلفه.

الثاني: أنَّ النَّاس لا بدَّ لهم من أمير يحكمهم.

فإن لم يكن مؤيّداً ومحفوظاً من الخطأ، فكيف يُخرجه الله ويُخرج به العباد من الظُّلمات إلى النُّور؟ مع أنَّه تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

فلا بدَّ أن يكون هناك من لا يُخطىء ولا يعصي حتَّى يكون الولي الكامل لله تعالى، حيث يخرجه تعالى من الظُّلمات إلى النُّور دائماً، لأنَّ (يخرج) فعل مضارع دالّ على الاستمرار، ومن خرج إلى النُّور دائماً هو معصوم مؤيَّد من قِبَل الله تعالى، لأنَّ الخطأ أو العصيان ليس دخولاً في النُّور ولا خروجاً من الظُّلمات.

[٣٩] **(إنَّا كنَّا مرسلين):**

هذا الجواب الأوَّل، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ القرآن ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كثيرة البركة وهي ليلة القدر ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوِّفين من العذاب فلذا أنزلناه، ﴿فِيهَا﴾ في ليلة القدر ﴿يُفْرَقُ﴾ أي يُفصل ويقدَّر ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي محكم، حال كون هذا الأمر الحكيم ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ عند الله ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «يقدِّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في السنة، إلى مثلها من قابل ـ خيرٍ وشرّ، وطاعة ومعصية، ومولود، وأجلٌ، ورزقٌ ـ فما قُدِّر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم، ولله عزَّ وجلَّ فيه المشيئة»[١].

وفي المرآة: لا خلاف بين الإمامية في أنَّ ليلة القدر وفضلها باقية بعد الرَّسول ﷺ إلى انقراض الدُّنيا، وفي كلّ منها يكون تنزّل الملائكة والرُّوح، وإليه ذهب أكثر العامَّة، قال المأزري [وهو من فقهاء العامَّة ومحدِّثيهم له شرح كتاب صحيح مسلم]: أجمع من يُعتدُّ به على وجودها ودوامها إلى آخر الدهر...[٢].

وفي الوافي: المُستفاد من هذا الحديث أنَّ معنى إنزاله في ليلة القدر: إنزال بيانه بتفصيل مجمله، وتأويل متشابهه، وتقييد مطلقه، وتفريق محكمه من متشابهه.

وبالجملة: تتميم إنزاله بحيث يكون هدىً للناس وبيِّنات من الهدى والفرقان كما قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني في ليلة القدر منه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾. تثنية لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي محكم ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

فقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾، وقوله: ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ معناهما واحد...

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي حين أنزلناه نجوماً ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك حينئذٍ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي جملته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ في ليلة القدر، بإنزال الملائكة والرُّوح فيها عليك وعلى أهل بيتك من بعدك: بتفريق المحكم من المتشابه، وبتقدير الأشياء، وتبيين أحكام خصوص الوقائع التي تصيب الخلق في تلك السنة إلى ليلة القدر الآتية[٣].

(١) البرهان: ج٩، ص١٣ عن الكافي.

(٢) المرآة: ج٣، ص٧٧.

(٣) الوافي: ج٢، ص٤٢.

اللَّهُ[٤٠] عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا إِلَى نَبِيٍّ، فَقُلْ: هَذَا الْأَمْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُفْرَقُ فِيهِ هُوَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ الَّتِي تَنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ[٤١]، أَوْ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى أَرْضٍ؟ فَإِنْ قَالُوا: مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، فَلَيْسَ فِي السَّمَاءِ أَحَدٌ يَرْجِعُ مِنْ طَاعَةٍ إِلَى مَعْصِيَةٍ[٤٢]، ....

---

[٤٠] **(فإن قالوا لك: لا يرسل الله...)**:

إشكال وحاصله ـ كما في الوافي ـ أنَّه يلزم ممَّا ذكرتم: جواز إرسال الملائكة إلى غير النَّبيّ ﷺ، مع أنَّه لا يجوز ذلك!

فأجاب عنه بالمعارضة بمدلول الآية، الذي لا مردَّ له ولا استبعاد في أن يكون للنَّبيّ ﷺ خليفة تقرب مرتبته من مرتبته في التأييد من عند الله، وتحديث الملك ـ وإن لم يكن نبياً يُوحى إليه ـ، فإنَّ المخالفين أيضاً يروون عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ في أُمَّتي محدِّثين» يعني يحدِّثهم الملك ويسدِّدهم(١).

والحاصل: أنَّ الأمر الحكيم الذي يفرق في ليلة القدر ينزل في كلّ ليلة قدر. ونزول الأمر الحكيم ليس لأهل السَّماء بأن ينزل من سماء إلى أُخرى، وذلك لأنَّ أهل السَّماء ـ وهم الملائكة ـ معصومون لكلّ واحد منهم تكليف لا تغيير فيه، كما أنَّه لا تغيير في تقديراتهم، فلا موت إلَّا في نفخ الصور، ولا حاجة إلى رزق مادي ولا تزاوج... إلخ.

إذن فنزول الملائكة إنَّما هو لأهل الأرض لأنَّهم مكلَّفون غير معصومين ولهم تقديرات من موت وحياة ورزق... إلخ.

[٤١] **(من سماء إلى سماء)**:

كأن ينزل من السَّماء السابعة إلى السماء الأولى ـ مثلاً ـ لتقديرات أهل تلك السَّماء.

[٤٢] **(يرجع من طاعة إلى معصية)**:

لأنَّ أهل السَّماء وهم الملائكة كلّهم معصومون، وتكاليفهم معلومة لا

---

(١) الوافي: ج٢، ص٤٠.

فَإِنْ قَالُوا: مِنْ سَمَاءٍ إِلَى أَرْضٍ[٤٣] - وَأَهْلُ الْأَرْضِ أَحْوَجُ الْخَلْقِ إِلَى ذَلِكَ - فَقُلْ: فَهَلْ لَهُمْ[٤٤] بُدٌّ مِنْ سَيِّدٍ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ؟ فَإِنْ قَالُوا: فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ هُوَ حَكَمُهُمْ فَقُلْ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧] **لَعَمْرِي[٤٥] مَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلِيٌّ**

تغيّر فيها، فلا حاجة إلى إنزال الأوامر إليهم، ولا إرسال الرُّسل إليهم، لأنَّهم - كلّهم - لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون.

[٤٣] **(فإن قالوا من سماء إلى أرض):**

الظاهر أنَّ جزاء (إن قالوا) محذوف، لدلالة الكلام عليه أي فإن قالوا بنزول التقديرات إلى أهل الأرض فهو المطلوب، وإذ لا نبيَّ بعد رسول الله محمَّد ﷺ، فتتنزل هذه التقديرات على غير الرسول.

[٤٤] **(فقل فهل لهم...):**

هذا هو الجواب الثاني، وحاصله لزوم أمير يحكم على النَّاس، وحيث إنَّ الله وليّ الدِّين آمنوا يخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور فلا بدَّ أن يجعل أميراً معصوماً على النَّاس ليتحقَّق هذا الأمر، إذ مع عدم نصب أمير معصوم يمكن أن يحكمهم من يعصي أو يُخطىء فلم يَخرج هو ولم يُخرج غيره.

وفي المرآة: ويمكن أن يكون الاستدلال بالآية من جهة أنَّه تعالى نسب إخراج المؤمنين من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم، إلى نفسه، فلا بُدَّ من أن يكون من يهديهم منصوباً من قِبَل الله تعالى مؤيّداً من عنده، والمنصوب من قِبل النَّاس طاغوت يخرجهم من النُّور إلى الظُّلمات(١).

[٤٥] **(لعمري):**

العَمْر والعُمُر بمعنى واحد بمعنى الحياة أي عمارة البدن بها، ولكن خصَّ القسم بـ(العَمْر)(٢) - بالفتح -.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٦٨.

(٢) راجع مفردات الراغب: ص٥٨٦، ومقاييس اللغة: ص٦٧٥.

لِلَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ إِلَّا وَهُوَ مُؤَيَّدٌ[٤٦]، وَمَنْ أُيِّدَ لَمْ يُخْطِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ عَدُوٌّ لِلَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ إِلَّا وَهُوَ مَخْذُولٌ[٤٧]، وَمَنْ خُذِلَ لَمْ يُصِبْ، كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ[٤٨] لَا بُدَّ مِنْ تَنْزِيلِهِ مِنَ السَّمَاءِ يَحْكُمُ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ وَالٍ، فَإِنْ قَالُوا: لَا نَعْرِفُ[٤٩] هَذَا فَقُلْ لَهُمْ: قُولُوا مَا أَحْبَبْتُمْ، أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَتْرُكَ الْعِبَادَ وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِمْ.

---

[٤٦] **(إلّا وهو مؤيّد):**

وذلك لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

[٤٧] **(إلّا وهو مخذول):**

لقوله: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٤٨] **(كما أنَّ الأمر...):**

هذا تلخيص للجواب، أي كما أنّه لا بُدَّ من نزول الأمر من السَّماء إلى الأرض كذلك لا بُدَّ من والٍ منصوب من قِبَل الله تعالى.

[٤٩] **(فإن قالوا لا نعرف...):**

أي لا نعرف هذا الوالي الذي عيَّنه الله وتنزل عليه الملائكة في ليلة القدر، فمن هو؟

فيُقال لهم: إنَّ اعترافكم بلزوم إمام معيَّن يكفينا في صحَّة استدلالنا، لأنَّ المقصود في هذا المقطع إلى الآن هو إثبات الكبرى ـ وهي لزوم تعيين إمام من قِبَل الله بعد الرَّسول ﷺ ـ وأمَّا المصداق فسيأتي بعد تكميل الاستدلال على الكبرى، وسيذكر الإمام الباقر عليه السلام أنَّ الإمام المعيَّن بعد الرَّسول ﷺ هو الإمام علي عليه السلام لا من عارضوه.

وقيل: قولهم: «لا نعرف هذا» هو مكابرة منهم، نظير ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾(١)، وقوله عليه السلام: «قولوا ما أحببتم» جواب المكابرة

---

(١) سورة هود: الآية ٩١.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: ثُمَّ وَقَفَ، فَقَالَ[٥٠]: هَاهُنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بَابٌ غَامِضٌ[٥١]، أَرَأَيْتَ إِنْ قَالُوا: حُجَّةُ اللَّهِ الْقُرْآنُ! قَالَ: إِذَنْ

نظير ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾(١).

[٥٠] **(ثم وقف فقال):**
أي وقف إلياس في الكلام، حيث إنَّ جواب الشُّبهة قد اكتملت، «فقال» أي ابتدأ بطلب جواب شبهة أُخرى.

شبهة أُخرى وجوابها

[٥١] **(باب غامض):**
أي شبهة أُخرى يخفى على الكثيرين جوابها، وينخدعون بها، لغموضها، ولأنَّها كلام عمر حيث منع الرَّسول ﷺ من كتابة الوصيَّة وقال حسبنا كتاب الله، أليس في القرآن تبيان كلّ شيء فما الحاجة إلى الإمام بعد الرسول؟

والجواب من وجهين:

أوّلاً: إنَّ القرآن كتاب هداية فهو قانون للحياة، لكن هذا القانون بحاجة إلى من يُطبِّقه على أرض الواقع، كما أنَّه لا يكفي لنظم الحياة وجود دستور راقٍ بل لا بُدَّ من وجود حكومة وحاكم يطبِّقون ذلك الدستور.

وثانياً: إنَّ بعض مستجدات الأُمور لا توجد في ظاهر القرآن، ولا فيها سُنَّة واصلة عن الرَّسول ﷺ، ولا هي من ضروريات الدِّين، فماذا يصنع النَّاس؟

نرى المخالفين ذهبوا إلى القياس والاستحسان والرأي المخترع.

وكذلك لو اختلف النَّاس في تفسير القرآن فمن المرجع؟

وبذلك يثبت لزوم تعيين إمام يطبِّق القرآن ويفسِّر معانيه ويرفع الاختلاف فيها.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٨.

أَقُولَ[٥٢] لَهُمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِنَاطِقٍ يَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَلَكِنْ لِلْقُرْآنِ أَهْلٌ يَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ، وَأَقُولَ[٥٣]: قَدْ عَرَضَتْ لِبَعْضِ أَهْلِ الْأَرْضِ مُصِيبَةٌ مَا هِيَ فِي السُّنَّةِ[٥٤]، وَالْحُكْمِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَلَيْسَتْ فِي الْقُرْآنِ، أَبَى اللَّهُ[٥٥]

أمَّا إذا لم ينصاعوا إلى الإمام فهذا حجَّة عليهم، وقد تمَّت الحجَّة من الله تعالى عليهم، فلا عذر لهم ولا حجَّة ـ كما مرَّ شرحه وتفصيله ـ.

[٥٢] **(إذن أقول):**

هذا الجواب الأوَّل، «ليس بناطق» أي هو قانون هداية لكنَّه لا يطبِّق نفسه، بل لا بُدَّ من إنسان يطبِّقه. «يأمر وينهى» أي يدير شؤون النَّاس عملاً.

[٥٣] **(وأقول):**

هذا الجواب الثاني. «قد عرضت» أي ليس الأمر مجرَّد فرض بل هو واقع.

[٥٤] **(مصيبة ما هي في السُّنَّة):**

أي عرضت قضية مشكلة ومسألة عويصة، أو عرضت فتنة احتيج إلى بيان حكم الشرع لإزالتها. «ما هي» أي ليس هي مذكورة في السُّنَّة عن رسول الله ﷺ، ولا هي من الأمور الضرورية التي اتفق المسلمون على حكمها، ولا هي موجودة في ظاهر القرآن.

[٥٥] **(أبىٰ الله لعلمه...):**

أي إنَّ الله تعالى كان يعلم أزلاً بتلك المصيبة، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾[١] فهل يعقل أن يترك تلك المصيبة من غير حلّ لها عن طريق تعيين من يردّ الشُّبهة ويحلّ المشكلة ويفرِّج عن النَّاس الذين ابتلوا بتلك الفتنة؟

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.

لِعِلْمِهِ بِتِلْكَ الْفِتْنَةِ[٥٦] أَنْ تَظْهَرَ[٥٧] فِي الْأَرْضِ، وَلَيْسَ فِي حُكْمِهِ رَادٌّ لَهَا وَمُفَرِّجٌ عَنْ أَهْلِهَا. فَقَالَ: هَاهُنَا تَفْلُجُونَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ عَلِمَ بِمَا يُصِيبُ الْخَلْقَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الدِّينِ أَوْ غَيْرِهِ[٥٨]، ....

---

[٥٦] (لعلمه بتلك الفتنة):

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾.

وفي التبيين: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ بيان «ما» ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كالجدب ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض ﴿إِلَّا﴾ وهو مقدّر ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أن نوجد تلك المصيبة، فهي مقدَّرة ـ سواء علمتم أم لا، وسواء كان الإنسان مؤمناً أم لا ـ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإصابة بالمصائب للنّاس ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فلا تتوقف المصائب على الإنفاق والمسارعة والجهاد وما أشبه، اعلموا أنَّ المصائب ثابتة مقدَّرة ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النعيم الدنيوي ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من نعيم الدُّنيا، لأنَّ المصيبة لها أجر، والنعمة قد تجرُّ الإنسان إلى العصيان، فلا فرح منها، والمُراد النهي عن الجزع والبطر ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبِّر ﴿فَخُورٍ﴾ يفتخر على النَّاس، والمُراد من أبطرته النعمة(١).

[٥٧] (أن تظهر):

«أن تظهر» مفعول (أبىٰ)، وقوله: «وليس في حكمه» جملة حالية، فالمعنى: أبىٰ الله ظهورها والحال أنَّه لم يقدّر من يردّها ويفرِّج عن أهلها، بل قدّر الله ظهورها وعيَّن من يدفعها.

[٥٨] (من الدِّين أو غيره):

فالمصيبة لا تختصّ بالبلايا والأمراض ونحوهما، بل تشمل المصائب الدينية كما لو أُشكل عليهم حكم من الأحكام.

---

(١) تبيين القرآن: ص٥٥٤.

فَوَضَعَ الْقُرْآنَ دَلِيلاً[٥٩] قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: هَلْ تَدْرِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دَلِيلَ مَا هُوَ[٦٠]؟ ....

---

[٥٩] **(فوضع القرآن دليلاً):**

أي القرآن يدلُّ على كلّ الأحكام كما قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(١)، ولكن حيث لا يعرف النّاس التأويل ولا البطون فقد جعل الله تعالى من يبيِّن القرآن قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾(٣).

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا في حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين، حيث قال: «إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي... وأنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»(٤) فلو لم تعرف العترة معاني القرآن لافترقت عنه، والحديث يدلُّ على عصمتهم أيضاً لأنَّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذا العترة لا عصيان ولا خطأ فيها، وإلَّا لافترقت عن القرآن حين الخطأ والمعصية.

سابعاً: ما يدلّ عليه القرآن

[٦٠] **(دليل ما هو؟):**

القرآن دليل على أي شيء؟

والجواب: إنّه دليل على كلّ الأحكام الشرعية التي هي حدود الله سبحانه.

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨.

(٣) سورة النّساء: الآية ٨٣.

(٤) انظر كمثال: أمالي الصدوق: ص٦١٦؛ ومن مصادر العامّة المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص٦٥.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: نَعَمْ فِيهِ جُمَلُ الْحُدُودِ[٦١]، وَتَفْسِيرُهَا عِنْدَ الْحَكَمِ[٦٢]، فَقَالَ: أَبَى اللَّهُ أَنْ يُصِيبَ عَبْداً بِمُصِيبَةٍ فِي دِينِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي مَالِهِ لَيْسَ فِي أَرْضِهِ مِنْ حُكْمِهِ قَاضٍ[٦٣] بِالصَّوَابِ فِي تِلْكَ الْمُصِيبَةِ. قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا فِي هَذَا الْبَابِ فَقَدْ فَلَجْتَهُمْ بِحُجَّةٍ، إِلَّا أَنْ يَفْتَرِيَ خَصْمُكُمْ[٦٤]

---

[٦١] (جمل الحدود):

«الجُمَل» جمع جملة، أي كلّ الأحكام مجتمعة، وقد مرَّ أنَّ حدود الله تعالى هي أحكامه التي لا يجوز التعدّي عنها، فقد يكون حدّاً للكثرة كالأربع في الزواج الدائم فلا يجوز الأكثر ويجوز الأقل، وقد يكون حدّاً في القِلّة كالصَّلاة سبعة عشرة ركعة كلّ يوم فلا يجوز الأقل، ويجوز بل يستحب الأكثر، وقد يكون حدّ لهما فلا يجوز الأقل ولا الأكثر كركعات صلاة الظهر مثلاً، وقد ذكر الراغب قسماً رابعاً وهو ما يجوز فيه الأكثر والأقل(١)، وفيه نظر إذ لا يكون له حدّ حينئذٍ.

[٦٢] (وتفسيرها عند الحَكَم):

أي الإمام المعيَّن من قِبل الله تعالى، لأنَّه يحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه.

[٦٣] (من حكمه قاض):

إمَّا موصولة (مَنْ حُكْمُهُ قاضٍ)، أي لا يوجد في الأرض الشخص الذي حكمه يقضي بالصواب، فـ(مَنْ) اسم (ليس).

وإمَّا جارّة (مِنْ حُكْمِهِ قاضٍ)، أي ليس في الأرض قاضٍ من حكم الله تعالى، فـ(مِنْ) ابتدائية أي قاض ناشىء من أمر الله فاسم (ليس) هو (قاض).

وفي تركيب العبارة احتمالات أُخر.

[٦٤] (إلّا أن يفتري خصمكم):

لعلَّ المُراد هو افتراؤه بإنكار اللُّطف، أي يقول وإن وجب عقلاً تعيين

---

(١) مفردات الراغب: ص٢٢٢.

عَلَى اللَّهِ فَيَقُولَ: لَيْسَ لِلَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ حُجَّةٌ. وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي[٦٥] عَنْ تَفْسِيرِ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِمَّا خُصَّ بِهِ عَلِيٌّ عليه السلام[٦٦] ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] قَالَ: فِي أَبِي فُلَانٍ وَأَصْحَابِهِ[٦٧]، وَاحِدَةٌ مُقَدَّمَةٌ وَوَاحِدَةٌ

الإمام، لكن لا يلزم على الله اللُّطف!!، وهذا الكلام معارض للقرآن الكريم حيث يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(١).

وفي المرآة: والمُراد بالفلج إمَّا إتمام الحجَّة، فالاستثناء منقطع، أو إلزام المخالفين وإسكاتهم فالاستثناء متصل، وافتراؤه أي يُكابر ويُعاند بعد إتمام الحجَّة فيعيد مدّعاه من عدم وجود الإمام بعد أن تمَّت الحجَّة عليه، أو ينكر وجوب اللُّطف على الله واشتراط التكليف بالعلم(٢).

ثامناً: الإمام علي عليه السلام هو الدليل

[٦٥] **(ولكن أخبرني...)**:

هنا سؤال وهو: مَن الإمام؟ ومُراده بعد أن تمَّ الدليل على لزوم تعيين إمام، فنريد معرفة المصداق، فمن هو الشخص الذي عيَّنه الله تعالى؟.

والجواب: هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وحيث إنَّ آية ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ نزلت في معارضيه، لذا سأل إلياس عن تفسير الآية ليتّضح الإمام المعيَّن.

[٦٦] **(ممَّا خصَّ به علي عليه السلام)**:

هذا من كلام إلياس عليه السلام، ولعلَّه أشار إلى أنَّه يعلم بأنَّ ﴿مَا فَاتَكُمْ﴾ يشير إلى ما فاتهم من مقامات الإمام علي عليه السلام، ولكنَّه يريد شأن نزول الآية، وأنَّها خطاب لمن؟

[٦٧] **(قال في أبي فلان وأصحابه)**:

أي نزلت الآية في هؤلاء، أو هم مصداقها البارز.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٢) مرآة العقول: ج٣، ص٧١ - بتصرُّف -

مُؤَخِّرَةٌ[٦٨]، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِمَّا خُصَّ بِهِ عَلِيٌّ عليه السلام، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ لَكُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَصْحَابُ الْحُكْمِ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ. ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ وَذَهَبَ فَلَمْ أَرَهُ.

٢ ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: بَيْنَا أَبِي جَالِسٌ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ إِذْ

ومقصود الإمام عليه السلام أن حاصل الآية: لا تحدث من مصيبة وقضية في الأرض وفي أنفسكم، إلّا وقد كتبناها وكتبنا الحكم المتعلّق بها في كتاب من قبل أن تخلق المصيبة أو الأنفس، وإنّما ذكرنا هذا لكي تعلموا أنّ الخلافة لا يستحقّها إلّا من تنزل عليه الملائكة والرُّوح بالوقائع والأحكام المكتوبة في ذلك الكتاب فلا تأسوا على ما فاتكم من الخلافة، ولتعلموا بأنّ ما تيسّر لكم من الخلافة لا تستحقونه فلا تفرحوا بها(١).

وفي هذه العبارة والتي بعدها احتمالات متعدّدة ذكرها في المرآة لكنّها خلاف الظاهر، والصحيح هو ما اختاره العلّامة المجلسي رحمه الله.

[٦٨] (واحدة مقدّمة وواحدة مؤخّرة):

أي ما فاتكم كان قبل وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله، وهي تخصيص علي عليه السلام بالإمامة والخلافة، وما أتاكم كان بعد وفاته صلى الله عليه وآله فإنّه اختبار وفتنة لكم ولغيركم.

ثم شرح الإمام الباقر عليه السلام (المقدّمة) بقوله: «ممّا خصَّ عليٌّ عليه السلام» أي خصائصه، وشرح (المؤخّرة) بقوله: «من الفتنة التي...» إلخ.

الحديث الثاني:

هذا الحديث ـ كالحديث السابق ـ يدلُّ على أنَّ العلم النازل من الله تعالى لا اختلاف فيه، وأنّه ينزل في كلّ ليلة قدر على ولي الأمر المعيَّن من

---

(١) اقتباس بتصرُّف عن المرآة: ج٣، ص٧٢.

اسْتَضْحَكَ[١] حَتَّى اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ دُمُوعاً، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا أَضْحَكَنِي[٢]؟ قَالَ: فَقَالُوا: لَا، قَالَ: زَعَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مِنَ الَّذِينَ ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾[٣]. ....

قِبل الله تعالى، وأنَّ ليلة القدر مستمرّة بعد رسول الله ﷺ وكذا نزول الملائكة والرُّوح.

ولا يخفىٰ لطف الترتيب: فأوّل هذا الحديث: إنكار لرؤية ابن عبَّاس للملائكة وإنكار إخبارهم إيَّاه، مع بيان أنَّ الذين تتنزَّل عليهم الملائكة في الدُّنيا هم الأئمَّة عليهم السلام تنزل عليهم في ليلة القدر وتخبرهم من كل أمر، وآخر الحديث: في صفق الملك وجهه.

كما أنَّ أوَّله: زعمه بأنَّه من الذين استقاموا [ـ وتأويلها بالاستقامة على الأئمَّة ـ] وفي آخره: بيان ردّه لحديث علي عليه السلام، وذلك دليل عدم استقامته فلا تشمله الآية.

وفي أوَّله: إقراره بعدم الاختلاف في حكم الله، ثمَّ إفتاؤه بما فيه اختلاف، وفي آخره: عدم تراجعه عن فتواه مع أنَّ فيها تناقضاً، فقال له الإمام عليه السلام: إنَّ ذلك موجب للهلاك.

[١] **(استضحك)**:

لعلَّ المُراد أنَّه ضحك من غير سبب ظاهر، فكأنَّه طلب الضحك.

«اغرورقت» كثر الدمع حتى كأنَّ العين غرقت فيه، و«دموعاً» تمييز.

[٢] **(هل تدرون ما أضحكني؟)**:

الاستعلام بغرض فتح الكلام، فهو يعلم بأنَّهم لا يدرون السبب، ولعلَّهم لا يسألونه هيبة أو لسببٍ آخر.

[٣] **(﴿قالوا ربّنا الله ثمَّ استقاموا﴾)**:

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ

فَقُلْتُ لَهُ[٤]: هَلْ رَأَيْتَ الْمَلَائِكَةَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تُخْبِرُكَ بِوَلَايَتِهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَعَ الْأَمْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ[٥]؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ

أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾(١).

والمُستفاد من الأحاديث الشريفة(٢) أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا هم الأئمَّة عليهم السلام، وكذا مَن ثبت عليهم فلم يبدِّل ولم يغيِّر.

فأمَّا الأئمَّة عليهم السلام فتتنزَّل عليهم الملائكة في ليلة القدر وفي غيرها، وفي القيامة أيضاً.

وأمَّا من ثبت على ولايتهم فتتنزَّل عليهم الملائكة لحظة موتهم وفي القيامة أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي نتولَّى أُموركم ونحرسكم من الشياطين، وقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي لا نفارقكم حتَّى تدخلوا الجنَّة، هذا خلاصة ما في الأحاديث الشريفة، فراجعها.

[٤] **(فقلت له):**

حاصل السؤال: أنَّه كيف علمت بأنَّك من مصاديق هذه الآية؟ هل أخبرتك الملائكة؟

ثمَّ اعلم أنَّ هذه المناظرة كانت في أواخر حياة ابن عبَّاس وأوائل حياة الإمام الباقر عليه السلام، فإنَّ ابن عبَّاس توفي عام ٦٨، وقيل ٧٢، وولادة الإمام الباقر عليه السلام في العام ٥٧، فكان عمره الشريف وقت وفاة ابن عبَّاس ١١ أو ١٥ عاماً.

[٥] **(من الخوف والحزن):**

كما قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾.

---

(١) سورة فصلت: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

(٢) راجع الأحاديث في تفسير البرهان: ج٨، ص٤٦٧.

وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٦] [الحجرات: ١٠] وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا جَمِيعُ الْأُمَّةِ، فَاسْتَضْحَكْتُ[٧]. ثُمَّ قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ[٨]، أَنْشُدُكَ اللَّهَ[٩] هَلْ فِي حُكْمِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ اخْتِلَافٌ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ: مَا تَرَى فِي رَجُلٍ[١٠] ضَرَبَ رَجُلاً أَصَابِعَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى سَقَطَتْ، ثُمَّ ذَهَبَ وَأَتَى رَجُلٌ

---

[٦] **(إنَّما المؤمنين إخوة):**
كأنَّه زعم أنَّ ما يثبت لأحد الإخوة فإنَّه يثبت لسائرهم، فلذا كلّ الأُمَّة داخلة في قول الملائكة.

[٧] **(فاستضحكت):**
لعدم ارتباط استدلاله بمدَّعاه، لأنَّ من الأُمَّة من ليس بمؤمن بل فيها الفاسق والضالّ والمنافق، ومن الواضح أنَّ هؤلاء لا يكونون من الذين ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.
مضافاً إلى أنَّ الأخوَّة لا تستلزم الاشتراك في جميع الخصائص.

[٨] **(صدقت يا ابن عبَّاس):**
أي صدقت في قولك إنَّما المؤمنون إخوة لأنَّها آية قرآنية وهي حقّ، لكنَّها لا تفيدك في إثبات مدَّعاك.

[٩] **(أنشدك الله):**
أي سألتك بالله تعالى، والمُراد ذكّرتك به تعالى، وهذه الكلمة تُقال ـ عادة ـ حينما يُراد أن يَصْدُق المخاطب في جوابه.
والغرض من هذا السؤال بيان خطئه في فتواه، ثمَّ بيان أنَّ الحكم الصحيح ممَّا نزل في ليلة القدر عليهم، إذ إنَّ ليلة القدر مستمرة بعد وفاة النَّبيّ ﷺ.

[١٠] **(قلت ما ترى في رجل...) إلخ:**
حاصل المسألة أنَّ رجلاً قطع أصابع رجل آخر، ثمَّ جاء رجل ثانٍ فقطع الكفّ ـ التي لم يكن فيها أصابع ـ فما هو حكم هذا الرجل الثاني؟

آخَرُ فَأَطَارَ كَفَّهُ، فَأُتِيَ بِهِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ قَاضٍ، كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ: أَقُولُ لِهَذَا الْقَاطِعِ: أَعْطِهِ دِيَةَ كَفِّهِ[١١]، وَأَقُولُ لِهَذَا الْمَقْطُوعِ: صَالِحْهُ عَلَى مَا شِئْتَ، وَابْعَثْ بِهِ إِلَى ذَوِي عَدْلٍ[١٢]. قُلْتُ: جَاءَ الِاخْتِلَافُ فِي حُكْمِ اللَّهِ

فأجاب ابن عبّاس: إنَّ على القاطع ديَّة الكفّ، وعلى المقطوع أن يصالح القاطع بما شاء من الأموال، وأن يبعث إلى أهل الخبرة لتعيين الأرش.

ومن الواضح التناقض في هذا الجواب، إذ لا معنى للمصالحة بما شاء بعد لزوم دفع الديَّة، كما أنَّ الديَّة تتنافى مع سؤال أهل الخبرة عن الأرش، والحاصل: أنَّ الديَّة مقدارها معلوم معيَّن، والمصالحة ترتبط بتوافق الطرفين، والأرش ليس ديَّة بل هو تفاوت ما بين الصحيح والسقيم ـ كما سيأتي توضيحه ـ وليس له حدّ معين بل مرتبط بتشخيص أهل الخبرة(١).

[١١] (ديَّة كفِّه):

وديَّة الكفّ هي نصف ديَّة الإنسان، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام: ما كان في الجسد منه اثنان ففيه نصف الدِّيَّة مثل اليدين والعينين(٢).

ولا يخفى عدم اجتماع الديَّة والأرش، لأنَّ الديَّة ما عيَّنه الشارع، والأرش ما لم يعيّنه بل يعيّنه أهل الخبرة.

[١٢] (وابعث به إلى ذوي عدل):

لتقدير الأرش.

وفي المرآة: بأن يفرض كونه عبداً مقطوع الأصابع، ثم عبداً مقطوع اليد، وينسب التفاوت إلى ديَّة الحر(٣).

وفي موسوعة الفقه: كلّ ما لا تقدير فيه شرعاً، ففيه الأرش ـ ويُسمَّىٰ

---

(١) راجع موسوعة الفقه: ج٩٠، ص٢٥٥.

(٢) راجع التفصيل في موسوعة الفقه: ج٩١، ص٣٤ فما بعد.

(٣) المرآة: ج٣، ص٧٥.

عَزَّ ذِكْرُهُ، وَنَقَضْتَ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ[١٣]، أَبَى اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُحْدِثَ فِي خَلْقِهِ شَيْئاً مِنَ الْحُدُودِ[١٤] وَلَيْسَ تَفْسِيرُهُ فِي الْأَرْضِ، اقْطَعْ قَاطِعَ الْكَفِّ أَصْلاً ثُمَّ أَعْطِهِ دِيَةَ الْأَصَابِعِ[١٥]، ....

بالحكومة لأنَّ قدر الأرش يُعتبر بها ـ وقد ذكر غير واحد: أنَّ العبد أصل في الحرّ في التعيين، فإذا جرح الإنسان آخر جرحاً لا مقدر فيه شرعاً، لوحظ التفاوت بين قيمة العبد الذي له هذا الجرح، وبين قيمته إذا لم يكن له هذا الجرح، وأخذ ذلك الفرق بالنسبة... إذا كانت قيمة العبد مائة دينار وكان التفاوت عشرة دنانير، كان معنى ذلك أنَّ الجرح يساوي عُشر الديَّة فتكون الديَّة مائة دينار(١).

ثمَّ إنَّ الكليني روى هذا المقطع من الخبر في كتاب الديّات ـ بالسند الأوّل ـ(٢) وفيه: «أو ابعث إليهما ذوي عدل»، وهذا إمَّا من خطأ النسَّاخ في أحد الموضعين، أو لاختلاف الرواية حسب السندين، فرواها هنا معتمداً على السند الثاني (وهو محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد)، ورواها هناك معتمداً على السند الأوَّل (وهو محمَّد بن الحسن ومحمَّد بن أبي عبد الله وسائر العدَّة عن سهل بن زياد).

[١٣] (ونقضت القول الأوّل):

لتنافي الديَّة مع المصالحة والأرش ـ كما مرَّ ـ.

[١٤] (أن يحدث في خلقه شيئاً من الحدود):

بمعنى إقدارهم على ذلك، أي يعطيهم القدرة على فعل شيء ولم يبيِّن حكمه.

[١٥] (ثم اعطه ديَّة الأصابع):

أي يجري القصاص في الكفّ، مع وجوب أن يردّ المجني عليه على الجاني ديَّة الأصابع.

---

(١) الفقه: ج٩٠، ص٢٥٥، وفي المسألة تفصيل.

(٢) الكافي: ج٧، ص٣١٧.

هَكَذَا حُكْمُ اللَّهِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا أَمْرُهُ، إِنْ جَحَدْتَهَا[١٦] بَعْدَ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ النَّارَ، كَمَا أَعْمَى بَصَرَكَ يَوْمَ جَحَدْتَهَا عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ[١٧]. قَالَ: فَلِذَلِكَ عَمِيَ بَصَرِي؟[١٨]، ....

وفي المرآة: عمل به أكثر أصحابنا وإن ضعف الخبر عندهم(١).

وفي الفقه: والظاهر أنّه يقتص من الجاني، ويردّ عليه قيمة إصبعه الزائدة، وهذا هو المحكي عن الغنية والإصباح، بل عن أوّلهما دعوى الإجماع عليه، وكذلك عن الشيخ دعوى الإجماع على مثله(٢).

[١٦] **(إن جحدتها)**:

«الجحد» ضدّ الإقرار، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح(٣)، أي إن بقيت على إنكارك لوجود ليلة القدر بعد وفاة النّبي ﷺ فسيكون مصيرك إلى النار، لأنّك سمعتها من النّبيّ ﷺ ومع ذلك أنكرتها على الإمام علي عليه السلام فعاقبك الله بفقدان بصرك، فلو استمررت في إنكارك فلا عقوبة أُخرى إلّا النار، نظير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾(٤)، فإنَّ المُحرم إذا صاد فعليه كفّارة ـ وهي عقوبة دنيوية ـ، فإن عاد إلى الصيد مرّة أُخرى فلا كفّارة عليه بل عقوبته أُخروية.

[١٧] **(جحدتها على ابن أبي طالب)**:

(علي) إمّا اسم منصوب بنزع الخافض أي جحدتها على عليّ بن أبي طالب، أو هي حرف جر أي جحدتها علىٰ ابن أبي طالب.

[١٨] **(فلذلك عمي بصري؟)**:

الظاهر أنّه استفهام إنكاري، أي لم يكن عمي بصري بسبب الجحد بل بسبب صفقة المَلَك.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٧٦.

(٢) موسوعة الفقه: ج٨٩، ص٤٦٥.

(٣) المقاييس: ص١٨٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٩٥.

قَالَ: وَمَا عِلْمُكَ[١٩] بِذَلِكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ عَمِيَ بَصَرِي إِلَّا مِنْ صَفْقَةِ جَنَاحِ الْمَلَكِ[٢٠]. قَالَ: فَاسْتَضْحَكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ لِسَخَافَةِ عَقْلِهِ[٢١]، ثُمَّ لَقِيتُهُ فَقُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا تَكَلَّمْتَ بِصِدْقٍ مِثْلِ أَمْسِ[٢٢]، قَالَ لَكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَإِنَّ لِذَلِكَ الْأَمْرِ وُلَاةً[٢٣] بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ؟

وهذا منه عجيب، لأنَّ الملك إنَّما صفقه عقوبة له لإنكاره فضيلة من فضائل الإمام علي عليه السلام.

[١٩] (قال وما علمك...):

أي استأنف ابن عبَّاس القول مرَّة أُخرى فقال: من أين تعلم أنَّ فقدان البصر كان بسبب الجحود؟ كلا بل كان بسبب صفقة الملك.

و(إن) في قوله: (إن عمي) نافية.

[٢٠] (صفقة جناح الملك):

«الصفقة»: الضربة إذا كان بها صوت.

[٢١] (لسخافة عقله):

أي قلَّة في العقل، وذلك لأنَّه غفل عن أنَّ الضربة التي تلقَّاها من الملك كانت بسبب جحده فضلاً للإمام علي عليه السلام، فمن السخافة إنكاره لكون فقدان بصره بسبب الجحد وإنَّما بسبب لصفقه الملك.

[٢٢] (ما تكلَّمت بصدق مثل أمس):

حيث أقررت بتلقيك الضربة من المَلَك.

ثمَّ شرح الإمام له القضية بتفاصيلها، ليظهر لابن عبَّاس علمه عليه السلام بتلك التفاصيل.

[٢٣] (لذلك الأمر ولاة):

أي من يتولَّىٰ ذلك الأمر، بمعنى نزوله عليه.

فَقَالَ: أَنَا وَأَحَدَ عَشَرَ مِنْ صُلْبِي أَئِمَّةٌ مُحَدَّثُونَ، فَقُلْتَ: لَا أَرَاهَا[٢٤] كَانَتْ إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَتَبَدَّى لَكَ الْمَلَكُ[٢٥] الَّذِي يُحَدِّثُهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ رَأَتْ عَيْنَايَ الَّذِي حَدَّثَكَ بِهِ عَلِيٌّ[٢٦] ـ وَلَمْ تَرَهُ عَيْنَاهُ[٢٧] وَلَكِنْ وَعَى قَلْبُهُ وَوُقِرَ فِي سَمْعِهِ[٢٨] ـ، ثُمَّ صَفَقَكَ بِجَنَاحِهِ فَعَمِيتَ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

---

[٢٤] (لا أراها):

أي ليلة القدر، فقد ارتفعت بوفاة الرّسول ﷺ.

[٢٥] (فتبدّى لك الملك):

«التبدي» باب التفعل من (البداء) بمعنى الظهور، والمُراد أنَّ ذلك الملك حضر ثمَّ قال له. . .

[٢٦] (رأت عيناي الذي حدَّثك به علي):

أي نزول أمر السّنة في ليلة القدر عليه ﷺ، وهذا المَلَك كان ضمن الملائكة النازلين فلذا رأت عيناه نزولهم.

[٢٧] (ولم تره عيناه):

لما مرَّ من أنَّ الأئمَّة محدّثون، لا يرون الملائكة حينما يحدِّثونهم، وهذا من الفروق بينهم وبين الرُّسل، فراجع باب (الفرق بين الرَّسول والنَّبي والمحدِّث).

[٢٨] (ووقر في سمعه):

أي ثبت فيه، والمُراد أنَّه عرف ما حُدِّث به ولم ينسه، وفي الوافي: من «الوقرة» يعني النقرة في الصخرة، وفي الحديث: (التعلُّم في الصغر كالوقرة في الحجر) أراد أنَّه يثبت في القلب ثبات النقرة في الحجر(١).

---

(١) الوافي: ج٢، ص٤٥.

مَا اخْتَلَفْنَا فِي شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ[٢٩]، فَقُلْتُ لَهُ: فَهَلْ حَكَمَ اللَّهُ فِي حُكْمٍ مِنْ حُكْمِهِ بِأَمْرَيْنِ[٣٠]؟ قَالَ: لَا، فَقُلْتُ: هَاهُنَا هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ.

---

[٢٩] **(فحكمه إلى الله):**

أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١).

لعلَّ مراده أنَّ اختلافنا في بقاء ليلة القدر بعد الرَّسول ﷺ أو اختلافنا في القصاص أو الديَّة في مقطوع الأصابع، مردود إلى الله تعالى، وكأنَّه يريد نفي أن يكون في الأُمَّة من علم حكم المختلف فيه!! فاحتجَّ عليه بأنَّه إذا كان الحكم مردوداً إلى الله وليس عند الله في الواقع إلَّا حكم واحد، فكيف يحكمون تارة بأمر وتارة بآخر؟ وهل هذا إلَّا مخالفة لله سبحانه في أحد الحكمين، التي هي سبب الهلاك والإهلاك ـ كذا في الوافي ـ.

أو المعنى أنَّه لا حاجة إلى من يُرجع إليه في الاختلاف، لكفاية القرآن لقوله: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وقد غفل عن أنَّ القرآن لوحده لا يرفع الاختلاف لأنَّه حمَّال ذو وجوه، بل لا بُدَّ من مفسِّر للقرآن لا يفارقه كان هو الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٢) الذين قَرَنَهم بالقرآن في حديث الثقلين المتواتر.

[٣٠] **(حكم الله في حكم من حكمه بأمرين):**

أي هل شرَّع الله في حكم من أحكامه بأمرين متضادين؟

فأجاب ابن عبَّاس: بأنَّه لا اختلاف في حكم الله، فقال له الإمام عليه السلام: لكنَّا نجدك أفتيت بما ينقض بعضه بعضاً، وهذا سبب هلاكك وهلاك من تبعك.

ثمَّ اعلم أنَّ أمر ابن عبَّاس ملبَّس، فقد رويت في ذمه روايات، منها اتهامه بالتصرُّف بأموال البصرة، وخذلانه أمير المؤمنين عليه السلام لما اضطرب الأمر عليه، وغير ذلك، كما أنَّ هناك روايات في مدحه.

والتحقيق أنَّ ابن عبَّاس كان ثقة في الحديث ثبتاً، ولكن صدرت منه

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٠.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٤.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ[١]﴾ [الدخان: ٤] يَقُولُ: يَنْزِلُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَالْمُحْكَمُ لَيْسَ بِشَيْئَيْنِ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَمَنْ حَكَمَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ فَحُكْمُهُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ حَكَمَ بِأَمْرٍ فِيهِ اخْتِلَافٌ فَرَأَى أَنَّهُ مُصِيبٌ[٢] فَقَدْ حَكَمَ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ، إِنَّهُ لَيَنْزِلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى وَلِيِّ

زلّات عُوقب عليها بالعمىٰ ـ كما ذكر في هذا الحديث ـ، ثمَّ كفَّر عنها بأن نشر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومثالب أعدائه وجاهر بها رغم صعوبة الظروف، وقد سجَّل التاريخ له مواقف كثيرة في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام في ظلِّ الإرهاب الأموي، والأُمور بخواتيمها.

الحديث الثالث:

[١] **(كلُّ أمر حكيم):**

«الحكيم» على وزن (فعيل) بمعنى المفعول، ولذا فسَّره بالمحكم بمعنى المتقن، والمحكم لا تناقض فيه، بل ولا تتطرق إليه الاحتمالات المتعدِّدة، فما ينزل في ليلة القدر هو أمر محتوم لا تغيير فيه ـ ولله فيه المشيئة ـ.

ثمَّ إنَّه لا بُدَّ من نزوله على شخص يعلم به، وإلّا فلا فائدة في إنزاله، ولذا اتفق المسلمون على أنَّه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، واضطر المخالفون إلى إنكار ليلة القدر بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله لكي لا يضطروا إلى الإقرار بالأوصياء عليهم السلام، ولكن شاء الله تعالى أن تتمّ الحجَّة فلذا انحسر القائلون بهذا القول من المخالفين، فقال أكثرهم باستمرار ليلة القدر، وهنا تلزمهم الحجَّة.

[٢] **(فرأى أنَّه مصيب):**

إمَّا إشارة إلى التصويب، أو لبيان أنَّه إذا احتمل شيئاً أفتى به وعمل به ومن المعلوم أن هذا غير جائز.

الْأَمْرِ تَفْسِيرُ الْأُمُورِ[٣] سَنَةً سَنَةً، يُؤْمَرُ فِيهَا فِي أَمْرِ نَفْسِهِ بِكَذَا وَكَذَا، وَفِي أَمْرِ النَّاسِ بِكَذَا وَكَذَا، وَإِنَّهُ لَيَحْدُثُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ[٤] سِوَى ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ عِلْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْخَاصُّ[٥]، ....

ولكن إن ذكر شيئاً بعنوان الاحتمال ـ لا لأجل العمل به ـ فليس به بأس، وإنَّما الإشكال لو حكم به لأجل العمل.

[٣] **(تفسير الأمور):**

التفسير هو كشف الغطاء، ومن ذلك الانكشاف والجلاء، والمُراد بيان الأُمور بشكل واضح، فينزل على المعصوم ـ الذي هو ولي الأمر ـ مقدرات السنة كاملة، وكذا مستجدات الأحكام ـ بتفسيرها وتأويلها ـ.

وفي ذلك دلالة على أنَّ من تنزل عليه هو الواسطة في الفيض، وإلَّا فما فائدة إخباره بتلك المقدرات؟

فتحصل أنَّه لا بُدَّ ممَّن ينزل عليه الأمر، كما أنَّه لا بُدَّ في أن يكون واسطة في الفيض، فأراد الله تعالى أن يُجري المقدرات على يديه.

[٤] **(وإنَّه ليحدث لولي الأمر):**

أي تلقِّيه لا ينحصر بليلة القدر، بل في كلّ يوم يتلقَّى العلم، وتلقِّيه في كلّ يوم يتضمَّن نوعان من العلم ـ العلم الخاص والعلم المكنون ـ.

[٥] **(علم الله عزَّ وجلَّ الخاصّ):**

علم الله الخاصّ، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(١)، والمعلوم بهذا العلم ليس ما يتعلَّق بأمر الإمام ولا بأمر النَّاس، بل هو علم خاصّ بالله تعالى قد أطلع عليه الإمام.

قيل: هو علم معرفة الله تعالى وصفاته، فإنَّه لا نهاية لمعرفته تعالى، والإمام يزداد علماً كلّ يوم بالله تعالى.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

وَالْمَكْنُونُ الْعَجِيبُ الْمَخْزُونُ[٦]، مِثْلُ مَا يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ[٧] مِنَ الْأَمْرِ، ثُمَّ قَرَأَ[٨]: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٩] [لقمان: ٢٧].

---

[٦] **(والمكنون العجيب المخزون):**

لعلَّ المُراد التقديرات الجديدة، أو البداء فيما قُدِّر في ليلة القدر، فإنَّ ما يقدَّر في ليلة القدر ـ وإن كان محتوماً ـ لكن لله فيه المشيئة وقد يحصل فيه البداء.

و«المكنون» و«المخزون» بمعنًى واحد إلَّا أنَّه قد تلاحظ بعض الخصوصيات في الاستعمال، فـ(الخزن): حفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبِّر عنه عن كلّ حفظ، كحفظ السِّر ونحوه(١)، و(الكنّ): ما يحفظ فيه الشيء(٢).

فهذا العلم مخزون لأنَّه سِرّ، ومكنون لأنَّه محفوظ لا منفذ إليه.

و«العجيب» قد يُستعمل فيما لم يُعهد مثله(٣).

والحاصل: أنَّ هذا العلم ليس له نظير، وهو سرّ، كما أنَّه محفوظ عن الأغيار.

[٧] **(مثل ما ينزل في تلك اللَّيلة):**

أي كما ينزل الأمر في ليلة القدر، كذلك كلّ يوم ينزل من الأمر على ولي الأمر.

[٨] **(ثمَّ قرأ):**

لعلَّ وجه الاستشهاد بالآية أنَّ علم الله لا نهاية له، فهو تعالى قادرٌ على إفاضة ما شاء من العلم على من شاء في كلّ سنة وفي كلّ يوم.

[٩] **(إنَّ الله عزيز حكيم):**

﴿وَلَوْ أَنَّمَا﴾ أنّ ما ﴿فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ﴾ بيان لـ«ما»، قيل: وتوحيد الشجرة لأنَّ المُراد تفصيل الآحاد ﴿أَقْلَامٌ﴾ للكتابة، ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي جنسه

---

(١) انظر المفردات: ص٢٨٠.

(٢) راجع المفردات: ص٧٢٦.

(٣) المفردات: ص٥٤٧.

٤ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ صَدَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا أَدْرِي، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ[١]، قَالَ

أو البحر المحيط ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ أي يعينه ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي سواه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فكلّها تكون حِبراً فيُكتب بها، وفي التقريب: الإتيان بلفظ السبعة، لا للخصوصية، بل كناية عن الكثرة(١) ﴿مَّا نَفِدَتْ﴾ أي ما انتهت ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي مخلوقاته، وإنَّما سُمِّيت كلمة لأنَّه يُخرجها من العدم إلى الوجود بإرادته تعالى، كما يخرج اللفظ من اللِّسان إلى الخارج، أو الكلمات بمعنى المقدورات أو المعلومات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخلق عبثاً.

الحديث الرابع:

الحديث الشريف في تفسير سورة القدر، وأنَّ سبب فضيلتها على ألف شهر هو نزول الملائكة والرُّوح فيها بإذن الله، وإذا أذن الله بتشريع فقد رضيه، وهؤلاء الملائكة والرُّوح يسلِّمون بسلام الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن بعده على أوصيائه عليهم السلام من أوَّل هبوطهم وإلى طلوع الفجر.
ثمَّ إنَّ المخالفين الذين انهزموا في معركة أُحُد وارتدّوا عن الإسلام حينما زعموا مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله، هم الذين أنكروا ليلة القدر بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله، فهذه فتنتهم على العوام، لأنَّهم لو أقرّوا ببقائها فلا بُدَّ أن يُقرّوا أنَّها تنزل على شخص، وهنا يتبيَّن زيفهم، ويتبيَّن صحَّة كلام الأوصياء وأتباعهم.

[١] **(ليس فيها ليلة قدر):**
عن الإمام الصَّادق عليه السلام: أُري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أُميَّة يصعدون منبره من بعده يُضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً،

---

(١) تقريب القرآن: ج٤، ص٢٧٨.

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَهَلْ تَدْرِي لِمَ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ[٢]؟ قَالَ: لَا، قَالَ:

قال: فهبط جبرئيل عليه السلام ـ إلى أن قال ـ: ثم عرج إلى السَّماء، فلم يلبث أن نزل عليه بآيٍ من القرآن يؤنسه بها، قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾(١)، وأنزل الله تعالى عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾(٢) جعل الله تعالى ليلة القدر لنبيّه ﷺ خيراً من ألف شهر ملك بني أُميَّة(٣).

قيل: المُستفاد من كتب السير أنَّ أوَّل انفراد بني أُميَّة بالأمر كان عندما صالح مولانا الزكي الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) معاوية، وذلك لسنة أربعين من الهجرة، وكان انقضاء ملكهم على يدي أبي مسلم المروزي لسنة اثنتين وثلاثين ومائة، فكانت مدَّة دولتهم ثنتان وتسعون سنة، حذف منها مدَّة خلافة عبد الله بن الزبير وهي ثمان سنين وثمانية أشهر، بقي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر بلا زيادة يوم ولا نقصان يوم، وهي ألف شهر، انتهى.

أقول: ويطلق العدد الصحيح على ما يزيد عليه قليلاً بل وما يقلّ عنه كذلك، وهذا أمر شائع عند العرف والعقلاء، اختصاراً للكلام، فيطلق الألف مثلاً على ما يزيد عليه قليلاً أو ينقص عنه قليلاً.

[٢] **(هل تدري لِم هي خير من ألف شهر):**

كونها خيراً من ألف شهر:

١ ـ من جهة نفسها، فإنَّ في الأيَّام سعد ونحس، وفاضل ومفضول، كما

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٢) سورة القدر: الآيات ١ ـ ٣.

(٣) الوافي: ج٧، ص٣٧٨ عن الكافي والفقيه، والروايات في ذلك متعدِّدة، وكذا من طرق المخالفين: روى الترمذي: (ج٥، ص٤٤٤) أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم أُري بني أُميَّة على منبره، فساءه ذلك، فأنزل الله عليه ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝﴾ والكوثر نهر في الجنَّة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾ يملكها بنو أُميَّة يا محمَّد، قال القاسم: فعدَّدناها، فإذا هي ألف شهر لا تنقص يوماً ولا تزيد. انتهى.
والقاسم هو القاسم بن الفضل الحراني، الذي في سند الحديث، البرهان: ج١٠، ص٣٥٥.

لِأَنَّهَا ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، وَإِذَا أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ فَقَدْ رَضِيَهُ[٣]، ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ ـ ٥] **يَقُولُ: تُسَلِّمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ[٤] مَلَائِكَتِي وَرُوحِي بِسَلَامِي مِنْ أَوَّلِ مَا يَهْبِطُونَ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.**

قال: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾(١) وقال: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾(٢)، وهذا الحديث في بيان جانب فضيلة هذه اللَّيلة في حدِّ نفسها، وإنَّ السبب في ذلك هو نزول الملائكة والرُّوح.

٢ ـ من جهة العمل فيها، سُئل الإمام الصَّادق عليه السلام: كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر(٣).

[٣] (فقد رضيه):

«الإذن» هنا بمعناه التشريعي، والمقصود منه: الأمر بالشيء، فإنَّه تعالى يأمر الملائكة والرُّوح بالنزول، وما دام أمرهم فقد رضي بذلك النزول، فقوله: (وإذا أذن...) تفسير لقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ وليس تتمَّة دليل كونها خيراً من ألف شهر.

أمَّا الإذن التكويني ـ بمعنى عدم جعل المانع أو بمعنى جعل مقتضى التأثير في الشيء ـ، فليس يلازم رضاه تعالى، كما قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٤) بأن يجعل سببية الضرر في ذلك السحر أو بمعنى منعه التكويني عن تأثير السحر، وليس في الضرر بالسحر رضى من الله تعالى، وقد مرَّ بحث ذلك، كما أشرنا إليه في (التفكُّر في القرآن).

[٤] (تسلِّم عليك يا محمَّد):

السَّلام في ليلة القدر له مصاديق متعدِّدة:

---

(١) سورة القمر: الآية ١٩.

(٢) سورة الدخان: الآية ٣.

(٣) الوافي: ج٧، ص٣٨٠ عن الكافي والفقيه.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠١.

ثُمَّ قَالَ فِي بَعْضِ كِتَابِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٥]

منها: ما هو مذكور في الحديث، أي الملائكة والرُّوح يسلِّمون على من ينزلون عليه بسلام الله سبحانه.

وذكر خصوص الرَّسول ﷺ لأنَّه كان المصداق حين نزول السورة، وإلَّا فسلامهم لكلّ من ينزلون عليه إلى انقضاء الدهر.

ويحتمل أن يكون المعنى أنَّهم حينما ينزلون ـ سواء في حياته أم بعد وفاته ـ لا تفارقهم الصلاة على النَّبي والتسليم عليه، فيلهجون بذلك، لأنَّهم عنده في حياته، وقُرب قبره بعد وفاته، فتأمَّل.

ومنها: في ليلة القدر ينزل الله بالسَّلام لأهل الأرض، لكنَّهم يغيِّرونه بسبب المعاصي إلى مكاره(١) فهذا سلام تكويناً.

ومنها: أنَّه يقدّر فيها منهاج السَّلام العام للعالم: سلامة الرُّوح عن الأوضار، وسلامة الجسم عن الأمراض، وسلامة المجتمع عن المفاسد، وسلامة العقل عن الخرافة(٢)، وهذا سلام تشريعاً.

[٥] **(لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة):**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٣)

والولاية ممَّا دعا به الرَّسول ﷺ، فجهر بها في يوم الغدير وغيره فكان بها حياة الناس إذ تكميل الدِّين بها، ثمَّ إنَّ عدم الاستجابة للرَّسول هو كفر يودي إلى البلاء العام والعذاب، وإذا جاء العذاب فإنَّه يشمل الظالم الفاعل للمنكر، ويشمل الساكت عن النهي عن المنكر، وقوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ أي لا تختصّ بالظالم بل تشمل الساكت عنه.

---

(١) التبيين: ص٦٢١.

(٢) التقريب: ج٥، ص٧١٠.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان ٢٤ ـ ٢٥.

[الأنفال: ٢٥] في ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[٦]. وقال في بعض كتابه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٧] [آل عمران: ١٤٤]

وروى الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان: (لتصيبنَّ) هي قراءة أمير المؤمنين عليه السلام وأبو جعفر الباقر عليه السلام.

فإن صحَّت هذه الرواية فالمراد أنَّهم كانوا يفسِّرون ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ بـ(لتصيبن)، وذلك بجعل (لا) زائدة ـ بالاصطلاح النحوي ويُراد بها تأكيد النهي المُستفاد من قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ ـ، أي هذا العذاب خاصّ بالظالمين فيدخل الساكتون في الظالمين، وإلَّا فقد مرَّ أنَّ هذه القراءة المشهورة المتداولة هي قراءة أهل البيت عليهم السلام.

وهذه الفتنة هي ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام علي عليه السلام ونكث بيعته يوم الغدير، وذلك استلزم إنكارهم لليلة القدر بعد النَّبيّ صلى الله عليه وآله كي لا يعترفوا بحجَّة الله الذي تتنزَّل عليه الملائكة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام ـ في تفسير الآية ـ قال: أصاب الناس فتنة بعدما قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله، حتى تركوا عليّاً عليه السلام، وبايعوا غيره، وهي الفتنة التي فتنوا بها، وقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله باتباع علي عليه السلام والأوصياء من آل محمَّد صلى الله عليه وآله(١).

[٦] **(في إنَّا أنزلناه في ليلة القدر):**

أي فتنتهم في جحد ولاية الإمام عليّ عليه السلام ممَّا أدَّىٰ بهم إلى إنكار ليلة القدر بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله.

[٧] **(وسيجزي الله الشاكرين):**

دلَّت الآية على أنَّ قتل أو موت الرَّسول صلى الله عليه وآله سبب الانقلاب على الأعقاب.

قال بعض العامَّة: إنَّها خاصَّة بمعركة أُحد حيث انهزم المسلمون فيها.

---

(١) راجع البرهان: ج٤، ص٢٩٨.

يَقُولُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى: إِنَّ مُحَمَّداً حِينَ يَمُوتُ، يَقُولُ أَهْلُ الْخِلَافِ لِأَمْرِ

فيُقال لهم: الآية نزلت بعد معركة أُحُد لكنَّها عامَّة، ولذا قال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ مع أنَّ الذي زعموه في معركة أُحُد هو مقتله ﷺ لا موته، إذاً فالآية تريد بيان أمر عام، وهو أنَّ وفاة الرَّسول ﷺ سبب لانقلاب ضعاف الإيمان على أعقابهم، وتحقَّق هذا الانقلاب بعد وفاته.

ففي البخاري عن البرّاء بن عازب إنَّك لا تدري ما أحدثنا بعده[(١)].

وفي البخاري أيضاً في باب الحوض وليختلجن دوني أقوام حتى إذا عرفتهم وعرفوني فيحلئون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي!! فيُقال إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنَّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى[(٢)].

وقال أبو المقدام للإمام الباقر عليه السلام: إنَّ العامَّة تزعم أنَّ بيعة أبي بكر - حيث اجتمع لها الناس - كانت رضىً لله، وما كان الله ليَفْتَتِن أُمَّة محمَّد ﷺ بعده!!

فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرأون كتاب الله؟ أوليس الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[(٣)] الآية.

قال: فقلت له: إنَّهم يفسِّرون هذا على وجه آخر.

قال: فقال: أوليس قد أخبر الله عن الذين قبلهم من الأُمم أنَّهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيِّنات، حين قال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيِّنات ولكن اختلفوا] ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ الآية، ففي هذا ما يُستدل به على أنَّ أصحاب محمَّد ﷺ قد اختلفوا من بعده، فمنهم من آمن ومنهم من كفر[(٤)].

---

(١) رواه البخاري - في الصحيح عندهم -: ج٤، ص١٥٢٩، الحديث رقم ٣٩٣٧.

(٢) رواه البخاري: ج٥، ص٢٤٠٧، الحديث ٦٢١٣ و٦٢١٤ و٦٢١٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٤) البرهان: ج٢، ص٥٠٩ عن تفسير العياشي، وقريب منه ما عن الكافي: ج٨، ص٢٧٠ والآية في سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَضَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَذِهِ فِتْنَةٌ أَصَابَتْهُمْ خَاصَّةً[٨]، وَبِهَا ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ[٩]، لِأَنَّهُمْ إِنْ قَالُوا: لَمْ تَذْهَبْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا أَمْرٌ، وَإِذَا أَقَرُّوا بِالْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ صَاحِبٍ بُدٌّ.

٥ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام كَثِيراً مَا يَقُولُ: مَا اجْتَمَعَ[١] التَّيْمِيُّ وَالْعَدَوِيُّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١]

---

[٨] **(فتنة أصابتهم خاصة):**

لأنَّ أهل الحقّ لم يفتتنوا بهذه الفتنة، بل هي فتنة أصابت أهل الخلاف خاصَّة، فشملت الظالمين منهم والساكتين عن الحقّ بل المنخدعين بهم أيضاً.

والحاصل: أنَّ الفتنة لم تشمل الظالمين الغاصبين من أهل الخلاف خاصَّة بل عمَّت كل المخالفين.

[٩] **(وبها ارتدوا على أعقابهم):**

بإنكارهم الإمام بعد النَّبي ﷺ ممَّا استلزمهم إنكار ليلة القدر أيضاً بعد الرَّسول ﷺ ـ كما بيَّناه ـ.

أمَّا الارتداد على الأعقاب فقد اتفق عليه صحاح الخاصَّة والعامَّة، ودونك باب الحوض في كتاب البخاري ـ الصحيح عند المخالفين ـ.

الحديث الخامس:

[١] **(ما اجتمع):**

في نسخة الوافي: (كثيراً ما يقول: اجتمع)، وفي كتاب (تأويل الآيات الظاهرة): «ما اجتمع... إلَّا ويقولون»(١).

---

(١) نقله في المرآة: ج٣، ص٨٦.

بِتَخَشُّعٍ وَبُكَاءٍ فَيَقُولَانِ: مَا أَشَدَّ رِقَّتَكَ لِهَذِهِ السُّورَةِ؟ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِمَا رَأَتْ عَيْنِي وَوَعَى قَلْبِي وَلِمَا يَرَى قَلْبُ هَذَا مِنْ بَعْدِي[٢]، فَيَقُولَانِ: وَمَا الَّذِي رَأَيْتَ وَمَا الَّذِي يَرَى؟ قَالَ: فَيَكْتُبُ لَهُمَا فِي التُّرَابِ[٣] ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

والتيمي: أبو بكر، والعدوي: عمر، لأنّهما ينتسبان إلى فرعين من قريش: بني تيم، وبني عدي.

[٢] **(ولما يرى قلب هذا من بعدي):**

أي قلب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد مرَّ أنَّ الرؤية في حال التحديث خاص بالرُّسل، وأمَّا الأئمَّة فيسمعون الملائكة ولا يرونهم في حال تحديثهم.

[٣] **(فيكتب لهما في التراب):**

١ ـ «يكتب» إمَّا معلوم، وذلك بأن يأمر الرسول ﷺ بكتابة الآية، لأنّه ﷺ لم يتعلَّم الكتابة عند أحد ولم يستعملها طيلة حياته ـ مع أنَّ الله تعالى علَّمه ذلك بالإعجاز ـ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾(١).

وقيل عدم كتابته إنَّما كانت قبل الوحي أمَّا في المدينة فقد كتب، والآية إنَّما هي فيما قبل النُّبوَّة، وعليه فلا مانع بأن يفسّر هذا الحديث بأنّه كتب الرسول بيده، لكن هذا القول محلّ تأمُّل.

٢ ـ وإمَّا «يُكتب» مجهول، فالمعنى تظهر هذه الكتابة على التراب من كاتب غير معلوم، إعجازاً منه ﷺ، ولعلَّ الكاتب مَلَك، وعليه فقوله: (في التراب) معناه واضح، أي الكاتب كان يكتب الآية في التراب ليرياها ويقرآها.

وأمَّا على الاحتمال الأوّل ـ بأن يكون الكاتب نفس الرسول ﷺ أو أحد من قبله ـ فلعلَّ وجه الكتابة دون تكرار القراءة، هو تركّز الأمر في

---

(١) سورة العنكبوت: الآيتان ٤٨ ـ ٤٩.

وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القَدر: ٤]. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ[٤] بَعْدَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾؟ فَيَقُولَانِ: لَا، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمَانِ مَنِ الْمُنْزَلُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولَانِ: أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: هَلْ تَكُونُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ بَعْدِي؟ فَيَقُولَانِ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ يَنْزِلُ ذَلِكَ الْأَمْرُ فِيهَا؟ فَيَقُولَانِ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِلَى مَنْ؟ فَيَقُولَانِ: لَا نَدْرِي!! فَيَأْخُذُ بِرَأْسِي[٥] وَيَقُولُ: إِنْ لَمْ تَدْرِيَا فَادْرِيَا، هُوَ هَذَا مِنْ بَعْدِي، قَالَ: فَإِنْ كَانَا لَيَعْرِفَانِ[٦] تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ مَا يُدَاخِلُهُمَا مِنَ الرُّعْبِ.

ذهنيهما حتى لا ينسيا هذا الموقف، فإنَّ الإنسان كثيراً ما ينسى الأقوال، لكنَّها إذا اقترنت بأمر غريب بقيت في ذهنه، وذلك لإتمام الحجَّة.

[٤] **(هل بقي شيء):**

أي إنَّ الآية عامَّة بشكل واضح لقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

[٥] **(فيأخذ برأسي):**

الأخذ ـ دون الإشارة ـ لأجل إتمام الحجَّة أكثر، ولكي لا ينسيا الموقف أبداً، لما ذكرناه من أنَّه أمر غريب فلا يُنسىٰ.

[٦] **(فإن كانا ليعرفان):**

«إن» مخفَّفة من المثقلة، دلَّت عليها اللام الفارقة في الخبر ـ أي ليعرفان ـ والمبتدأ ضمير الشأن المقدر.

ومعرفتهما تلك اللَّيلة والرعب الذي ينتابهما فيها:

١ ـ إمَّا لتذكّرهما الكتابة بالطريقة الغيبيَّة على التراب.

٢ ـ وإمَّا لعلمهما بنزول الملائكة على الإمام علي عليه السلام، فكانا يخافان في تلك اللَّيلة من أمر قدَّره الله تعالى، أو من أن يُؤمر الإمام علي عليه السلام بالتكلّم بشيءٍ لا يرغبان فيه.

٣ ـ أو كان يُلقي الرعب في قلبيهما تكويناً، أو لغير ذلك.

٦ ـ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ خَاصِمُوا بِسُورَةِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] تَفْلُجُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَحُجَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[١] عَلَى الْخَلْقِ

الحديث السادس:

خلاصة الحديث:

١ ـ الاحتجاج بسورة القدر، لأنَّها تدلُّ على علمهم بكلّ شيء وأنَّ الله ينزل الملائكة والرُّوح عليهم ـ بعد الرسول ـ.

٢ ـ الاحتجاج بآيات سورة الدخان حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ فلا بُدَّ من منذر في كلّ عصر، وإلَّا كان تضييعاً للأجيال القادمة.

٣ ـ إن قلت: إنَّ نذير هذه الأُمَّة هو رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

فالجواب: إنَّه صلى الله عليه وآله في حياته كان يبعث المبلِّغين إلى الأقطار لأنَّ أهل تلك الأقطار ما كانوا يرون الرَّسول ولا يسمعونه، فالمبلِّغون هم منذرون من قِبل الرَّسول صلى الله عليه وآله.

فإذا كان الرَّسول صلى الله عليه وآله لا يترك المعاصرين له في الأقطار إلَّا وأرسل لهم مبلِّغ، فهل يعقل أن يترك الأجيال اللاحقة بدون تعيين نذير لهم من قبله؟

٤ ـ سؤال: ألا يكفي القرآن؟

فالجواب: أنّ القرآن يحتاج إلى مفسِّر، ولذا قرن الرَّسول صلى الله عليه وآله العترة بالقرآن في حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين.

[١] **(لحجَّة الله تبارك وتعالى):**

أي في حياة الرَّسول صلى الله عليه وآله كانت الحجَّة كلامه، فكلَّما تخاصموا أو أنكروا ولاية الإمام علي عليه السلام بعده رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأكَّدها لهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(١).

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ دِينِكُمْ[٢]، وَإِنَّهَا لَغَايَةُ عِلْمِنَا[٣]، يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ خَاصِمُوا بِـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ١-٣]، **فَإِنَّهَا لِوُلَاةِ الْأَمْرِ خَاصَّةً بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٤].**

وأمَّا بعد الرَّسول ﷺ فقد ينكرون النصّ، أو يأوِّلونه خلافاً لظاهره، فحينئذٍ تتمّ محاججتهم بهذه السورة وبالآيات من سورة الدخان.

[٢] **(لسيِّدة دينكم):**

بحذف المضاف، أي سيِّدة حجج دينكم، والمُراد أنَّها أعظم الحجج لإثبات الحقّ من دينكم.

[٣] **(لغاية علمنا):**

«الغاية» إمَّا بمعنى الراية والعلَّامة، أو بمعنى النهاية، وفي المقاييس: فأمَّا الغاية فهي الراية وسُمِّيت بذلك لأنَّها تُظِل مَنْ تحتها... ثم سُمِّيت نهايةُ الشيء غايةً، وهذا من المحمول على غيره، إنَّما سُمِّيت «غاية» بغاية الحرب ـ وهي الراية ـ، لأنَّه يُنتهى إليها، كما يرجع القوم إلى رايتهم في الحرب(١).

فعلى الأوَّل: المعنى هو أنَّ سورة القدر دليل على علمنا لأنَّ الملائكة والرُّوح تتنزَّل من كلّ أمر.

وعلى الثاني: المعنى هو أنَّها تدلُّ على كثرة علمنا وأنَّ حدود هذا العلم هو ﴿كُلِّ أَمۡرٍ﴾، فنعلم بكلِّ شيء أنزله الله تعالى.

[٤] **(لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله):**

أي هذه الآية أو اللَّيلة المباركة بعد الرَّسول خاصة بالأوصياء عليهم السلام، وفي الوافي: يعني هذا الإنزال إنَّما هو عليهم بعده، وهذا الإنذار إنما يكون بهم بعده، وإرسال الأمر المذكور فيها إنَّما هو إليهم خاصَّة(٢).

فإنَّ الله يُنذر الخلق بواسطة أوليائه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ يدلُّ

---

(١) **المقاييس:** ص٧٧٨.

(٢) **الوافي:** ج٢، ص٥٢.

يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فَاطِر: ٢٤]، **قِيلَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ نَذِيرُهَا مُحَمَّدٌ ﷺ**[٥]**، قَالَ: صَدَقْتَ، فَهَلْ كَانَ**

على أنَّ هذا الإنذار إنَّما هو بالواسطة، وذلك لأنّ الضمائر الراجعة إلى الله تعالى في القرآن إن كان في أمر يفعله الله تعالى بلا واسطة كان الضمير ضمير المفرد ـ عادة ـ كقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[١]، وإن كان لشيء مع الواسطة التي يجعلها الله سبحانه كان ضمير الجمع ـ عادة ـ كقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[٢].

وعليه: فإنَّ الله منذر بواسطة أوليائه ولذا قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ و(إن) نافية أي وما من أُمَّة ـ وهي الجماعة من النَّاس ـ إلَّا مضى فيها من ينذرهم من نبي أو من قام مقامه، و«الإنذار» هو التحذير من خطر محدق ـ إذا اتسع الوقت ـ، فإن ضاق الوقت بأن داهم الخطر فهو إشعار.

[٥] **(نذيرها محمَّد ﷺ):**

أي نذير هذه الأُمَّة هو رسول الله ﷺ فلا حاجة إلى إمام من بعده!!

والجواب: إنَّك صدقت في أنَّ رسول الله محمَّداً ﷺ هو نذير، ولكن هذا لا ينافي الاحتياج إلى وسائط يوصلون كلامه إلى النَّاس، ويكونون الميزان حين اختلاط الحقّ بالباطل وعدم معرفة النَّاس لكلام الرَّسول ﷺ فيبيِّنون للنَّاس كلامه أو معنى كلامه ﷺ، وحتى الرسول في حال حياته كان يبعث الأصحاب إلى أقطار الأرض ليبلِّغوا إنذاره للناس لعدم تواجده في كلّ الأماكن وصعوبة وصول كل الناس إليه.

كذلك لا بُدَّ من مبلِّغين من طرفه إلى الأجيال المقبلة التي لا تتمكَّن من رؤيته وسماع كلامه ﷺ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

نَذِيرٌ وَهُوَ حَيٌّ مِنَ الْبَعَثَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ[٦]، فَقَالَ السَّائِلُ: لَا، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَرَأَيْتَ بَعِيثَهُ أَلَيْسَ نَذِيرَهُ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي بِعْثَتِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَذِيرٌ؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: فَكَذَلِكَ لَمْ يَمُتْ مُحَمَّدٌ إِلَّا وَلَهُ بَعِيثٌ نَذِيرٌ، قَالَ: فَإِنْ قُلْتُ لَا[٧]، فَقَدْ ضَيَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ فِي أَصْلَابِ

فمن يبعثه الرسول صلى الله عليه وآله يكون نذيراً من قِبل الرسول، والرسول نذير من قِبل الله تعالى.

وفي المرآة: الفرق بين البعيث في حال الحياة، وبعد الوفاة:

أنَّه تلزم العصمة في الثاني، دون الأوَّل، لأنَّه مع وجوده صلى الله عليه وآله كان يمكن تغييرهم وعزلهم ـ إن صدرت منهم معصية، أو شيء ينافي استحقاق النيابة ـ بخلاف النذير بعد الوفاة، فإنَّه ليس للخلق أن يعزلوا من نصبه الرسول صلى الله عليه وآله خليفة عليهم، فلا بُدَّ من عصمته وكمال علمه وأخلاقه(١).

[٦] **(من البعثة في أقطار الأرض):**

«البَعَثة» جمع (بعيث) بمعنى المبعوث، والسائل توهم أنَّ ذلك يساوي النُّبوَّة فأجاب بـ(لا)، فبيَّن له الإمام خطأه، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أرسل المبلِّغين، وهذا ثابت بضرورة التاريخ، فالأصحاب المبلِّغون هم نذراء من طرف الرَّسول صلى الله عليه وآله، كما أنَّ الرَّسول نذير من طرف الله تعالى.

[٧] **(فإن قلت: لا):**

أي إن قلت: لم يعيِّن الرسول صلى الله عليه وآله نذيراً بعد وفاته، فكلامك يستلزم أنَّه ضيَّع الأجيال القادمة ـ وحاشاه ذلك ـ، فإنَّهم يحتاجون إلى المنذرين كما كان الأصحاب يحتاجون إلى المنذر، فكل من تمكَّن الرسول من إنذاره في حال حياته فقد أنذره من غير واسطة أو مع الواسطة، وهو يتمكَّن من الإنذار مع الواسطة بعد وفاته عبر تعيين الوصي وتسميته للناس ليرجعوا إليه، فمع تمكّنه من ذلك لو ترك التعيين لكان مضيّعاً ـ وحاشاه ـ.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٨٩.

الرِّجَالِ مِنْ أُمَّتِهِ. قَالَ: وَمَا يَكْفِيهِمُ الْقُرْآنُ[٨]؟ قَالَ: بَلَى إِنْ وَجَدُوا لَهُ مُفَسِّراً. قَالَ: وَمَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَى قَدْ فَسَّرَهُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ[٩]، وَفَسَّرَ لِلْأُمَّةِ شَأْنَ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. قَالَ

---

[٨] **(قال: وما يكفيهم القرآن):**

وهذا الكلام تكرار لقولهم: «حسبنا كتاب الله»، وفي ذلك مخالفة صريحة للكتاب نفسه حيث يهدي إلى الإمام، ومخالفة للرسول ﷺ حيث ضمَّ العترة إلى الكتاب، إذ لا بُدَّ للكتاب من مفسِّر يبيِّن معانيه، وخاصَّة أنَّ الأهواء سبَّبت كثرة التفاسير الباطلة، فإنَّهم عجزوا عن تحريف الألفاظ لكنَّهم حاولوا تغيير المعاني، فلا بُدَّ من وجود من يُبيِّن وجه الصواب حيث قد اختلط الحقّ بالباطل، ولا يكون إلَّا بمن عيَّنه الرسول ﷺ، وهو معصوم عن الخطأ ليفسِّر كما أراد الله تعالى.

[٩] **(فسّره لرجل واحد):**

أي فسّره كلّه بكلّ معانيه وتأويلاته، أمَّا المعاصرون له فقد فسَّر لهم ما يحتاجون إليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١)، أمَّا ما لا يحتاجون إليه فقد فسَّره للإمام علي عليه السلام ليذكره للناس وقت حاجتهم، والإمام علي عليه السلام علَّمه للأئمَّة من ذرِّيَّته ليعلِّموا الناس وقت حاجتهم، كما أنَّ الناس لم يحتاجوا إلى مسائل (العول) في الإرث في حياة الرسول ﷺ حتى حدث ذلك في زمان عمر فتحيَّر في كيفية تقسيم الإرث، وقال بالعول ـ وهو نقصان التركة عن السهام، بأن كانت سهام الإرث أكثر من التركة ـ(٢).

والعول باطل قطعاً، إذ منشؤه الجهل بالحساب، تعالى الله عن ذلك، وفي الحديث كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنَّ الذي أحصى رمل عالج،

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) كما لو ورث الميِّت أبوان وبنتان وزوجة، فللأبوين الثلث، وللبنتين الثلثان، وللزوجة الربع، فقد صارت السهام أكثر من التركة، والصحيح أنَّه ليس للبنتين هنا الثلثان بل لهما ما تبقَّى من المال.

السَّائِلُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ هَذَا أَمْرٌ خَاصٌّ لَا يَحْتَمِلُهُ الْعَامَّةُ[١٠]؟ قَالَ: أَبَى اللَّهُ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا سِرّاً[١١] حَتَّى يَأْتِيَ إِبَّانُ أَجَلِهِ[١٢] الَّذِي يُظْهِرُ فِيهِ دِينَهُ، كَمَا

ليعلم أنَّ السهام لا تعول على ستّة(١).

وسُئل ابن عبَّاس: فمن أوّل من أعال في الفرائض؟ فقال: عمر بن الخطَّاب، لما التقت الفرائض عنده ودفع بعضها بعضاً، فقال: والله ما أدري أيّكم قدَّم الله، وأيّكم أخَّر، وما أجد شيئاً هو أوسع من أن أُقسِّم عليكم هذا المال بالحصص، فأدخل على كلّ ذي سهم ما دخل عليه من عول الفرائض، وايم الله لو قدَّم ما قدَّم الله، وأخَّر ما أخَّر الله ما عالت فريضة... الحديث(٢).

ولمعرفة كيفية تقسيم الإرث مع بيان وجهه في كتاب الله عزَّ وجلَّ راجع الكتب الفقهية(٣).

وهكذا في كثير من المسائل الفقهية والاعتقادية وغيرها.

[١٠] **(لا يحتمله العامَّة):**

إمَّا بمعنى أنَّ العامَّة لا يقبلون تفسير الإمام علي عليه السلام ويعرضون عنه.

وإمَّا بمعنى أنَّ هذا الكلام ـ أي اختصاص الإمام علي عليه السلام بتفسير القرآن كلّه ـ أمر لا تُقِرّ به العامَّة بل من الأُمور التي يُتَّقىٰ فيها.

[١١] **(أبىٰ الله أن يعبد إلَّا سرّاً):**

أي أبىٰ الله تعالى أن يجبر الناس على الإيمان ـ ليتمَّ الامتحان ـ، وعدم جبره لهم أدَّىٰ إلى إعراضهم عن الحقّ ومعارضتهم لأهله، وكان ذلك سبب التقيَّة وكتمان الأمر وعبادته سرّاً.

و«يعبد» يُراد به يتعبَّد بأوامره ونواهيه.

[١٢] **(إبان أجله):**

أي الوقت الذي عيَّنه الله تعالى لكي يظهر دينه على الدِّين كلّه، كما قال:

---

(١) الوسائل: ج٢٦، ص٧٣. و(عالج) منطقة صحراوية رمليّة.

(٢) الوسائل: ج٢٦، ص٧٨ ـ ٧٩.

(٣) راجع الفقه: ج٨٢، ص١٩٤ ـ ٢٠٤.

أَنَّهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ خَدِيجَةَ مُسْتَتِراً حَتَّى أُمِرَ بِالْإِعْلَانِ[١٣]. قَالَ السَّائِلُ: يَنْبَغِي لِصَاحِبِ هَذَا الدِّينِ أَنْ يَكْتُمَ؟ قَالَ: أَوَمَا كَتَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَوْمَ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَكَذَلِكَ أَمْرُنَا حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَه[١٤].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(١)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٢).

و«إبان» بمعنى الحين(٣)، و«الأجل» غاية الوقت ونهايته(٤).

[١٣] (مستتراً حتى أمر بالإعلان):

المقصود من هذا التشبيه بيان أنَّ العبادة سرّاً ليست أمراً مستنكراً، بل حدث حتى لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لما لم يستوعب السائل ذلك وسأل عن جواز التقيَّة في الدِّين، أجابه الإمام عليه السلام بشاهد ثانٍ وهو الإمام علي عليه السلام في أوَّل البعثة حيث كان يكتم إسلامه، فكذلك سائر الأوصياء يكتمون الآن تقيَّة إلى حين أمر الله تعالى ـ وهو وقت الظهور المبارك ـ.

[١٤] (حتى يبلغ الكتاب أجله):

أي الذي قدَّره الله تعالى من وجوب التقيَّة والكتمان ينتهي إلى الحدّ الذي أراده الله تعالى، فحينئذٍ يأمر تعالى وليّه بالظهور ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويظهر للكل أحكام الله بلا خوف ولا تقيَّة.

---

(١) سورة النُّور: الآية ٥٥.

(٢) سورة الصف: الآية ٩.

(٣) راجع مقاييس اللغة: ص٣٩.

(٤) راجع المقاييس: ص٤٦.

٧ ـ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ

الحديث السابع:

خلاصة الحديث:

١ ـ هناك تلازم بين ليلة القدر وبين وجود حجَّة الله تعالى على الأرض، لذا تقارن خلق آدم عليه السلام مع خلق ليلة القدر.

٢ ـ وإنَّ ليلة القدر هي من قضاء الله المحتوم، حيث شاء بأن يُنزِّل الأمر على حجَّته في كل سنة مرَّة واحدة، مضافاً إلى نزول جبرائيل عليه السلام في سائر أيَّام السنة.

٣ ـ ومن أنكر نزول الأمر على حجَّة الله في ليلة القدر، فقد ردَّ على الله عزَّ وجلَّ، حيث أخبر عن ليلة القدر في القرآن الكريم.

٤ ـ وممَّا ينزل في ليلة القدر: تعيين الأوصياء للأنبياء عليهم السلام، فيُخبَر بها الأنبياء ويُؤمَرون بأن يوصوا إليهم.

٥ ـ تفسير آية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ الآية.

أ ـ وإنَّ هذه الآية في هذه الأُمَّة.

ب ـ وإنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هم الأئمَّة عليهم السلام.

ج ـ وإنَّ (الاستخلاف) في العلم والدِّين والعبادة.

د ـ وإنَّ (التمكين في الأرض) في العلم والمُلك، فأمَّا تمكينهم في العلم فظاهر يقرُّ به الموافق والمخالف، وأمَّا التمكين في المُلك فله أجل فإذا جاء وقت الظهور كان الأمر واحداً لا اختلاف فيه.

٦ ـ تفسير آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1].

أ ـ وإنَّ الخطاب في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هو للأئمَّة عليهم السلام.

ب ـ وإنَّ الجهاد في (وجاهدوا في الله) في زمان أئمَّة الجور إنَّما هو

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

ذِكْرُهُ[١] لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الدُّنْيَا، وَلَقَدْ خَلَقَ فِيهَا أَوَّلَ نَبِيٍّ يَكُونُ، وَأَوَّلَ وَصِيٍّ يَكُونُ[٢]، ....

بالحجّ والعمرة والجوار.

ج ـ وإنَّ شهادتهم على الناس في قوله: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تقتضي عصمتهم لتكون شهادتهم واحدة لا اختلاف فيها كما لا تناقض في علمهم عليهم السلام.

٧ ـ المؤمن العالم بفضل سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ وتفسيرها ـ بعلمه بأنَّ ليلة القدر تنزل الملائكة والرُّوح على الأئمَّة عليهم السلام ـ هذا المؤمن فضله على غيره كفضل الإنسان على البهائم.

وإنَّ الله يدفع العذاب بهذا المؤمن عن غيره في الدُّنيا بل يؤخِّره إلى الآخرة.

ولا يخفى أنَّ تفسيره عليه السلام للآيتين إنَّما هو تفسير بالمصداق البارز كما سيتبيَّن في التوضيح.

[١] **(لقد خلق الله جلَّ ذكره):**

الخلق إمَّا بمعنى التقدير، أي لما قدَّر الله تعالى الدُّنيا قدَّر ليلة القدر معها.

وإمَّا بمعنى الإيجاد أي أوجدهما معاً.

و«الدُّنيا» يُراد بها (الحياة الدُّنيا) ويُقابلها (الحياة الآخرة)، ومن الواضح أنَّ الحياة الدُّنيا تحقَّقت بخلق آدم عليه السلام.

وأما قبل خلقه عليه السلام فلم تكن الحياة الدُّنيا، فلا حجَّة على الأرض ولا ليلة القدر، فلما خلق الله الإنسان جعل أوَّل إنسان حجَّة له وخلقه في ليلة القدر لتنزل التقديرات عليه فور خلقه.

[٢] **(ولقد خلق فيها أوَّل نبي يكون وأوَّل وصي يكون):**

أي خلق آدم في ليلة القدر، وخلق شيث أيضاً في ليلة القدر، أما خلق آدم عليه السلام فيها فلما ذكر في التعليقة السابقة.

وَلَقَدْ قَضَى[٣] أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ سَنَةٍ لَيْلَةٌ يَهْبِطُ فِيهَا بِتَفْسِيرِ الْأُمُورِ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ، مَنْ جَحَدَ ذَلِكَ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَهُ[٤]، لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ الْأَنْبِيَاءُ[٥] ....

وأمّا خلق شيث عليه السلام فيها، فلعلّه لأجل أنّ الله تعالى أراد أن يبيّن التلازم بين ليلة القدر وبين الأوصياء عليهم السلام.

[٣] **(ولقد قضى):**

لعلّ ذكر هذا المقطع هو للإشارة إلى أنّ نزول الأمر على الحجّة في ليلة القدر إنّما هو لمشيئة الله تعالى ذلك، لعلمه بكمال المصلحة، وإلّا فإنّ الله تعالى قادر على إجراء التقديرات من دون هذه التشريفات، ولكنّه قضى أن يكون هذا العالم عالم الأسباب والمسبّبات، فجعل لكلِّ شيء سبباً وهو القيُّوم على كلِّ شيء.

[٤] **(فقد ردَّ على الله عزَّ وجلّ علمه):**

«الجحد» هو إنكار ما يعلمه من الحقّ، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾(١).

و«الردَّ» بمعنى الرفض وعدم القبول، ولعلَّ المُراد من (ردَّ علم الله) هو ردّ ما أنزله الله تعالى ـ بعلمه ـ حول ليلة القدر، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾(٢).

[٥] **(لأنّه لا يقوم الأنبياء...):**

الظاهر أنَّ هذا تعليل لقوله: (ولقد قضى أن يكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور...) إلخ.

والمعنى أنَّ قوام أمر الأنبياء والأوصياء إنَّما هو بما يعلِّمهم الله تعالى، وهذا العلم يهبط إليهم في ليلة القدر عبر الملائكة والرُّوح، وفي سائر

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٦.

وَالرُّسُلُ وَالْمُحَدَّثُونَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ[٦] بِمَا يَأْتِيهِمْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، مَعَ الْحُجَّةِ الَّتِي يَأْتِيهِمْ بِهَا جَبْرَائِيلُ عليه السلام. قُلْتُ وَالْمُحَدَّثُونَ أَيْضاً يَأْتِيهِمْ جَبْرَائِيلُ أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عليهم السلام؟ قَالَ: أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ[٧] ـ صَلَّى اللَّهُ

الأوقات عبر جبرائيل عليه السلام، لأنَّهم عليهم السلام كُلِّفوا بالتبليغ وهو يتوقف على علمهم بما يبلِّغونه، وكذا لا بُدَّ من علمهم بأُمور أُخرى ترتبط بالتبليغ أو بغيره، وكل علومهم إنَّما هي من الله تعالى، قال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾(١).

[٦] **(إلَّا أن تكون عليهم حجَّة):**

أي دليل وبرهان علمي، كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾(٢)، وتلك الحجَّة كانت علمه الذي حاجَّ به قومه، المذكورة في الآيات السابقة: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣).

وقوله: (عليهم حجة) بمعنى لهم الحجَّة، أو بتضمين (تكون) معنى (تنزل) أي تنزل عليهم حجَّة.

[٧] **(قال: أمَّا الأنبياء والرُّسل...):**

لما كان البعض يزعم أنَّ نزول جبرائيل عليه السلام على شخص دليل النُّبوَّة، فلدفع هذا التوهّم قدَّم الإمام عليه السلام مقدِّمة، وهي أنَّه لا شكَّ في نزول جبرائيل على الأنبياء والرُّسل، وأمَّا على غير الأنبياء والرُّسل فقد نزل جبرائيل لا بالنُّبوَّة كتمثُّله لمريم عليها السلام وحديثه معها، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾(٤)، فلا مانع من نزوله على الأوصياء،

---

(١) سورة النِّساء: الآية ١١٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٣.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٨٠ ـ ٨٢.

(٤) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

عَلَيْهِمْ - فَلَا شَكَّ، وَلَا بُدَّ لِمَنْ سِوَاهُمْ[٨] مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ خُلِقَتْ فِيهِ الْأَرْضُ إِلَى آخِرِ فَنَاءِ الدُّنْيَا أَنْ تَكُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ حُجَّةٌ يَنْزِلُ ذَلِكَ[٩] فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى مَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ. وَأَيْمُ اللَّهِ، لَقَدْ نَزَلَ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ بِالْأَمْرِ

كما لا إشكال في نزول سائر الملائكة عليهم وتحديثهم، لأنَّ التحديث لا يلازم النُّبوَّة.

بل حيث وجب أن تكون حجَّة على أهل الأرض من لدن أوَّل إنسان إلى انقراض البشر، فإنَّ الله عيَّن الحجج وأنزل عليهم في ليلة القدر كلّ أمر، وهؤلاء الحجج هم أولياء الله وأحبَّاؤه.

[٨] **(ولا بُدَّ لمن سواهم):**

أي سائر الناس لا بُدَّ أن تكون عليهم حجَّة، فإن كان الأنبياء موجودين فهم الحجَّة، وإلَّا فالحجَّة وصيٌّ من أوصيائهم.

فقوله: (لا بُدَّ لمن سواهم) أي غير الأنبياء والرُّسل يحتاجون إلى الحجَّة، أمَّا الأنبياء والرُّسل فلا يحتاجون إلى حجَّة لأنَّهم أنفسهم الحجَّة.

فحاصل الجملة: أنَّ الأنبياء والرُّسل تنزل عليهم الملائكة بلا شكَّ وجميع المسلمين متفقون على ذلك، أمَّا سائر الناس فلا بُدَّ لهم من حجَّة تنزل عليهم الملائكة وهو عبد أحبَّه الله، فإن كان في الأرض نبيٌّ فهو الذي تنزل عليه، وإن لم يكن في الأرض نبيٌّ فتنزل على من يحبّه الله من الأوصياء.

والضمير العائد على الموصول في قوله: (لمن سواهم) تمَّ تبديله بالاسم الظاهر في قوله: (أن تكون على أهل الأرض) أي «ولا بُدَّ لمن سواهم أن تكون عليهم حجَّة»، وفي الجملة احتمالات أُخرى.

[٩] **(ينزل ذلك):**

أي ذلك الأمر في قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَى آدَمَ، وَأَيْمُ اللَّهِ مَا مَاتَ آدَمُ إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ، وَكُلُّ مَنْ بَعْدَ آدَمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ أَتَاهُ الْأَمْرُ فِيهَا، وَوُضِعَ لِوَصِيِّهِ مِنْ بَعْدِهِ[١٠]، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ لَيُؤْمَرُ[١١] فِيمَا يَأْتِيهِ مِنَ الْأَمْرِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ أَوْصِ إِلَى فُلَانٍ، وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[١٢] فِي كِتَابِهِ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٣]

---

[١٠] **(ووضع لوصيه من بعده):**

(وُضع) بالمجهول، أي وُضع - في ليلة القدر - الأمر لوصيه من بعده.

إمَّا بمعنى تقدير كونه وصيّاً، أو بمعنى تقدير نزول الأمر عليه - ولا يخفى تلازم الأمرين -.

وفي العبارة احتمالات أُخرى.

[١١] **(إن كان النبي ليُؤمر):**

«إن» مخفَّفة من المثقلة، واللام في (ليُؤمر) فارقة، لتدلَّ على أنَّ (إن) مخفَّفة، لا نافية.

[١٢] **(ولقد قال الله عزَّ وجلَّ):**

وجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة أنَّ الله تعالى قد قضىٰ أن يجعلهم خلفاء الرَّسول ﷺ، في العلم والدِّين والعبادة، فلا بُدَّ من نزول الأمر عليهم في ليلة القدر، ليعلموا ما علمه الرَّسول ﷺ، وليحكموا بما حكم، وليعبدوا الله كما عَبَده الرَّسول ﷺ، كما جعلهم الله تعالى خلفاء الرَّسول ﷺ في سلطانه.

[١٣] **(فأولئك هم الفاسقون):**

الآيـة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[(١)].

فسَّر الإمام عليه السلام الآية بالمصداق، وهذا لا ينافي عموم الآية فقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ كما يشمل الاستخلاف في السلطنة، كذلك من مصاديقه الاستخلاف في العلم، والاستخلاف في الدِّين، والاستخلاف في العبادة، فهم ورثوا كلّ شيء عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أنهم ليسوا بأنبياء.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أبرز مصاديقه الأئمَّة عليهم السلام، وكمال ظهور هذا الاستخلاف إنَّما هو عند ظهور الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، فلذا وردت تفسيرها تارة بالمهدي عليه السلام، وتارة بالأئمَّة عليهم السلام، وتارة بأصحاب القائم عليه السلام، وتارة بالمؤمنين الذين يرجعون إلى الدُّنيا بعد ظهوره عليه السلام[(٢)]، ولا تنافي بين الروايات لأنَّها ذكرت مختلف المصاديق.

وقوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ أيضاً التمكين في العلم من مصاديق التمكين في الأرض، كما أنَّ من مصاديقه السلطة على العالم بأن يسيطر الدِّين في كلّ الأرض بلا مزاحم ولا خوف.

ثمَّ إنَّ بعض العامَّة زعم أنَّ الآية نزلت في الصحابة الذين فتحوا البلدان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيُقال لهم: إنَّ قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ إن كان المراد كلّ الأرض فإنَّ هذا لم يحدث في عصرهم ولا لحدِّ الآن، بل غالب الأرض هي بيد الكفَّار.

وإن كان المراد بعض الأرض، فنزولها في فتوح رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصَّة فتح مكَّة أولى، إذ لا يُعادل فتح أي بلد فتح مكَّة، حيث سمَّاه الله الفتح المبين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[(٣)]، وهي بيت الله وطهَّرها الرَّسول صلى الله عليه وآله من

---

(١) سورة النُّور: الآية ٥٥.

(٢) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٧، ص١١٢ فما بعد.

(٣) سورة الفتح: الآية ١.

[النّور: ٥٥]، **يَقُولُ: أَسْتَخْلِفُكُمْ لِعِلْمِي وَدِينِي وَعِبَادَتِي[١٤] بَعْدَ نَبِيِّكُمْ، كَمَا اسْتَخْلَفَ وُصَاةَ آدَمَ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى يَبْعَثَ النَّبِيَّ الَّذِي يَلِيهِ، ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ يَقُولُ: يَعْبُدُونَنِي بِإِيمَانٍ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ[١٥]، فَمَنْ**

الأصنام، فهذا الفتح أهم وأعظم من فتح بلاد الروم وفارس ومصر وغيرها.

على أنَّ بعض العامَّة فسَّرها بفتح مكَّة ـ على ما رواه الطبري في تفسيره(١) ـ، فترك هذا القول واختيار أنَّ المراد بها فتح تلك البلدان لتكون فضيلة للصحابة، ومن غير دليل من سُنّة، ليس إلّا بسبب التعصُّب، وقانا الله منه.

[١٤] **(لعلمي وديني وعبادتي):**

«الدِّين» إمَّا من عطف الخاص على العام، إذ الدِّين هو جزء من علومه ﷺ، أو المراد «بالدِّين» تطبيقه العملي، أو الدفاع عنه.

و«العبادة» أي تطبيقها عملاً، أو تعليم النَّاس طريقتها، أو ذود البدع عنها.

[١٥] **(بإيمان لا نبيّ بعد محمَّد ﷺ):**

«إيمان» مضاف، وجملة (لا نبيّ بعد محمَّد) مضاف إليه، ولعلَّه بتقدير (أن) أي: بإيمان أن لا نبيّ... إلخ.

والمراد أنَّ الإنسان يجب أن يعبد الله تعالى كما أراد سبحانه لا كما يريده الإنسان.

فمن آمن بنبي بعد محمَّد ﷺ فقد أشرك بالله لأنَّه جعل أمر تعيين النَّبيّ إلى غير الله.

ومن يصلِّي إلى غير القبلة صلاته باطلة حتَّى وإن اجتهد فيها وخشع وبكى، لأنَّها عبادة لا يريدها الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري: ج١٩، ص٢٠٩.

قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ[١٦] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾، فَقَدْ مَكَّنَ وُلَاةَ الْأَمْرِ بَعْدَ

وبهذا يُجاب عن إشكالٍ حاصله: أنَّ بعض الكفَّار يجتهدون في عبادتهم ويخدمون البشرية فهل يعقل أن لا يدخلوا الجنَّة، ويدخلها المسلمون وبعضهم عبادتهم مقتصرة على الواجبات فقط ووجوده لا نفع فيه؟

فيُقال: إنَّه لا أحد له حقّ على الله بالثواب والجنَّة، بل الثواب تفضّل منه تعالى، فإنَّ العباد لو اجتهدوا في عبادته لم يتمكّنوا من أداء حقّ نعمة من نِعمه، وعبادتهم شكر له على إنعامه، فلا يستحقّون على هذه العبادة شيئاً آخر، والوعد بالجنَّة إنَّما هو تفضُّل آخر منه تعالى.

نظير من يتصدَّق على فقير ثم يقول له: إن شكرتني ضاعفت صدقتي لك، فأصل الإعطاء تفضُّل، ومجازاة شكره بإعطاء آخر تفضُّل آخر.

والله تعالى إنَّما وعد الثواب بشروط، فمن لم يوفِ تلك الشروط لا يستحقّ شيئاً وإن فعل ما فعل، بل يستحقّ العقاب مثل أن تستأجر شخصاً لشقِّ طريق إلى قرية فقام بتبليط طريق إلى مدينة أُخرى، فهو لا يستحقّ عليك شيئاً لأنَّك وعدته بالمكافأة ضمن عقد خاص وهو لم يفِ بذلك العقد.

نعم يُستفاد من بعض الروايات تخفيف العذاب على المحسنين من الكفَّار، وهذا تفضُّل من الله عليهم أيضاً.

وهنا قوله: (بإيمان لا نبي بعد محمَّد) يصبُّ في هذا الاتجاه، أي هؤلاء يعترفون بالأوصياء ولكن ضمن ما يريده الله تعالى فلا يزعمون نبوَّتهم، ولا ينزلوهم عن مقاماتهم التي رتَّبها الله سبحانه لهم، فلا غلوّ ولا تقصير.

[١٦] **(فمن قال غير ذلك):**

في المرآة: والسِّر في هذا التفسير: أنَّ العامَّة لا يعتقدون مرتبة متوسطة بين مرتبة النُّبوَّة ومرتبة آحاد أهل الإيمان من الرعية، في العلم اللدُّني بالأحكام، ولهذا ينكرون إمامة أئمَّتنا، زعماً منهم أنَّهم كسائر آحاد الناس، فإذا سمعوا منهم من غرائب العلم أمراً، زعموا أنَّهم ﷺ يدَّعون

مُحَمَّدٍ[١٧] بِالْعِلْمِ، وَنَحْنُ هُمْ، فَاسْأَلُونَا فَإِنْ صَدَقْنَاكُمْ فَأَقِرُّوا، وَمَا أَنْتُمْ بِفَاعِلِينَ! أَمَّا عِلْمُنَا فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا إِبَّانُ أَجَلِنَا[١٨] ـ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ الدِّينُ مِنَّا[١٩] حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَ النَّاسِ اخْتِلَافٌ ـ فَإِنَّ لَهُ أَجَلاً مِنْ مَمَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ[٢٠]، ....

النُّبوَّة لأنفسهم، ولهذا قال هشام بن عبد الملك مشيراً إلى الإمام الباقر عليه السلام: هذا نبي أهل الكوفة(١).

[١٧] **(فقد مكَّن ولاة الأمر بعد محمَّد):**

أي مكَّنهم في أمرين:

الأوَّل: العلم وهذا أمر ظاهر للكل، يُقرّ به المخالف أيضاً إلَّا المعاندين.

الثاني: السلطة، وهذا أمر وقَّته الله وأجَّله حتَّىٰ حين.

[١٨] **(وأمَّا إبان أجلنا):**

إشارة إلى الأمر الثاني، وهو بسط سلطتهم الظاهرية على الأرض.

[١٩] **(الذي يظهر فيه الدِّين منَّا):**

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(٢) بمعنى غلبة الإسلام على سائر الأديان، أو المراد ظهور علمهم بلا تقيَّة.

[٢٠] **(من ممر اللَّيالي والأيَّام):**

الأجل هو نهاية الوقت، فإنَّ مرور اللَّيالي والأيَّام توجب الوصول إلى نهاية وقت الغيبة وظهور أمر أهل البيت عليهم السلام، وفي الحديث: «لو لم يبق من الدُّنيا إلَّا يوم لطوّله الله حتَّى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً»(٣).

---

(١) المرآة: ج٣، ص٩٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٩٧.

إِذَا أَتَى ظَهَرَ وَكَانَ الْأَمْرُ وَاحِداً[21]. وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِلَافٌ[22]، وَلِذَلِكَ جَعَلَهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ[23] لِيَشْهَدَ

---

[21] **(وكان الأمر واحداً):**

أي تنقرض سائر الأديان ويكون الدِّين كلّه لله تعالى في كلّ الكرة الأرضية، فيتحقَّق وعد الله تعالى حيث قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(1).

[22] **(أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف):**

لعلَّ المراد بـ«المؤمنين»: الأئمَّة عليهم السلام حيث إنَّ الاستشهاد بهذه الآية وصدرها ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

[23] **(ولذلك جعلهم شهداء على الناس):**

أي حيث لا اختلاف في علمهم ويتطابق بعضها مع البعض الآخر لذلك جعلهم شهداء على الناس بحيث لا يمكن ردّ شهادتهم.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(2).

استفاضت الروايات أنَّ المقصود بهاتين الآيتين: الأئمَّة عليهم السلام وقد مرَّ بعضها في (باب أنَّ الأئمَّة شهداء الله عزَّ وجلَّ على خلقه) فراجع(3).

وفي الحديث: (فإن ظننت أنَّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحِّدين، أفترى أنَّ من لا تجوز شهادته في الدُّنيا على صاع تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها بحضرة جميع الأُمم الماضية؟)(4).

---

(1) سورة الصف: الآية 9.

(2) سورة الحج: الآيتان 77 ـ 78.

(3) وراجع أيضاً تفسير البرهان: ج6، ص594 فما بعد، وكذا: ج2، ص12 ـ 15.

(4) البرهان: ج2، ص15 عن تفسير العيّاشي في تفسير سورة البقرة: الآية 143.

وقد ورد في بعض الروايات أنَّ بعض الشيعة أيضاً يشهدون ـ كما سيأتي في هذه الرواية أيضاً ـ.

والجمع بين هذه الروايات هو أنَّ الشهادة الكاملة من كلِّ الجهات هي للأئمَّة عليهم السلام، فالرسول صلى الله عليه وآله يشهد عليهم، وهم عليهم السلام يشهدون على كلّ الناس.

ولأتباعهم المخلصين أيضاً نوع شهادة على الناس، ولكنَّها في طول شهادة الأئمَّة عليهم السلام، مثلاً يشهد الأئمَّة على بعض الناس بفعل ـ وقد رآه بعض الشيعة ـ فيشهد هؤلاء أيضاً تصديقاً لشهادة الأئمَّة عليهم السلام، كما يشهد الإمام علي عليه السلام على معاصريه ويشهد معه أمثال سلمان وعمَّار، وهكذا في كلّ زمان يشهد إمام ذلك الزَّمان على كلّ معاصريه، ويُصدقه الشيعة الذين كانوا في ذلك الزَّمان.

وقد ذكرنا بعض المطالب في كتاب التفكُّر في القرآن فراجع.

ثمَّ فسَّر الإمام عليه السلام ـ في هذا الحديث ـ بعض مقاطع هذه الآية:

١ ـ قوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾، فحيث لا اختلاف بينهم إذ كلّ كلامهم مطابق للواقع، لذا جعلهم الله شهداء على الخلق، فالرسول صلى الله عليه وآله يشهد عليهم بأنَّهم قد أدّوا ما أُمروا به، وهم يشهدون على شيعتهم، والشيعة يشهدون على سائر النَّاس.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي اختاركم، وحيث إنَّه اختارهم، فلهم فضلهم، فالمؤمن الذي يؤمن بالأئمَّة عليهم السلام وبنزول الأمر عليهم في ليلة القدر هو أفضل من سائر النَّاس لأنَّ الله اختاره.

٣ ـ قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ فهؤلاء المؤمنون يجاهدون العدو ويجاهدون النَّفس، وبجهادهم هذا يدفع الله عن سائر النَّاس البلاء الدنيوي، كما أنَّ الجيش المدافع عن أهل البلد يدفع العدو حتَّى عن المتخاذلين الذين فرّوا من الجيش أو لم يشاركوا فيه، كذلك الله يدفع بالمؤمنين العذاب الدنيوي عن سائر النَّاس.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾، وحقّ الجهاد هو الجهاد العسكري مع

مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَيْنَا[٢٤]، وَلِنَشْهَدَ عَلَى شِيعَتِنَا، وَلِتَشْهَدَ شِيعَتُنَا عَلَى النَّاسِ[٢٥]، أَبَى اللَّهُ[٢٦] عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ فِي حُكْمِهِ اخْتِلَافٌ، أَوْ بَيْنَ أَهْلِ عِلْمِهِ تَنَاقُضٌ. ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٢٧]: فَضْلُ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ بِجُمْلَةِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ وَبِتَفْسِيرِهَا[٢٨] عَلَى مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْإِيمَانِ بِهَا، كَفَضْلِ الْإِنْسَانِ

الإمام المفترض الطاعة، ويكون حقّ الجهاد في زمان أئمَّة الجور هو العبادة الشاقة ـ من الحجّ والعمرة ـ، وجهاد النَّفس بحسن الجوار.

[٢٤] **(ليشهد محمَّد ﷺ علينا):**

هذا المقطع الأوّل من تفسير الإمام عليه السلام للآية.

[٢٥] **(ولتشهد شيعتنا على النَّاس):**

ذكرنا أنَّ شهادتهم في طول شهادة الأئمَّة عليهم السلام وفي بعض الأُمور، والمراد من (الشيعة) الأتباع المخلصين، الذين أطاعوا الله في كلّ شيء بالرُّكوع والسُّجود وفعل الخير والجهاد ـ كما في صدر الآية ـ.

[٢٦] **(أبىٰ الله):**

هذا تعليل لشهادتهم، أي إنَّما جعلهم شهداء لعدم اختلاف علمهم ولا تناقضهم.

[٢٧] **(ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام):**

هذا المقطع الثاني من تفسير الإمام عليه السلام للآية، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾.

[٢٨] **(بجملة ﴿إنَّا أنزلناه﴾ وتفسيرها):**

أي بمعرفته بمعناها وأنَّها تدلُّ على إمامة الأوصياء وأنَّ الأمر ينزل إليهم في ليلة القدر.

فهؤلاء كُلِّفوا بالحمل فحملوا، عكس من كلّف بالحمل ولكنَّه لم يحمل نظير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ

عَلَى الْبَهَائِمِ. وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْفَعُ بِالْمُؤْمِنِينَ بِهَا[٢٩] عَنِ الْجَاحِدِينَ لَهَا فِي الدُّنْيَا[٣٠] ـ لِكَمَالِ عَذَابِ الْآخِرَةِ[٣١] ....

يَحۡمِلُ أَسۡفَارَاۢ﴾(١).

ففضل من كُلِّف بالحمل ثمَّ حمل، على من كلّف ثمَّ لم يحمل، كفضل الإنسان على البهائم.

[٢٩] **(وإنَّ الله عزَّ وجلّ ليدفع بالمؤمنين بها):**

هذا المقطع الثالث من تفسير الإمام للآية، في قوله: ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾.

[٣٠] **(في الدُّنيا):**

أي دفع العذاب عن الجاحدين إنَّما هو في الدُّنيا فقط، لا في الآخرة، فإنَّ الله لفضله وكرمه يؤخِّر العذاب.

إمَّا كرامة لأوليائه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾(٢).

أو رحمة منه كما قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾(٣).

أو لإتمام الحجَّة كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾(٤).

أو ليعطيهم الفرصة للتوبة، قال تعالى: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾(٥).

[٣١] **(لكمال عذاب الآخرة):**

أي لتكميل العذاب عليهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٨.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٤.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

لِمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتُوبُ[٣٢] مِنْهُمْ ـ مَا يَدْفَعُ بِالْمُجَاهِدِينَ عَنِ الْقَاعِدِينَ[٣٣]، وَلَا أَعْلَمُ[٣٤] أَنَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ[٣٥] جِهَاداً إِلَّا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَالْجِوَارَ.

إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[١]، لأنَّ العذاب في الآخرة أشدّ على من لم يعذَّب في الدُّنيا.

وفي الأحاديث أنَّ من أُجري عليه الحدّ في الدُّنيا لذنب اقترفه، لا يعذَّب على ذلك الذنب في الآخرة «فإنَّ الله أكرم من أن يجمع عقوبتين على ذنب واحد» ـ كما في الحديث ـ[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٣].

[٣٢] (لمن علم أنَّه لا يتوب):

أما من علم بأنَّه يتوب لو أخَّر العذاب عنه، فإنَّ التأخير إنَّما هو للطف به، كدفع العذاب عن قوم يونس، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٤].

[٣٣] (ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين):

أي كما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين، لأنَّ القاعد يستفيد من فوائد الجهاد من الأمن وعدم تسلُّط العدو... وغير ذلك.

[٣٤] (ولا أعلم):

هذا المقطع الرابع من تفسير الإمام ﷺ للآية، في قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

[٣٥] (في هذا الزمان):

حيث السلطة لحكَّام الجور، ولا جهاد عسكري تُحت رايتهم، بل ينحصر

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٢) راجع تهذيب الأحكام: ج١٠، ص٦.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٤) سورة يونس: الآية ٩٨.

٨ ـ قَالَ: وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ. قَالَ: لِمَاذَا؟ قَالَ: لِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ. قَالَ: قُلْ. قَالَ: وَلَا تَغْضَبْ؟ قَالَ: وَلَا أَغْضَبُ. قَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَتَنَزُّلِ

الجهاد في هذه الأزمنة بالجهاد الأكبر وهو:

أ ـ العبادات الشاقة وهي الحج والعمرة، لأنَّ فيها مشقة جسمانية، وأيضاً فيها إنفاق للأموال، عكس سائر العبادات.

ب ـ جهاد النفس وذلك بحسن الجوار، وتحمُّل أذىٰ المخالفين الجاحدين للحقّ تقيَّة أو مداراة.

الحديث الثامن:

الحديث ـ إجمالاً ـ يبيِّن ثلاث فوائد لنزول الملائكة والرُّوح في ليلة القدر على النبي صلى الله عليه وآله وعلى الأوصياء عليهم السلام من بعده.

١ ـ تفسير ما علموه، فقد علَّمهم الله تعالى علم ما كان وما يكون بشكل إجمالي، ثم يأتيهم التفصيل في ليلة القدر.

٢ ـ إنَّهم يعلمون بتكاليفهم وبما يتعلَّق بالناس، لكن تنفيذه يكون بإمضائهم في ليلة القدر، كمن يعلم بالقرار لكن يوضع القرار أمامه في ورقة ليوقِّع عليها.

٣ ـ ما فيه البداء يتمّ إبلاغهم به في ليلة القدر.

وأمَّا خلاصة الحديث حسب تسلسل سؤال السائل وجواب الإمام عليه السلام:

أوَّلاً: في المعراج علَّم الله رسوله علم ما كان وما يكون.

ثانياً: وكثير من هذا العلم كان بطريقة عامة، فكان يأتيه تفاصيلها في ليلة القدر.

ثالثاً: أنَّ هذا التفصيل إنَّما هو في كيفية تطبيق ما علموه سابقاً.

رابعاً: ولم يرحل رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا وقد أتته كلّ التفاصيل.

خامساً: إنَّه قد يمحو الله بعض التقديرات السابقة، فيتمّ إخبارهم عليهم السلام بالبداء في ليلة القدر، وقد أُمروا بكتمان هذه العلوم عن النَّاس.

الْمَلَائِكَةِ[١] وَالرُّوحِ فِيهَا إِلَى الْأَوْصِيَاءِ، يَأْتُونَهُمْ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَلِمَهُ أَوْ يَأْتُونَهُمْ بِأَمْرٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُهُ؟ وَقَدْ عَلِمْتُ[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَلَيْسَ مِنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ إِلَّا وَعَلِيٌّ عليه السلام لَهُ وَاعٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٣]: مَا لِي وَلَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَمَنْ أَدْخَلَكَ عَلَيَّ؟ قَالَ: أَدْخَلَنِي

سادساً: لا يكون علم الوصي أكثر من علم النَّبيّ، والأوصياء في العلم سواء، إذ يُخبر السابق اللاحقَ كلّ ما عنده من العلم.

سابعاً: أنَّ بعض ما علموه يحتاج إلى إمضاء في ليلة القدر ليتمّ تنفيذه.

ثامناً: أنَّ مَن لا يمكنه فهم البداء عليه أن لا يتعرَّض لسؤاله.

تاسعاً: يمكن معرفة ليلة القدر بطريقة علَّمها الإمام للراوي.

[١] **(وتنزل الملائكة)**:

«تنزل» مصدر معطوف على (ليلة) أي أرأيت قولك في تنزل الملائكة... إلخ.

وحاصل شبهته ـ كما في الوافي ـ(١):

أنَّ الجملة إن كانت مشتملة على كلّ ما اشتمل عليه التفسير، فما الذي يأتيهم في ليلة القدر من العلم؟ وإنْ لم تكن مشتملة على الجميع وكان يبقى من العلم ما لم يأتهم بعد وإنَّما يأتيهم في ليالي القدر، فيلزم أن لا يعلم الرسول ﷺ ذلك الباقي!!

[٢] **(وقد علمت)**:

أي لو كان الرسول ﷺ يعلمه، فيلزم معرفة الإمام علي عليه السلام به، لأنَّ الرسول علَّم الإمام عليّ كلّ علومه قبل وفاته، وقد قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(٢) وسيأتي أن هذه الأذن إنما هي أذن الإمام علي عليه السلام

[٣] **(قال أبو جعفر عليه السلام)**:

هذا الكلام ليس على وجه الغضب، بل لبيان صعوبة فهم السائل

---

(١) الوافي: ج٢، ص٥٨.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٢.

عَلَيْكَ الْقَضَاءُ لِطَلَبِ الدِّينِ[٤]. قَالَ: فَافْهَمْ مَا أَقُولُ لَكَ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[٥] لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ لَمْ يَهْبِطْ حَتَّى أَعْلَمَهُ اللَّهُ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ عِلْمَ مَا قَدْ كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِهِ ذَلِكَ جُمَلاً[٦] يَأْتِي تَفْسِيرُهَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَدْ عَلِمَ جُمَلَ الْعِلْمِ وَيَأْتِي تَفْسِيرُهُ فِي لَيَالِي الْقَدْرِ، كَمَا كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ السَّائِلُ[٧]: أَوَمَا

للجواب، لدقّة المطلب واحتوائه على جملة من الأسرار.

[٤] (القضاء لطلب الدِّين):
أي حكم الله تعالى بالرجوع إليكم في أُمور الدِّين، كما قال سبحانه: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

أوّلاً:

[٥] (إنَّ رسول الله ﷺ):
هذا الأمر الأوّل.

ثانياً:

[٦] (كثير من علمه ذلك جملاً):
إشارة إلى الأمر الثاني و«الجُمل» أي من غير تفصيل، إمَّا بمعنى كون العلم كليّاً وكون تطبيق الجزئيات عليهم، كما قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(٢)، أو بمعنى عدم بيان ما هو المحتوم وما فيه البداء.

ثالثاً:

[٧] (قال السائل):
إشارة إلى الأمر الثالث.

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٤.

(٢) سورة النّساء: الآية ٨٣.

كَانَ فِي الْجُمَلِ تَفْسِيرٌ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يَأْتِي بِالْأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي لَيَالِي الْقَدْرِ إِلَى النَّبِيِّ وَإِلَى الْأَوْصِيَاءِ: افْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لِأَمْرٍ قَدْ كَانُوا عَلِمُوهُ، أُمِرُوا كَيْفَ يَعْمَلُونَ فِيهِ[٨]. قُلْتُ: فَسِّرْ لِي هَذَا؟ قَالَ: لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٩] إِلَّا حَافِظاً لِجُمْلَةِ الْعِلْمِ وَتَفْسِيرِهِ. قُلْتُ: فَالَّذِي كَانَ يَأْتِيهِ

---

[٨] **(أمروا كيف يعملون فيه):**

إمَّا بمعنى كيفية التطبيق، أو بمعنى أنَّ علمهم بالتكاليف إنَّما هو في مرحلة الاقتضاء أو الإنشاء، وفي ليلة القدر يتنجز الحكم.

لأنَّ الحكم الشرعي له أربع مراحل.

مرحلة الاقتضاء: أي كونه واجداً للمصلحة ليؤمر به أو للمفسدة لينهىٰ عنه.

ومرحلة الإنشاء: أي إصدار الحكم قبل حلول وقته أو قبل تحقُّق شروطه.

ومرحلة الفعلية: وهي حلول وقت الحكم مع تحقُّق شرائطه.

ومرحلة التنجز: وهي وصول الحكم إلى المكلَّف بحيث يُثاب أو يُعاقب على الفعل أو الترك، ـ والتفصيل في أُصول الفقه ـ.

رابعاً:

[٩] **(لم يمت رسول الله ﷺ):**

إشارة إلى الأمر الرابع، فقد أعلم الله رسوله في المعراج الجمل، وفي كلّ ليلة قدر جاءه التفصيل، فلم يمت إلَّا وكلّ التفاصيل نزلت عليه.

وكأنَّ السائل لم يلتفت إلى الجواب فلذا كرَّر سؤاله بقوله: «فالذي يأتيه في ليالي القدر»، وقد غفل السائل أنَّ الذي يأتيه فيها هو التفصيل تدريجاً، وفي كلّ ليلة قدر بعض التفصيل، حتى كمل كلّ التفاصيل في آخر ليلة قدر قبل وفاته، ولذا أجابه الإمام بطريقة أُخرى حيث قال: «الأمر واليسر. . .»إلخ.

فِي لَيَالِي الْقَدْرِ عِلْمُ مَا هُوَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ وَالْيُسْرُ فِيمَا كَانَ قَدْ عَلِمَ[١٠]. قَالَ السَّائِلُ: فَمَا يَحْدُثُ لَهُمْ فِي لَيَالِي الْقَدْرِ عِلْمٌ سِوَى مَا عَلِمُوا[١١]؟ قَالَ: هَذَا مِمَّا أُمِرُوا بِكِتْمَانِهِ[١٢] ....

---

[١٠] **(الأمر واليُسر فيما كان قد علم):**

في المرآة: لعلَّ المراد أنَّه كان يعلم العلوم على الوجه الكليّ الذي يمكنه استنباط الجزئيات منه، وإنَّما يأتيه تفصيل أفراد تلك الكليات لمزيد التوضيح ولتسهيل الأمر عليه في استعلام الجزئيات[(١)] قال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾[(٢)]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[(٣)]، والقرآن نزل في ليلة القدر فتيسيره كان فيها.

خامساً:

[١١] **(علم سوى ما علموا):**

لعلَّه سؤال عن البداء بأن يمحو الله بعض التقديرات ويبدِّلها بغيرها فيخبرهم بها في ليلة القدر، فأجابه الإمام عليه السلام بأنَّ علم ما فيه البداء مختصّ بالله تعالى.

[١٢] **(هذا ما أمروا بكتمانه):**

لعلَّ المعنى: أنَّهم أمروا أن يكتموا الأُمور التي فيها البداء، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[(٤)(٥)].

---

(١) المرآة: ج٣، ص٩٧.

(٢) سورة الأعلىٰ: الآية ٨.

(٣) سورة الدخان: الآية ٥٨.

(٤) سورة الرعد، الآية ٣٩.

(٥) قرب الأسناد: ص٣٥٤، الحديث ١٢٦٦.

وَلَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ إِلَّا اللَّهُ[١٣] عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ السَّائِلُ: فَهَلْ يَعْلَمُ الْأَوْصِيَاءُ مَا لَا يَعْلَمُ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: لَا وَكَيْفَ[١٤] يَعْلَمُ وَصِيٌّ غَيْرَ عِلْمِ مَا أُوصِيَ إِلَيْهِ. قَالَ السَّائِلُ: فَهَلْ يَسَعُنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ أَحَداً مِنَ الْوُصَاةِ يَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُ الْآخَرُ؟ قَالَ: لَا، لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي جَوْفِ وَصِيِّهِ، وَإِنَّمَا تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ[١٥] فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِالْحُكْمِ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ. قَالَ السَّائِلُ: وَمَا كَانُوا عَلِمُوا ذَلِكَ الْحُكْمَ؟ قَالَ: بَلَى قَدْ عَلِمُوهُ وَلَكِنَّهُمْ لَا

قيل: معناه أنَّهم مأمورون بكتمان خصوصيات ما ينزل عليهم في ليلة القدر.

[١٣] **(ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلَّا الله):**

لعلَّ المعنى: أنَّ علم ما فيه البداء مختصّ بالله تعالىٰ، ولا يعلم أحد ما هو المحتوم وما ليس بمحتوم حتَّى حلول ليلة القدر فينزل الأمر المحتوم عليهم.

وفي هذه العبارات احتمالات أُخرى.

سادساً:

[١٤] **(قال: لا وكيف):**

أي إنَّ علم الوصي إنَّما هو عن طريق النَّبيّ أو الوصيّ الذي يسبقه، فكيف يعلم أكثر ممَّا عُلِّم؟

[١٥] **(وإنَّما تنزَّل الملائكة والرُّوح...):**

كرَّر الإمام عليه السلام الفائدة الأولى لنزول الملائكة والرُّوح على الأوصياء في ليلة القدر تأكيداً وإيضاحاً للسائل لصعوبة فهمه هذه الأُمور.

والمعنى: تفصيل ما علمه ينزل في ليلة القدر ليحكم به بين العباد، أو أنَّ الأمر الإنشائي يتحوَّل إلى أمر منجز ليتمّ الحكم به بين النَّاس.

يَسْتَطِيعُونَ[١٦] إِمْضَاءَ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمَرُوا فِي لَيَالِي الْقَدْرِ كَيْفَ يَصْنَعُونَ إِلَى السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ. قَالَ السَّائِلُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ لَا أَسْتَطِيعُ إِنْكَارَ هَذَا[١٧]؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَنْ أَنْكَرَهُ فَلَيْسَ مِنَّا. قَالَ السَّائِلُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ[١٨] أَرَأَيْتَ

سابعاً:

[١٦] **(ولكنَّهم لا يستطيعون):**

أي لا يمكنهم العمل بما علموه إلَّا بعد إذن الله تعالى أو بعد إخباره إيَّاهم بأنَّ الحكم صار محتوماً، نظير قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾(١).

ويمكن أن يكون المعنى: أنَّ الله شاء بأن يدبِّروا الأُمور بإذنه، فهم لا يقرِّرون شيئاً إلَّا بعد إذن الله تعالى، فيعلمون بالتقديرات لكنَّهم لا ينفذونها إلَّا بعد إذنه في ليلة القدر.

والنَّبي صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام أعزَّ عند الله من الملائكة وقد كلَّف بعضهم بالتدبير كما قال: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(٢)، فلا يستبعد أن تكون المدبِّرات بخدمة النَّبي وأوصيائه فينفذون ما يأمرونهم، ولا يأمرون بشيء إلَّا بعد إذن الله تعالى.

[١٧] **(لا أستطيع إنكار هذا):**

في المرآة: استفهام، أي هل إنكار ذلك غير مجوّز لي؟(٣) ويمكن أن يكون إقراراً منه.

ثامناً:

[١٨] **(قال السائل: يا أبا جعفر):**

لعلَّه سؤال عن البداء، وحيث إنَّ البداء من الأُمور العميقة التي لا يدركها

---

(١) سورة القيامة: الآيات ١٦ ـ ١٨.

(٢) سورة النازعات: الآية ٥.

(٣) المرآة: ج٣، ص٩٩.

النَّبِيِّ ﷺ هَلْ كَانَ يَأْتِيهِ فِي لَيَالِي الْقَدْرِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ عَلِمَهُ؟ قَالَ: لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ هَذَا، أَمَّا عِلْمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ فَلَيْسَ يَمُوتُ نَبِيٌّ وَلَا وَصِيٌّ إِلَّا وَالْوَصِيُّ الَّذِي بَعْدَهُ يَعْلَمُهُ، أَمَّا هَذَا الْعِلْمُ الَّذِي تَسْأَلُ عَنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَى أَنْ يُطْلِعَ الْأَوْصِيَاءَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ[١٩]. قَالَ السَّائِلُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ: كَيْفَ أَعْرِفُ[٢٠] أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ تَكُونُ فِي كُلِّ سَنَةٍ؟ قَالَ: إِذَا أَتَى شَهْرُ رَمَضَانَ فَاقْرَأْ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ فَإِذَا أَتَتْ لَيْلَةُ ثَلَاثٍ

الكثيرون، فلذلك أجابه الإمام عليه السلام بأنَّه لا يحلّ له هذا السؤال، كما نَهَوا عن التفكُّر في القضاء والقدر لمن لا يمكنه استيعاب هذه الحقيقة، وكما نُهي الجميع عن التفكُّر في ذات الله لاستحالة الإحاطة بكنهه.

ثمَّ بيَّن الإمام عليه السلام مقدار علم النَّبي والأوصياء، وأنَّهم يعلمون ما كان وما سيكون.

وأمَّا تفاصيل ما فيه البداء فهو خاص بهم عليهم السلام.

[١٩] **(يطلع الأوصياء عليه إلَّا أنفسهم):**

«يطلع» من باب الأفعال، أي بعد أن يخبر الله الوصي بتفاصيل ما فيه البداء، لا يجوز له أن يخبر أحداً إلَّا وصيّاً مثله، أو معنى (أنفسهم) خواصّهم، فلا يخبر الوصي به إلَّا الخواص الذين يتحمَّلون هذا العلم ويأذن الله في اطلاعهم.

تاسعاً:

[٢٠] **(كيف أعرف):**

إمَّا سؤال عن أصل ليلة القدر، وأنَّه كيف يمكنه إحساس هذه اللَّيلة، فإنَّ الصَّادقين قد أخبروا باستمرارها بعد وفاة النَّبي لكنَّه أراد أن يشعر بها ليطمئن قلبه، فيضيف علمه عياناً إلى علمه سماعاً.

وإمَّا سؤال عن وقت ليلة القدر، وفي هذا المقطع إلماع بأنَّ ليلة القدر هي ليلة الثالث والعشرين.

وَعِشْرِينَ فَإِنَّكَ نَاظِرٌ إِلَى تَصْدِيقِ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ[٢١].

---

[٢١] (ناظر إلى تصديق ما سألت عنه):
أي ستشاهد علامة تثبِّت لك أنَّها ليلة القدر، أو ستشاهد نزول الملائكة، وقد نُقل ـ إن صحَّ النقل ـ أنَّ أحد الأتقياء قرأ سورة الدخان بهذه الكيفية فحصلت له مكاشفة بحيث شاهد الملائكة وهي تنزل فغشي عليه من الهيبة والرهبة، لأنَّ قابليته للمشاهدة لم تكن إلَّا للحظة واحدة، والله العالم.
ويمكن أن تكون العلامة في الرؤيا، أو بشعور باطني بحيث يلهمه الله تعالى معرفتها، أو كان هذا خاصاً بالسائل جعله الإمام له ولاية ـ بإذن الله تعالى ـ.

٩ ـ وَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَمَا تَرَوْنَ[١] ....

الحديث التاسع:

حاصل الحديث: أنَّه كما تزور الملائكة خليفة الله في ليلة القدر وغيرها من الأيَّام واللَّيالي، كذلك تزور الشياطين أهل الضلالة في ليلة القدر وغيرها فيلقون إليهم الإفك والكذب فيردِّد أهل الضلالة ذلك الكذب الذي تعلَّموه من هؤلاء الشياطين، والإمام الحقّ يعلم بذلك بالتفصيل.

ثمَّ بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ نزول الملائكة ليلة القدر إنَّما هو على الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام.

ودليل ذلك قوله رسول الله صلى الله عليه وآله حول الإمام علي عليه السلام: «هذا وليّكم من بعدي فإن أطعتموه رشدتم»، فهذا ممَّا يعلمه المؤمنون، وأمَّا المخالفون فهم أصناف:

١ ـ مُصدِّق بليلة القدر، فهذا لو تأمَّل في كلام الرسول صلى الله عليه وآله لعلم بأنَّها للأئمَّة عليهم السلام.

٢ ـ من لا يؤمن بليلة القدر، فهذا منكر، وكلامه مرفوض بل عامَّة المخالفين اضطروا للإقرار بها.

٣ ـ مُصدِّق بها لكنَّه يقول بأنَّ الملائكة تنزل على كلّ الناس، فهذا باطل لأنَّ الله لا ينزل الملائكة على الكفَّار والفسقة بل تنزل عليهم الشياطين.

٤ ـ أن يقول بنزولها على الحكَّام أهل الضلال، فقوله هذا باطل لم يلتزم به حتى أهل الخلاف.

٥ ـ أن يقول بنزولهم لكن لا على أي شخص، فكلامه هذا باطل، إذ لا معنى للنزول من دون وجود مُنزل عليه.

٦ ـ أن يقول ليس منهم معرفتنا بهذه التفاصيل، فقوله هذا فرار من الاعتراف بالحق وهو ضلال بعيد.

[١] **(لما ترون):**

«اللام» ابتدائية للتأكيد، و«ما» موصولة مبتدأ، وبيانها في قوله: «من أجناد الشياطين وأزواجهم»، والخبر قوله: «أكثر ممَّا ترون. . .»، فالمعنى: الذين

مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٢] لِلشَّقَاءِ[٣] عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ مِنْ أَجْنَادِ الشَّيَاطِينِ وَأَزْوَاجِهِمْ[٤]، ....

ترون من أجناد الشياطين وأزواجهم الذين بعثهم الله على أهل الضلالة لأجل شقائهم أو ليوحون إليهم الباطل، هؤلاء أكثر ممَّا ترون من الملائكة. . . إلخ.
والرؤية هنا بمعنى العلم، أي تعلمون بنزول الشياطين على أهل الضلال أكثر من علمكم بنزول الملائكة على خليفة الله لأنَّ غالب النَّاس لا يعلمون أو ينكرون خليفة الله، والقليل يقرّ به، فالأكثر لا يعرف نزول الملائكة عليه.

[٢] **(من بعثه الله عزَّ وجلَّ):**
كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(١)
وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾(٢).
وبعثه تعالى بمعنى التخلية بينهم وبين الشياطين وعدم إيجاد المانع كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(٣).

[٣] **(للشقاء):**
أي إنَّما يخلي الله بين الشياطين وبينهم، ولا يمنع الشياطين منهم، لأجل شقوتهم باختيارهم، أي حيث اختار هؤلاء الشقاء تركهم الله وشأنهم، قال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾(٤).

[٤] **(أجناد الشياطين وأزواجهم):**
قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾(٥).
و«أزواجهم» أي أشباههم من شياطين الإنس، فكما يلتقي أهل الضلال

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢١.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٥.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٦.
(٥) سورة الشعراء: الآيتان ٩٤ ـ ٩٥.

أَكْثَرُ مِمَّا تَرَوْنَ خَلِيفَةَ اللَّهِ[٥] الَّذِي بَعَثَهُ لِلْعَدْلِ وَالصَّوَابِ[٦] مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

بشياطين الجن كذلك يلتقون بأشباههم من شياطين الإنس، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾(١).

وفي المرآة: (أرواحهم) في أكثر النسخ بالراء والحاء المهملتين، فيمكن أن يكون عطف تفسير للأجناد، لبيان أنَّهم أجسام لطيفة، أو المراد (بأرواحهم): أرواح من مات منهم من شياطين الإنس(٢).

[٥] **(أكثر ممَّا ترون خليفة الله):**

(ما) موصولة، و(من الملائكة) بيان لها، و(خليفة) منصوب بنزع الخافض أي (لخليفة الله).

والمعنى: أكثر من الملائكة الذين تعلمون نزولهم على خليفة الله، وهذا الخليفة بعثه الله للعدل والصواب.

هذا ما خطر بالبال في معنى العبارة وتركيبها ـ بمعونة الوافي والمرآة ـ.

ولا يخفى غموض العبارة ولذا احتمل العلَّامة المجلسي رحمه الله التصحيف فقال: والذي هو أصوب عندي أنَّه كان (لما يزور) في الموضعين، فصُحِّف، كما تدلُّ عليه تتمة الكلام(٣) والله العالم.

[٦] **(للعدل والصواب):**

١ ـ العدل، وهذا يتعلَّق بالحكم بين النَّاس، بأن لا يظلم.

٢ ـ الصواب، بمعنى أن يرشد النَّاس إلى الحقّ، فيهديهم إليه من غير خطأ أو تعمُّد غواية.

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤.
(٢) المرآة: ج٣، ص١٠٠.
(٣) المرآة: ج٣، ص١٠١.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨١.
(٥) سورة ص: الآية ٢٦.

قِيلَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ[٧] وَكَيْفَ يَكُونُ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: كَمَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ السَّائِلُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ إِنِّي لَوْ حَدَّثْتُ بَعْضَ الشِّيعَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ لَأَنْكَرُوهُ، قَالَ: كَيْفَ يُنْكِرُونَهُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ عليهم السلام أَكْثَرُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، قَالَ: صَدَقْتَ[٨] افْهَمْ عَنِّي مَا أَقُولُ[٩]: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ

---

[٧] **(قيل: يا أبا جعفر):**

الإمام بيّن أنَّ الذين تعلمونهم من أجناد الشياطين أكثر من الذين تعلمونهم من الملائكة التي تنزل على خليفة الله، ولم يقل إنَّ الشياطين أكثر من الملائكة، ولا تلازم بين الأكثرية في الوجود والأكثرية في الرؤية والزيارة.

لكن لما توهم السائل أنَّ مراد الإمام عليه السلام هو أنَّ عدد الشياطين أكثر من عدد الملائكة مع أنَّ الثابت أنَّ أكثر شيء خلقه الله هم الملائكة، لذلك سأل فقال: «كيف يكون شيء أكثر من الملائكة»، ولمَّا لم يكن هذا الموضوع هو المقصود من الكلام لذلك أعرض عنه الإمام وأجاب جواباً كليّاً بأنَّ كلّ شيء حسب مشيئة الله تعالى، لكن لمَّا أصرَّ السائل على سؤاله وأنَّه يريد نقل هذا الكلام إلى الشيعة، لذلك بيَّن الإمامّ سوء فهم السائل وعدم التفاته إلى كلامه عليه السلام حيث إنَّ الأكثرية في الرؤية لا في العدد.

[٨] **(قال صدقت):**

أي صدقت في أنَّ الشيعة يعتقدون بأنَّ الملائكة أكثر من الشياطين، لأنَّهم تابعون لأئمَّتهم وقد بيَّنوا لهم أنَّ الملائكة هي أكثر مخلوقات الله تعالى.

أو صدقت في إنكار الشيعة لهذه المقالة.

[٩] **(افهم عنّي ما أقول):**

أمره بالدقَّة في السماع ليفهم مراد الإمام عليه السلام، لا أن يفهم شيئاً آخر.

وحاصل كلامه عليه السلام هو التساوي بين عدد الملائكة الذين يزورون أئمَّة

وَلَا لَيْلَةٍ إِلَّا وَجَمِيعُ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ[١٠] تَزُورُ أَئِمَّةَ الضَّلَالَةِ، وَيَزُورُ إِمَامَ الْهُدَى عَدَدُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ[١١]، حَتَّى إِذَا أَتَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ـ فَيَهْبِطُ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ[١٢] إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ ....

الحق، مع الشياطين الذي يزورون أئمّة الضلال، فكلّ يوم وليلة تزور أئمّة الضلال جميع الشياطين، وأيضاً تزور بعض الملائكة ـ بعدد جميع الشياطين ـ أئمّة الحقّ عليهم السلام.

ولكن لما يحين ليلة القدر يزداد عدد الملائكة وذلك بإضافة الملائكة والرُّوح المكلَّفين بالنزول في ليلة القدر، فلذلك يضيف الله إلى عدد الشياطين مقداراً ليتساوى العددان، هذا هو ظاهر الحديث، وقيل: «إنَّ معنى العبارة هو زيادة عدد الشياطين على عدد الملائكة»، لكنَّه خلاف ظاهر.

[١٠] **(جميع الجن والشياطين):**

الشياطين هم فسقة الجن، فعطف الشياطين على الجن لعلَّه عطف للتوضيح، وأنَّ المراد من الجن هو شياطينهم، لا كلّ الجن، فإنَّ بعض الجن مؤمنون.

[١١] **(عددهم من الملائكة):**

أي بمقدارهم، وأمَّا سائر الملائكة فهم مشغولون بمهام أُخرى كلَّفهم الله بها.

[١٢] **(فيهبط فيها من الملائكة):**

أي إضافة إلى الملائكة التي تزوره في كلّ يوم يُضاف إليهم الملائكة الموكلون بليلة القدر، ولكي تبقى النسبة بين الملائكة والشياطين متساوية لذلك يخلق الله شياطين جُدُد بعدد ملائكة ليلة القدر، فتزور أئمَّة الضلال، فتتساوى عدد الملائكة مع عدد الشياطين في ليلة القدر أيضاً.

وجملة (فيهبط فيها. . . ولي الأمر) جملة معترضة، وقوله: «خلق الله. . .» جزاء «إذا أتت ليلة. . .».

ـ خَلَقَ اللَّهُ. أَوْ قَالَ: قَيَّضَ اللَّهُ[١٣] ـ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِعَدَدِهِمْ، ثُمَّ زَارُوا وَلِيَّ الضَّلَالَةِ فَأَتَوْهُ بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ[١٤]، حَتَّى لَعَلَّهُ يُصْبِحُ فَيَقُولُ[١٥]:

---

[١٣] **(أو قال: قيَّض الله):**

«قيَّض» أي أتاح وهيَّأ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ﴾(٢).

ولعلَّ الله سبحانه جعل هذه اللَّيلة من أوقات تكاثر الشياطين وذرِّية إبليس لتتساوى الكفتين ـ كفَّة الإيمان وكفَّة الكفر ـ ليتمّ الامتحان كاملاً.

[١٤] **(بالإفك والكذب):**

الإفك والكذب بمعنى واحد، إلَّا أنَّ في الإفك صرفاً عن الحق أيضاً، وقد يُستعمل الإفك في الكذب الشديد المغلَّظ.

[١٥] **(حتَّى لعلَّه يصبح فيقول):**

أي يلقون إليه الكلام لعلَّه يتأثَّر به، أو لعلَّه يظنّ أنَّه إلهام من الله تعالى فيصبح متحدِّثاً به.

ولو ذهب هذا الضالّ إلى الإمام الحقّ، لشرح الإمام له أنَّ ذلك كان من إلقاء الشيطان وبيَّن له وجه الضلال والباطل في ذلك الكلام.

ولكن هيهات، فقد طُبع على قلب أئمَّة الضلال، فلا يسألون أئمَّة الحقّ، وإن سألوهم فأجابوهم لعاندوا واستمروا في غيِّهم حتَّى يروا العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢٥.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٣.

رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا، فَلَوْ سَأَلَ[١٦] وَلِيَّ الْأَمْرِ عَنْ ذَلِكَ لَقَالَ رَأَيْتَ شَيْطَاناً أَخْبَرَكَ بِكَذَا وَكَذَا حَتَّى يُفَسِّرَ لَهُ تَفْسِيراً وَيُعْلِمَهُ الضَّلَالَةَ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا.

وَأَيْمُ اللَّهِ[١٧] إِنَّ مَنْ صَدَّقَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، لَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَنَا خَاصَّةً لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ عليه السلام[١٨] حِينَ دَنَا مَوْتُهُ: «هَذَا وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي، فَإِنْ

وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾(١).

[١٦] (فلو سأل):

أي لو سأل وليُّ الضلالة وليَّ الأمر ـ وهم الإمام الحقّ ـ عن ذلك الذي رأى وسمع، لقال له وليّ الأمر... إلخ.

[١٧] (وأيم الله):

شروع في تقسيم النَّاس إلى صنفين مؤمن ومخالف، أمَّا المؤمن فيصدّق بليلة القدر وأنّها باقية بعد الرسول ويعلم بأنَّها خاصَّة للأئمَّة عليهم السلام بمعنى نزول الملائكة والرُّوح عليهم، أمَّا المخالفون فهم على ستّة أقسام ـ سيذكرهم الإمام عليه السلام ـ.

[١٨] (لقول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام):

وجه الاستشهاد: أنَّ «الولي» هو الأولى بالأمر من أنفسهم، فلا بُدَّ من نزول الأمر إليه ليتصرَّف في مَن وليّ عليهم بالكيفية التي يأمره الله تعالى بها، ولا معنى لنزول الأمر في ليلة القدر على غيره، لأنَّ ذلك الغير لا حقّ له في التصرُّف فكيف يُؤمر بهذه الأمور.

وأيضاً لا بُدَّ من إطاعة من تنزل عليه الملائكة وتخبره بأوامر الله تعالى، فهو ينقل للنَّاس هذه الأوامر فلا بُدَّ من إطاعته، وقد قال الرسول ﷺ: «فإن أطعتموه رشدتم»، أي اهتديتم إلى سواء السبيل.

---

(١) سورة النِّساء: الآيتان ١١٩ ـ ١٢٠.

أَطَعْتُمُوهُ رَشَدْتُمْ». وَلَكِنْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ[١٩] بِمَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُنْكِرٌ. وَمَنْ آمَنَ[٢٠] بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ مِمَّنْ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا فَإِنَّهُ لَا يَسَعُهُ فِي الصِّدْقِ[٢١] إِلَّا أَنْ يَقُولَ إِنَّهَا لَنَا. وَمَنْ لَمْ يَقُلْ[٢٢] فَإِنَّهُ كَاذِبٌ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُنَزِّلَ الْأَمْرَ مَعَ الرُّوحِ وَالْمَلَائِكَةِ إِلَى كَافِرٍ فَاسِقٍ. فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ يُنَزِّلُ إِلَى

---

[١٩] **(ولكن من لا يؤمن):**

هذا القسم الأوَّل من المخالفين، فهو لا يؤمن بنزول الملائكة فيها بعد النَّبي ﷺ، فهذا منكر لها، لأنَّ عدم نزول الملائكة مساوق لعدم وجود ليلة القدر.

وهذا يحتجّ عليه بما في كتبهم وبالمشهور بينهم من بقاء ليلة القدر.

[٢٠] **(ومن آمن):**

هذا القسم الثاني من المخالفين.

[٢١] **(لا يسعه في الصدق):**

أي لا يمكنه إذا أراد أن يكون صادقاً.

[٢٢] **(ومن لم يقل):**

هذا القسم الثالث، وهو من يعترف بليلة القدر لكنَّه يزعم نزول الملائكة على كلّ النَّاس.

وهذا زعم باطل، لأنَّ الملائكة لا تنزل بالأمر إلَّا على من كان مؤمناً، وأكثر النَّاس فاسقون كفَّار، فكيف يزعم نزول الملائكة عليهم، بل الكفَّار والفسقة تتنزّل عليهم الشياطين، وإذا نزلت عليهم الملائكة فإنَّما هو للعذاب قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾(١).

والحاصل: أنَّ الله تعالى أجلّ وأعظم من أن يختار لأمره كافراً فاسقاً، وهذا ما بيَّنه الإمام عليه السلام بقوله: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعظم من أن ينزل الأمر مع الرُّوح والملائكة إلى كافر فاسق».

---

(١) سورة الحجر: الآية ٨.

الْخَلِيفَةِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا[٢٣]، فَلَيْسَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ[٢٤]. وَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَ يُنَزِّلُ إِلَى أَحَدٍ[٢٥]، فَلَا يَكُونُ أَنْ يُنَزَّلَ شَيْءٌ إِلَى غَيْرِ شَيْءٍ. وَإِنْ قَالُوا - وَسَيَقُولُونَ[٢٦] -: لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ، فَقَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً.

---

[٢٣] **(فإن قال: إنَّه ينزل إلى الخليفة التي هو عليها):**

هذا القسم الرابع، «عليها» أي على الضلالة، أو الخلافة أي الخليفة الذي يقوم بأمر الحكومة والسلطة، أو الخليفة الذي ثبت ضلاله.

[٢٤] **(فليس قولهم ذلك بشيء):**

أي هذا مخالف لما يعتقدون، فهم لا يقولون بنزول الملائكة والرُّوح على خلفائهم.

أو المعنى أنَّ هذا القول باطل، لما ذكرناه في القسم السابق، وهو أنَّ الظالم الفاسق لا قابلية له لكي تنزل عليه الملائكة، بل تنزل عليه الشياطين.

[٢٥] **(وإن قالوا إنَّه ليس ينزل إلى أحد):**

هذا هو القسم الخامس، وهو نزول الملائكة لكن لا على أحد!!، وهذا أيضاً باطل، لأنَّ النزول من غير وجود «مُنَزَّل عليه» لغو وباطل، فقوله: «فلا يكون» هو لردّ هذا الزعم، و«شيء» أي الملائكة والرُّوح، و«غير شيء» أي ينزلون من غير مُنَزّل عليه!!

[٢٦] **(وإن قالوا وسيقولون):**

هذا القسم السادس، أي سيتهرَّبون من الجواب، كأنْ يقولوا نحن غير مكلَّفين بمعرفة جواب هذا السؤال، كما قال بعضهم في حديث: «الأئمَّة اثنا عشر كلّهم من قريش» لمَّا اضطرب في تفسيره وتطبيقه على خلفائهم فتهرَّب عن الجواب بأنَّه لا يعرف هؤلاء الاثني عشر وهو غير مكلَّف بمعرفتهم!! وكأنَّ تكرار رسول الله ﷺ لهذا الحديث حتَّى تواتر لدى الفريقين كان لغواً!! والعياذ بالله.

والله الهادي إلى الصواب والحمد لله ربّ العالمين.

بَابٌ فِي أَنَّ الأَئِمَّةَ ﷺ يَزْدَادُونَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ

١ ـ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقُمِّيُّ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي: يَا أَبَا يَحْيَى إِنَّ لَنَا فِي لَيَالِي الْجُمُعَةِ لَشَأْناً مِنَ الشَّأْنِ[١]، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا ذَاكَ الشَّأْنُ؟ قَالَ: يُؤْذَنُ لِأَرْوَاحِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَوْتَى ﷺ، وَأَرْوَاحِ الْأَوْصِيَاءِ الْمَوْتَى، وَرُوحِ الْوَصِيِّ[٢] ....

الحديث الأوّل:

[١] (لشأناً من الشأن):

في المفردات: «الشأن» الحال والأمر الذي يتفق ويصلح، ولا يُقال إلّا فيما يعظم من الأحوال والأُمور(١)، وتنكيره للتفخيم، وقوله (من الشأن) مبالغة فيه ـ كذا في المرآة ـ(٢).

[٢] (وروح الوصي):

إن قلت: كيف تنفصل روح الوصي من جسمه وتعرج إلى العرش وهو بعد حيّ يُرزق؟

قلت: لا إشكال في انفصال روح الأحياء عن أجسادهم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ

---

(١) المفردات: ص٤٧٠.

(٢) المرآة: ج٣، ص١٠٤.

الَّذِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ[٣]، يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى تُوَافِيَ عَرْشَ رَبِّهَا[٤]، فَتَطُوفَ بِهِ أُسْبُوعاً، وَتُصَلِّيَ عِنْدَ كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تُرَدُّ إِلَى الْأَبْدَانِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا[٥]، فَتُصْبِحُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ قَدْ مُلِئُوا

﴿الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾(١)، والفرق بين الوفاتين أنَّ الموت هو انقطاع علقة الرُّوح بالبدن كاملاً دون النوم، فإذا جاز ذلك في النوم، جاز في غير النوم أيضاً.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾(٢)، ومما يعرج أرواحهم عليهم السلام.

[٣] **(الذي بين ظهرانيكم):**

أي المقيم فيكم، و«ظَهْرانِيّ» نسبة إلى (الظهر) على غير قياس بإضافة الألف والنون للتأكيد، كالرباني نسبة إلى الرَّبّ، وأصل المعنى الإقامة بين قوم للاستناد إليهم والاحتماء بهم كأنَّهم جعلوا ظهورهم إليه ووجوههم إلى أعدائه، ثمَّ استُعمل في مطلق الإقامة بين القوم.

[٤] **(توافي عرش ربّها):**

أي تصل إليه، يُقال: وافيت القوم إذا أتيتهم.

[٥] **(ترد إلى الأبدان التي كانت فيها):**

أمَّا الوصي الحيّ فظاهر، وأمَّا الأنبياء والأوصياء الأموات فترد إلى البدن المثالي.

ودلَّت الأحاديث أنَّ الميت يصيّر الله روحه إلى الجنَّة في صورة كصورته(٣)، وفي حديث آخر عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «فإذا قبضه الله عزَّ وجلَّ صيَّر تلك الرُّوح في قالب كقالبه في الدُّنيا فيأكلون ويشربون...» الحديث(٤)

---

(١) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الحديد: الآية ٤.

(٣) راجع البحار: ج٦، ص٢٢٩.

(٤) البحار: ج٦، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠ عن الكافي.

سُرُوراً[٦]، وَيُصْبِحُ الْوَصِيُّ الَّذِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ وَقَدْ زِيدَ فِي عِلْمِهِ مِثْلُ جَمِّ الْغَفِيرِ[٧].

وذلك إلى أن يحين يوم القيامة، وعنذاك تردّ الروح إلى الجسم الدنيوي الذي كانت فيه.

وقال العلّامة المجلسي رضوان الله عليه: اعلم أنَّ الذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة ـ إلى أن قال ـ: ثمَّ تتعلّق الأرواح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجنّ والملائكة، المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية، ـ إلى أن قال ـ: ولكن مع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة المؤيدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها[١].

[٦] **(قد ملئوا سروراً):**

وسرورهم إنَّما هو لفضل الله عليهم، ولعبادتهم له تعالى، وللكمالات التي حصلوا عليها، قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٢]، كما يفرح كلّ مؤمن بفضل الله على الرسول ﷺ وأهل بيته كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[٣]، بل يفيض الله السرور على أهل طاعته كما قال: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[٤].

[٧] **(مثل جمّ الغفير):**

أي علماً كثيراً لا يُحصى، و«الجمّ»: الكثير و«الغفير»: أي الساتر للشيء كثرة، ويُقال للجمع الكثير الساتر لوجه الأرض لازدحامه: الجم الغفير، ويجوز حذف لام التعريف من (الجم) ثمَّ إضافته لصفته وهو (الغفير)، كما يُقال: صلاة الأولى ومسجد الجامع.

---

(١) البحار: ج٦، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) سورة يونس: الآية ٥٨.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٦.

(٤) سورة الإنسان: الآية ١١.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيِّ، عَنْ يُوسُفَ الْأَبْزَارِيِّ، عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَكَانَ لَا يُكَنِّينِي قَبْلَ ذَلِكَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: إِنَّ لَنَا فِي كُلِّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ سُرُوراً. قُلْتُ: زَادَكَ اللَّهُ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَافَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَرْشَ، وَوَافَى الْأَئِمَّةُ ﷺ مَعَهُ، وَوَافَيْنَا مَعَهُمْ[١]، فَلَا تُرَدُّ أَرْوَاحُنَا إِلَى أَبْدَانِنَا إِلَّا بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ[٢]، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَنْفَدْنَا[٣].

الحديث الثاني:

[١] **(ووافى الأئمة ﷺ ووافينا معهم):**

أي وافى الأئمَّة الماضين، و«وافينا» أي الأئمَّة الأحياء، وإنَّما جاء بضمير الجمع إمَّا باعتبار الأئمَّة اللاحقين فكل من وُجد منهم مستقبلاً كان له هذا التوافي أيضاً، وإمَّا لأنَّ الإمام اللاحق ـ وهو صامت في حياة أبيه ـ أيضاً يوافي العرش مع والده، وكذا لو اجتمع أكثر من إمامين في زمان واحد فالناطق يعرج به كذلك الصامتين، أو المُراد الأنبياء الذين كانوا أئمة فتأمَّل.

[٢] **(بعلم مُستفاد):**

أي علم جديد، لأنَّه لو كان تكرار لما علموه سابقاً لم يكن مُستفاداً، بل كان تأكيداً.

[٣] **(ولولا ذلك لأنفدنا):**

«أنفد» من باب الإفعال، ومعنى الإفعال هنا هو (صار ذا أصله الذي هو مصدر الثلاثي)(١) فمعنى أنفدنا: صرنا ذوي نفاد.

وفي المفردات: (أنفدوا: فني زادهم)(٢)، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾(٣).

---

(١) شرح الشافية للرضي: ج١، ص٨٨، كما يُقال الحم زيد أي صار ذا لحم، وأغدّ البعير أي صار ذا غدّة.

(٢) المفردات: ص٨١٧، والمقاييس: ص١٠٠٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٦.

ولعلَّ معنى (لأنفدنا) هو انتهاء علمنا عند حدّ، نظير من يترك الدراسة فتبقى معلوماته السابقة من غير ازدياد لها أمَّا لو استمر فيها فإنَّه يزداد كلّ يوم علماً، والأئمَّة عليهم السلام لا يقف علمهم عند حدّ معيّن بل يزداد باستمرار، فعلمهم وإن كان محدوداً ـ لأنَّ العلم غير المحدود هو علم الله تعالى ـ لكنَّه لا يقف عند حدّ معيَّن بل تزداد حدوده دائماً.

ثمَّ إنَّ هذا العلم المُستفاد ليس من الحلال والحرام، لأنَّ الأحكام الشرعية كلّها أوحاها الله تعالى إلى رسوله، ولم يتوفَّ الرسول صلى الله عليه وآله إلَّا والدِّين كامل كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، والرسول صلى الله عليه وآله علَّمها لأمير المؤمنين عليه السلام، وعن سليمان الديلمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك سمعتك تقول غير مرَّة: لولا أنَّا نزداد لأنفدنا، قال: أمَّا الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيّه صلى الله عليه وآله بكماله، وما يزداد الإمام في حلال ولا حرام[2].

وكذا ليس في علم الوقائع والحوادث، لأنَّ الله علَّمهم علم ما كان وما يكون وما هو كائن ـ وقد مرَّ بحثه ـ.

فلعلَّ هذا العلم ١ ـ هو فيما فيه البداء، ٢ ـ أو المعرفة بالله، فإنَّها لا حدّ لدرجاتها، فيزدادون معرفة به دائماً، وهذا لا ينافي وصول يقينهم إلى أقصى درجاته كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كُشِفَ لِي الغطاء ما ازددتُ يقيناً»[3]، إذ اليقين غير المعرفة، بل هو يقين بوجوده وبصفاته وبأفعاله يقيناً ثابتاً لا زوال له بالتشكيكات والعوارض، أمَّا معرفته تعالى فحيث إنَّه تعالى غير محدود وهم عليهم السلام محدودون فلا حدّ لمعرفته أبداً، فتأمَّل.

٣ ـ ويمكن أن يكون علم ما لم يكن، ٤ ـ أو هناك علوم أُخرى لا يمكننا تصوُّرها.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) البحار: ج٢٦، ص٩٢ عن البصائر.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ج١، ص٣١٧.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ يُونُسَ أَوِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ إِلَّا وَلِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِيهَا سُرُورٌ. قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَافَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَرْشَ، وَوَافَى الأَئِمَّةُ عليهم السلام، وَوَافَيْتُ مَعَهُمْ، فَمَا أَرْجِعُ إِلَّا بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَفِدَ مَا عِنْدِي.

وفي البحار: يحتمل أن يكون بقاء ما عندهم من العلم مشروطاً بتلك الحالة، ويحتمل أن يكون «المُستفاد»: تفصيل لما علموا إجمالاً ويمكنهم استنباط التفصيل منه، أو المراد: أنَّه لا يجوز لنا الإظهار بدون ذلك ـ كما يومي إليه خبر ليلة القدر ـ، أو المراد: أنفدنا من علم مخصوص سوى الحلال والحرام ـ إلى أن قال ـ: وذلك إمَّا في المعارف الإلٰهيَّة أو من الأُمور البدائية(١).

مع احتمال أن يُراد كل ذلك وغيره.

الحديث الثالث:

والحديث هو نفس الحديث الأول، إلَّا أنه كرّره لتعدّد السند، ولاختلاف جزئي في بعض الألفاظ.

---

(١) اي الأُمور التي فيها البداء، البحار: ج٢٦، ص٨٩.

بَابُ لَوْلَا أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام يَزْدَادُونَ لَنَفِدَ مَا عِنْدَهُمْ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: كَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّا نَزْدَادُ لَأَنْفَدْنَا[١].

الحديث الأوّل:

[١] (لولا أنَّا نزداد لأنفدنا):

مرّ في الباب السابق معنى هذه العبارة.

ولعلَّ بيان هذا الأمر وفي روايات مستفيضة(١) هو درءٌ للغلو، فإنَّ الكثير من الناس لا يتحمَّلون بعض الحقائق فلا يمكنهم فهمها إلَّا بتحريفها وإخراجها عن حقيقتها، وخاصَّة في الأُمور الخارقة للعادة.

ولذا غلوا في الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لمّا كانوا يشاهدون المعاجز منهم، فغلت النصارى ـ مثلاً ـ في عيسى ابن مريم عليه السلام لمشاهدتهم إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص وإخباره عمَّا يدخِّرون في بيوتهم... إلخ مع أنَّه عليه السلام كان يؤكِّد أنَّها بإذن الله تعالى وأنَّه عبدٌ لله سبحانه.

ولعلَّه لأجل درء الغلو ركَّز القرآن الكريم على ما تُسمَّىٰ قضايا ترك الأولى التي صدرت عن الأنبياء عليهم السلام، وأيضاً التركيز على أنَّهم بشر، وأنَّ فضائلهم وخصائصهم لا توجب رفعهم إلى مرتبة الألوهيَّة والربوبية.

وهكذا الأئمَّة عليهم السلام حيث فضَّلهم الله تعالى بخصائص ومعاجز وعلوم كان

---

(١) راجع البحار: ج٢٦، ص٨٦ ـ ٩٧.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مِثْلَهُ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ ذَرِيحٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا ذَرِيحُ لَوْلَا أَنَّا نَزْدَادُ لَأَنْفَدْنَا.

ذلك مظنّة الغلوّ فيه، فلذا ركّزوا هم عليهم السلام على أنّهم بشر فضّلهم الله تعالى، وكلّ ما عندهم إنّما هو بمشيئة الله وإرادته.

رغم ذلك كلّه فقد غلى فيهم جماعة، لكنّهم شرذمة قليلة طردهم أولياء محمّد وآله (عليه وعليهم السلام).

ثمّ إنّ الغلو هو رفع بشر إلى مرتبة الألوهية والربوبيّة، أمّا التفضيل بما سوى ذلك فليس من الغلوّ بالمعنى المصطلح الموجب للكفر، نعم التفضيل يحتاج إلى دليل وإلّا كان كذباً لا غلواً.

وروي عنهم عليهم السلام: «نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم»[1] ومعنى ذلك أنّ الله تعالى حباهم بكلّ كمال ممكن لمخلوق، والمقصود هو عدم استنكار ما نُقل من فضائلهم وأحوالهم بشرط أن لا تخرجهم عن كونهم بشراً وإلّا كانت كذباً وافتراءً عليهم، وليس المقصود هو اختلاق فضيلة لهم فإنّ ذلك أيضاً كذب وافتراء.

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ص١٠١.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّا نَزْدَادُ لأَنْفَدْنَا، قَالَ: قُلْتُ: تَزْدَادُونَ شَيْئاً لَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١]؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ عَلَى الْأَئِمَّةِ[٢] ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْنَا[٣].

الحديث الثالث:

[١] **(قلت تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله):**

منشأ سؤاله أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أودع جميع علومه الإمام عليّاً عليه السلام، فإذا ازداد الأئمَّة علماً بعد ذلك فهل معناه أنَّ علومهم صارت أكثر؟

[٢] **(ثمَّ على الأئمَّة):**

أي الماضين منهم.

[٣] **(ثمَّ انتهى الأمر إلينا):**

ازديادهم من العلم يكون في ليلة القدر بنزول الملائكة والرُّوح عليهم، وفي ليلة الجمعة بعروج أرواحهم إلى العرش ـ كما مرَّ في الأحاديث السابقة ـ، وأيضاً في الأوقات الأُخرى.

وسُئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف يزداد الإمام؟ فقال: منَّا من يُنكت في أُذنه نكتاً، ومنَّا من يُقذف في قلبه قذفاً، ومنَّا من يُخاطب(١).

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام: إنَّ منَّا من يُعاين، وإنَّ منَّا لمن يُنقر في قلبه كيت وكيت، ومنَّا من يسمع بأذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست، فقلت له: مَن الذي يأتيكم بذلك؟ قال: خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل(٢).

---

(١) البحار: ج٢٦، ص٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ص٨٧.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَيْسَ يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَبْدَأَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، ثُمَّ بِوَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ، لِكَيْلَا يَكُونَ آخِرُنَا أَعْلَمَ مِنْ أَوَّلِنَا[١].

الحديث الرابع:

[١] **(لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا):**

ولعلّ سبب ذلك أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والحسنين عليهما السلام أفضل من الأئمّة اللاحقين عليهم السلام، وأهم سبب في التفضيل هو العلم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)، فلا يمكن أن يكون الأفضل أقلّ علماً من غيره.

وسيأتي أنَّهم عليهم السلام كلّهم في العلم سواء، وإنَّما تفاضلهم بغير ذلك.

وقد مرَّ تفصيل ذلك في بعض الأبواب السابقة وخاصَّة باب البداء فراجع.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام يَعْلَمُونَ جَمِيعَ الْعُلُومِ الَّتِي خَرَجَتْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عليهم السلام

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَمُّونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِلْمَيْنِ[١]: عِلْماً أَظْهَرَ عَلَيْهِ مَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، فَمَا أَظْهَرَ عَلَيْهِ مَلَائِكَتَهُ

الحديث الأوّل:

[١] (إنَّ لله تبارك وتعالى علمين):

أي خلق علمين أمّا علمه الذاتي فهو عين ذاته المقدسة وهذا لا يعرفه أحد من الخلق لعجزهم عن معرفة كنه ذاته المقدسة، كما مرّ تفصيله في كتاب التوحيد وأما العلمين المخلوفين فـ:

أحدهما: ما في اللوح المحفوظ، وهو يطابق علمه الأزلي، ولا بداء فيه، بل مذكور فيه كلّ شيء، وكذا يذكر فيه التقديرات التي ستوجد وسيبدو له فيها، وهو المعبَّر عنه بـ(أمّ الكتاب).

والثاني: ما في لوح المحو والإثبات، وهو فيه البداء، أي تذكر فيه كلّ التقديرات من غير إشارة إلى أنّها ستكون حتمية أم سيكون فيها البداء، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١]، وقد مرّ تفصيله في بحث البداء، فراجع.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

وَرُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ فَقَدْ عَلِمْنَاهُ[٢]، وَعِلْماً اسْتَأْثَرَ بِهِ[٣]، فَإِذَا بَدَا لِلَّهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ[٤] أَعْلَمَنَا ذَلِكَ، وَعَرَضَ عَلَى الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِنَا.

---

[٢] **(فقد علمناه):**

وذلك لأنّ كل علم أنزله الله على الأنبياء فإنّهم ورّثوه لأوصيائهم إلى أن وصل إلى رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله فورّثه لأوصيائه عليهم السلام، ولأنهم عليهم السلام أفضل من الأنبياء والملائكة ومن المعلوم أنَّ أهم سبب للتفضيل هو العلم فلا يمكن أن يكون المفضول أعلم من الفاضل.

ويُضاف إليه ما يُفاض عليهم في ليلة القدر وليالي الجمعة وسائر الأيّام واللّيالي - باستمرار -.

[٣] **(استأثر به):**

أي تفرَّد به، ولم يُعلمه أحداً، وهو العلم الذي لا بداء فيه. وأمّا سبب استئثاره تعالى بذلك العلم فغير معلوم لنا، ولم أجد في الروايات التصريح به، ولكنّا نعلم بأنه سبحانه حكيم فاستئثاره لحكمة وإن كنّا لا نعلمها.

ويُحتمل أن يكون العلم المستأثر هو العلم الذي عين ذاته فهذا غير قابل للانتقال قطعاً لأنه ذاته تعالى، والذات لا تنتقل كما هو بديهي وقد ذكرنا تفصيله في كتاب التوحيد وأما العلم الذي انتقل إليهم فهو علم مخلوق فتأمّل.

[٤] **(فإذا بدا لله في شيء منه):**

في مرجع ضمير «منه» احتمالان والمُراد واحد، سواء أُرجع ضمير «منه» إلى العلم الذي أظهر عليه الملائكة والرُّسل، فالمعنى: إذا بدا لله - بمعنى محو ما شاء وإظهار ما أخفاه أو إذا قدَّر تقديراً جديداً - فإنَّه سبحانه يخبر الأئمَّة عليهم السلام بذلك.

أم أُرجع ضمير «منه» إلى العلم الذي استأثر به، فالمعنى: أنَّ اللوح المحفوظ مكتوب فيه التقديرات التي يكون فيها البداء، فإذا وصل البداء إلى مرحلة الفعلية فإنَّه يخبر به الأئمَّة عليهم السلام.

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ بْنِ عَلِيٍّ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام مِثْلَهُ.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَيْنِ: عِلْماً عِنْدَهُ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، وَعِلْماً نَبَذَهُ إِلَى مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ[١]، فَمَا نَبَذَهُ إِلَى مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ فَقَدِ انْتَهَى إِلَيْنَا.

ثم لا يخفى أن بيان هذه الحقيقة في روايات كثيرة، وقد نقل عن أحد العلماء أن الروايات التي تدلّ على علمهم عليهم السلام ـ بمختلف التعبيرات والقضايا وبالمطابقة أو بالتضمن أو بالالتزام ـ تبلغ أربعة آلاف رواية، ولعلّ سبب هذا البيان هو أن (المعرفة) مطلوبة بالذات، فمعرفة الله سبحانه وصفاته على رأس المعرفة ثم معرفة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام ومقاماتهم، ولبيان سبب اختيارهم على سائر الناس، وليسهل على الناس اتباعهم لطفاً من الله ورحمة لعباده، ولغير ذلك.

الحديث الثالث:

[١] **(وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله):**

أي ألقاه إليهم، ولعلَّ استعمال (النبذ) هنا لأجل أنَّ هذا العلم لا شيء بالنسبة إلى علم الله تعالى، ففي المقاييس: يُقال: بأرض كذا نبذ من المال، أي شيء يسير، وفي رأسه نبذ من الشيب، أي يسير، كأنَّه الذي ينبذ لقلّته وصغره، وكذا النبذ من المطر(١).

---

(١) المقاييس: ص٩٧٤ مادة «نبذ».

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ ضُرَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ مَبْذُولٌ، وَعِلْمٌ مَكْفُوفٌ[١]، فَأَمَّا الْمَبْذُولُ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ تَعْلَمُهُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ إِلَّا نَحْنُ نَعْلَمُهُ، وَأَمَّا الْمَكْفُوفُ فَهُوَ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ إِذَا خَرَجَ نَفَذَ[٢].

٥ ـ أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سُوَيْدٍ الْقَلَّاءِ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ، فَمَا عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ عليهم السلام فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ.

الحديث الرابع:

[١] **(علم مكفوف):**
أي ممنوع عن الخلق

[٢] **(إذا خرج نفذ):**
«أُمّ الكتاب» اللوح المحفوظ، وخروجه من اللوح إمّا بإرسال ملك أم بالوحي والإلهام مباشرة، ونفوذه بمعنى عدم البداء فيه، فهو من المحتوم الذي لا بُدَّ من تحقُّقه ووقوعه.

بَابٌ نَادِرٌ فِيهِ ذِكْرُ الْغَيْبِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ

«الغيب» هو ما غاب عن الحواس، ويقابله «الشهادة» وهو الحضور لدى الحواس.

ثمَّ إنَّه غيب بالنسبة إلينا، وأمَّا بالنسبة إلى الله تعالى فهو عالم بكلّ شيء لا يعزب عنه مثقال ذرَّة في السَّمٰوات ولا في الأرض.

وكون الشيء غيباً: إمَّا للافتراق في الزمان فالماضي والمستقبل غيب بالنسبة إلينا، وإمَّا للافتراق في المكان فالبعيد غائب عنَّا، وإمَّا لعدم العلم بالشيء كالعلوم النظرية التي يجهلها الإنسان أو يغفل عنها فهي غائبة عنه.

وكلّ ذلك مستحيل بالنسبة إليه تعالى، فهو سبحانه محيط بالمكان والزمان، وهو العالم بكلّ شيء، بل هو المالك للغيب والشهادة، قال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾(١)، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٢).

ثمَّ إنَّ هنا أُموراً:

الأوَّل: كلّ ما في الكون لله تعالى، وقد يأذن الله للنَّاس، فيتمكنون من بعض تلك الأُمور.

والعلم من الأُمور التي شاء الله تعالى أن يجعل بعضه للناس، فجعل لهم أدوات علم الشهادة، أي أعطاهم حواساً يشعرون بها الأُمور التي تقع في

---

(١) سورة هود: الآية ١٢٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

محيط تلك الحواس، وكذا أعطاهم عقولاً وأذهاناً يشعرون بها ببعض الأمور النظرية.

فعلم الشهادة أيضاً لله، لكنّه حبى وسائله للخلق، وإذا أخذ الله سبحانه بعض هذه الحواس فإنّ الإنسان حينئذٍ يفقد بعض علم الشهادة المرتبط بتلك الحاسة، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾(٢)، أي يخلقها وهي في قبضته، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾(٣).

الثاني: إنَّ الله أعطى للناس أداة بعض علم الغيب، وهو العقل حيث نعلم به وجود الله تعالى ـ وهو من الغيب الذي يغيب عن حواسنا ـ.

وكذا جعل رسلاً وأخبرهم ببعض الغائبات ليخبرونا بها، كعلمنا بيوم القيامة ـ الذي هو من الغيب ـ، وعلمنا بأنباء الأنبياء السابقين، وبعض الحوادث المقابلة كظهور المهدي عليه السلام، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾(٤)، فالله سبحانه قد ارتضى بعض خلقه فأطلعهم على غيبه، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾(٦).

الثالث: علم الغيب كلّه خاص بالله تعالى، ولكن قد أخبر نبيّه صلى الله عليه وآله بعلم ما كان وما يكون وما هو كائن ـ كما روته الخاصّة والعامّة وقد مرّ

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٢) سورة يونس: الآية ٣١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٧.

(٦) سورة الجن: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

تفصيله ـ وهذا بعض الغيب لا كلّه، قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[(١)].

وفي مجمع البيان: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الذي يختص الله بعلمه، وإنّما أعلم قَدَر ما يُعلّمني الله تعالى من أمر البعث والنشور والجنّة والنّار وغير ذلك[(٢)].

وفي المجمع أيضاً: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ يريد ما أخبركم إلّا بما أنزله الله إليّ، عن ابن عباس، وقال الزجاج: أي ما أنبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله عزّ وجلّ[(٣)].

وقال: في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ يعني الرُّسل، فإنّه يُستدلّ على نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب، ليكون آية ومعجزة لهم، ومعناه أنَّ من ارتضاه واختاره للنُّبوّة والرِّسالة، فإنّه يُطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة، وهو قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ والرصد: الطريق، أي يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء والسلف، وعلم ما يكون بعده، طريقاً[(٤)].

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: لقد أعطيت ـ يا أمير المؤمنين ـ علم الغيب!!، فضحك، وقال للرجل ـ وكان كلبياً ـ: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنّما تعلُّم من ذي علم، وإنّما علم الغيب: علم الساعة وما عدَّده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[(٥)]، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أُنثى، أو قبيح أو جميل، أو سخي أو بخيل، أو شقي أو سعيد، ومن يكون في النّار حطباً أو في الجنان للنّبيّين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ج٤، ص٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ص٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ج١٠، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٥) سورة لقمان: الآية ٣٤.

خَلَّادٍ قَالَ: سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ فَقَالَ لَهُ: أَتَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يُبْسَطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ[١]، وَيُقْبَضُ عَنَّا

أحد إلّا الله، وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطمّ عليه جوانحي(١).

وقال العلّامة المجلسي رحمه الله: الخمسة التي وردت في الآية تحتمل وجوهاً:

١ ـ أن يكون المراد أنّ تلك الأُمور لا يعلمها على التعيين والخصوص إلّا الله تعالى.

٢ ـ أن يكون العلم الحتمي بها مختصّاً به تعالى، وكلّ ما أخبر به من ذلك كان محتملاً للبداء.

٣ ـ أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى إلّا من قبله، فيكون كسائر الغيوب، ويكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره.

٤ ـ أنّ الله لم يطلع على تلك الأُمور كلية أحداً من الخلق على وجه لا بداء فيه، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها، كليلة القدر أو أقرب من ذلك، وهذا وجه قريب، تدلّ عليه الأخبار الكثيرة، إذ لا بُدَّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت، وكذا ملائكة السحاب والمطر بوقت المطر، وكذا المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث(٢).

الحديث الأوّل:

[١] (يبسط لنا العلم فنعلم):

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾(٣)، أي التوسعة والتضييق، والكلمتان تُستعملان عادة في الرّزق، وقد تُستعملان في العلم كقوله: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾(٤).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٢٨.

(٢) البحار: ج٢٦، ص١٠٣ ـ ١٠٤ ـ باختصار وتصرُّف ـ

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

فَلَا نَعْلَمُ. وَقَالَ: سِرُّ اللَّهِ[٢] عَزَّ وَجَلَّ أَسَرَّهُ إِلَى جِبْرَائِيلَ عليه السلام، وَأَسَرَّهُ جَبْرَائِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ[٣].

ثمَّ إنَّ القبض لا يشمل ما يحتاج إليه النَّاس من العلوم، كما لا يشمل ما يُسألون عنه(١).

[٢] **(سرّ الله):**

بيان لطريقة بسط العلم لهم عليهم السلام، والمقصود أنَّ ما يعلمونه إنَّما هو تعلُّم من علم، فالله علَّمه جبرائيل عليه السلام، وجبرائيل أوصله إلى الرسول صلى الله عليه وآله.

و«سرّ الله» أي هذه العلوم خفيَّة على النَّاس، وهي علوم منسوبة إلى الله تعالى، فقد أراد أن يُكرم بها أولياءه محمَّداً وآل محمَّد (عليه وعليهم الصلاة والسلام).

وعن الشيخ المفيد رحمه الله: إنَّ الأئمَّة من آل محمَّد صلى الله عليه وآله قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في إمامتهم، وإنَّما أكرمهم الله تعالى به، وأعلمهم إيَّاه، للُّطف في طاعتهم والتسجيل بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنه وجب لهم من جهة السماع، فأمَّا إطلاق القول عليهم بأنَّهم يعلمون الغيب، فهو منكر بيِّن الفساد، لأنَّ الوصف بذلك إنَّما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلَّا لله عزَّ وجلَّ، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة، إلَّا من شذّ عنهم من المفوّضة ومن انتمى إليهم من الغلاة(٢).

[٣] **(إلى مَنْ شاء الله):**

يعني الأئمَّة عليهم السلام، وإنَّما قال: «إلى من شاء الله» إمَّا لبيان أنَّ تعليم الرسول صلى الله عليه وآله إيَّاهم كان بأمر من الله سبحانه وتعالى، أو لم يرد الإمام عليه السلام الإفصاح عن ذلك بالتفصيل تقية.

---

(١) راجع مستفيض الروايات في البحار: ج٢٦، ص١٣٧ ـ ١٥٣ وغيره.

(٢) البحار: ج٢٦، ص١٠٤ عن كتاب المسائل.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[١] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] ....

الحديث الثاني:

[١] **(يسأل أبا جعفر عليه السلام)**:

الظاهر ارتباط السؤالين أحدهما بالآخر، لأنَّ السؤال الأوَّل حول آية تنفي عنه الشريك والبنين والبنات، وتثبِّت أنَّه بكلِّ شيءٍ عليم.

والآية الثانية تُثبِّت أنَّ علم الغيب له وحده.

فكان الجواب أنَّ كلّ شيء مخلوق لله تعالى، وأنَّ علم الغيب خاص بالله، لكن تتمة الآية تدلُّ على أنَّه لا مانع من أن يُطلع الله أحداً على الغيب، فيكون تعلُّماً من ذي علم.

[٢] **(بديع السَّمٰوات والأرض)**:

قال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

فالردّ عليهم كان:

بأنَّه بديع السَّمٰوات والأرض فلا شريك له من الجنّ العاجزين عن ذلك.

وأنَّه لم تكن له صاحبة فلا معنى لأن يكون له ولد.

وأنَّه خلق كلّ شيء وهو بكلِّ شيءٍ عليم، ولا يوجد هذان الوصفان في أحد حتى يشاركه.

إذن دلَّت الآية على أنَّ العالم بكلّ شيء هو الله تعالى لا غيره وإلَّا كان شريكاً له.

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٠٠ ـ ١٠١.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٣]: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَهُ[٤]، فَابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ وَلَا أَرَضُونَ، أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[٥] [هُود: ٧]. **فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ: أَرَأَيْتَ[٦] قَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾** [الجن: ٢٦]؟ **فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٧]**

---

[٣] **(قال أبو جعفر):**

ابتدأ الإمام عليه السلام في تفسير الآية بمعنى بديع، ولكن حمران لم يدع الإمام يكمل تفسيره وذكر أنَّ مقصوده هو ما في تتمة الآية وهي قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولذا أضاف آية أُخرى تأكيداً لبيان غرضه من السؤال.

[٤] **(على غير مثال كان قبله):**

وقد مرَّ أنَّ الإيجاد والإنشاء والإبداع والإحداث والخلق و. . . بمعنى واحد ولكن الفرق ببعض الاعتبارات، فالإبداع هو إيجاد الشيء من غير مثال سابق ليحذو حذوه، فراجع.

[٥] **(وكان عرشه على الماء):**

فلو كانت سماء وأرض لكان عرشه عليها.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «كان كلّ شيء ماءً، وكان عرشه على الماء، فأمر الله عزَّ ذكره الماء فاضطرم ناراً، ثم أمر النار فخمدت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله عزَّ وجلَّ السّمٰوات من ذلك الدخان، وخلق الأرض من الرماد»(١).

[٦] **(أرأيت):**

أي أخبرني عن هذه الآية.

[٧] **(فقال أبو جعفر إلّا من ارتضى من رسول):**

أي أكْمِل الآية، ففيها جوابك، وشرح الإمام عليه السلام معنى ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وأنَّ أفضل الرُّسل هو محمَّد صلى الله عليه وآله فلا غرو أن يكون مطّلعاً

---

(١) البرهان: ج٥، ص٩٩ ـ ١٠٠ عن الكافي.

[الجن: ٢٧]، وَكَانَ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ مِمَّنِ ارْتَضَاهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَالِمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ[٨]، فِيمَا يُقَدِّرُ مِنْ شَيْءٍ[٩] وَيَقْضِيهِ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يُفْضِيَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، فَذَلِكَ يَا حُمْرَانُ: عِلْمٌ مَوْقُوفٌ عِنْدَهُ[١٠]، ....

على الغيب، ثم بيَّن الإمام ﷺ معنى الغيب، ليتبيَّن أنَّ ما يعرفه الرسول ﷺ ليس من الغيب بل هو بتعليم من الله تعالى.

[٨] **(بما غاب عن خلقه):**
فتسميته بالغيب باعتبار غيابه عن الخلق، وإلَّا فلا فرق في علم الله بين الغيب والشهود فكلّها قد أحاط بها علماً، فكان يعلمها قبل خلقها ثم كتبها في اللوح المحفوظ وفي لوح المحو والإثبات قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

[٩] **(فيما يقدر من شيء):**
أي ما يقدره ويقضيه غائب عن المخلوقات، لأنَّ ذلك في علمه سبحانه، والناس ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(٢).
فما في علمه سبحانه ـ من القضاء والقدر ـ وقبل أن يوحيه إلى الملائكة كلّ ذلك لا يعلم به أحد أصلاً.
ثمَّ إنَّ علمه بالمصالح والمفاسد لا يقيّد قدرته بل هو قادر على المحو والإثبات، فقد يمضي ما قدَّره وقضاه، وقد يمحوه بالبداء.
نعم هو سبحانه لا يمضي إلَّا ما فيه المصلحة ولا يمحو إلَّا ما تتبدَّل المصلحة فيه، لأنَّه حكيم ـ من غير تقييد لقدرته تعالى ـ.

[١٠] **(علم موقوف عنده):**
أي موقوف على مشيئته إن شاء أمضاه وإن شاء محاه كما قال: ﴿يَمْحُوا

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

إِلَيْهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ، فَيَقْضِيهِ إِذَا أَرَادَ[١١]، وَيَبْدُو لَهُ فِيهِ فَلَا يُمْضِيهِ، فَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يُقَدِّرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِيهِ وَيُمْضِيهِ فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ إِلَيْنَا[١٢].

﴿ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(١) وبيّن الإمام معنى (موقوف عنده) بقوله: «إليه فيه المشيئة...»إلخ.

[١١] **(فيقضيه إذا أراد):**

أي يجعله حتماً لا محو فيه.

[١٢] **(انتهى إلى رسول الله ﷺ ثمَّ إلينا):**

أي ما صار محتوماً أبلغنا الله به في ليلة القدر وفي ليالي الجمعة وفي سائر الأيّام، فأوّلاً يُبلِّغ الله تعالى الرسول ﷺ ـ في حياته وبعد وفاته ـ، ثم يبلغ به الأئمّة عليهم السلام واحداً واحداً.

ثمَّ إنَّ الحديث دلَّ على أنَّ العلم الموقوف عند الله تعالى، وهذا لا ينافي إخبار الله تعالى ببعض ذلك العلم الملائكة أو الرُّسل والأئمّة عليهم السلام ـ كما يظهر من أحاديث أُخرى ـ.

وذلك لأنَّ الكلام حول العلم الموقوف الذي غاب عن الخلق حيث قال عليه السلام: «فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عالم بما غاب عن خلقه فيما...»إلخ، وليس الكلام فيما لم يغب عن الأولياء ـ بتعليم من الله ـ.

كما أنَّ قوله: «فأمَّا العلم الذي يقدره...»إلخ، ليس في مقام حصر علمهم عليهم السلام بالمحتومات، بل بيان أنَّ ما يحتم فإنَّ الله يخبر به أولياءه، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا، وَأَبُو بَصِيرٍ، وَيَحْيَى الْبَزَّازُ، وَدَاوُدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا

الحديث الثالث:

في معنى الحديث احتمالات، ذكرها العلّامة المجلسي رضوان الله عليه:

الأوّل: يكون الغرض بيان عدم المنافاة: بين أن يُخفي الله عليهم في وقت من الأوقات ـ لبعض المصالح ـ بعض الأُمور الجزئية، وبين أن يكونوا متهيئين لعلم كلّ الكتاب إذا أراد الله تعالى لهم ذلك، أو يكونوا محتاجين إلى مراجعة لتحصيل بعض العلوم ولا يكون لهم جميع العلوم بالفعل.

الثاني: أن يكون الغرض بيان أنَّ ما ذكره أوّلاً كان للتقية من المخالفين، أو ضعفاء العقول من الشيعة، لئلا ينسبوهم إلى الربوبية، ولعلَّه أظهر وأوفق بسائر الأخبار. انتهى[1].

الثالث: لعلَّه قال ذلك تورية لئلا يُنسب إلى الربوبية، وأراد علماً مستنداً إلى الأسباب الظاهرة، أو علماً غير مستفاد[2].

أي عدم علمه بمكان الجارية بمعنى عدم علمه بنفسه، وهذا لا ينافي علمه بتعليم من الله تعالى بكلّ الأُمور ـ حتى الجزئية منها ـ، مع كون وظيفته عدم العمل بعلمه الواقعي، بل العمل حسب الظواهر التي يعمل بها عامَّة الناس فكما كان النَّبي صلى الله عليه وآله لا يعمل بعلمه الواقعي في القضاء بين الناس، بل بحسب البيِّنات والإيمان، وكذا في سائر أُموره العادية، كذلك الأئمَّة عليهم السلام.

ولعلَّ الحكمة في ذلك هو أن يتخذهم الناس أسوة حتى في أُمورهم العادية، وكذا عدم الغلو فيهم، وهذا هو الأقرب.

---

(١) مرآة العقول: ج٣، ص١١٤.

(٢) المرآة: ج٣، ص١١٣.

وَهُوَ مُغْضَبٌ[١]، فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ: يَا عَجَباً لِأَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ[٢]!، مَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلَانَةَ[٣] فَهَرَبَتْ مِنِّي، فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوتِ الدَّارِ هِيَ[٤]. قَالَ سَدِيرٌ: فَلَمَّا أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَصَارَ فِي مَنْزِلِهِ دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَصِيرٍ وَمُيَسِّرٌ وَقُلْنَا لَهُ: جُعِلْنَا فِدَاكَ سَمِعْنَاكَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِكَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْماً كَثِيراً، وَلَا نَنْسُبُكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ. قَالَ: فَقَالَ: يَا سَدِيرُ: أَلَمْ تَقْرَأِ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ[٥]﴾

---

[١] (وهو مغضب):

اسم مفعول، أي أغضبه شيء، إمَّا على الغلاة أو على الجارية أو لغير ذلك.

[٢] (يزعمون أنَّا نعلم الغيب):

الغلاة الذين يعتقدون بعلم الأئمَّة بالغيب استقلالاً من غير تعليم من الله وهذا كفر.

[٣] (هممت بضرب جاريتي فلانة):

إمَّا تأديباً لاستحقاقها لذلك، أو كان منه عليه السلام مجرَّد تهديد لها.

[٤] (في أي بيوت الدار هي):

«البيت» ـ هنا ـ يُراد به الحجرة، فإن كانت في الطابق العلوي قيل لها (غرفة)، ومجموع الحجرات ومنافعها تُسمَّى (داراً).

[٥] (قبل أن يرتد إليك طرفك):

في التقريب: ارتداد الطرف: رجوعه بعد النظر إلى مكانٍ ما، فإنَّ الإنسان إذا نظر إلى مكان ثمَّ أراد أن يأخذ نظره منه إلى أمام رِجله، يُقال: ارتد إليه طرفه، لأنَّ الطرف رجع إلى نفسه بعد أن كان إلى محل آخر(١).

---

(١) التقريب: ج٤، ص١٠٥.

[النمل: ٤٠] **قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُهُ، قَالَ: فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ؟ وَهَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ[٦]؟ قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِهِ؟ قَالَ: قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ[٧] فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ؟! قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ هَذَا، فَقَالَ: يَا سَدِيرُ: مَا أَكْثَرَ هَذَا؛ أَنْ يَنْسِبَهُ[٨]**

وكان ذلك حينما قال سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾(١)، وكان سليمان عليه السلام قادراً على إحضار العرش لكنَّه أراد إظهار فضل آصف على قومه(٢).

[٦] (ما كان عنده من علم الكتاب):

أي مقدار علمه من الكتاب؟، لأنَّ قوله: ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بمعنى بعضه إذ (من) تبعيضيَّة.

[٧] (قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر):

«البحر الأخضر» هو البحر المحيط باليابسة، وفي المفردات: الخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد، وهو إلى السواد أقرب، لهذا سُمِّي الأسودُ أخضرَ، والأخضرُ أسودَ(٣) وفي المقاييس: إنَّهم يسمّون الأسود أخضر، ولذلك يُسمَّى البحر خُضارة(٤).

[٨] (ما أكثر هذا أن ينسبه...):

أي بعض العلم من الكتاب كثير جداً لأنَّ الله سبحانه نسبه إلى الكتاب، فعلم آصف بن برخيا كان غزيراً لأنَّه علم من الكتاب، نعم هو كقطرة من المحيط إذا لوحظ بالنسبة إلى الكتاب كلّه.

---

(١) سورة النمل: الآيات ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) راجع البرهان: ج٧، ص٢٨٤ عن العيَّاشي.

(٣) المفردات: ص٢٨٥.

(٤) المقاييس: ص٣٠٢.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ[٩]. يَا سَدِيرُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضاً: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ[١٠]﴾ [الرّعد: ٤٣] قَالَ: قُلْتُ: قَدْ قَرَأْتُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ: أَفَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُهُ؟ قُلْتُ: لَا، بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ، قَالَ: فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: عِلْمُ الْكِتَابِ وَاللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا، عِلْمُ الْكِتَابِ وَاللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا.

---

[٩] **(إلى العلم الذي أخبرك به):**

أي علم الكتاب كله الذي سأذكره لك بتلاوة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وفي بصائر الدرجات: ما أكثره لمن لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك به(١).

[١٠] **(ومن عنده علم الكتاب):**

بدون من التبعيضية، فالمعنى علم الكتاب كلّه.

وقد مرَّ ما رواه الكليني رضوان الله عليه عن الإمام الباقر ﷺ: إنَّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنَّما كان عند آصف منها حرف واحد ـ إلى أن قال ـ ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوّة إلّا بالله(٢).

---

(١) البرهان: ج٧، ص٢٨١ عن البصائر.

(٢) الكافي: ج١، ص١٧٩، وراجع البرهان: ج٧، ص٢٧٧ فما بعد.

٤ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُصَدِّقِ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْإِمَامِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ: لَا[١]، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ[٢].

الحديث الرابع:

[١] **(فقال: لا):**
كما مرَّ فإنَّ المقصود هو أنَّهم لا يعلمون الغيب من عند أنفسهم بغير تعليم من الله، بل علمهم إنَّما هي من الله سبحانه وتعالى، وكذلك كلّ النعم عليهم وعلى غيرهم فإنَّما هي من الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾(١).
فلو سُئل الإمام عليه السلام هل إنَّ قدرتك من نفسك أم هي من الله تعالى؟ لكان الجواب ليست لي قدرة من عند نفسي بل قدرتي بفضل من الله ومَنِّه.
وحيث لا يوجد غلو في النِّعم العامَّة لذا لم يكثر الكلام حولها، وأمَّا ما خصَّهم الله تعالى به من معاجز وعلوم وعجز عنها النَّاس فقد كان ذلك سبباً للغلوّ فيهم، لذلك كثُر التركيز على أنَّها ليست من عند أنفسهم بل هي عطية من الله تعالى.

[٢] **(أعلمه الله ذلك):**
قد مرَّ أنَّ علم الحلال والحرام كلّه أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله وقد علَّم الرسول الإمام عليّاً عليه السلام كلَّه، وهكذا الأئمَّة عليهم السلام يعلمون ذلك كلّه.
وكذا «علم ما كان وما يكون وما هو كائن» قد أخبرهم الله تعالى به بواسطة رسوله أو بتحديث الملك أو الإلهام في ليلة الجمعة والقدر وغيرها.
وكذا أخبار السَّماء والأرض والجنَّة والنَّار(٢).

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٥.
(٢) قد مرّت بعض الأحاديث، وكذا راجع البحار: ج٢٦، ص١٠٩ ـ فما بعد ـ

ولكن علمه تعالى غير متناهٍ، كما أنَّه قد يكون محو في بعض التقديرات، فلو أراد الأئمَّة علم شيء منه لأعلمهم الله تعالى بذلك، وذلك كرامة من الله أكرمهم بها.

فعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «الله أكرم وأرأف بعباده من أن يفرض عليهم طاعة عبدٍ يحجب عنه خبر السَّماء صباحاً ومساءً»[1].

(١) البحار: ج٢٦، ص١٠٩ عن البصائر.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام إِذَا شَاؤُوا أَنْ يَعْلَمُوا عُلِّمُوا

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَغَيْرُهُ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ بَدْرِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ الشَّامِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَ عُلِّمَ[١].

هذا الباب من تتمة الباب السابق، إلَّا أنَّ المصنف رحمه الله جعله باباً مستقلًّا لعدم ذكر الغيب فيه فهو أعمّ.

الحديث الأوَّل:

[١] (عُلِّم):

أي علَّمه الله تعالى، وأخبره، وإنَّما جاء بالمجهول لأنَّ التعليم قد يكون بلا واسطة وقد يكون بواسطة ملك.

وقد مرَّت أحاديث دلَّت على أنَّهم عليهم السلام محدَّثون.

وعن أبي بصير عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «سمعته يقول: كان عليٌّ ـ والله ـ محدَّثاً، قال: قلت له: اشرح لي ذلك أصلحك الله، قال: يبعث الله ملكاً يوقر في أذنه كيت وكيت وكيت(١).

كما مرَّت أحاديث تدلُّ على أنَّهم خزان الله على علمه.

والروايات الدالَّة على أنَّهم لا يُحجب عنه شيء كثيرة فراجعها في البحار(٢).

---

(١) البحار: ج٢٦، ص٧١ عن البصائر.

(٢) المصدر نفسه: ج٢٦، ص١٣٧ فما بعده.

٢ ـ أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ بَدْرِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَ أُعْلِمَ[١].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا أَرَادَ الْإِمَامُ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئاً أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ.

الحديث الثاني:

[١] هذا الحديث هو نفس الحديث السابق، إلّا أنّه كرّره لتعدّد السند، ولاختلاف اللفظ: (عُلّم) و (أعلِم)، إمّا لأنَّ الإمام عليه السلام كرّر الكلام بلفظين ـ في مجلس واحد أو مجلسين ـ أو لأنَّ بعض الرواة نقل بالمعنى.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ﷺ يَعْلَمُونَ مَتَى يَمُوتُونَ وَأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا بِاخْتِيَارٍ مِنْهُمْ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمَاعَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْبَطَلِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ إِمَامٍ لَا يَعْلَمُ مَا يُصِيبُهُ[١] وَإِلَى مَا يَصِيرُ[٢]، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.

الحديث الأوّل:

[١] (ما يصيبه):
من عافية أو بلاء ونحوهما قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا...﴾(١).

[٢] (وإلى ما يصير):
لعلَّ المراد الوفاة، أي وقتها ومكانها وكيفيتها وسائر الجزئيات المتعلّقة بها.
ولعلَّ علمهم بوقت موتهم، لأجل أنَّه هذا علم «ممَّا يكون» وهم يعلمون بما يكون، وهذا فضيلة لهم وكرامة من الله، وكذا لأجل تسليم ودائع النُّبوَّة ونقل العلم إلى الإمام اللاحق، ولغير ذلك.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥٠.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ قَطِيعَةِ الرَّبِيعِ[١] مِنَ الْعَامَّةِ بِبَغْدَادَ مِمَّنْ كَانَ يُنْقَلُ عَنْهُ[٢]، قَالَ: قَالَ لِي: قَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ مَنْ يَقُولُونَ[٣] بِفَضْلِهِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ فِي فَضْلِهِ وَنُسُكِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ؟ وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: جُمِعْنَا أَيَّامَ السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ[٤] ....

الحديث الثاني:

[١] (من أهل قطيعة الربيع):

في القاموس: «القطيعة»، كشريفة: محالّ بغداد، أقطعها المنصور أُناساً من أعيان دولته ليعمروها ويسكنوها ـ إلى أن قال ـ: وقطيعتا الربيع بن يونس الداخلة والخارجة(١).

[٢] (ممّن كان ينقل عنه):

في البحار عن العيون والأمالي: قال الحسن: وكان هذا الشيخ من خيار العامّة شيخ صدِّيق [صدوق]، مقبول القول، ثقة ثقة جداً(٢).

[٣] (من يقولون):

أي الشيعة.

[٤] (السندي بن شاهك):

«شاهَك» فارسية مصغَّر «شاه»، وكان صاحب حرس هارون العباسي، وكان من دأبهم حبس الأشخاص الهامّين عند أحد قادتهم، لعدم اعتمادهم على الحبس العام، وليكون المحبوس في مسؤولية هؤلاء، ولقطع المسجون عن سائر السجناء كي لا يتأثّروا به.

---

(١) نقله عن القاموس في المرآة: ج٣، ص١١٩.

(٢) البحار: ج٤٨، ص٢١٢ عن العيون وأمالي الصدوق.

ثَمَانِينَ رَجُلاً[٥] مِنَ الْوُجُوهِ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى الْخَيْرِ[٦]، فَأُدْخِلْنَا عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام. فَقَالَ لَنَا السِّنْدِيُّ: يَا هَؤُلَاءِ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ هَلْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ[٧]؟ فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَدْ فُعِلَ بِهِ[٨] وَيُكْثِرُونَ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مَنْزِلُهُ وَفِرَاشُهُ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ غَيْرُ مُضَيَّقٍ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سُوءاً، وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِهِ أَنْ يَقْدَمَ[٩] فَيُنَاظِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا هُوَ صَحِيحٌ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي

---

[٥] **(ثمانين رجلاً):**

حال، أي جمعنا حال كوننا ثمانين رجلاً.

[٦] **(الوجوه المنسوبين إلى الخير):**

«الوجه» هو المشهور بين الناس بالصلاح، ويُقال لسيِّد القوم.

وكان الغرض هو انتشار خبر سلامته عليه السلام بحيث لا يبقى مجال لادعاء قتله، ولعلَّ تقييدهم بـ(المنسوبين إلى الخير) ليكونوا أشهر، وكلامهم أقرب إلى القبول، لأنَّ النَّاس يصدِّقون من يُنعِم عليهم - عادة -.

[٧] **(هل حدث به حدث):**

نظير ما تفعله الحكومات الغاشمة في عصرنا، حيث يضطرون إلى الاستجابة إلى المنظَّمات الدولية لحقوق الإنسان لتفقد السجون أو بعض مشاهير المساجين، فينقلوهم إلى سجون مرفَّهة تُوجد فيها المواصفات الدولية، ويرفعون عنهم الضيق فترة قبل الزيارة، ويهدِّدونهم بأن لا ينبسوا ببنت شفة، وذلك لتحسين صورة هذه الدول لدىٰ المجتمع الدولي والإعلام العالمي.

[٨] **(قد فعل به):**

أي ضُيِّق عليه، وعُذِّب وفي رواية الصدوق: (أنَّه قد فعل مكروه في ذلك).

[٩] **(ينتظر به أن يقدم):**

لأنَّ الإمام عليه السلام كان مسجوناً في البصرة، ثمَّ نقل سِرّاً إلى بغداد، وكان في سجن الفضل بن يحيىٰ البرمكي، ثمَّ أُطلق سراحه لفترة، وبعد ذلك تمَّ سجنه عند السندي بن شاهك.

جَمِيعِ أُمُورِهِ، فَسَلُوهُ[١٠]، قَالَ: وَنَحْنُ لَيْسَ لَنَا هَمٌّ إِلَّا النَّظَرُ إِلَى الرَّجُلِ وَإِلَى فَضْلِهِ وَسَمْتِهِ[١١]. فَقَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: أَمَّا مَا ذَكَرَ مِنَ التَّوْسِعَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَهُوَ عَلَى مَا ذَكَرَ[١٢]، غَيْرَ أَنِّي أُخْبِرُكُمْ أَيُّهَا النَّفَرُ: أَنِّي قَدْ سُقِيتُ

فادَّعىٰ السندي أنَّ حبسه في بيته إنَّما هو لأجل أن يحين الوقت لهارون لكي يكلِّمه و(يناظره) لعلَّ المراد به المناظرة في أمر الخلافة أو ادِّعاء الإمامة، وكان هارون خارج بغداد وقت استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام(١) ولعلّه أراد إبعاد شبهة سمّه عليه السلام عن نفسه.

[١٠] **(فسلوه):**

لأنَّ السُّمّ الذي سُقي كان بطيء المفعول، فلا يظهر أثره سريعاً، ولعلَّ الزيارة كانت في اليوم نفسه الذي سُمَّ.

[١١] **(وإلى فضله وسمته):**

أي شغلنا عن سؤاله وحسنُ منظره وفضله.

و«السمت» سيماء أهل الصلاح وهيئة أهل الخير، ولعلَّ معرفة فضله عن طريق آثار السجدة في جبهته أو أنَّ الإمام عليه السلام كلَّمهم ببعض الكلام فبان فضله لهم.

[١٢] **(فهو على ما ذكر):**

لأنَّ التضييق عليه كان في السجون السابقة، وكذا ضيَّق عليه السندي بن شاهَك قبل هذه الواقعة، بأن جعله في طامورة وقيَّده بسلسلة رضَّت ساقه لضيقها وثقلها، وقد روى ذلك السيِّد ابن طاوس في زيارته(٢).

وروى الصدوق: حمل موسى بن جعفر عليه السلام من البصرة إلى بغداد سِرّاً وحُبس، ثم أُطلق، ثمَّ سُلِّم إلى السندي بن شاهك، فحبسه وضيَّق عليه، ثمَّ بعث إليه الرشيد بسُمّ في رطب، وأمره أن يقدِّمه إليه(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٨، ص٢٤٨.

(٢) مصباح الزائر: ص٢٠٠؛ البحار: ج٩٩، ص١٧.

(٣) البحار: ج٤٨، ص٢٢٢ عن العيون.

السَّمَّ فِي سَبْعِ تَمَرَاتٍ، وَأَنَا غداً أَخْضَرُّ[١٣]، وَبَعْدَ غَدٍ أَمُوتُ. قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ يَضْطَرِبُ وَيَرْتَعِدُ مِثْلَ السَّعَفَةِ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَتَى عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام ـ لَيْلَةَ قُبِضَ فِيهَا ـ بِشَرَابٍ[١] فَقَالَ: يَا أَبَتِ اشْرَبْ هَذَا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ هَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُقْبَضُ فِيهَا، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢].

---

[١٣] (أخضرّ):

أي يظهر أثر السُّمّ في ظاهر الجسم فيتحوَّل بعض البشرة إلى الخضرة.

الحديث الثالث:

[١] (بشراب):

لعلَّه كان دواءً.

[٢] (وهي اللَّيلة التي قُبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله):

اعلم أنّه كَثُرت الأقوال في مواليد ووفيات الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام.

ففي وفاة الرسول عدَّة أقوال بين شهر صفر وربيع الأوّل(١) نعم المشهور بين الإمامية أنّه كان في يوم الاثنين في الثامن والعشرين من شهر صفر، كما قال الشيخ الطوسي في التهذيب: قبض صلى الله عليه وآله مسموماً يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشرة من الهجرة(٢).

وفي وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام أقوال منها: الثامن عشر أو الثاني

---

(١) راجع البحار: ج٢٢، ص٥١٤.

(٢) وذلك بعدم احتساب سنة الهجرة لأنّها وقعت في شهر ربيع الأوّل فعدَّ البعض السنة الأولى هي السنة التي تليها، والأكثر على أنَّ سنة الهجرة هي السنة الأولى، لذا كَثُر تفاوت سنة في التواريخ حسب هذين الحسابين.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام[١]: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَدْ

والعشرون أو الخامس والعشرون من شهر المحرَّم(١) وقيل كان يوم السبت(٢).

وعلى كلِّ حال دلَّت هذه الرواية على أنَّ ليلة وفاة الإمام زين العابدين تطابق ليلة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيمكن أن يُراد اللَّيلة حسب الأسبوع أي ليلة الاثنين، أو أنَّ وفاة الإمام زين العابدين كانت في شهر صفر والله العالم.

الحديث الرابع:

[١] **(قال: قلت للرِّضا عليه السلام):**

حاصل سؤاله: أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كيف ذهب إلى المسجد من غير سلاح ولا حرس مع علمه بأنَّ ابن ملجم مترصِّد لقتله، مع أنَّ حفظ النفس واجب؟

وأمَّا الجواب ـ حسبما يُستفاد من الروايات المتعدِّدة ـ.

١ ـ أنَّ الإمام مكلَّف بأن يعمل بعلمه الظاهري ـ أي الحاصل من الأسباب العادية المتعارفة ـ، وليس بحسب علمه الواقعي.

٢ ـ أنَّ حفظ النفس واجب بحكم الشرع، وقد يجب عدم حفظها بحكمه أيضاً، نظير المجاهد الذي يعلم بأنَّه مقتول لا محالة إن لم ينهزم، بل الفرار من الزحف من أكبر الكبائر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٣).

وقيل: إنَّ حفظ النفس واجب عقلاً، فإن كان المقصود أنَّه علَّة تامَّة فهو

---

(١) راجع البحار: ج٤٦، ص١٥١ ـ ١٥٤.

(٢) البحار: ج٤٦، ص١٥٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٦.

عَرَفَ قَاتِلَهُ[٢]، وَاللَّيْلَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا[٣]، ....

باطل بالضرورة لوجوب عدم حفظها أحياناً كما ذكرنا في المجاهد، وإن كان المقصود اقتضاء حفظ النفس للوجوب، فهذا إذا لم يكن مانع، فإن كان مانعاً ـ كما لو كان عدم الحفظ أهم ـ فلا يؤثِّر المقتضي.

٣ ـ أنَّه لا يجب حفظ النفس عند اليأس من النجاة، كمن وقع في محاصرة من يريدون قتله، مع علمه بعدم نفع الدفاع، فإنَّه لا تجب عليه المقاومة.

وكذا إذا جرى القضاء المحتوم بالموت أو القتل في وقت معيَّن من قاتل معيَّن، فمع العلم بأنَّه قضاء محتوم وأنَّه واقع لا محالة، فلا يجب الدفاع والحفظ، لعدم فائدته.

٤ ـ وقيل: لعلَّه كان من خصائصهم عدم وجوب حفظ النفس عند اختيارهم الموت لمَّا يخيِّرهم الله بين البقاء وبين لقائه.

[٢] **(قد عرف قاتله):**

والروايات بذلك مستفيضة، منها: ما رواه المفيد بإسناده عن ابن نباتة، قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام فبايعه فيمن بايع، ثمَّ أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثّق منه، وتوكَّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث ـ إلى أن قال ـ: فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

امض يا ابن ملجم فوالله ما أرى أن تفي بما قلت(١).

[٣] **(والليلة التي يُقتل فيها):**

الروايات بذلك كثيرة، منها ما روى المفيد أيضاً: سهر أمير المؤمنين عليه السلام في اللَّيلة التي قُتل في صبيحتها، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة اللَّيل على عادته، فقالت له ابنته أمّ كلثوم رحمة الله عليها: ما هذا الذي قد

---

(١) البحار: ج٤٢، ص١٩٢ ـ ١٩٣، وعن الزمخشري في أساس البلاغة في معنى البيت: هلُمّ من يعذرك منه إن أوقعت به، يعني أنّه أهل للإيقاع به، فإن أوقعت به كنت معذوراً.

وَالْمَوْضِعَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ، وَقَوْلُهُ[٤] لَمَّا سَمِعَ صِيَاحَ الْإِوَزِّ[٥] فِي الدَّارِ: صَوَائِحُ تَتْبَعُهَا نَوَائِحُ، وَقَوْلُ أُمِّ كُلْثُومٍ: لَوْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ دَاخِلَ الدَّارِ وَأَمَرْتَ

أسهرك؟ فقال: إنِّي مقتول لو قد أصبحت، فأتاه ابن النباح فأذَّنه بالصلاة، فمشى غير بعيد، ثمَّ رجع، فقالت له أُمّ كلثوم: مُرْ جعدة فليصلِّ بالناس، قال: نعم مُروا جُعدة فليصلِّ، ثمَّ قال: لا مفرَّ من الأجل، فخرج إلى المسجد. . . الحديث(١).

[٤] **(وقوله):**

مبتدأ، خبره مقدر أي مروي، أو (قوله) معطوف على (أمير المؤمنين) فيكون منصوباً، وخبره ثابتاً أو مروياً ونحوهما.

[٥] **(لما سمع صياح الإوز):**

«الإوز» جمع إوزَّة، وهي من أنواع البط.

روى المفيد أيضاً: أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد سهر تلك اللَّيلة، فأكثر الخروج والنظر إلى السَّماء، وهو يقول: والله ما كَذبت ولا كُذبت، وإنَّها اللَّيلة التي وُعدت فيها، ثمَّ عاود مضجعه، فلما طلع الفجر شدَّ إزاره وخرج وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإنَّ الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديك

فلما خرج إلى صحن داره، استقبلته الإوزّ فصحن في وجهه، فجعلوا يطردوهن، فقال: دعوهن فإنَّهنَّ نوائح(٢).

وروي أنَّه تعلَّقت حديدة على الباب في مئزره، فشدَّ إزاره وهو يقول: اشدد حيازيمك. . . البيت(٣).

---

(١) البحار: ج٤٢، ص٢٢٦ عن الإرشاد. وجُعدة أحد أصحابه.

(٢) البحار: ج٤٢، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ عن الإرشاد.

(٣) البحار: ج٤٢، ص٢٣٨ عن المناقب.

غَيْرَكَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَأَبَى عَلَيْهَا، وَكَثُرَ دُخُولُهُ وَخُرُوجُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِلَا سِلَاحٍ، وَقَدْ عَرَفَ عليه السلام أَنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ قَاتِلُهُ بِالسَّيْفِ، كَانَ هَذَا مِمَّا لَمْ يَجُزْ تَعَرُّضُهُ[٦]؛ فَقَالَ: ذَلِكَ كَانَ[٧]، وَلَكِنَّهُ خُيِّرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ[٨]، لِتَمْضِيَ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

[٦] (كلُّ ذلك ممّا لم يجز تعرُّضه):
لعلَّه استفهام من الراوي ـ الحسن بن الجهم ـ، أي ألم يكن كلّ ذلك سبباً لعدم جواز تعرُّضه عليه السلام للقتل؟

[٧] (ذلك كان):
أي كلّ ما ذكرته ـ من قضايا وقعت في ليلة استشهاده عليه السلام ـ صحيح.

[٨] (ولكنَّه خيِّر في تلك اللَّيلة):
في البحار: في بعض النسخ (خُيِّر) ـ بالخاء المعجمة ـ. أي خُيِّر بين البقاء واللقاء، فاختار اللقاء، وفي بعضها بالحاء المهملة، أي أُنسي ذلك الوقت، وفي بعضها بالحاء المهملة والنون [حُيِّن] أي كان موقتاً معلوماً متيقناً عنده، فكان لا ينفعه الفرار، وفي بعض الاحتمالات اللام لام العاقبة في (لتمضي)(١).
وفي نهج البلاغة: قال في سُحرة اليوم الذي ضُرب فيه: ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أُمَّتك من الأود واللدد، فقال: ادع عليهم، فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منِّي(٢).

---

(١) البحار: ج٤٢، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٧٠، و(السُّحرة) السحر الأعلى من آخر الليل، و(سنح بي) مرّ بي أي في الرؤيا، و(الأود) الاعوجاج، و(اللَّدد) الخصام.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[١] غَضِبَ عَلَى الشِّيعَةِ[٢] فَخَيَّرَنِي نَفْسِي أَوْ هُمْ؛ فَوَقَيْتُهُمْ وَاللَّهِ بِنَفْسِي.

الحديث الخامس:

[١] **(إنَّ الله عزَّ وجلَّ):**

قد مرَّ في باب البداء سبب الغضب، وأنَّه كان بسبب إذاعة بعضهم أمر قيام حكومة أهل البيت عليهم السلام، وكان المقدَّر أن يكون في عام مائة وأربعين، فلما أذاعوه محاه الله تعالى وأجَّله إلى أمد غير معلوم لنا(١)، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٢) ولعلَّ التقدير وإخبارهم به ثمَّ محوه، لأجل أن يتضح لهم عياناً أنَّ حكومة أهل البيت عليهم السلام إنَّما تكون حينما تكون للناس قابلية ذلك، فلئن عجزوا عن كتمان سِرٍّ فهُم في الجهاد وفي سائر المواقف أعجز، وقد أتاح الله للناس الفرصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لكنَّهم ضيَّعوها، ثمَّ أتاح لهم مرَّة أُخرى بعد مقتل عثمان، لكنَّهم «حليت الدُّنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»(٣) فنكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون وما أكثر الخاذلين، ثمَّ أتاح فرصة أُخرى بعد معاوية لكنَّهم بدل النصرة قتلوا أهل البيت وذرِّيَّتهم، وهكذا أتاح لهم الله ما أتاح، لطفاً وإتماماً للحجَّة.

[٢] **(غضب على الشيعة):**

أي أبغض فعلهم فأراد أن يعاقبهم، فخيَّر الله الإمام موسى الكاظم عليه السلام بين أن يعاقبهم بإنزال البلاء عليهم بقتلهم مثلاً، وبين أن يأخذ الإمام منهم بحيث لا يتمكَّنون من الوصول إليه وذلك بحبسه ثمَّ سمّه!!، فاختار الإمام عليه السلام بلاء نفسه شفقة عليهم، وذلك تأسياً بجدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله كما

---

(١) راجع البرهان: ج٥، ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُسَافِرٍ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ لَهُ: يَا مُسَافِرُ هَذِهِ الْقَنَاةُ فِيهَا حِيتَانٌ[١]؟ قَالَ: نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْبَارِحَةَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا عَلِيُّ مَا عِنْدَنَا خَيْرٌ لَكَ.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(١) ومفارقة الإمام عليه السلام لهم وإن كان بلاءً عظيماً عليهم أيضاً، إلَّا أنَّها أخفّ وطئة عليهم من قتلهم وتشريدهم، مضافاً إلى أنَّ ذلك قد يكون سبباً لتوبتهم فيكون نجاة لهم في الدُّنيا والآخرة، عكس ما لو كان البلاء ينزل عليهم فلعلَّه كان سبباً لخسارة الدُّنيا والآخرة كما قال: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(٢).

الحديث السادس:

[١] (هذه القناة فيها حيتان):

كان الإمام الرِّضا عليه السلام وليّاً للعهد، كان في قصر من القصور وفي القصر كلّ وسائل الرفاه الظاهري، وإن كان واقعاً محبوساً فيه، ويُقاسي ألم فراق مدينة جدِّه وأهله وعياله، ويُكابد المشاكل التي يثيرها المأمون للنيل منه.

فأراد الإمام عليه السلام أن يبيِّن لمسافر ـ وكان خادماً له ـ أنَّ ما عند الله تعالى خيرٌ من قصور الدُّنيا ورفاهها الظاهري كما قال سبحانه: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾(٣)، مضافاً إلى نعيه نفسه الشريفة لخادمه مسافر ـ وكان ممدوحاً ـ.

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) سورة الحج: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٨.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَأَوْصَانِي بِأَشْيَاءَ فِي غُسْلِهِ وَفِي كَفْنِهِ وَفِي دُخُولِهِ قَبْرَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَاهْ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ اشْتَكَيْتَ أَحْسَنَ مِنْكَ الْيَوْمَ[١]، مَا رَأَيْتُ عَلَيْكَ أَثَرَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ: أَمَا سَمِعْتَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُنَادِي مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ[٢]: يَا مُحَمَّدُ تَعَالَ عَجِّلْ.

الحديث السابع:

[١] **(أحسن منك اليوم):**

أي منذ مرضك ـ بواسطة السُّمّ ـ لم تكن بحالة جيدة كالحالة التي أنت عليها الآن.

[٢] **(ينادي من وراء الجدار):**

لا محذور في أن يكون حضوره بروحه الشريفة، أو بجسده المثالي، بل جسده العنصري.

أمَّا الأوَّل: فلأنَّ الرُّوح جسم لطيف ـ كما في بعض الروايات وقد مرَّت الإشارة إليه ـ فلا محذور في حضورها.

وأمَّا الثاني: فلما دلَّ من الروايات بأن الأرواح بعد الموت تكون في أجسام مثالية لطيفة إلى يوم القيامة حيث تعود إلى أجسامها العنصرية.

وفي البحار: إنَّ النفس باقية بعد الموت إمَّا معذَّبة إن كان محض الكفر، أو منعَّمة إن كان ممَّن محض الإيمان، أو يلهى عنه إن كان من المستضعفين، . . . ثمَّ تتعلَّق الرُّوح بالأجساد المثالية اللَّطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة ـ المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية ـ، فينعَّم ويُعذَّب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلُّقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتِّساع القبر وضيقه، وحركة الرُّوح وطيرانه في الهواء وزيارته

لأهله، ورؤية الأئمَّة ﷺ بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذَّبين، . . . وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسُّم الرُّوح لكن مع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة المؤيدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها[١].

وقال الشيخ البهائي قدَّس الله روحه: قد يتوهم أنَّ القول بتعلُّق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح أُخر ـ كما دلَّت عليه الأحاديث ـ قول بالتناسخ!!

وهذا توهم سخيف، لأنَّ التناسخ ـ الذي أطبق المسلمون على بطلانه ـ هو تعلُّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أُخرى في هذا العالم. . . أمَّا القول بتعلُّقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدَّة البرزخ، إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها ـ إمَّا بجمع أجزائها المتشتِّتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوَّل مرَّة ـ فليس من التناسخ في شيء[٢].

ثم اعلم أن هناك المسخ باصطلاح الروايات، والمسخ باصطلاح المتكلّمين، والنسخ، والفسخ، والرسخ، والثابت هو الأول، وأما الباقي فهي باطلة بالضرورة، (فالمسخ) ـ باصطلاح الروايات ـ هو عبارة عن تحوّل الإنسان حيواناً وهذا واقع في الأمم السابقة بمسخ بعضهم قردة أو خنازير وغيرهما، مع عدم بقاءها بعد مسخها أكثر من ثلاثة أيام ثم هلاكها جميعاً و(المسخ) باصطلاح المتكلّمين هو خروج روح الإنسان ودخوله في حيوان، و(النسخ) هو أن تخرج روح إنسان فتدخل في وليد جديد، و(الفسخ) هو أن تدخل الروح في شجر، و(الرسخ) هو أن تدخل في حجر، وكل ذلك باطل وقد قال به بعض المذاهب كالبوذيين[٣].

وأمَّا سماع الصوت من الرُّوح أو الجسد المثالي، فلأنَّ الإمام ﷺ لا يحجب عنه شيء، كما أنَّ المحتضر ترفع عنه الموانع فيرى ويسمع ما لا يراه ويسمعه سائر الناس الأحياء.

---

(١) البحار: ج٦، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه: ج٦، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٣) راجع موسوعة الفقه: ج٧٥، ص٤٨٠.

٨ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام[١]، حَتَّى كَانَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[٢]، ثُمَّ خُيِّرَ: النَّصْرَ أَوْ لِقَاءَ اللَّهِ؟ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى[٣].

وأمّا الثالث: فلأنَّ أجسادهم الشريفة تُرفع بعد دفنهم بثلاثة أيَّام إلى العرش ـ كما سيأتي في مستفيض الروايات ـ فلا مانع من حضورها بأرواحهم إلى هذا العالم. فتأمَّل.

الحديث الثامن:

[١] **(أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام):**
وذلك بإنزال أربعة آلاف من الملائكة ـ الملائكة الذين نزلوا في بدر(١) ـ فكان معهم النصر.

[٢] **(حتى كان ما بين السَّماء والأرض):**
أي كان النصر الذي مع هؤلاء الملائكة، (بين السَّماء والأرض) كناية عن أنَّ هؤلاء الملائكة كانوا يرفرفون فوق الإمام الحسين عليه السلام، فلا هُم كانوا على الأرض ليقاتلوا معه، ولا هم كانوا غائبين، أو هو كناية عن كثرتهم أي ملأوا ما بينهما.
وفي أحاديث كثيرة أنَّ هؤلاء الملائكة يحومون حول قبر الإمام الحسين عليه السلام شُعْث غُبْر إلى أن يظهر الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف فيقاتلون معه(٢).

[٣] **(فاختار لقاء الله تعالى):**
وإنَّما اختار لقاء الله:
١ ـ لأنَّه كان في ذلك رضا الله تعالى، فرضى الله رضاهم عليهم السلام.

---

(١) كامل الزيارات: ص١٧١.
(٢) المصدر نفسه.

---

٢ ـ ولأنَّ الآخرة خير لهم من الدُّنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[١].

٣ ـ ولأنَّ الثواب في الشهادة أكبر، ففي الحديث: «إنَّ لك درجة لا تنالها إلَّا بالشهادة»[٢] وفي حديث آخر: «إنَّ الله عوَّض الحسين عن قتله بأن جعل الشفاء في تربته واستجابة الدُّعاء تحت قبَّته والأئمَّة من ذرِّيَّته»[٣] ولغير ذلك.

---

(١) سورة الضحى: الآية ٤ .

(٢) أمالي الصدوق: ص٢١٧، المجلس الثلاثون.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٥.

بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ عليهم السلام يَعْلَمُونَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمُ الشَّيْءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ سَيْفٍ التَّمَّارِ قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةً مِنَ الشِّيعَةِ فِي الْحِجْرِ فَقَالَ: عَلَيْنَا عَيْنٌ[١]؟ فَالْتَفَتْنَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً، فَلَمْ نَرَ أَحَداً، فَقُلْنَا: لَيْسَ عَلَيْنَا عَيْنٌ، فَقَالَ: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَرَبِّ الْبَنِيَّةِ[٢] ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسَى وَالْخَضِرِ لَأَخْبَرْتُهُمَا أَنِّي أَعْلَمُ مِنْهُمَا، وَلَأَنْبَأْتُهُمَا بِمَا لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمَا، لِأَنَّ مُوسَى وَالْخَضِرَ عليهما السلام أُعْطِيَا عِلْمَ مَا كَانَ، وَلَمْ يُعْطَيَا عِلْمَ مَا يَكُونُ[٣] وَمَا هُوَ كَائِنٌ حَتَّى تَقُومَ

الحديث الأوّل:

[١] (فقال: علينا عين):

لعلَّ سؤاله، لأجل أن تطمئن قلوبهم، فلا يفزعوا عندما يستمعون إلى كلامه عليه السلام.

أو لأجل أنّهم عليهم السلام مأمورون بالعمل بالظواهر، لا بعلمهم الواقعي، و(الحِجر) هو حجر إسماعيل عليه السلام.

[٢] (وربّ البنيّة):

أي الكعبة، و(بنيّة) على وزن فعيل بمعنى مفعول ـ كصنيعة ـ.

[٣] (ولم يعطيا علم ما يكون):

أي جميع علم ما يكون، أمّا بعضه فقد أُعطي حتى سائر الناس، كعلمهم بقيام القيامة فإنّه يعلم به كلّ موحِّد، والخضر قد أُعطي علم ما ستؤول

السَّاعَةُ، وَقَدْ وَرِثْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وِرَاثَةً[٤].

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ؛ وَعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ عَبْدُ الأَعْلَى، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِشْرٍ الْخَثْعَمِيُّ، سَمِعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنِّي لأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَأَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ، وَأَعْلَمُ مَا فِي النَّارِ، وَأَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، قَالَ: ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً[١]، فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ كَبُرَ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ فَقَالَ: عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْ

إليه السفينة إن لم يخرقها، والغلام إن لم يقتله، والجدار إن انقض، لكن هذه وأشباهها شيء قليل من علم ما يكون.

أمّا الأئمّة عليهم السلام فقد أعطوا علم ما يكون وما هو كائن كلّه، مضافاً إلى علم ما كان، وقد مرّت بعض الروايات فراجع.

[٤] **(وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة)**:

أي علمنا بما كان وما يكون وما هو كائن هو عن طريق الرسول صلى الله عليه وآله، فكما نحن ورثة أمواله كذلك نحن ورثة علمه حيث علّم أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا العلوم التي تُفاض إليهم في ليالي الجمعة وليلة القدر وسائر الأوقات فهي علوم أُخرى ـ كمحو تقدير وإثبات غيره أو تحتيم المعلوم السابق ـ.

ويمكن القول: بأنّها أيضاً وراثة عن الرسول صلى الله عليه وآله لأنّها تُفاض على روحه أوّلاً ثمّ عليهم، فكانت كالإرث.

أو يُقال: إنّ إفاضتها عليهم بسبب أنّهم ورثوا مناصب الرسول ـ إلّا النُّبوّة ـ فإفاضتها كانت بسبب هذه الوراثة، فتأمّل.

الحديث الثاني:

[١] (هنيئه):

تصغير (هنو) بمعنى قطعة من الزمان.

كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٢]، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ جَمَاعَةَ بْنِ سَعْدٍ الْخَثْعَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُفَضَّلُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ الْمُفَضَّلُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَفْرِضُ اللَّهُ طَاعَةَ عَبْدٍ عَلَى الْعِبَادِ وَيَحْجُبُ عَنْهُ خَبَرَ السَّمَاءِ[١]؟ قَالَ: لَا، اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَرْحَمُ

---

[٢] **(علمت ذلك من كتاب الله عزَّ وجلَّ):**
أي كلّها تُوجد في باطن القرآن، ولكنَّكم لا تمتلكون أداة معرفة تلك العلوم منه، لأنَّ ذلك خاص بالراسخين في العلم، وهم الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، فقد علَّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، ففسَّر القرآن وبيَّن تأويله وسائر ما فيه للإمام علي عليه السلام، ومنه إلى سائر الأئمَّة عليهم السلام.
والدليل على وجود كلّ ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(١).

الحديث الثالث:

[١] **(ويحجب عنه خبر السَّماء):**
أي الخبر النازل من السَّماء، والمقصود علم الحلال والحرام، وما كان، وما يكون، وما هو كائن، بل كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(٢)، فما دام تبيان كلّ شيء نزل في القرآن الكريم فلا بُدَّ أن يكون من يعلم ذلك، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده أوصياؤه عليهم السلام، ويمكن تعميم (خبر السَّماء) إلى ما ذكر وإلى أخبار ما يجري فيها، وحينئذٍ خبر الأرض يكون عنده بطريق أولى.
ثمَّ لا يخفىٰ أنَّ عدم معرفة منزلة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام وإنكار مقاماتهم ومراتبهم التي رتَّبهم الله فيها، إنَّما هو بسبب ضعف المعرفة بالله

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

وَأَرْأَفُ[٢] بِعِبَادِهِ مِنْ أَنْ يَفْرِضَ طَاعَةَ عَبْدٍ عَلَى الْعِبَادِ ثُمَّ يَحْجُبَ عَنْهُ خَبَرَ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً[٣].

سبحانه وتعالى. فخلل المقصِّرين إنَّما بدأ في توحيدهم، ثمَّ سرىٰ إلى عدم المعرفة في سائر الأُمور.

وذلك لأنَّ الإنسان إذا عرف الله سبحانه وتعالى كما في القرآن وفي الأحاديث، وأذعن بقدرته وحكمته كما ينبغي، علم حينئذٍ أنَّ رسوله يلزم أن يكون مناسباً لشأنه وقدسه، وكذا من عيَّنهم أئمَّة بعد رسوله.

فهو سبحانه قادر على خلق بشر متصف بأنه معصوم في كلّ شؤونه، ولا نقص في خَلقه ولا في خُلقه، وعالم بكلّ الأُمور، ومستجمع لجميع الكمالات وليكون واسطة بينه وبين خلقه.

فعدم هذا الخلق إمَّا لعدم القدرة، أو لعدم الكرم، أو لعدم الرأفة، وكلّها مستحيلة عليه تعالى ولذا قال الإمام الصَّادق عليه السلام في الجواب: «إنَّ الله أكرم وأرحم وأرأف...».

[٢] **(أرحم وأرأف):**

قد مرَّ أنَّ الرأفة هي شدَّة الرحمة، وقيل: إنَّ الرأفة هي الرحمة المصاحبة للمحبَّة، فقد يرحم الإنسان من لا يحبّه، ولكن إذا كان منشؤها المحبَّة كانت رأفة.

[٣] **(صباحاً ومساءً):**

كناية عن الدوام، فالمراد أنَّ جميع الأخبار السَّماويَّة عند من افترض الله طاعته.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ ضُرَيْسٍ الْكُنَاسِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ[١] ـ وَعِنْدَهُ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ـ: عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ[٢] يَتَوَلَّوْنَا وَيَجْعَلُونَا أَئِمَّةً[٣] وَيَصِفُونَ أَنَّ

الحديث الرابع:

[١] **(سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام أنَّ هناك من الشيعة من يصيبه الضعف الفكري أمام المخالفين ـ مثلاً ـ، ولذا يقولون قولاً يؤدِّي إلى أُمور غير محمودة، وقولهم هو إنكار جهات من علوم الأئمَّة عليهم السلام:

أ ـ هؤلاء يضعفون حجَّة أنفسهم أمام المخالفين.

ب ـ وهؤلاء يعيبون على الشيعة العارفين بحقِّ الأئمَّة،ويرمونهم بالجهل أو الغلو ـ مثلاً ـ.

ج ـ وبالنسبة إلى الأئمَّة، فهؤلاء ينقصونهم، حقَّهم وذلك بأن ينزلوهم عن المراتب التي رتَّبها الله تعالى لهم.

ثمَّ بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ ما فعله الأئمَّة عليهم السلام من الخروج على الظالمين ومقاتلتهم لا يُنافي علمهم بالمآل والنتيجة. بل كانوا يعملون بتكليفهم، وذلك لأنَّ الله أراد ابتلاءهم لينالوا منازل لم يكونوا ينالوها لولا ذلك الابتلاء.

[٢] **(عجبت من قوم):**

العجب إنَّما هو بسبب عدم التزامهم بلوازم عقيدتهم، فكانوا متناقضين فيها، لأنَّ حبّهم عليهم السلام والإذعان لإمامتهم والاعتراف بوجوب طاعتهم، يلازم عقلاً ونقلاً جهات علومهم من أخبار السَّماء والأرض ـ كما مرَّ بيانه في الأحاديث السابقة ـ.

[٣] **(ويجعلونا أئمَّة):**

أي يذعنون لإمامتنا ويعتقدون بها، إذ الجعل قد يُستعمل بمعنى الاعتقاد

طَاعَتَنَا مُفْتَرَضَةٌ عَلَيْهِمْ كَطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ يَكْسِرُونَ حُجَّتَهُمْ[٤] وَيَخْصِمُونَ أَنْفُسَهُمْ[٥] بِضَعْفِ قُلُوبِهِمْ[٦] فَيَنْقُصُونَا حَقَّنَا، ....

كقوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾(١).

[٤] **(يكسرون حجّتهم)**:

لأن علمهم ﷺ من أقوى الحجج على المخالفين، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾(٢)، فلا بُدَّ أن يكون الإمام كاملاً في العلم، وأيضاً لا تكون طاعة الجاهل مفترضة، فانحصار قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٣) في الأئمَّة ﷺ يتوقَّف على علمهم حتى تلزم إطاعتهم، وإلَّا فلا طاعة للجاهل فيما يجهله، وأيضاً الأئمَّة ﷺ أعلم من أئمَّة المخالفين ويقبح ترك إطاعة الفاضل إلى المفضول، وهكذا أدلَّة أخرى تدلُّ على إمامتهم ولزوم طاعتهم، فهؤلاء بإنكارهم علم الأئمَّة ﷺ يكسرون حجَّة أنفسهم فيقول لهم المخالفون: إذاً لا فرق بين أئمَّتنا وأئمَّتكم، ولا بينهم وبين علمائنا!!

[٥] **(يخصمون أنفسهم)**:

أي يعطون الحجَّة على أنفسهم، فيغلبهم المخالفون في المخاصمة.

[٦] **(بضعف قلوبهم)**:

أي سبب ذلك: إمَّا ضعفهم أمام المخالفين، وتأثُّرهم بأراجيفهم وتهريجهم، وبعبارة أُخرى انهزاميتهم أمام أولئك المخالفين، فيريدون الخروج من ضغط المخالفين بإنكار مقامات الأئمَّة ﷺ. ويبدو أنَّ حالة الانهزامية التي يعيشها البعض ليست وليدة هذا العصر!!

وإمَّا ضعف عقولهم عن تحمُّل هذه المقامات بسبب نقصان المعرفة أو التربية غير السليمة.

---

(١) سورة ص: الآية ٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٣) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

وَيَعِيبُونَ ذَلِكَ[٧] عَلَى مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ بُرْهَانَ حَقِّ مَعْرِفَتِنَا وَالتَّسْلِيمَ لِأَمْرِنَا، أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ[٨] تَبَارَكَ وَتَعَالَى افْتَرَضَ طَاعَةَ أَوْلِيَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ يُخْفِي عَنْهُمْ أَخْبَارَ[٩] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[١٠] ....

---

[٧] **(ويعيبون ذلك . . .)إلخ:**

«ذلك» أي أداء حقّنا، والمعنى يعيبون على من يؤدّي حقّنا وذلك بسلامة عقيدته فينا وبإذعانه بجهات علومنا.

وهذا المؤدِّي للحقّ إنَّما يعتقد بعلمهم لجهتين:

الأولى: قيام الدليل العقلي على لزوم كمال حجج الله تعالى، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقول: «برهان حقّ معرفتنا».

الثانية: قيام الدليل النقلي على جهات علومهم، فيذعن به، ولا يردّه ولا يؤوله، وهذا ما أشار إليه بقوله: «والتسليم لأمرنا».

[٨] **(أترون أنَّ الله. . .):**

استدلال عقلي على علم الإمام عليه السلام، وحاصله: أنَّه لا يعقل أن يجعل الله رجلاً مفترض الطاعة، ولكن لا يُعلِّمه ما يحتاج إليه الناس، مع أنَّه لا مؤنة في تعليمه، بل أمره تعالى كن فيكون.

[٩] **(ثمَّ يخفي عنهم أخبار. . .):**

أي يحجبه عنهم، وفي قوله: (يُخفي)، وإشعار بأنَّ عدم تعليمه إنَّما هو إخفاء لما يحتاج إليه الناس ولا يصحّ هذا الإخفاء أبداً مع كمال قدرته وحكمته تعالى.

وكذا في قوله: (تبارك وتعالى) أيضاً إشعار بالعِلَّة، أي دوام خيره ورفعته عن النقص سبب لأن يلطف بالخلق فيعلِّم حجَّته ما يحتاج الناس إليه، ليبيِّنها للنَّاس وليجيب عن أسئلتهم.

[١٠] **(أخبار السَّمٰوات والأرض):**

أي ما يجري فيهما من وقائع، لأنَّ الإمام حجَّة على من في السَّمٰوات

وَيَقْطَعُ عَنْهُمْ مَوَادَّ الْعِلْمِ[١١] فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ[١٢] مِمَّا فِيهِ قِوَامُ دِينِهِمْ؟! فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَرَأَيْتَ[١٣] مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قِيَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

ومن في الأرض فلا بُدّ أن يطّلع على أخبارهم، والنّاس يذمّون الحاكم الذي لا خبر له عن رعيته، فما بالك بمن ولّاه الله تعالى فهل يعقل أن يجهل أخبار من ولي عليهم؟!

[١١] (مواد العلم):

«المادّة» المنبع الذي يفيض الماء ونحوه، والمُراد من مواد العلم ما يرتبط بالأحكام من الحلال والحرام بقرينة قوله بعد ذلك: «ممّا فيه قوام دينهم».

فأخبار السّماء والأرض ترتبط بعلم ما كان وما يكون من وقائع، ومواد العلم ترتبط بالأحكام الشرعية.

[١٢] (فيما يرد عليهم):

أي في المسائل التي يسألون عنها.

[١٣] (أرأيت):

أي أخبرني عن سبب قيام أمير المؤمنين والإمام الحسن والحسين عليهم السلام، فإنّهم لم يتوصّلوا إلى النتيجة المرجوة من حروبهم، فلو كانوا يعلمون بها فكيف قاموا؟ ولو كانوا يعلمون بها، فكيف عرّضوا أنفسهم للقتل؟

ثمّ اعلم أنّ الإمام الحسن عليه السلام أيضاً قام بالسيف في الأشهر الأولى من إمامته وجمع العدد والعدّة لمقاتلة معاوية وأهل الشام لكنّه تخاذل عنه الأكثر فلم يكن من مصلحة الدِّين الاستمرار في القتال، كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام قام بالسيف في الأشهر الأخيرة من حياته المباركة، وكانت مصلحة الدِّين الاستمرار في القتال إلى الشهادة، وإلى ذلك يُشير رسول الله صلى الله عليه وآله حيث روي عنه أنّه قال: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»(١) فكلاهما قاما وكلاهما قعدا، لكن الإمام الحسن عليه السلام قام

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص٢١١.

وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام[١٤] وَخُرُوجِهِمْ وَقِيَامِهِمْ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ، وَمَا أُصِيبُوا[١٥] مِنْ: قَتْلِ الطَّوَاغِيتِ إِيَّاهُمْ، وَالظَّفرِ بِهِمْ حَتَّى قُتِلُوا وَغُلِبُوا؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[١٦]: يَا حُمْرَانُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلِكَ

أوّلاً ثم قعد، والإمام الحسين عليه السلام قعد أوّلاً ثمَّ قام، وفي كلا الصورتين كانا إمامين مفترضي الطاعة، ولتفصيل ذلك موضع آخر.

[١٤] **(من أمر قيام علي...):**

أي إعلانهم وإجهارهم بإمامتهم مع جمع العدد والعدَّة لذلك.

[١٥] **(وما أصيبوا):**

لعلَّ كلّ مقطع من المقاطع الثلاثة إشارة إلى مصير أحد الأئمَّة الثلاثة عليهم السلام، فـ(قتل الطواغيت إيَّاهم) إشارة إلى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، و(الظفر بهم حتى قتلوا) إلى الإمام الحسين عليه السلام و(الظفر بهم حتى غلبوا) إلى الإمام الحسن عليه السلام.

ويمكن أن يكون حمران كرَّر الكلام لإضافة الظفر والغلبة.

[١٦] **(فقال أبو جعفر عليه السلام):**

حاصل جواب الإمام عليه السلام:

أنَّ ما فعلوه من الخروج والقيام إنَّما كان امتثالاً لأمر الله تعالى، فلا منافاة بين علمهم بالنتيجة وبين إطاعتهم لأمر الله تعالى فيما قضاه، بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبرهم بوظائفهم كما أخبرهم بالنتيجة، فهم عليهم السلام أدّوا التكليف.

وقد يُتساءل لماذا قدَّر الله لهم ذلك؟

فالجواب: إنَّ الله أراد أن يكرمهم بمنازل رفيعة، لم يكن من الحكمة نيلها إلَّا بما أصيبوا به بيد طواغيت زمانهم.

ومع ذلك فإنَّ الله خيَّرهم في محو ذلك القضاء الحتم، لكنَّهم اختاروا ما أراده الله تعالى.

عَلَيْهِمْ وَقَضَاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ[١٧] عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ[١٨]، ثُمَّ أَجْرَاهُ، فَبِتَقَدُّمِ عِلْمٍ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام، وَبِعِلْمٍ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا[١٩]، وَلَوْ أَنَّهُمْ[٢٠] يَا حُمْرَانُ ـ حَيْثُ نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ

---

[١٧] **(قدَّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه):**

قد مرَّ في كتاب التوحيد، (باب البداء) و(باب في أنَّه لا يكون شيء في السَّماء والأرض إلَّا بسبعة) و(باب المشيئة والإرادة) الفرق بين التقدير والقضاء والإمضاء والحتم، فراجع.

و«التقدير»: هو تعيين حدود الشيء وقابلياته وأوقاته ونحو ذلك.

و«القضاء»: هو الحكم التكويني والإلزام.

و«الإمضاء»: هو إيجاد المقدِّمات القريبة للشيء.

و«الحتم»: هو عدم البداء فيه.

و«أجراه»: أي حقَّقه خارجاً، فوقع ذلك القضاء.

[١٨] **(على سبيل الاختيار):**

لأنَّ القضاء المحتوم بيد الله تعالى، فرفعه بيده أيضاً.

وبعبارة أُخرى: القضاء المحتوم لا يقيّد قدرة الله تعالى، فإنَّه لو حتم بشيء فهو قادر على محوه.

فهو تعالى قضى قضاءً حتماً ما أصيبوا به، ولكنَّه قادر على محوه، ولو كانوا يدعونه في تغييره لاستجاب لهم، ولكنَّهم رجَّحوا إرادته تعالى، فرضوا بها.

[١٩] **(وبصمت من صمت منّا):**

أي عدم الإجهار بالإمامة وعدم القتال لأجلها.

[٢٠] **(ولو أنَّهم...):**

شرط (لو) قوله: «سألوا الله»، والجزاء قوله: «إذاً لأجابهم».

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِظْهَارِ الطَّوَاغِيتِ عَلَيْهِمْ[٢١] - سَأَلُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ، وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ[٢٢] فِي طَلَبِ إِزَالَةِ مُلْكِ الطَّوَاغِيتِ وَذَهَابِ مُلْكِهِمْ، إِذاً لَأَجَابَهُمْ وَدَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، ثُمَّ كَانَ انْقِضَاءُ مُدَّةِ الطَّوَاغِيتِ وَذَهَابُ مُلْكِهِمْ أَسْرَعَ مِنْ سِلْكٍ مَنْظُومٍ انْقَطَعَ فَتَبَدَّدَ. وَمَا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَصَابَهُمْ[٢٣] يَا حُمْرَانُ لِذَنْبٍ اقْتَرَفُوهُ، ....

---

[٢١] **(إظهار الطواغيت عليهم):**

الإظهار بمعنى الغلبة والسيطرة، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾(١).

و«الطاغوت»: في الأصل (طغووت) مبالغة في الطغيان، كالجبروت والملكوت، قُدِّمت الواو ثم قُلبت ألفاً.

[٢٢] **(وألحّوا عليه):**

هنا دعاءان.

الأوّل: دفع المكروه عنهم، وأشار إليه بقوله: «سألوا الله أن يدفع عنهم ذلك».

الثاني: زوال ملك الطواغيت، وأشار إليه بقوله: «وألحّوا عليه...»

ولعلَّ قوله: «سألوا» ثمَّ «ألحّوا» تفنُّن في العبارة، أو للإشارة إلى أنَّ أحد القضاءين أقوى من الآخر فلمحو أحدهما كان يكفي السؤال، ولمحو الآخر كان يحتاج إلى إلحاح، فتأمَّل.

[٢٣] **(وما كان ذلك الذي أصابهم...):**

أي إنَّ غالب البلاء بسبب الإنسان نفسه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٢).

ولكن ابتلاء أولياء الله تعالى ليس من هذا القبيل، بل هو لرفع درجاتهم.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٠.

وَلَا لِعُقُوبَةِ مَعْصِيَةٍ[٢٤] خَالَفُوا اللَّهَ فِيهَا، وَلَكِنْ لِمَنَازِلَ وَكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ[٢٥]، أَرَادَ أَنْ يَبْلُغُوهَا، فَلَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ فِيهِمْ[٢٦].

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﵇ بِمِنًى عَنْ خَمْسِمِائَةِ حَرْفٍ مِنَ الْكَلَامِ[١]، فَأَقْبَلْتُ أَقُولُ: يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: قُلْ كَذَا وَكَذَا.

---

[٢٤] **(ولا لعقوبة معصية):**

الفرق بين (ما كان لذنب اقترفوه) و(لعقوبة معصية. . .):

إمَّا بكون (الذنب) في الصغيرة و(المعصية) في الكبيرة.

وإمَّا بالأثر الوضعي الطبيعي لبعض الذُّنوب، وبالعقوبة الدنيوية التي يُعاقب بها الله بعض العُصاة.

وإمَّا الأوَّل من الطواغيت، والثاني من الله، أي لم يكن حجَّة للظالمين في قتلهم، ولا عقوبة من الله، لعدم مخالفتهم.

[٢٥] **(لمنازل وكرامة من الله):**

لعلَّ الفرق بينهما أنَّ المنازل الدرجات المادية في الجنَّة، والكرامة هي الدرجات المعنوية، فتأمَّل.

[٢٦] **(فلا تذهبن بك المذاهب بهم):**

أي الآراء الباطلة لا تجرّك إلى توهّم أنَّ ذلك البلاء كان عقاباً، أو أنَّهم لم يكونوا يعلمون ما يصيبهم، أو كان إلقاء للنفس في التهلكة، فكلّ ذلك آراء وأوهام باطلة، فأبعدها عن نفسك.

الحديث الخامس:

[١] **(خمسمائة حرف من الكلام):**

«الحرف»: بمعنى الطَّرَف، والمراد خمسمائة مسألة، و«الكلام» هو علم العقائد.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ[٢] هَذَا الْحَلَالُ وَهَذَا الْحَرَامُ أَعْلَمُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ، وَأَنَّكَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ!! فَقَالَ لِي: وَيْكَ يَا هِشَامُ[٣] لَا يَحْتَجُّ[٤] اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِحُجَّةٍ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ[٥].

---

[٢] **(قلت: جعلت فداك):**

كأنَّ الإمام عليه السلام كان يجيبه عن مسائله فوراً ومن غير تأنٍّ، فلذا قال هذا. وقد مرَّ سابقاً أنَّ هشاماً كان في بداية أمره منحرفاً عن الحقّ إلى أن لقي الإمام الصَّادق عليه السلام ورجع إلى الحقّ على يديه، فعلَّمه أُمور الدِّين الحقّ، وبما أنَّ اقتلاع جذور المذاهب الباطلة التي كان يؤمن بها الإنسان أمر صعب، فإنَّ غالب المستبصرين تبقى فيهم جذور أديانهم أو مذاهبهم السابقة، واقتلاعها بحاجة إلى فترة قد تطول لترتسم خريطة أذهانهم من جديد بعد محو ما ارتسم سابقاً، وهكذا هشام بصَّره الله بالحقّ وبالتدريج، فلذا بعد أن رجع إلى الحقّ واعتقد بإمامة الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام تكاملت معرفته بهم بالتدريج وبإرشادهم.

[٣] **(ويك يا هشام):**

في المفردات: «وي»: كلمة تُذكر للتحسُّر والتندُّم والتعجُّب... وقيل: «ويك» كان (ويلك) فحذفت منه اللام، و(ويل) قال الأصمعي: ويل قبح، وقد يُستعمل على التحسُّر، و(ويس) استصغار، و(ويح) ترحُّم(١).

[٤] **(لا يحتجّ):**

نفي، أي لا يجعل الله هكذا رجل حجَّة، وفي بعض النسخ (يحتج) ـ بدون لا ـ فيكون استفهاماً إنكارياً، أي هل يعقل أن يحتجّ الله بهكذا شخص؟

[٥] **(كلّ ما يحتاجون إليه):**

وبيان الأُمور الاعتقادية أهم وظائف الرُّسل والأئمَّة، كما أنّ من وظائفهم بيان الحلال والحرام وهي فروع الدِّين.

---

(١) المفردات: ص٨٨٨.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ عَالِمٌ[١] جَاهِلاً أَبَداً، عَالِماً بِشَيْءٍ جَاهِلاً بِشَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَجَلُّ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ[٢] مِنْ أَنْ يَفْرِضَ طَاعَةَ عَبْدٍ يَحْجُبُ عَنْهُ عِلْمَ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَحْجُبُ ذَلِكَ عَنْهُ[٣].

الحديث السادس:

[١] **(لا يكون عالم):**
في الوافي: يعني لا يكون العالم عالماً على الحقيقة حتى يكون عالماً بكلّ شيء ممّا يمكن أن يحتاج النّاس إليه(١).

[٢] **(أجلّ وأعزّ وأكرم):**
مرَّ قريباً أنَّ منشأ عدم المعرفة بالإمام وبمقاماته، هو ضعف المعرفة بالله تعالى.
وفي هذا المقطع من هذا الحديث الشريف إشعار بذلك، فإنَّ الله (أجلُّ) أي أرفع شأناً، و(أعزّ) أي له العزَّة والقدرة بحيث يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء ممَّا يناسب جلاله، و(أكرم) بعباده لطفاً بهم ورحمة عليهم، فهكذا ربٌّ عزيزٌ جليلٌ كريم لا يعقل أن لا يخلق رُسلاً وأوصياء كاملين.
فإذا كان الرسول في عرف النَّاس دليلاً لعقل المرسل، فإنَّ رسول الله وأوصياؤه دليل جلال وعزَّة وكرم خالقهم سبحانه وتعالى.

[٣] **(ثم قال: لا يحجب عنه ذلك):**
وقوله هذا تأكيد لما سبقه، أو أنَّ السابق بيان مرحلة الثبوت، وهذا بيان مرحلة الإثبات، فالمعنى: أنَّ الله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يحجب عنه، وبالفعل لم يحجب.

---

(١) الوافي: ج٢، ص٦٠١.

بَابُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعَلِّمْ نَبِيَّهُ عِلْماً إِلَّا أَمَرَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ كَانَ شَرِيكَهُ فِي الْعِلْمِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ جَبْرَائِيلَ عليه السلام أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِرُمَّانَتَيْنِ[١] فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِحْدَاهُمَا

الحديث الأوّل:

[١] (برمانتين):

الظاهر أنّهما كانتا علامتين، فإحداهما علامة النُّبوّة، والأُخرى علامة العلم، ومن الممكن جعل علائم مادية لأُمور معنوية.

ويحتمل أن يكون الغرض من ذلك أحد أُمور:

١ ـ التثبيت، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾(١)، وطرق التثبيت مختلفة: بالعصمة، وبإنزال الوحي، وقد يكون بألطافه تعالى عليه ـ مادية أو معنوية ـ.

٢ ـ بيان ارتباط الكمالات بالنشأة الآخرة، والرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام وفاطمة الزَّهراء عليها السلام وجودهم وصفاتهم ترتبط بالعالم الأعلىٰ، فطينتهم من علّيّين كما سيأتي في أحاديث الطينة(٢) وكذا كمالاتهم، فنبوّة الرسول صلى الله عليه وآله وعلمه وعلم الأئمَّة عليهم السلام أيضاً من العالم الأعلىٰ، فكأنَّ رمان الجنَّة علامة لهما، وقد ذكر الله رمّان الجنَّة في قوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٤.

(٢) بصائر الدرجات: ص٣٤.

وَكَسَرَ الْأُخْرَى بِنِصْفَيْنِ فَأَكَلَ نِصْفاً وَأَطْعَمَ عَلِيّاً نِصْفاً، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَخِي هَلْ تَدْرِي مَا هَاتَانِ الرُّمَّانَتَانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَّا الْأُولَى فَالنُّبُوَّةُ، لَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَالْعِلْمُ أَنْتَ شَرِيكِي فِيهِ، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ شَرِيكَهُ فِيهِ؟ قَالَ: لَمْ يُعَلِّمِ اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ عِلْماً إِلَّا وَأَمَرَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ عَلِيّاً عليه السلام.

٢ ـ عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرُمَّانَتَيْنِ مِنَ

﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾(١).

٣ ـ ويحتمل أن يكون ذلك حين البعثة، فجعل الله الرمَّانيين علامة مادية، تُضاف إلى السبب المعنوي، ويكون فيه إخباره ﷺ بأنَّ علياً عليه السلام شريكه في العلم.

٤ ـ أو كان الغرض أن تُنقل هذه الفضيلة للنَّاس ـ في ذلك الزمان وما بعده ـ، ليعلموا أنَّ علياً عليه السلام ليس بنبي ولكنَّه شريك الرَّسول ﷺ في علمه، فيتناسب مع فهم غالب النَّاس، فإنَّهم يدركون الماديات أفضل من البراهين العلمية أو الأسباب الخفية.

٥ ـ ويحتمل أن يكون (الرمَّان) تشبيه أمر معنوي بالرمَّان المادي، حيث تقصر العقول عن إدراك أمثال هذه الحقائق فيتمّ تشبيهها بالماديات التي يدركها النَّاس، تشبيهاً للمعقول على المحسوس.

كلّ ذلك على سبيل الاحتمال، والله العالم.

٦ ـ ٧ ـ وفي المرآة: أي أحدهما بإزاء النُّبوَّة والأُخرى بإزاء العلم، ويمكن أن يكون لأحدهما مدخل في تقوية النُّبوَّة، وللأُخرى في تقوية العلم(٢). فتأمل

---

(١) سورة الرَّحمٰن: الآية ٦٨.

(٢) المرآة: ج٣، ص١٣٥. والبحار: ج٢٦، ص١٧٣.

الْجَنَّةِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُمَا، فَأَكَلَ وَاحِدَةً وَكَسَرَ الْأُخْرَى بِنِصْفَيْنِ، فَأَعْطَى عَلِيّاً عليه السلام نِصْفَهَا فَأَكَلَهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أَمَّا الرُّمَّانَةُ الْأُولَى الَّتِي أَكَلْتُهَا فَالنُّبُوَّةُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا شَيْءٌ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَهُوَ الْعِلْمُ فَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهِ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِرُمَّانَتَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَقِيَهُ عَلِيٌّ عليه السلام فَقَالَ: مَا هَاتَانِ الرُّمَّانَتَانِ اللَّتَانِ فِي يَدِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا هَذِهِ فَالنُّبُوَّةُ، لَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ، وَأَمَّا هَذِهِ فَالْعِلْمُ، ثُمَّ فَلَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِنِصْفَيْنِ، فَأَعْطَاهُ نِصْفَهَا وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نِصْفَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ شَرِيكِي[١] فِيهِ وَأَنَا شَرِيكُكَ فِيهِ، قَالَ: فَلَمْ يَعْلَمْ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَرْفاً مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمَهُ عَلِيّاً، ثُمَّ انْتَهَى الْعِلْمُ إِلَيْنَا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ.

الحديث الثالث:

[١] (ثم قال أنت شريكي...):

هذا تعليل تنصيف رمّانة العلم، أي إنّما نصفتها نصفين لأنّي شريكك في العلم وأنت شريكي فيه.

بَابُ جِهَاتِ عُلُومِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ عَلِيٍّ السَّائِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: مَبْلَغُ عِلْمِنَا[١] عَلَى ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ: مَاضٍ وَغَابِرٍ وَحَادِثٍ[٢]. ....

الحديث الأوّل:

[١] (مبلغ علمنا):

البلاغ والبلوغ بمعنى الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدَّرة(١) فالمعنى: المقدار الذي يصل إليه علمنا هو علم الماضي وعلم المستقبل وعلم بالقذف في القلب والنقر في السمع.

ولعلَّ المراد بيان سعة علمهم ولكنَّه مع ذلك له نهاية وأنَّه بتعلُّم، عكس علم الباري تعالى فإنَّه ذاتي ولا حدّ له.

[٢] (ماضي وغابر وحادث):

أي مبلغ العلم (ماضٍ): أي يتعلَّق بالأُمور الماضية ـ وهي ما كان ـ، و(غابر): أي يتعلَّق بالأُمور المستقبلية ـ وهي ما يكون ـ، و(حادث): يتعلَّق فيما يقدَّر جديداً كالبداء، فيخبرون به في ليلة القدر أو ليالي الجمعة أو في سائر الأوقات ـ كما مرَّ ـ، وكزيادة المعرفة بالرَّبّ.

---

(١) المفردات: ص١٤٤.

فَأَمَّا الْمَاضِي فَمُفَسَّرٌ[٣]، وَأَمَّا الْغَابِرُ فَمَزْبُورٌ[٤]، وَأَمَّا الْحَادِثُ فَقَذْفٌ فِي الْقُلُوبِ، وَنَقْرٌ فِي الْأَسْمَاعِ[٥] وَهُوَ أَفْضَلُ عِلْمِنَا[٦]. وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنَا[٧].

---

[٣] **(فأمَّا الماضي فمفسَّر):**

أي شرحه لنا رسول الله ﷺ، ويدخل في الماضي الشرائع والأحكام، لأنَّها نزلت على الرسول ﷺ في الماضي.

[٤] **(وأمَّا الغابر فمزبور):**

«الغابر»: من الأضداد، يُقال غابر للماضي، ويُقال غابر للباقي، و«المزبور»: من (زبر) أي كتب، والمراد أنَّ علم المستقبل مكتوب، وقد مرَّ أنَّ علم ما يكون هو في مصحف فاطمة عليها السلام وهو عند الأئمَّة عليهم السلام.

[٥] **(قذف في القلوب ونقر في الأسماع):**

القذف في القلب هو الإلهام، والنقر في السمع هو بواسطة الملك ـ كما سيأتي في الحديث الثالث ـ.

[٦] **(وهو أفضل علمنا):**

كونه أفضل:

١ ـ إمَّا لأنَّه في المعارف الإلٰهيَّة، والمعرفة أشرف من علم الماضي والمستقبل.

٢ ـ أو لأنَّه خاص بهم، عكس أخبار الماضي والمستقبل، فإنَّ بعض خُلَّص أصحاب الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام كان لهم بعض تلك الأخبار بتعليم من الرسول والأمير، والعلم الخاصّ أشرف من العلم العامّ.

٣ ـ أو لأنَّ علم الماضي والمستقبل كان بالواسطة، وهذا بلا واسطة.

[٧] **(ولا نبي بعد نبيّنا):**

بيان أنَّ الإلهام أو تحديث النَّبي لا يلازم النُّبوَّة، فلا يتوهمنَّ أحد نبوَّتهم، بل لا نبي بعد رسول الله محمَّد ﷺ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ عِلْمِ عَالِمِكُمْ؟ قَالَ: وِرَاثَةٌ[١] مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمِنْ عَلِيٍّ عليه السلام[٢]. قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ يُقْذَفُ فِي قُلُوبِكُمْ وَيُنْكَتُ فِي آذَانِكُمْ قَالَ: أَوْ ذَاكَ[٣].

الحديث الثاني:

[١] **(قال: وراثة):**

أي أصل العلم كان بالوراثة، وهذا لا ينافي زيادته بالقذف في القلوب والنكت في الأسماع.

مضافاً إلى أنَّ العلوم الجديدة تُفاض على الرسول صلى الله عليه وآله أوّلاً ثمَّ عليهم ثانياً ـ كما مرَّ ـ فكانت أيضاً كالوراثة منه صلى الله عليه وآله.

[٢] **(من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علي عليه السلام):**

لعلَّه عليه السلام ذكر الإمام علي عليه السلام ـ مع أنَّه استقى أيضاً علمه من الرسول صلى الله عليه وآله ـ لبيان منزلته أو لأنَّه أصل الإمامة والأئمَّة، أو لتأكيد كونه عليه السلام الواسطة بين النَّبي صلى الله عليه وآله وبين سائر الأئمَّة.

[٣] **(أو ذاك):**

«أو» إمَّا للتقسيم، يعني قد يكون ذا ـ القذف والنكت ـ، وقد يكون ذاك ـ الوراثة ـ.

وإمَّا بمعنى (بل)، فيكون السؤال عن العلم المتعلِّق بالحلال والحرام فأجاب الإمام عليه السلام بأنَّ هذا العلم يكون وراثة، وأمَّا النكت والقذف ففي غير الحلال والحرام.

والأوَّل أقرب، فيكون المعنى ما ذكرناه في شرح أوَّل الحديث، والله العالم.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: رُوِّينَا[١] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عِلْمَنَا غَابِرٌ وَمَزْبُورٌ وَنَكْتٌ فِي الْقُلُوبِ وَنَقْرٌ فِي الْأَسْمَاعِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْغَابِرُ فَمَا تَقَدَّمَ مِنْ عِلْمِنَا[٢]، وَأَمَّا الْمَزْبُورُ فَمَا يَأْتِينَا، وَأَمَّا النَّكْتُ فِي الْقُلُوبِ فَإِلْهَامٌ، وَأَمَّا النَّقْرُ فِي الْأَسْمَاعِ فَأَمْرُ الْمَلَكِ.

الحديث الثالث:

[١] **(روِّينا):**
من المجرَّد المعلوم أو المجهول، أو من باب التفعيل المجهول.

[٢] **(أمَّا الغابر فما تقدَّم من علمنا):**
يُراد بالغابر في هذا الحديث: الماضي، وقد مرَّ في الحديث الأوَّل أنَّ (غابر) من ألفاظ الأضداد.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام لَوْ سُتِرَ عَلَيْهِمْ لَأَخْبَرُوا كُلَّ امْرِئٍ بِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[١]: لَوْ كَانَ لِأَلْسِنَتِكُمْ أَوْكِيَةٌ[٢] لَحَدَّثْتُ كُلَّ امْرِئٍ بِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ.

الحديث الأوّل:

[١] **(قال أبو جعفر عليه السلام):**

يحتمل أن يكون مراده عليه السلام: إخبارهم عمَّا يقع في المستقبل عليهم ـ كبلاياهم ومناياهم ـ، أو يقع لهم أي بصالحهم، ويؤيد هذا الاحتمال وضع الكليني رضوان الله عليه هذا الحديث في هذا الباب.

ويحتمل أن يُراد إخبارهم بواجباتهم وحقوقهم، أو الأحكام بشكل عام سواء طابقت هواهم أو خالفته، فالمعنى لولا التقيَّة منكم لأخبرتكم، لأنَّكم تذيعون وهذا يوجب الضرر عليكم وعلينا، وهذا لا ينافي بيانهم جميع الأحكام للخواص وفي حال عدم التقية.

[٢] **(لألسنتكم أوكية):**

«الوكاء»: على وزن (كِساء) ما يُشدّ به رأس القربة.

٢ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَصِيرٍ يَقُولُ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]: مِنْ أَيْنَ أَصَابَ أَصْحَابَ عَلِيٍّ مَا أَصَابَهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَنَايَاهُمْ وَبَلَايَاهُمْ؟ قَالَ: فَأَجَابَنِي ـ شِبْهَ الْمُغْضَبِ[٢] ـ: مِمَّنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْهُمْ[٣]؟! فَقُلْتُ: مَا

الحديث الثاني:

[١] **(قلت لأبي عبد الله عليه السلام):**
حاصل السؤال: أنَّ الذي يعلم بالخطر المحدق به، يتجنَّب ذلك الخطر بالفرار منه، فكيف لم يحذر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من بلاياهم ومناياهم مع علمهم بها؟

[٢] **(شبه المغضب):**
لعلَّ غضبه عليه السلام لقلَّة معرفة أبي بصير ـ مع طول مصاحبته للإمام الباقر والإمام الصَّادق عليهما السلام ـ.
وأبو بصير هذا هو يحيىٰ بن القاسم الأسدي، وهو من الثقات الذين أجمع الأصحاب على تصديقه، لوثاقته، ولكنَّه مع صدق لهجته كان قليل المعرفة بمقامات الأئمَّة(١).

[٣] **(ممَّن ذلك إلَّا منهم):**
أي إنَّ هؤلاء لشدَّة ولائهم لأمير المؤمنين عليه السلام وتفانيهم في محبته ونصرته، كانوا هدفاً سهلاً لأئمَّة الجور وأشياع الضلالة، فحتى لو فرّوا بجلدتهم لوصل إليهم الظالمون، كما حدث لعمرو بن الحمق وغيره، فشدَّة إيمانهم ومعرفتهم وورعهم كان سبباً لإخبار أمير المؤمنين عليه السلام إيَّاهم بهذه الأمور، وكان أيضاً سبباً لقتل الظالمين إيَّاهم.
على أنَّ بعض هذه المنايا والبلايا لم تكن إلَّا باختيار منهم نصرةً للدِّين،

(١) راجع التهذيب: ج١٠، ص٢٥، الحديث رقم ٧٦.

يَمْنَعُكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ[٤]؟ قَالَ: ذَلِكَ بَابٌ أُغْلِقَ[٥]، إِلَّا أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ

كالذين ذهبوا إلى كربلاء لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، فكان يمكنهم خذلانه في الخاذلين، لكنّهم أبوا إلّا نصرته أداءً للتكليف ووفاءً، فقتلوا، فكان كما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي هذه العبارة (ممّن ذلك إلّا منهم) احتمالات أُخرى فراجعها في المرآة(١).

[٤] **(ما يمنعك جعلت فداك):**

أي ما منعك من أن تخبرنا بمنايانا وبلايانا؟

[٥] **(ذلك باب أغلق):**

اعلم أنّ صدور المعجزات الظاهرة والآيات البيِّنة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مثل تكليمه الموتى، وردّه الشمس، وتعليمه بعض خُلّص أصحابه علم المنايا والبلايا وغير ذلك، ممّا أدّىٰ إلى غلوّ البعض، فعاقبهم بعد أن استتابهم فلم يتوبوا.

لعلّ كلّ ذلك كان بسبب أنّ تلك المرحلة كانت مرحلة تأسيس مع إحاطتها بالأعداء المتربصين من كلّ جانب، مع عدم تورعهم من فعل أيّ شيء في سبيل اقتلاع جذور التشيُّع وولاء أمير المؤمنين عليه السلام.

ومراحل التأسيس بحاجة إلى جهد خاص وأُمور خارقة لكي تجعل الشيء عصيّاً عن الزوال.

والتشيُّع أرسىٰ جذوره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا علي أنت وشيعتك هم الفائزون»(٢) وأمثاله من الكلمات التي روتها الخاصّة والعامّة، ولكن كان نمو التشيُّع في عهد أمير المؤمنين عليه السلام حيث بيَّن ـ بسيرته وأقواله ـ المنهج الصحيح.

ثم قد تكالب الأعداء من كلّ حدبٍ وصوب لإطفاء نور التشيُّع بالقتل

---

(١) مرآة العقول: ج٣، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) من مصادر الخاصّة: إرشاد المفيد: ج١، ص٤١، ومن مصادر العامّة: الدر المنثور: ج٨، ص٥٨٩.

صَلَوَاتٌ عَلَيْهِمَا فَتَحَ مِنْهُ شَيْئاً يَسِيراً[٦]. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؛ إِنَّ أُولَئِكَ[٧] كَانَتْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ أَوْكِيَةٌ.

والقمع والمحاصرة الاقتصادية، فقد كتب معاوية لعمَّاله في الآفاق: أن برئت الذمَّة ممَّن يوالي أبا تراب(١)، كما أمر بحذف أسماء من يوالونه من الديوان(٢)، لكنهم لم يتمكَّنوا من قلع هذه الجذور، بسبب ظهور كرامات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامَّة وتجذّرها في النُّفوس ـ هذا مضافاً إلى كثرة أقوال الرسول صلى الله عليه وآله في الإمام علي عليه السلام ـ والله العالم.

[٦] **(فتح منه شيئاً يسيراً):**

لعلَّ المراد بيانه لبلايا ومنايا أصحابه حينما خرج من مكَّة إلى كربلاء، وفي الطريق، وفي كربلاء.

ولعلَّ هذا الفتح ـ إضافة لقابليتهم لذلك ـ لأجل أنَّ شهادة من معه كانت محتومة، فأراد أن لا يبقى معه إلَّا الخاصّ الخالص، فأخبر بما يصيبه ويصيب من معه بشكل عام، فانفصل أصحاب المصالح ومن جاء معه طمعاً في الحطام.

[٧] **(إنَّ أولئك):**

أي أصحاب الإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام.

ولعلَّ هذا الجواب كان لأبي بصير وأمثاله ممَّن لم يتمكنوا من الكتمان، وإلَّا فإنه كان في أصحابهم أمثال أصحاب الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١، ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه.

بَابُ التَّفْوِيضِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الأَئِمَّةِ عليهم السلام فِي أَمْرِ الدِّينِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ،

اعلم أنَّ للتفويض معاني مختلفة، بعضها كفر، وبعضها ممكن عقلاً، فإن دلَّ عليه النقل ثبتت وكان الاعتقاد بها إيمان.

والتفويض قد يُراد به في الخلق والرِّزق ونحوهما استقلالاً، وقد يُراد به في سائر الأُمور التكوينية بإذنه تعالى، وقد يكون في الولاية على النَّاس، وقد يكون في التشريع، وقد يكون في الحكم بظاهر الشريعة أو بعلمهم الواقعي، وقد يكون في بيان الأحكام، وقد يكون في الإعطاء والمنع.

١ ـ استقلال الرسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام بالخلق والرِّزق ونحوهما، وهذا كفر صريح، كما قامت الأدلَّة القطعية ـ عقلاً ونقلاً ـ على استحالته.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: والمفوضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا به سواهم من الغلاة: اعترافهم بحدوث الأئمَّة وخلقهم، ونفي القدم عنهم، وإضافة الخلق والرِّزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أنَّ الله تعالى تفرَّد بخلقهم خاصَّة، وأنَّه فوَّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال[1].

وفي الاحتجاج عن علي بن أحمد القمِّي قال: اختلف جماعة الشيعة في أنَّ الله عزَّ وجلَّ فوَّض إلى الأئمَّة صلوات الله عليهم أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله لأنَّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزَّ وجلَّ، وقال آخرون: بل الله عزَّ وجلَّ أقدر الأئمَّة على ذلك وفوَّض إليهم فخلقوا ورزقوا.

---

(١) نقله عنه في المرآة: ج٣، ص١٤٨.

فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلك ليوضّح لكم الحقّ فيه، فإنَّه الطريق إلى صاحب الأمر عليه السلام، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلَّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته:

إنَّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسَّم الأرزاق، لأنَّه ليس بجسم، ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فأمَّا الأئمَّة عليهم السلام فإنَّهم يسألون الله فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقّهم(١).

٢ ـ إنَّهم يتصرفون في الكون بإذن الله تعالى، ـ وهذا ما اصطلح عليه بالولاية التكوينية ـ وهذا المعنى لا يأباه العقل ودلَّ عليه النقل، فهو بمعنى عدم قدرتهم بأنفسهم، وإنَّما بإقدار الله إيَّاهم.

قال الوالد رضوان الله عليه: المراد بالولاية التكوينية، أنَّ زمام العالم بأيديهم، كما أنَّ زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم التصرُّف إيجاداً وإعداماً، لكن من الواضح أنَّ قلوبهم أوعية مشيئة الله سبحانه، فكما أقدر الله سبحانه الإنسان على الأفعال الاختيارية، أقدرهم عليهم السلام على التصرُّف في الكون(٢).

بمعنى أنَّ الإنسان لا قدرة له بنفسه أصلاً، ثمَّ إنَّ الله حباه بالقدرة، فكلّ إنسان يمكنه التصرُّف في الكون حتى الطفل يمكنه تحريك التراب وصنع شيء بالرمل ونحوه، وهذا نوع تصرُّف في الكون.

لكنَّ الله أعطى النَّاس قدرة ضمن حدود معيَّنة، وأعطى سبحانه الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام قدرة في التصرُّف في الكون أكثر من قدرة سائر الناس.

ومن هذا القبيل غالب معجزات الأنبياء، فإنَّهم تصرَّفوا في الكون بقدرة حباهم الله إيَّاها وبإذنه، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بلمسة يد وتحويل العصا حيَّة تسعىٰ وغيرها من المعاجز.

---

(١) الاحتجاج: ج٢، ص٢٨٥.

(٢) الفقه، كتاب البيع: ج٤، ص٢٤٨.

أمَّا القول بأنَّ الله تعالى فعل تلك المعاجز مقارناً لإرادتهم، فهو خلاف ظاهر الأدلَّة حيث نسبت المعجزة إليهم ولكن مع تقييدها بأنَّها بإذن الله ـ إذناً تكوينياً وتشريعياً ـ، نعم بعض المعاجز هي فعل الله مباشرة كالقرآن الكريم

بل جعلهم الله تعالى مطاعين في السَّمٰوات والأرض، ويطيعهم حتى الجمادات بإذن الله تعالى.

٣ ـ في ولايتهم على النَّاس، فلهم السلطنة والحكومة عليهم، والقضاء منصبهم، وهذا ثابت بالأدلَّة القطعية، كقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾[1] دلَّت الآية على أولوية الرسول ﷺ بالمؤمنين، ثم دلَّت على أنَّ الأئمَّة ﷺ لهم هذا المنصب، لأنَّهم أولو الأرحام بالنسبة إلى الرسول ﷺ، وأكَّد هذا المعنى رسول الله ﷺ في يوم الغدير حيث ابتدأ بقوله: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه[2].

٤ ـ في الولاية التشريعية، بمعنى أنَّ الله أكمل نبيّه ﷺ وأدَّبه بآدابه وعصمه وكشف له الحقائق، وجعل قلبه وعاء لمشيئته تعالى، وعند ذلك فوَّض إليه التشريع، فلا يحكم إلَّا بما طابق الحقّ والواقع.

وبعبارة أُخرى: كشف الله تعالى لرسوله ﷺ جميع مقدِّمات الحكم من المصلحة والمفسدة وعصمه من الزلل والخطأ، ثم أراد تشريفه وبيان فضله، وكذا امتحان النَّاس، ففوَّض إليه إصدار بعض الأحكام التي يريدها الله تعالى.

وفي الأمثلة المتعارفة يوجد نظير هذا، كأن يجعل التوقيع على القرار لمعاون الرئيس تقوية له وتشريفاً.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٢) من مصادر الخاصَّة: الكافي: ج١، ص٢٩٥، ومن مصادر العامَّة: مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص١١٨؛ والمستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٠٩.

وهذا المعنى دلَّ عليه كثير من الروايات، ومن جملتها روايات في هذا الباب.

٥ ـ في المرآة: الاختيار في أن يحكموا بظاهر الشريعة أو بعلمهم وبما يلهمهم الله تعالى من الواقع ومخّ الحقّ في كلّ واقعة[١].

ويمكن أن يمثّل له ما رُوي في قصاص رسول الله ﷺ ممَّن قتل مسلماً في غزوة أُحد لعداوة بينهما ظنّاً منه أنَّ النَّاس يتوهمون بأنَّ قاتله المشركون، لكن الرسول ﷺ عمل بعلمه الواقعي وأمر بقصاصه[٢].

وكقضاء أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الوقائع بما يعبِّر عنه: «قضية في واقعة»[٣]، مع احتمال أن يكون حكمه عليه السلام حسب القرائن القطعية لا حسب علمه الواقعي ـ كما مرَّ ـ.

وقد يحمل عليه الروايات الدالَّة على حكم الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف بحكم آل داود[٤] لا يطلب بيِّنة، وقد مرّ بعض الكلام فيه.

٦ ـ في المرآة أيضاً: تفويض بيان العلوم والأحكام إليهم بما أرادوا ورأوا من المصلحة فيها، بسبب اختلاف عقول النَّاس وأفهامهم، أو بسبب التقيَّة، فيفتون بعض النَّاس بالأحكام الواقعية، وبعضهم بالتقيَّة، ويسكتون عن جواب بعضهم للمصلحة، ويجيبون في تفسير الآيات وتأويلها وبيان الحكم والمعارف بحسب ما يحتمله عقل كلّ سائل، كما ورد في أخبار كثيرة: عليكم المسألة وليس علينا الجواب، كلّ ذلك بحسب ما يريهم الله من مصالح الوقت[٥].

٧ ـ وفي المرآة أيضاً: التفويض في الإعطاء والمنع، فإنَّ الله خلق لهم الأرض وما فيها، وجعل لهم الأنفال والخمس والصفايا وغيرها، فلهم

(١) المرآة: ج٣، ص١٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام: ج٣، ص٥٤.

(٣) انظر: شرح الأخبار للقاضي النعمان: ج٢، ص٣٠٤.

(٤) انظر: غيبة النعماني: ص٣٢٨.

(٥) المرآة: ج٣، ص١٤٥ ـ بتصرُّف ـ.

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ النَّحْوِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ[١] عَلَى مَحَبَّتِهِ[٢] ....

أن يعطوا من شاؤوا وأن يمنعوا من شاؤوا، وهذا المعنى أيضاً حقّ يظهر من كثير من الأخبار(١).

فاتضح أنَّ المعنى الأوَّل من التفويض هو كفر وأمَّا سائر المعاني فلا محذور فيها، بل دلَّت الأدلَّة عليها.

الحديث الأوَّل:

وهذا الحديث ظاهر في المعنى الرابع.

[١] **(أدَّب نبيّه)**:

«الأدب» ملكة تدعو إلى المحامد من الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة.

[٢] **(على محبَّته)**:

المحبَّة بمعنى اللزوم، ففي المقاييس: وأما اللزوم فالحبّ والمحبَّة، اشتقاقه من أحبَّه إذا لزمه(٢).

فالمعنى أنَّ الله أدَّب النبي ﷺ على لزوم أمر الله وإرادته فلا يفارقه أبداً، بل كلّ أفعاله تنشأ من أمر الله سبحانه وتعالى.

ويحتمل أن يكون المعنى لأجل حبّه إيَّاه، فالله تعالى أدَّب النَّبي ﷺ لأجل محبَّته، فـ(على) بمعنى اللام كقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾(٣) ـ حسب بعض المعاني ـ.

وفي الوافي: يعني علَّمه وفهَّمه ما يوجب تأدُّبه بأدب الله وتخلُّقه بأخلاق الله لحبّه إيَّاه. أو حال كونه محبّاً له، وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٤٦.

(٢) المقاييس: ص٢٣١.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٨.

فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ[٣]﴾ [القَلَم: ٤]، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟[٤]﴾ [الحَشر: ٧]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ[٥]﴾ [النِّسَاء: ٨٠]، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ

ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

أو علّمه ما يوجب محبّة الله له، أو محبّته لله التي هي سبب لسعة الخلق وعظيم الحلم(١).

[٣] (﴿لعلى خلق عظيم﴾):

«الخُلُق»: بضمتين هي الصورة الباطنية للإنسان، كما أنّ (الخَلْق) هو الصورة الظاهرية له، فرسول الله ﷺ هو قمّة الأخلاق الحسنة.

[٤] (﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾):

قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٢).

والظاهر أنّ قوله: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمُ...﴾ بمعنى ما آتاكم من الأحكام حيث إنّه ﷺ لم يقسم فيء بني النضير بين المسلمين لأنّهم لم يحاربوا فيحصلوا عليه غنيمة، وإنّما صالح بنو النضير رسول الله ﷺ فسلّموا ذلك الفيء من غير قتال، فلم يعط رسول الله ﷺ للأنصار منه شيئاً وإنّما قسّم بعضه على المهاجرين حسب أمر الله تعالى في الآية ٨.

وجه الاستدلال بالآية أنّ الله تعالى أطلق الكلام فقال: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾ ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ﴾ وهو عام يشمل كلّ أوامره ونواهيه.

[٥] (﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾):

لأنّ الله أمر بإطاعة الرسول، كما أنّ الرسول يتكلّم عن الله تعالى، فإطاعة الرسول طاعة لله تعالى.

---

(١) الوافي: ج٣، ص٦١٤ ـ ٦١٥.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

نَبِيَّ اللَّهِ فَوَّضَ إِلَى عَلِيٍّ وَائْتَمَنَهُ[٦]، فَسَلَّمْتُمْ وَجَحَدَ النَّاسُ، فَوَاللَّهِ لَنُحِبُّكُمْ أَنْ تَقُولُوا[٧] إِذَا قُلْنَا وَأَنْ تَصْمُتُوا إِذَا صَمَتْنَا، وَنَحْنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٨]، مَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ خَيْراً فِي خِلَافِ أَمْرِنَا[٩].

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ... ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ.

٢ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ يُونُسَ،

---

[٦] **(وائتمنه):**
عطف تفسيري، لأنَّ التفويض لا يكون إلّا بائتمان، كلّ ذلك بأمر من الله تعالى.

[٧] **(فوالله لنحبكم أن تقولوا...):**
أي نُحبّ كونكم على هذه الحالة، بأن تكونوا تابعين لنا في كلّ شيء، وفي الدُّعاء: المتقدّم لهم مارق والمتأخّر عنهم زاهق واللازم لهم تابع(١).

[٨] **(ونحن فيما بينكم وبين الله عزَّ وجلَّ):**
أي نحن الواسطة، فلا يجوز لكم أن تخالفونا فتقولوا حين نسكت أو تسكتوا حين نقول، بل كلامنا هو كلام الله تعالى.

[٩] **(وما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا):**
لأنَّ أمرنا أمر الله تعالى، فلا خير في مخالفته سبحانه، كما أنَّ مخالفتنا محرَّمة ولا خير في الحرام.

الحديث الثاني:

وهذا الحديث له ظهور في المعنى السادس.

---

(١) المزار: ص٤٠١.

عَنْ بَكَّارِ بْنِ بَكْرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَشْيَمَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَسَأَلَهُ رَجُلٌ[١] عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَخْبَرَهُ بِهَا. ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ دَاخِلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ تِلْكَ الْآيَةِ فَأَخْبَرَهُ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْأَوَّلَ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى كَأَنَّ قَلْبِي يُشْرَحُ بِالسَّكَاكِينِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: تَرَكْتُ أَبَا قَتَادَةَ[٢] بِالشَّامِ لَا يُخْطِئُ فِي الْوَاوِ وَشِبْهِهِ، وَجِئْتُ إِلَى هَذَا يُخْطِئُ هَذَا الْخَطَأَ كُلَّهُ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ آخَرُ فَسَأَلَهُ عَنْ تِلْكَ الْآيَةِ فَأَخْبَرَهُ بِخِلَافِ مَا أَخْبَرَنِي وَأَخْبَرَ صَاحِبَيَّ، فَسَكَنَتْ نَفْسِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ تَقِيَّةٌ[٣]، قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ أَشْيَمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ

---

[١] **(فسأله رجل):**

يعني نفسه، فإنَّ السائل كان نفس موسى بن أشيم، كما يظهر من تتمة الرواية، وكذا يظهر من روايات أُخَر رواها في بصائر الدرجات، منها: عن موسى بن أشيم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألته عن مسألة فأجابني... الحديث(١)، وفي حديث آخر: عن أديم بن الحر قال: سأله موسى بن أشيم - يعني أبا عبد الله - عن آية من كتاب الله... الحديث(٢).

وفي الوافي: كأنَّه كان شريكاً للسائل الأوَّل فيما أخبره به في الاستماع والتوجه، ولهذا نسبه إلى نفسه(٣).

[٢] **(أبا قتادة):**

وهو تميم بن نذير العدوي من كبار المخالفين.

[٣] **(أنَّ ذلك منه تقيَّة):**

والذي يظهر من تتمة الرواية، أنَّ الأجوبة الثلاثة كلّها صحيح مطابق

---

(١) بصائر الدرجات: ص٤٠٣.

(٢) بصائر الدرجات: ص٤٠٦.

(٣) الوافي: ج٣، ص٦١٨.

إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَقَالَ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ[٤]﴾ [ص: ٣٩]، وَفَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فَمَا فَوَّضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا.

للواقع، ولكن كلّ جواب كان من زاوية، أو كان بعضها من الظاهر وبعضها من الباطن، فأجاب عليه السلام كلّ واحد بمقتضى عقله، وعن رسول الله ﷺ «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم النّاس على قدر عقولهم»(١) وكثيراً ما يكون للسؤال الواحد أجوبة متعدِّدة.

[٤] (﴿أو أمسك بغير حساب﴾):

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢)، والمعنى هذا الملك عطاؤنا لك فأعط ما شئت لمن شئت أو أمسك فلا تُعط.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إمّا بمعنى الكثرة فيكون عطاؤك كثيراً بحيث لا يمكن عدّه كثرةً، أو بمعنى أنّك غير محاسب يوم القيامة على إعطائك، لأنّك وهبت ممّا أجاز الله لك، مضافاً إلى كون سليمان حكيماً معصوماً.

ثمّ إنّ ملك سليمان كان مادياً ومعنوياً، فعطاؤه منهما، وكذا الرسول ﷺ فوّض الله إليه معنوياً ومادياً، ومن بعده الأئمّة عليهم السلام.

ولكن لا يخفىٰ أنّ خصوصية المورد لا تخصّص الوارد، فالآية عامّة، وكلام الإمام عليه السلام عام، فيشملان الأنواع الممكنة من التفويض، وإن كان المورد هو التفويض في بيان الجواب عن سؤال ديني حول آية من القرآن الكريم.

---

(١) الكافي، كتاب العقل، الحديث ١٥.

(٢) سورة ص: الآيات ٣٥ ـ ٣٩.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ؛ وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولَانِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَمْرَ خَلْقِهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ[١]، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ لِبَعْضِ أَصْحَابِ

الحديث الثالث:

وهذا الحديث عام يشمل التفويض بالمعنى والرابع والسابع.

[١] **(لينظر كيف طاعتهم)**:

أي ليعلم من يطيع الرسول ممّن يعصيه ﷺ كما في حديث آخر.

وهذا من امتحان الخلق، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾(١)، فجعل سلطة لرجل دونهم وفيهم الكبراء أمر صعب عليهم كما قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾(٢). وقد يسهل إطاعة الله تعالى، لكن يصعب على بعض النُّفوس إطاعة بشر مثلهم. كما قد يصعب عليهم أن يكون الرسول هو الذي يقسِّم العطاء كما يشاء من دونهم.

فهنا يكون الاختبار ويسقط من في نفسه كبر أو ضلال.

الحديث الرابع:

وهذا الخبر صريح في المعنى الرابع ـ التفويض في التشريع المعبِّر عنه بالولاية التشريعية ـ.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢.

(٢) سورة ص: الآية ٨.

قَيْسِ الْمَاصِرِ[١]: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤]، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأُمَّةِ[٢] لِيَسُوسَ عِبَادَهُ[٣]، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧]. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُسَدَّداً مُوَفَّقاً مُؤَيَّداً[٤] بِرُوحِ الْقُدُسِ[٥]، ....

---

[١] **(قيس الماصر):**

كان قد تعلَّم الكلام عند الإمام زين العابدين عليه السلام، ويبدو أنَّه علَّمه للآخرين حتى عدّوا من أصحابه.

[٢] **(أمر الدِّين والأُمَّة):**

أمر الدِّين ظاهر في المعنى الرابع، وأمر الأُمَّة ظاهر في المعنى الثالث من معاني التفويض.

[٣] **(ليسوس عباده):**

«ساس» بمعنى ولي أُمورهم وقادهم.

[٤] **(مسدَّداً موفَّقاً مؤيَّداً):**

«السداد»: بمعنى الاستقامة(١) وإصابة الواقع، يُقال سَدَّد رميته إذا أصاب الهدف.

و«التوفيق»: أن يهيىء الله تعالى المقدِّمات ليصل الشخص إلى الحقّ باختياره، فالتوفيق هو مطابقة الفعل للقَدَر في الخير(٢).

و«التأييد»: بمعنى التقوية بشدَّة(٣).

[٥] **(بروح القدس):**

أي روح مطهَّرة، والمراد بها جبرائيل عليه السلام.

---

(١) المفردات: ص٤٠٣.

(٢) راجع المفردات: ص٨٧٧ ـ ٨٧٨ ـ بتصرُّف ـ

(٣) راجع المفردات: ص٩٧.

لَا يَزِلُّ وَلَا يُخْطِئُ[٦] فِي شَيْءٍ مِمَّا يَسُوسُ بِهِ الْخَلْقَ، فَتَأَدَّبَ بِآدَابِ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، ـ عَشْرَ رَكَعَاتٍ ـ، فَأَضَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٧] إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، وَإِلَى الْمَغْرِبِ رَكْعَةً، فَصَارَتْ عَدِيلَ

[٦] **(لا يزل ولا يخطىء):**

الزلل ـ هنا ـ بمعنى الذنب، أي لا يصدر منه ذنب وهو ما كان بقصد، ولا خطأ وهو ما لم يكن بقصد.

ثمَّ مثَّل الإمام الصَّادق عليه السلام بما أوجبه أو استحبَّه رسول الله من الصلاة والصيام، وبما حرَّمه من المسكر وبما كرَّهه، ولم يذكر المباح لأنَّ الله تعالى أباح كلّ شيء إلَّا ما استثني.

[٧] **(فأضاف رسول الله ﷺ):**

وفي العيون بسنده عن الإمام الرِّضا عليه السلام ففرض الله عزَّ وجلَّ الصلاة ركعتين، ثمَّ علَّم رسول الله ﷺ أنَّ العباد لا يؤدّون هاتين الركعتين بتمام ما أمروا به وكماله فضمَّ إلى الظهر والعصر والعشاء الآخرة ركعتين ركعتين ليكون فيها تمام الركعتين الأوليين، ثمَّ علَّم أنَّ صلاة المغرب يكون شغل النَّاس في وقتها أكثر للانصراف إلى الإفطار والأكل والوضوء والتهيئة للمبيت فزاد فيها ركعة واحدة ليكون أخف عليهم ولأن تصير ركعات الصلوات في اليوم والليلة فردا، ثمَّ ترك الغداة على حالها لأنَّ الاشتغال في وقتها أكثر والمبادرة إلى الحوائج فيها أعمّ، ولأنَّ القلوب فيها أخلى لقلَّة معاملة النَّاس باللَّيل وقلَّة الأخذ والإعطاء... الحديث(١).

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام: «لما عرج برسول الله ﷺ نزل بالصلاة عشر ركعات ـ ركعتين ركعتين ـ، فلمَّا ولد الحسن والحسين عليهما السلام زاد رسول الله ﷺ سبع ركعات شكراً لله، فأجاز الله له ذلك، وترك

---

(١) الوسائل: ج٤، ص٥٣ ـ ٥٤ عن العيون والعلل.

الْفَرِيضَةِ[٨]، لَا يَجُوزُ تَرْكُهُنَّ إِلَّا فِي سَفَرٍ، وَأَفْرَدَ الرَّكْعَةَ فِي الْمَغْرِبِ فَتَرَكَهَا قَائِمَةً فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَصَارَتِ الْفَرِيضَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّوَافِلَ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ رَكْعَةً مِثْلَي الْفَرِيضَةِ[٩]، فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْفَرِيضَةُ وَالنَّافِلَةُ إِحْدَى وَخَمْسُونَ رَكْعَةً، مِنْهَا رَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ جَالِساً تُعَدُّ بِرَكْعَةٍ[١٠] مَكَانَ

الفجر لم يزد فيها لضيق وقتها لأنَّها تحضرها ملائكة اللَّيل وملائكة النَّهار. . . الحديث(١).

[٨] **(فصارت عديل الفريضة):**
أي تساوي الفريضة من جهة الأحكام، فتجب ولا يجوز تركها.

[٩] **(النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي الفريضة):**
وعن الإمام الرِّضا عليه السلام: فجعلت السُّنَّة أربعاً وثلاثين ركعة، لأنَّ الفريضة سبع عشرة، فجعلت السُّنَّة مثلي الفريضة كمالاً للفريضة(٢).
وفي حديث آخر عن الإمام الصَّادق عليه السلام: إنَّ العبد يرفع له ثلث صلاته ونصفها وثلاثة أرباعها، وأقل وأكثر على قدر سهوه فيها، لكنَّه يتم له من النوافل(٣).
وعن الإمام الباقر عليه السلام: كل سهو في الصلاة يطرح منها غير أنَّ الله يتمّ بالنوافل(٤).
والأحاديث في ذلك كثيرة.

[١٠] **(منها ركعتان بعد العتمة جالساً تعدّ بركعة):**
العتمة صلاة العشاء، واعلم أنَّ أصل النافلة ثلاث وثلاثون ركعة، ولكن

---

(١) الوسائل: ج٤، ص٥٠ عن الكافي.
(٢) الوسائل: ج٤، ص٥٤ عن العلل والعيون.
(٣) الوسائل: ج٤، ص٧١ عن الكافي.
(٤) الوسائل: ج٤، ص٧٣ عن الكافي.

الْوَتْرِ[١١]، وَفَرَضَ اللَّهُ فِي السَّنَةِ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْمَ شَعْبَانَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ[١٢]، مِثْلَيِ الْفَرِيضَةِ، فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَمْرَ بِعَيْنِهَا[١٣]، وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

زيدت الوتيرة ـ ركعتان من جلوس تعدَّان بركعة واحدة ـ لتكون مقابل كل ركعة من الفريضة ـ وهي سبع عشرة ـ ركعتان من النافلة.

ولذا عدَّت الوتيرة في بعض الأخبار من النوافل ولم تُعدُّ منها في بعض آخر.

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام: لأيّ علّة تصلّى الركعتان بعد العشاء الآخرة من قعود؟ فقال: لأنَّ الله فرض سبع عشرة ركعة فأضاف إليها رسول الله ﷺ مثليها فصارت إحدى وخمسين ركعة، فتُعدَّان هاتان الركعتان من جلوس بركعة(١).

[١١] **(مكان الوتر):**

يُستفاد من بعض الأخبار أنَّ الوتيرة بعد العشاء هي بدل عن الوتر ـ وهو الركعة الواحدة التي تصلّى بعد صلاة اللّيل وصلاة الشفع ـ، حيث لا يضمن الإنسان بقاءه حيّاً إلى الصباح، فجُعلت الوتيرة بدلاً، فإن بقي حيّاً صلّى الوتر، فعن الإمام الصّادق عليه السلام: إنّهما بركعة، فمن صلّاها ثم حدث به حدث مات على وتر، فإن لم يحدث به حدث الموت يصلّي الوتر في آخر اللّيل... الحديث(٢).

[١٢] **(من كلّ شهر):**

أي من الأشهر المتبقية.

[١٣] **(الخمر بعينها):**

والخمر هو المسكر المتخذ من العنب، وقيل: هو المتخذ من العنب والتمر(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ

---

(١) الوسائل: ج٤، ص٩٦ عن العلل.

(٢) الوسائل: ج٤، ص٩٦ عن العلل.

(٣) راجع مفردات الراغب: ص٢٩٩.

الْمُسْكِرَ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ، فَأَجَازَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَعَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[١٤] أَشْيَاءَ وَكَرِهَهَا وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا نَهْيَ حَرَامٍ إِنَّمَا نَهَى عَنْهَا نَهْيَ إِعَافَةٍ وَكَرَاهَةٍ، ثُمَّ رَخَّصَ فِيهَا[١٥]، فَصَارَ الْأَخْذُ بِرُخَصِهِ وَاجِباً عَلَى الْعِبَادِ[١٦] كَوُجُوبِ مَا يَأْخُذُونَ بِنَهْيِهِ وَعَزَائِمِهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ نَهْيَ

ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾(١) وقال: ﴿يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾(٢)، وأمّا سائر الأشربة المسكرة كالنبيذ، والشراب المسكر المتخذ من سائر الفواكه، وكلّ مسكر مايع بالأصالة، فقد حرّمه الرسول ﷺ.

[١٤] (وعاف رسول الله ﷺ):

عاف عيافاً، إذا كره من طعام أو شراب(٣) أي تركهما لكراهته لهما، وباب الأفعال أعاف إعافة بنفس المعنى.

[١٥] (ثمّ رخّص فيها):

أي لم يكن نهي الإعافة للحرمة، بل للحزازة في الشيء مع الترخيص فيه.

[١٦] (الأخذ برخصه واجباً على العباد):

أي التسليم للحكم وقبوله قلباً، أي يذعن في قلبه بصحة ذلك الحكم مع عقد القلب عليه، وأما في العمل فهو مخيّر بين الفعل والترك.

وقد يستشكل بعض الجهلة على فتوى فقيه بجواز فعل مع تركه له، فإنّ الفتوى هي بيان لحكم الله تعالى وأنّه ليس بواجب فيجوز لك فعله ويجوز لك تركه، وحينئذٍ يختار الفقيه أحد الطرفين لجوازه.

وقد رأينا من يشكل على الفقهاء فتواهم بجواز بعض الشعائر الحسينية مع

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩١.

(٣) راجع مقاييس اللغة: ص٦٩٨.

عدم ممارستهم لها، فقالوا كيف يفتون بالجواز مع تركهم لها.

وهذا إشكال في غاية السخافة كما بيَّناه، والفقيه يبيِّن جواز كثير من الأمور لأنَّه بيان لحكم الشرع، ويبقى هو وغيره مخيَّراً في الفعل والترك.

فهل يصحّ أن نستشكل على الفقيه بأنَّه كيف يفتي بجواز سياقة السيارات مع أنَّه لا يسوقها أصلاً بل يعتبر ممارسته لها خلافاً لشأنه، وكذا كتابته فصل في رسالته العملية في أحكام السبق والرماية مع عدم مشاركته هو في أي نشاط رياضي، بل يستقبح ذلك منه.

وأسخف من هذا إشكال بعض العامَّة حينما يُقال لهم بأنَّ الله أباح نكاح المتعة، فيقولون هل ترضى ذلك لأختك وأُمّك مثلاً!!

فيُقال لهم، وكيف رضي رسول الله ﷺ نكاح المتعة للصحابيات وبنات المهاجرين والأنصار حينما بيَّن لهم جوازها ـ حتَّى على القول بالنسخ المزعوم فإنَّه كيف رضي لهن قبله ـ، وكيف رضي أبو بكر بذلك لبنته حسب ما رواه النسائي في سُننه(١) هذا الجواب النقضي.

وأمّا الجواب الحلي: فبأنَّ المتعة جائزة حسب الشرع ودلَّ عليها القرآن والسُّنَّة، ولم تنسخ أبداً بل حرمها الثاني وقولته معروفة: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما(٢) ولذا اضطربت رواياتهم في زمان نسخها، واضطر بعضهم للقول بأنَّها نُسخت وأُبيحت مرَّات متعدِّدة إلى أربعة عشر قولاً(٣).

والمؤمن يسلِّم لهذا الحكم، ولكن ما دام ليس بواجب فيمكنه تركه، وقد لا يرغب فيه في جهة العمل، وما أكثر الأمور المباحة التي لا تكون من شأن بعض النَّاس وخاصَّة ذوي المراتب الاجتماعية، فهم يُقرّون بأنها جائزة ولكنَّهم يصرِّحون بتركهم لها للمنقصة الاجتماعية فيها.

---

(١) عن أسماء بنت أبي بكر (فعلناها على عهد رسول الله) سُنن النسائي: ج٣، ص٣٢٧، الحديث رقم ٥٥٤٠، وقضية النطاقين معروفة.

(٢) كمثال انظر: مسند أحمد: ج٢٢، ص٣٦٥؛ كنز العمّال: ج١٦، ص٥٢١.

(٣) راجع الفقه كتاب النكاح: ج٦٥، ص٢٢٦ عن الغدير الجزء السادس، ص٣١٨.

حَرَامٍ وَلَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ فَرْضٍ لَازِمٍ. فَكَثِيرُ الْمُسْكِرِ[١٧] مِنَ الْأَشْرِبَةِ نَهَاهُمْ عَنْهُ نَهْيَ حَرَامٍ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ لِأَحَدٍ، وَلَمْ يُرَخِّصْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَحَدٍ تَقْصِيرَ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ضَمَّهُمَا إِلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ أَلْزَمَهُمْ ذَلِكَ إِلْزَاماً وَاجِباً، لَمْ يُرَخِّصْ لِأَحَدٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُسَافِرِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُرَخِّصَ شَيْئاً مَا لَمْ يُرَخِّصْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَافَقَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَهْيُهُ نَهْيَ اللَّهِ عَزَّ، وَجَلَّ وَوَجَبَ عَلَى الْعِبَادِ التَّسْلِيمُ لَهُ[١٨] كَالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٥ ـ أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ

على أنَّ كثيراً من النَّاس لا منقصة عندهم في ذلك ولا يتعارض مع شأنهم الاجتماعي، ولذا كَثُر في مجتمعات أهل الخلاف حقيقة نكاح المتعة مع تغيير في مسمّياتها، كالزواج بنيَّة الطلاق، وزواج المسيار ونحوهما.

[١٧] (فكثير المسكر):

أي كثير من أنواع المسكرات، فإنَّ المسكرات كثيرة جداً باختلاف الفاكهة المتخذة منه، وكذا بكيفية عصرها وتخميرها، وقيل: إنَّ للخمر في لغة العرب أكثر من سبعين اسماً لاختلاف مصدرها وحالاتها وألوانها. . . إلخ.

[١٨] (ووجب على العباد التسليم له):

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(١) أي سلِّموا له قلباً وعملاً كما تصلّون عليه بالقول.

الحديث الخامس:

مرَّ هذا الحديث بسند آخر في الحديث الثالث، كرَّره الكليني رضوان الله عليه لأهميته ولتعدّد السند.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ زُرَارَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا جَعْفَرٍ وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولَانِ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله أَمْرَ خَلْقِهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ زُرَارَةَ مِثْلَهُ.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَدَّبَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى مَا أَرَادَ[١] قَالَ لَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فَفَوَّضَ إِلَيْهِ دِينَهُ فَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الْفَرَائِضَ[٢] وَلَمْ يَقْسِمْ لِلْجَدِّ

الحديث السادس:

وهذا الحديث أيضاً صريح في المعنى الرابع ـ التفويض في التشريع ـ.

[١] **(فلما انتهى به إلى ما أراد):**

الظاهر أنَّ الله خلق الرسول صلى الله عليه وآله متصفاً بهذه الصفات ـ من باب ضيق فم الركية ـ لا أنَّه خلقه مجرَّداً عنها ثم أفاضها عليه. وفي الحديث «كنت نبيّاً وآدم بين طين وماء»(١)، كما أنَّ معنى الاصطفاء ذلك.

فمعنى (أدَّب نبيّه) خلقه متصفاً بهذه الصفات العليا، كما يُقال: إنَّ الله جعل فلاناً قرشياً وجعل الله فلاناً أسود، أي خلقه متصفاً بالقرشية وخلق ذاك متصفاً بالسواد، فتأمَّل.

[٢] **(فرض الفرائض):**

أي بيَّن المواريث، ولم يذكر في القرآن إرث الجدّ، بل فوَّض ذلك إلى

---

(١) المناقب: ج١،ص١٨٣.

شَيْئاً، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَهُ السُّدُسَ فَأَجَازَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ[٣] عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [صٓ: ٣٩].

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِيَةَ الْعَيْنِ وَدِيَةَ النَّفْسِ[١]، وَحَرَّمَ النَّبِيذَ[٢] وَكُلَّ مُسْكِرٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ جَاءَ فِيهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ[٣]، ....

الرسول ﷺ، فجعل الجدّ في الطبقة الثانية من طبقات الإرث وخصَّص له سدس التركة.

[٣] **(وذلك قول الله)**:

أي نظيره، أو أنَّ تأويل الآية بالرسول ﷺ.

الحديث السابع:

أيضاً هذا الخبر صريح في الولاية التشريعية ـ المعنى الرابع ـ.

[١] **(دية العين ودية النَّفس)**:

دية العين كلّ واحدة نصف دية نفس كاملة، فإنَّ كل ما في الجسم منه اثنان فدية كلّ واحدة منهما نصف دية النَّفس كالأذن والعين، وكلّ ما في البدن منه واحد فديته كاملة كاللِّسان والأنف.

وأمَّا دية النَّفس فألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو مائة بعير، أو مائتا بقرة، أو ألف شاة، أو ألف حلَّة، وتفاصيلها مذكورة في الفقه.

[٢] **(النبيذ)**:

وهو الماء يُنبذ فيه التمر أو غيره ويُترك فترة إلى أن يختمر ويسكر.

[٣] **(قال: نعم)**:

أي لم ينشئ الله تعالى حكماً خاصاً، بل ترك الإنشاء إلى رسول الله ﷺ،

لِيَعْلَمَ[٤] مَنْ يُطِيعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَعْصِيهِ.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: وَجَدْتُ فِي نَوَادِرِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَا وَاللَّهِ مَا فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَإِلَى الْأَئِمَّةِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ[١]﴾ [النّسَاء: ١٠٥] وَهِيَ جَارِيَةٌ فِي الْأَوْصِيَاءِ عليهم السلام.

فالاقتضاء ـ من المصلحة أو المفسدة ـ كان موجوداً، وكذلك إرادة ربّانية، ولكن فوَّض توقيع الحكم ـ أي إنشاؤه ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

[٤] **(ليعلم):**

أي ليعلم الله، بمعنى ليظهر ما علمه أزلاً، أو بمعنى ليعلم أولياؤه ذلك، أو بمعنى لنميِّز، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢).

الحديث الثامن:

وهذا الحديث ظاهر في المعنى الخامس ـ بقرينة شأن نزول الآية المذكورة في هذا الحديث ـ، أو بالمعنى الثالث بمعنى أنَّ القضاء فوَّضه الله إليهم.

[١] **(لتحكم بين النَّاس بما أراك الله):**

شأن النزول أنَّ جماعة نقبوا على عمّ قتادة بن النعمان وسرقوا منه، فشكا قتادة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «إنَّ قوماً نقبوا على عمي وهم أهل بيت سوء».

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة محمَّد: الآية ٣١.

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمِيثَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ رَسُولَهُ، حَتَّى قَوَّمَهُ عَلَى مَا أَرَادَ،

فشكوه إلى رسول الله وقال قائلهم: إنَّ قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منَّا أهل شرف وحسب ونسب فرماهم بالسرقة واتهمهم بما ليس فيهم، فلما جاء قتادة إلى الرسول ﷺ عاتبه الرسول عتاباً شديداً، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾[(١)(٢)].

ولا يخفىٰ أنَّ رسول الله ﷺ حكم بظاهر الشرع، فعتابه لقتادة كان لأنَّه اتهم قوماً من غير أن يقيم بيِّنة على ذلك، أو أنَّه تجاوز الحدّ في الاتهام، لأنَّ السُّرَّاق كانوا ثلاثة ولعلَّه اتهم قومهم كلّهم.

فأنزل الله تعالى هذه الآيات ليفضح السرَّاق والمدافعين عنهم.

وبقرينة شأن النزول هذا تكون الآية دالّة على جواز الحكم حسب العلم الواقعي، فرسول الله ﷺ يمكنه أن يحكم بظاهر الشرع لأنَّه حكم أراه الله تعالى، فتأمَّل، وهذا هو المعنى الخامس للتفويض.

ويمكن أن يكون المُراد الاستدلال بالآية بأنَّ منصب القضاء هو للرسول ﷺ وللأئمَّة من بعده، فقد فوَّض الله إليهم ذلك.

الحديث التاسع:

وهذا الحديث يدلُّ على التفويض بالمعنى الثالث فما بعد، أي هو مطلق يشمل كلّ أنواع التفويض الصحيح إلَّا المعنى الثاني.

---

(١) سورة النِّساء: الآيات ١٠٥ ـ ١٠٨.

(٢) لتفصيل القصة راجع البرهان: ج٣، ص٢٢٥ فما بعد.

ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. فَمَا فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا.

١٠ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ صَنْدَلٍ الْخَيَّاطِ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] قَالَ: أَعْطَى سُلَيْمَانَ مُلْكاً عَظِيماً، ثُمَّ جَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَا شَاءَ مَنْ شَاءَ وَيَمْنَعَ مَنْ شَاءَ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَعْطَى سُلَيْمَانَ[١] لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

الحديث العاشر:

وهذا كالسابق في الدلالة المطلقة على التفويض بالمعاني الصحيحة منه ـ إلَّا الثاني ـ.

[١] **(أفضل ممَّا أعطى سليمان):**

لأنَّ سليمان عليه السلام فوِّض إليه في الأمور الدنيوية، وأمَّا الرسول ﷺ فقد فوِّضت إليه الأُمور الدنيوية والدِّينيَّة والحمد لله ربِّ العالمين.

بَابٌ فِي أَنَّ الْأَئِمَّةَ بِمَنْ يُشْبِهُونَ مِمَّنْ مَضَى وَكَرَاهِيَةِ الْقَوْلِ فِيهِمْ بِالنُّبُوَّةِ

١ ـ أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا مَوْضِعُ الْعُلَمَاءِ[١]؟ قَالَ[٢]: ....

الحديث الأوّل:

[١] **(ما موضع العلماء):**

أي منزلة الأئمّة عليهم السلام، ومراده منزلتهم من جهة العلم.

[٢] **(قال):**

وجه التشبيه: أنَّ ذا القرنين كان عالماً بإدارة الدولة والفتوحات طبق حكم الله تعالى، ولذلك اتبع سبباً في كلّ حركة نحو المشرق أو المغرب أو بين السدّين قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ وقال: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ وقال: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾(١) الآيات.

وأنَّ صاحب سليمان عليه السلام ـ آصف بن برخيا ـ كان له علم من الكتاب، بحيث تمكّن من الإتيان بعرش بلقيس قبل أن يرتدَّ طرف سليمان، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٢).

وأنَّ صاحب موسى عليه السلام ـ الخضر ـ كان له علم ما يكون في السفينة والجدار

---

(١) سورة الكهف: الآيات ٨٤ ـ ٩٣.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٠.

مِثْلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ[٣]، ....

والغلام، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[١].

فهؤلاء لم يكونوا أنبياء لكنَّهم كانوا علماء ـ كلٌّ في جهة ـ.

والتشبيه في أصل العلم لا في تفاصيله، وإلَّا فمقدار علم هؤلاء لا يُقاس بالأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ علمهم بالقياس إلى علم الأئمة عليهم السلام كقطرة مقابل البحر المحيط ـ كما مرَّ ـ.

كما أنَّ تشبيههم عليهم السلام بهؤلاء لأجل أنَّ ذا القرنين وصاحب سليمان وصاحب موسى معروفون لدى النَّاس وذُكر علمهم في القرآن الكريم، ولذا لم يذكرهم بالاسم بل ذكرهم بالوصف حيث لم يذكر القرآن الكريم أسماء هؤلاء بل وصفهم.

[٣] **(مثل ذي القرنين):**

وهو عبد صالح آتاه الله المُلك، كما قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[٢].

وعِلمنا به إنَّما هو عن طريق إخبار القرآن الكريم، ولم يسجِّل التاريخ ذكره، بل كان قبل تسجيل التاريخ، وأمَّا القول بأنَّه كان إسكندر المقدوني أو كورش الفارسي فضعيف جداً لعدم انطباق سيرتهما على الشرع، كما لا تنطبق عليهما الأوصاف المذكورة لذي القرنين في القرآن الكريم، بل روي أنَّ اسمه كان «عياش»[٣].

وأمَّا وجه تسميته بذي القرنين، فقد رُوي أنَّه سئل أمير المؤمنين عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟ فقال: لا نبيّاً ولا ملكاً، عبد أحبَّ الله فأحبَّه الله، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن، فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمَّ بعثه الثانية فضربوه على قرنه

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) سورة الكهف: الآية ٩٤.

(٣) تفسير البرهان: ج٦، ص٢٧١.

وَصَاحِبِ سُلَيْمَانَ[٤] وَصَاحِبِ مُوسَى عليه السلام[٥].

الأيسر، فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمَّ بعثه الثالثة فمكَّن الله له في الأرض، وفيكم مثله ـ يعني نفسه ـ(١).

وفي المرآة: والذي يظهر من الخبر السابق أنَّ التشبيه باعتبار الضربتين ـ [أي ضربة يوم الخندق وضربة ابن ملجم] ـ والرجوع إلى الدُّنيا واستيلائه على شرق الأرض وغربها(٢).

[٤] **(وصاحب سليمان):**

وهو آصف بن برخيا كان وصي سليمان عليه السلام وقد آتاه الله علماً من الكتاب(٣).

[٥] **(وصاحب موسى):**

وهو إمَّا الخضر، فإنَّه كان صاحب موسى كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(٤) وقال بعد ذلك: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾(٥). وقد اختُلف في نبوَّة الخضر وقد مرَّ بعض الكلام فيه.

وإمَّا صاحب موسى فهو يوشع بن نون، وهو فتى موسى الذي صاحبه في سفره(٦) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾(٧).

دلَّ هذا الحديث وما بعده على أنَّه لم يكن نبيّاً.

وقيل: لم يكن نبيّاً في تلك الحال الذي كان مع موسى عليه السلام، فلا ينافي نبوَّته بعد ذلك، فكان عالماً في حال عدم كونه نبيّاً، فكذلك الأئمَّة عليهم السلام كانوا علماء ولم يكونوا أنبياء.

---

(١) البرهان: ج٦، ص٢٦٤ عن تفسير القمّي.
(٢) المرآة: ج٣، ص١٥٩.
(٣) راجع البرهان: ج٧، ص٢٧٧ ـ ٢٨٤.
(٤) سورة الكهف: الآية ٦٦.
(٥) سورة الكهف: الآية ٧٦.
(٦) راجع تفسير البرهان: ج٦، ص٢٤٣ فما بعد.
(٧) سورة الكهف: الآيتان ٦٠ ـ ٦١.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّمَا الْوُقُوفُ عَلَيْنَا[١] فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَأَمَّا النُّبُوَّةُ فَلَا.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ ذِكْرُهُ ـ خَتَمَ بِنَبِيِّكُمُ النَّبِيِّينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ أَبَداً، وَخَتَمَ بِكِتَابِكُمُ الْكُتُبَ، فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ أَبَداً، وَأَنْزَلَ فِيهِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ[١]، ....

الحديث الثاني:

[١] (إنَّما الوقوف علينا):

أي تأخذوا منَّا الحلال والحرام من غير اعتقاد بنبوَّتنا، بل إنَّما ننقل لكم شرع جدّنا محمَّد صلى الله عليه وآله.

أو المعنى أن لا تتجاوزوا الحدّ في اعتقادكم فينا، بل تقفوا عند الإمامة ولا تتجاوزوا إلى النُّبوَّة، وإنَّما اقتصر على (الحلال والحرام) مع أنَّ جهات الإمامة متعدِّدة، لأنَّ الغرض هو جهة ارتباط النَّاس بالإمام عليه السلام وأهم جهات ارتباطهم هو أخذ الحلال والحرام منهم عليهم السلام، فتأمَّل.

الحديث الثالث:

[١] (وأنزل فيه تبيان كل شيء):

كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١)، ثم فسَّر الإمام عليه السلام قوله: ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ فهو:

١ ـ خلْق الإنسان، وإنَّما قدَّمه في الذِّكر، لأجل أنَّه الغاية من الخلق.

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

وَخَلْقَكُمْ[٢]، وَخَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَنَبَأَ مَا قَبْلَكُمْ، وَفَصْلَ مَا بَيْنَكُمْ[٣]، وَخَبَرَ مَا بَعْدَكُمْ، وَأَمْرَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ مُحَدَّثاً. فَقُلْتُ: فَتَقُولُ: نَبِيٌّ؟ قَالَ: فَحَرَّكَ بِيَدِهِ هَكَذَا[١]، ثُمَّ قَالَ: أَوْ كَصَاحِبِ سُلَيْمَانَ أَوْ كَصَاحِبِ

---

٢ ـ خلْق السَّماوات والأرض.
٣ ـ أخبار الأُمم السالفة.
٤ ـ الأحكام الشرعية التي هي القول الفصل، الذي يلزم للجميع الالتزام بها، وتحكيمها لرفع نزاعاتهم.
٥ ـ الأخبار المستقبلية في هذه الدُّنيا.
٦ ـ أخبار الجنَّة والنَّار ـ أي كيفيتهما وصفاتهما ـ.
٧ ـ مصير الإنسان بعد موته من البرزخ والقيامة والنعيم أو العذاب.

[٢] **(وخلقكم):**
بسكون اللام، أي في القرآن بيان نشوء الإنسان، سواء في عالم الذَّرّ، أو حين خلق آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض. . .إلخ.

[٣] **(وفصل ما بينكم):**
أي الأحكام الشرعية.
أو الأعمّ منها ومن سائر الأُمور الدِّينيَّة والدنيوية والمسائل المشكلة ـ كذا قيل ـ.

الحديث الرابع:

[١] **(فحرَّك بيده هكذا):**
أي أشار بيده بإشارة تدلُّ على النفي، كأن يحرِّك أصابعه وكفَّه إلى الأعلى، و(هكذا) حكاية الراوي بفعله فعل الإمام عليه السلام.

مُوسَى[٢] أَوْ كَذِي الْقَرْنَيْنِ، أَوَمَا بَلَغَكُمْ أَنَّهُ قَالَ[٣]: وَفِيكُمْ مِثْلُهُ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ؛ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا مَنْزِلَتُكُمْ؟ وَمَنْ تُشْبِهُونَ مِمَّنْ مَضَى؟ قَالَ: صَاحِبُ مُوسَى[١] وَذُو الْقَرْنَيْنِ، كَانَا عَالِمَيْنِ وَلَمْ يَكُونَا نَبِيَّيْنِ[٢].

---

[٢] **(أو كصاحب موسى...):**

«أو» إمَّا بمعنى (بل) أي ليس بنبي بل كصاحب سليمان...إلخ، وإمَّا للتخيير، أي إن شئت قل محدِّث أو قل كصاحب سليمان...إلخ، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(١).

[٣] **(أنَّه قال):**

أي قال علي عليه السلام «مثله»، أي مثل ذي القرنين ـ يعني نفسه الشريفة ـ(٢)، وفي حديث آخر: وفيكم من هو على سُنَّته(٣).

الحديث الخامس:

[١] **(صاحب موسى):**

أي نشبه صاحب موسى...إلخ، ورفع صاحب وذو القرنين على الابتداء أو الخبر، أي شبيهُنا صاحبُ...

[٢] **(كانا عالمين ولم يكونا نبيِّين):**

بيان وجه الشبه، وكما مرَّ فالتشبيه في أصل العلم لا في تفاصيله.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٧.

(٢) البرهان: ج٦، ص٢٦٣ عن كمال الدِّين وعن تفسير العياشي.

(٣) البرهان: ج٦، ص٢٦٧ عن كمال الدِّين.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ آلِهَةٌ، يَتْلُونَ بِذَلِكَ عَلَيْنَا قُرْآناً: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[١] [الزخرف: ٨٤] فَقَالَ: يَا سَدِيرُ سَمْعِي وَبَصَرِي[٢] وَبَشَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي مِنْ هَؤُلَاءِ بَرَاءٌ[٣]، ....

الحديث السادس:

[١] (﴿وهو الذي في السَّماء إله وفي الأرض إله﴾):
أي إله الكون بسمائه وأرضه، وهذا المعنى واضح جدّاً من سياق الآيات بل نفس تركيب هذه الآية.
قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١).

[٢] (سمعي وبصري...):
هذا الكلام مبالغة في البراءة منهم، أي أنا بكُلّي بريء منهم، أو أنَّ من يرضى بأن يُقال له إله يعذب يوم القيامة ويحترق بكلّ أعضائه، فأراد الإمام عليه السلام بيان براءته منهم بروحه وجسمه، ليتحمَّلوا هم وزر قولتهم الشنيعة.

[٣] (من هؤلاء براء):
«البراءة» بمعنى التباعد من الشيء، والبَراء ـ بفتح الباء ـ على لغة أهل الحجاز بمعنى البريء عن الشيء(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٨٢ ـ ٨٥.
(٢) انظر مقاييس اللغة: ص١١١، والمفردات.

وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُمْ[٤]، مَا هَؤُلَاءِ عَلَى دِينِي وَلَا عَلَى دِينِ آبَائِي، وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُنِي اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ[٥] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ....

وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٢).

ثم اعلم أنَّ الأئمَّة عليهم السلام كانوا شديدي الإنكار على الغلاة أكثر من إنكارهم على سائر المنحرفين، لأنَّ هؤلاء الغلاة:

١ ـ تعدّوا على حقّ ربّ العالمين وهذا أسوأ أنواع الانحراف.

٢ ـ ولعدم وجود التقية في النكير عليهم والبراءة منهم.

٣ ـ ولأنَّ هؤلاء كانوا ينسبون أنفسهم إلى الأئمَّة عليهم السلام، فاقتضى بيان كذبهم في دعوى هذه النسبة.

[٤] **(وبرىء الله منهم):**

أي أبعدهم عن رحمته لكفرهم وشركهم، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾(٣).

[٥] **(لا يجمعني الله وإيَّاهم...):**

إنَّ الله تعالى يجمع الرُّسل يوم القيامة ويسألهم عن أفعال أُمَّتهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(٤) وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾...(٥).

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

(٥) سورة المائدة: الآيتان ١١٦ ـ ١١٧.

إِلَّا وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِمْ[٦]، قَالَ: قُلْتُ: وَعِنْدَنَا قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ رُسُلٌ يَقْرَؤُونَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ قُرْآناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ[٧] وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي

وجمعه وإيَّاهم إمَّا لتوجيه هذا السؤال له عليه السلام أو ليحاسبوهم لأنَّهم عليهم السلام يُحاسبون النَّاس بإذن الله تعالى كما في الزيارة الجامعة (وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم)(١).

[٦] **(إلَّا وهو ساخط عليهم):**

«السخط» الغضب الشديد المقتضي للعقوبة(٢)، وقيل: الغضب يكون من الصغير على الكبير وبالعكس، بينما السخط لا يكون إلَّا من الكبير على الصغير(٣).

[٧] **(﴿يا أيُّها الرُّسل كلوا من الطيِّبات﴾):**

الآية في سورة المؤمنون، فبعد ذكر نوح عليه السلام، وذكر الرسول الذي جاء بعده، وذكر إرسال الرُّسل تترا من بعدهم، ثم ذكر موسى وأخيه عليهما السلام ثم ذكر عيسى عليه السلام، بعد كلّ ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾... الآية، فالسياق يدلُّ على أنَّ المخاطب هم الأنبياء السابقين، والمعنى كلَّما بعثنا نبيّاً قلنا له: كل من الطيِّبات واعمل صالحاً.

ولكن هؤلاء الغلاة حرَّفوا معنى الآية وزعموا أنَّ الخطاب لهذه الأُمَّة بعد نزول القرآن، فافتروا على الله بأنَّه أرسل رسلاً بعد رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

وأما معنى الآية فقد قيل: والغرض من حكاية هذا الأمر المتوجه إلى الأنبياء هو أنَّ الأمر بأكل الطيِّبات كان لجميع الرُّسل، وردّ على من يرفض أكلها تقرُّباً إلى الله تعالى.

ويمكن أن يكون المراد النهي عن أكل الخبائث وذلك بذكر البديل الذي

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٦١٢، وعيون أخبار الرِّضا: ج١، ص٣٠٦.

(٢) المفردات: ص٤٠٦.

(٣) راجع معجم الفروق اللغوية: ص٢٨٦.

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] **فَقَالَ: يَا سَدِيرُ سَمْعِي وَبَصَرِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي مِنْ هَؤُلَاءِ بَرَاءٌ وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَرَسُولُهُ، مَا هَؤُلَاءِ عَلَى دِينِي وَلَا عَلَى دِينِ آبَائِي، وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُنِي اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِمْ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَنْتُمْ؟ قَالَ[٨]:** ....

يسدُّ الحاجة مع كونه مفيداً لا تبعة فيه وهو الطيِّبات.

والطيِّبات بمعنى المحلَّات أو المستلذَّات المحلَّلة، ولعلَّ المقصود بيان أنَّ الإيمان والعمل الصالح لا ينافي تمتُّع الإنسان في حياته بما يستلذّ، فلا معنى للعصيان الذي يلازم الضرر عاجلاً وآجلاً مع إمكان تحصيل اللذائذ بالحلال.

[٨] **(قلت فما أنتم؟ قال:):**

بعد أن بيَّن الإمام أنَّهم ليسوا آلهة ولا رسل، أجاب السائل، فقال: إنَّ لهم جهتين:

الأولىٰ: أنَّ العلم عندهم، فالعلم الذي أنزله الله تعالى إلى الأرض أودعه عندهم، ويصدر عنهم، وأنَّهم المفسِّرون لكتاب الله سبحانه وتعالى.

الثانية: أمر الله بطاعتهم ونهىٰ عن معصيتهم، لأنَّه سبحانه عصمهم، فلا يخطئون، وقد مرَّ أنَّ الله لا يأمر بإطاعة مطلقة لمن يحتمل فيه الخطأ، لأنَّه لا يجوز إطاعة المخطىء في خطئه، لكنه تعالى قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وهذا أمر بإطاعتهم بشكل مطلق وهذا يدلُّ على العصمة، فلذا هم الحجَّة على جميع الخلق.

ويمكن جعل تسلسل صفاتهم هكذا:

١ ـ إنَّ الله أعطاهم العلم كما قال: «خزان علم الله».

٢ ـ ثمَّ أمرهم ببيان معنى آياته: «تراجمة أمر الله».

٣ ـ ثمَّ أمر النَّاس باتباعهم لعصمتهم «قوم معصومون بأمر الله...».

٤ ـ إنَّ الله يحتجّ بهم يوم القيامة على العباد.

فالأوَّل: بيان لكمالهم، والثاني: لبيان مهمتهم تجاه النَّاس، والثالث:

نَحْنُ خُزَّانُ عِلْمِ اللَّهِ[٩]، نَحْنُ تَرَاجِمَةُ أَمْرِ اللَّهِ[١٠]، نَحْنُ قَوْمٌ مَعْصُومُونَ، أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِطَاعَتِنَا، وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِنَا، نَحْنُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ[١١] عَلَى مَنْ دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ[١٢].

لبيان وظيفة النَّاس تجاههم، والرابع: بيان أمر النَّاس في القيامة فيما يتعلَّق بهم عليهم السلام.

[٩] **(خزان علم الله):**
أي العلم الذي أنزله إلى الأرض على أنبيائه ورثه كلّه الأئمَّة عليهم السلام، فكانوا مستودع العلم، ومنهم يُؤخذ.

[١٠] **(تراجمة أمر الله):**
التَراجِمة جمع ترجمان، بمعنى المفسِّرون لما أنزله الله في القرآن، وكذا مفسِّرون لما نزل من الله تعالى على نبيّه من غير القرآن.

[١١] **(نحن الحجَّة البالغة):**
أي من مصاديقها البارزة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(١) أي الحجَّة الواضحة التي تصل إلى المكلَّفين.

[١٢] **(دون السَّماء وفوق الأرض):**
المراد بيان عموم شأنهم، وأنَّ على الجميع إطاعتهم، وأنَّهم حجَّة على الكل بلا استثناء.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحْرٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ[١]: الْأَئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَحِلُّ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَأَمَّا مَا خَلَا ذَلِكَ فَهُمْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

الحديث السابع:

[١] **(سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول):**

حاصل الحديث: أنَّ جميع ما لرسول الله من المنزلة والأحكام تكون للأئمَّة عليهم السلام، ما خلا أمرين:

الأوَّل: النُّبوَّة، فإنَّهم ليسوا بأنبياء، بل أوصياء.

الثاني: خصائصه صلى الله عليه وآله في النكاح ومنها:

١ ـ عدم حصر زواج الرسول صلى الله عليه وآله بأربع بل يمكنه أكثر من ذلك.

٢ ـ جواز هبة المرأة نفسها له، فيكون العقد بلفظ الهبة، فإنَّها خالصة له صلى الله عليه وآله دون الأئمَّة وسائر المؤمنين.

٣ ـ وجوب التخيير لنسائه بين إرادته ومفارقته.

٤ ـ حرمة زواج نسائه من بعده أبداً.

٥ ـ تحريم الإماء عليه بالعقد.

ولا يخفىٰ أنَّ لرسول الله صلى الله عليه وآله خصائص أخرى خارج دائرة النكاح، وظاهر هذا الحديث الشريف مشاركة الأئمَّة عليهم السلام له في تلك الخصائص، وذكر في الشرائع منها(١): وجوب السِّواك، والوتر، والأضحية، وقيام اللَّيل، وتحريم خائنة الأعين ـ وهو الغمز بها ـ، والصدقة الواجبة، وأُبيح له صوم الوصال، وخُصَّ بأنَّه تنام عينه ولا ينام قلبه، ويبصر وراءه كما يبصر أمامه.

---

(١) الشرائع، كتاب النكاح: ج٢، ص٥١١ ـ بتصرُّف ـ

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: أَرْسَلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى زُرَارَةَ أَنْ يُعْلِمَ الْحَكَمَ بْنَ عُتَيْبَةَ[١]: أَنَّ أَوْصِيَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ مُحَدَّثُونَ.

الحديث الأوّل:

[١] (الحَكَم بن عتيبة):

وكان بترياً، والبترية من فرق الزيدية، وهم الذين خلطوا ولاية أبي بكر وعمر مع ولاية علي عليه السلام، ويبغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة، ويرون الخروج مع ولد علي عليه السلام.

ولعلَّ إرسال زرارة لأنَّه كان من تلامذة الحَكَم قبل استبصاره، وفي المرآة: حكي عن علي بن الحسن بن فضال أنَّه قال: كان الحكم من فقهاء العامَّة وكان أستاذ زرارة وحمران والطيَّار قبل أن يروا هذا الأمر(١).

ولعلَّ الغرض من هذا الإعلام بيان أنَّ زيداً رضي الله عنه لم يكن إماماً ولا وصيّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّ أبو بكر وعمر لم يكونا وصيَّين للرسول صلى الله عليه وآله، لأنَّ الحَكَم كان يعلم بأنَّ هؤلاء ليسوا محدِّثين.

وقد مرَّت روايات في التحديث في (باب الفرق بين الرسول والنَّبي والمحدّث)، وفي (باب في شأن ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وتفسيرها) فراجع.

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٦١.

٢ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ سُوقَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْماً فَقَالَ: يَا حَكَمُ هَلْ تَدْرِي الْآيَةَ الَّتِي[١] كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَعْرِفُ قَاتِلَهُ بِهَا، وَيَعْرِفُ بِهَا[٢] الْأُمُورَ الْعِظَامَ الَّتِي كَانَ يُحَدِّثُ بِهَا النَّاسَ؟ قَالَ الْحَكَمُ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: قَدْ وَقَعْتُ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَعْلَمُ بِذَلِكَ تِلْكَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ[٣]، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: الآيَةُ تُخْبِرُنِي بِهَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ[٤] قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]

الحديث الثاني:

[١] **(هل تدري الآية التي. . .):**

المقصود أنَّ الآية تكشف عن أنه عليه السلام كان عالماً بهذه الأمور، وتُبيِّن سبب ذلك العلم وهو التحديث، وليس المقصود أنَّ الآية سبب لذلك العلم.

[٢] **(ويعرف بها):**

أي بما تضمَّنته الآية، والمعنى أنَّه عليه السلام كان يعرف هذه الأمور باستعانة ما تضمَّنته الآية ـ وهو التحديث ـ، فالباء للاستعانة أو للسببيَّة.

[٣] **(أعلم بذلك تلك الأُمور العظام):**

وكان طمعه في غير محلِّه، فحتَّى لو كانت الآية سبباً لذلك العلم، فإنَّ السببيَّة يشترط فيها المحلّ القابل، ولا يكون شخص قابلاً لذلك إلَّا باصطفاء الله تعالى، ورسوخه في العلم ليعلم التأويل والباطن، كما لو قيل: إنَّ هذه الكتب سبب للعلم، فإنَّه يشترط في السببيَّة معرفة القراءة، فلا تكون سبباً لعلم الأُمّي لعدم قابليته.

[٤] **(قال: هو والله. . .):**

تذكير الضمير ـ مع رجوعه إلى الآية ـ باعتبار الخبر وهو (قول الله. . .).

وَلَا مُحَدَّثٍ[٥]، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مُحَدَّثاً[٦]. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ[٧]

---

[٥] **(ولا محدِّث):**
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(١).
قيل: إنَّ (ولا محدِّث) إنَّما هو في قراءة أهل البيت عليهم السلام.
ولكن قد مرَّ في (باب الفرق بين الرسول والنَّبي والمحدّث): أنَّ ذلك من التأويل وبيان المُراد من الآية، فإنَّه من المتعارف أن يقرأ أحدنا آية ثم يُتبعها بتفسير أو تأويل.
كما يمكن أن يكون (ولا محدِّث) نزل من غير أن يكون قرآناً بل نزل تأويلاً، وقد مرَّ أنَّ الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية، منها ستة آلاف ونيف نزلت نصّاً للقرآن، والباقي نزلت تفسيراً وتأويلاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾(٢).
والحاصل: دلَّت الآية ـ بتأويلها ـ أنَّ هنالك محدِّثين قبل الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك بعده ـ وهم الأئمَّة عليهم السلام ـ.

[٦] **(وكان علي بن أبي طالب عليه السلام محدِّثاً):**
على سُنَّة الله في السابقين على الرسول صلى الله عليه وآله.

[٧] **(فقال له رجل):**
صدر الحديث كان حول كلام بين الإمام زين العابدين عليه السلام والحكم بن عتيبة، ومن هذا المقطع كلام للإمام الباقر عليه السلام مع ذكر قضية ضلالة أبي الخطاب، وضلالته كانت في زمان متأخر عن زمان الإمام زين العابدين عليه السلام.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.
(٢) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.

يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، كَانَ أَخَا عَلِيٍّ لِأُمِّهِ[٨]، سُبْحَانَ اللَّهِ، مُحَدَّثاً؟! كَأَنَّهُ يُنْكِرُ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُمِّكَ بَعْدُ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ[٩]، قَالَ: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ سَكَتَ الرَّجُلُ، فَقَالَ[١٠]:

فقد يُقال: إنَّ راوي الحديث وهو زياد بن سوقة قد جمع بين قضيتين منفصلتين وذكرهما في رواية واحدة، فالمعنى أنَّ الحكم بن عتيبة نقل قصة كلامه مع الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس الإمام الباقر عليه السلام، فقال له ـ أي الحكم ـ رجل يُقال له. . .إلخ.

وقيل: إنَّ هنا حديثين اشتبه على الناسخ فأسقط سطراً أو سطرين فاتصلت تتمة الحديث الأوَّل بصدر الحديث الثاني، فقد روى في بصائر الدرجات(١) حديث الحكم بن عتيبة، ثم روى عن علي بن حسان عن موسى بن بكر عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل بيتي اثنا عشر محدِّثاً، فقال له عبد الله بن زيد. . . وساق الحديث إلى آخره.

[٨] **(كان أخا علي لأمّه):**

توفيت شهربانويه بنت يزدجرد أُم الإمام زين العابدين عليه السلام بعد ولادته، فقامت جارية من الجواري بشؤونه، فكانت كالأُمّ له، فكان عليه السلام يدعوها أُمّاً، وقيل: أرضعته فكان عبد الله بن زيد أخاه من الرضاعة(٢).

[٩] **(قد كان يعرف ذلك):**

أي يعرف أنَّ علي بن أبي طالب كان محدِّثاً، ولعلَّه عليه السلام قال له هذا الكلام لأنَّ عبد الله بن زيد كان يذعن لكلام زين العابدين عليه السلام.

أو المعنى أنَّ زين العابدين عليه السلام أيضاً كان محدِّثاً.

[١٠] **(فقال):**

أي قال الإمام الباقر عليه السلام أو قال الحكم أو زياد بن سوقة.

---

(١) البحار: ج٢٦، ص٦٧ ـ ٦٨ عن بصائر الدرجات: ص٩٢.

(٢) للتفصيل راجع البحار: ج٤٦، ص٧ ـ ١٦.

هِيَ الَّتِي[١١] هَلَكَ فِيهَا أَبُو الْخَطَّابِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَأْوِيلُ الْمُحَدَّثِ وَالنَّبِيِّ.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ

---

[١١] (هي التي):

أي هذه الآية كانت سبباً لضلال أبي الخطاب، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(١)، أي إنَّ أبا الخطاب لمَّا لم يفهم الفرق بين النَّبي والمحدّث، وظنَّ أنَّ كلّ محدِّث لا بُدَّ أن يكون نبيّاً، لذلك ضلَّ وهلك حيث زعم نبوَّة الأئمَّة عليهم السلام.

وأبو الخطاب هو محمَّد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي، قال شيخ الطائفة: أبو الخطاب ملعون غال(٢)، وروى الكشي روايات في ذمّه وأنَّه كان ضالاً مضلاً فاسد العقيدة، وقد أمر الصَّادق عليه السلام بالبراءة منه(٣)، وقال عليه السلام: «لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه، ولعن الله من بقي منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم»(٤).

الحديث الثالث:

قد مرَّ في الأبواب السابقة الآيات والروايات المفسّرة لتلك الآيات، النازلة فيهم عليهم السلام، ونذكر هنا بعضاً من الآيات المرتبطة بمضمون هذا الحديث الشريف.

وفي هذا الحديث ذكر جوانب:

١ ـ ما يرتبط بذاتهم، فهم عليهم السلام علماء أي لهم هذه الصفة.

٢ ـ ما يرتبط بعلاقتهم بالنَّاس، فهم عليهم السلام صادقون.

٣ ـ ما يرتبط بعلاقتهم مع الله ورسوله، فهم مفهَّمون محدَّثون.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ص٢٩٦، الرقم ٤٣٢١.

(٣) اختيار معرفة الرِّجال: ج٢، ص٥٧٦.

(٤) المصدر نفسه.

يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: الْأَئِمَّةُ عُلَمَاءُ[١] صَادِقُونَ[٢] مُفَهَّمُونَ[٣] مُحَدَّثُونَ.

ويمكن أن يكون (علماء صادقون) بيان لوصفهم، ويكون (مفهّمون محدَّثون) علّة ذلك أي علّة علمهم وصدقهم هو اصطفاء الله تعالى لهم بأن فهّمهم وحدَّثهم بواسطة الرسول والملك.

[١] **(علماء):**

كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾(٣) وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(٤) وقد مرّت الروايات المفسّرة لهذه الآيات في الأبواب الماضية.

[٢] **(صادقون):**

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٥)، وقد مرَّت رواياته في (باب ما فرض الله ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون مع الأئمّة عليهم السلام).

[٣] **(مفهّمون):**

أي فهّمهم النبي صلى الله عليه وآله التنزيل والتأويل وسائر العلوم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٦) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(٧).

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.
(٢) سورة الزمر: الآية ٩.
(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٥) سورة الزمر: الآية ٩.
(٦) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٧) سورة الحجر: الآية ٧٥.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: ذُكِرَ الْمُحَدَّثُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: إِنَّهُ يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا يَرَى الشَّخْصَ[١]. فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَلَامُ الْمَلَكِ؟ قَالَ: إِنَّهُ يُعْطَى السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ[٢] حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ كَلَامُ مَلَكٍ.

الحديث الرابع:

[١] **(يسمع الصوت ولا يرى الشخص):**
أي في حين سماع الصوت لا يرى الملك، فلا تجتمع له الرؤية والسماع معاً، وللتفصيل (باب الفرق بين الرّسول والنّبي والمحدّث).

[٢] **(يعطى السكينة والوقار):**
كناية عن سكون النفس وطمأنينة القلب، فإنَّ انكشاف الحقائق للإنسان لها طرق، منها الحواس، فما يراه الإنسان ويسمعه يحسّه بسائر الحواس يقطع به، فإن الإحساس بالحواس يُوجب عادة القطع بالشيء، وكذا للعلم بالأشياء المعنوية طرق فمن حصلت له تلك الطرق حصل له العلم.
ولا يخفىٰ أنَّ العلم ليس بالتعلّم، إنما هو نور يقع في قلب مَن يريد الله تبارك وتعالى ـ كما في الحديث(١) ـ، فعلمهم بأن المحدِّث هو ملك إنَّما هو من الله سبحانه تعالى بتهيئة مقدِّماته وهي السكينة والوقار، وفي حديث آخر: يوفّق لذلك حتى يعرفه(٢).

---

(١) البحار: ج١، ص٢٢٥.
(٢) أُصول الكافي، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدّث، الحديث ٤.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ مُحَدَّثاً. فَخَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: جِئْتُكُمْ بِعَجِيبَةٍ، فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ فَقُلْتُ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام مُحَدَّثاً. فَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً[١]، أَلَا سَأَلْتَهُ مَنْ كَانَ يُحَدِّثُهُ؟ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: إِنِّي حَدَّثْتُ أَصْحَابِي بِمَا حَدَّثْتَنِي فَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً أَلَا سَأَلْتَهُ مَنْ كَانَ يُحَدِّثُهُ؟ فَقَالَ لِي: يُحَدِّثُهُ مَلَكٌ. قُلْتُ: تَقُولُ: إِنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالَ: ـ فَحَرَّكَ يَدَهُ هَكَذَا ـ أَوْ كَصَاحِبِ سُلَيْمَانَ، أَوْ كَصَاحِبِ مُوسَى، أَوْ كَذِي الْقَرْنَيْنِ، أَوَمَا بَلَغَكُمْ أَنَّهُ قَالَ: وَفِيكُمْ مِثْلُهُ.

الحديث الخامس:

[١] **(ما صنعت شيئاً):**

أي لم تأتِ بالشيء العجيب، لأنَّ المحدِّث إن كان النَّبي صلى الله عليه وآله فهذا أمر معروف مشهور بأنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله كان يحدّث عليّاً عليه السلام ويسارّه كثيراً، وإن كان من شخص آخر فلا عجب فيه، وإنَّما العجب إذا كان يحدَّث بطريقة غيبيَّة عن طريق الملك.

بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي الْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ،

---

١ ـ معاني الرُّوح

قد مرَّ في كتاب التوحيد، باب الرُّوح، ذكر معاني الرُّوح، ونذكر هنا مختصراً معاني الرُّوح، لارتباطها بهذا الباب والباب التالي، فمن المعاني:

١ ـ الرُّوح التي هي سبب حياة الجسم ـ ويعبّر عنها بالرُّوح الحيوانية ـ فهذه روح تحوّل الجماد إلى كائن حيّ، وبعد انفصالها يرجع الجسد إلى حالة الجمادية.

٢ ـ وبهذا المعنى يطلق الرُّوح مجازاً على الإيمان والقرآن والوحي، كقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1]، وسُئل الإمام الباقر عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا زنا الزاني فارقه روح الإيمان»؟ فقال عليه السلام: هو قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ذلك الذي يُفارقه[2]، وكقوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[3]، وإنّما عُبِّر عنها بالرُّوح لأنَّ الحياة الواقعيَّة منهما كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[4].

٣ ـ جبرائيل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[5].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) الكافي: ج٢، ص٢٨٠.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٥) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣ ـ ١٩٤.

٤ ـ مخلوق أعظم من الملائكة، قال سبحانه: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾[2].

٢ ـ روح القدس

ثم إنه يُستفاد من الروايات أنَّ (روح القدس) كان مع جميع الأنبياء عليهم السلام ومع الأئمَّة عليهم السلام يسدِّدهم، وأمَّا الروح الذي من أمر الله فقد خُصَّ به الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمَّة عليهم السلام[3].

ويمكن أن يُقال: إنَّ روح القدس نوع كليّ، وله أفراد متعدِّدة:

أ ـ ففرد منه كان مع الأنبياء الماضين عليهم السلام.

ب ـ وآخر كان مع رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، ثم انتقل منه إلى الإمام علي عليه السلام، وهكذا ينتقل بعد استشهاد كلّ إمام إلى الإمام الذي يليه.

ج ـ وأفراد أخر مع كل إمام من حين ولادته، فيختصّ كلّ واحد منهم بفرد منه.

وبهذا يجمع بين الأخبار المختلفة، قال في المرآة:

وقد اشتملت الأخبار الكثيرة على أنَّ روح القدس يكون مع الأنبياء أيضاً لا سيَّما أولي العزم منهم، وقد دلَّت الآية على خصوص عيسى عليه السلام ويمكن الجمع بوجهين:

الأوَّل: أن يكون روح القدس مشتركاً، والروح الذي من أمر الرَّبّ مختصّاً وقد دلَّ على مغايرتهما بعض الأخبار.

الثاني: أن يكون (روح القدس) نوعاً، وتحته أفراد كثيرة، فالفرد الذي في النَّبي والأئمَّة عليهم السلام أو الصنف الذي فيهم لم يكن مع من مضىٰ، وعلى القول بالصنف يرتفع التنافي بين ما دلَّ على كون نقل الروح إلى الإمام

(١) سورة القدر: الآية ٤.
(٢) سورة النبأ: الآية ٣٨.
(٣) وهناك احتمالات أُخرى، وللتفصيل ومراجعة الروايات راجع البحار: ج٢٥، ص٤٧ ـ ٩٩.

بعد فوت النَّبي صلى الله عليه وآله وبين ما دلَّ على كون الروح مع الإمام من عند ولادته، فلا تغفل(١).

ثم اعلم أنّ روح القدس كانت ملازمة لهم منذ خلقهم أشباح نور، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر إنّ الله أول ما خلق، خلق محمّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور، أبدان نورية بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحدة هي روح القدس، فبه كان يعبد الله، وعترته(٢).

وقوله: (بلا أرواح) أي من غير روح المدرج ـ وهي جهة ارتباط الروح بالجسم كما سيأتي ـ.

٣ ـ الروح التي من أمر الله

ثم إنَّ الروايات بيان لمصاديق الروح التي هي من أمر الله.

١ ـ إنَّه الخلق الذي هو أعظم من جبرائيل، كما في مستفيض الروايات، ومنها روايات هذا الباب(٣).

٢ ـ روح الإيمان، كما روي عن الإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾، قالا: «فإنَّما الروح خلق من خلقه له بصر وقوَّة وتأييد، يجعله في قلوب الرُّسل والمؤمنين»(٤).

٣ ـ الروح التي منها حياة النَّاس والدواب، فعن أبي بصير عن أحدهما ـ الباقر أو الصَّادق ـ عليهما السلام قال: سألته عن قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ ما الروح؟ قال: «التي في الدواب والناس»، قلت: وما هي؟ قال: «هي من الملكوت من القدرة»(٥).

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٧٣.

(٢) الكافي: ج١، ص٤٤٢؛ البحار: ج٥٨، ص١٤٢.

(٣) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٦، ص١٦٠ فما بعد.

(٤) البرهان: ج٦، ص١٦١ عن تفسير العياشي.

(٥) المصدر نفسه: ج٦، ص١٦٢ عن العياشي.

٤ ـ كلمة الروح في القرآن

كلمة (الرُّوح) في القرآن:

١ ـ قد تُستعمل معرّفة بلام التعريف مجرّدة عن الوصف فيُراد منها الخلق الذي هو أعظم من جبرائيل كقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾[1]، ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾[2]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[3]، ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾[4].

٢ ـ وقد تستعمل أو موصوفة (بالأمين)، فيُراد منها جبرائيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[5].

٣ ـ وقد تُستعمل منسوبة إلى الله تعالى ـ وهي ما منها الحياة الماديَّة والمعنوية ـ، فالإضافة تشريفية فقد يُراد بها:

أ ـ جبرائيل عليه السلام أيضاً كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[6].

ب ـ روح الحياة التي في آدم أو عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[7]، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[8]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[9] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[10].

ج ـ روح الحياة المعنوية، كالإيمان والقرآن والوحي، قال تعالى:

---

(١) سورة النحل: الآية ٢.
(٢) سورة غافر: الآية ١٥.
(٣) سورة المعارج: الآية ٤.
(٤) سورة القدر: الآية ٤.
(٥) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٦) سورة مريم: الآية ١٧.
(٧) سورة النِّساء: الآية ١٧١.
(٨) سورة السجدة: الآية ٩.
(٩) سورة الحجر: الآية ٢٩، وسورة ص: الآية ٧٢.
(١٠) سورة التحريم: الآية ١٢.

عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ

﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(١) وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(٢).

ثمَّ لا يخفىٰ أنَّ هذه المعاني إنَّما هي تفسير بالمصداق الأبرز في بعض هذه الآيات، وقد يكون لها مصاديق أُخرى أو تأويل آخر مذكور في الروايات، ذكرنا طَرَفاً في الباب السابق، وكذا في (باب الرُّوح) من كتاب (التوحيد) فراجع.

الحديث الأوَّل:

[١] (وهو قول الله عزَّ وجلَّ):

﴿وَكُنتُمْ﴾ حين وقوع الواقعة ـ القيامة ـ ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿ثَلَاثَةً﴾:

١ ـ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ من «اليُمن» بمعنى البركة، قيل: أو من «اليمين» خلاف اليسار لأنَّهم يؤتون صحيفة أعمالهم بيمينهم، أو لأنَّهم كانوا على الجهة اليمنى حين أخذ الميثاق، أو عند الحشر يكون عن يمين العرش(٣)، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؟ والاستفهام للتعجب لبيان عظمة حالهم من الخير والسعادة، وهؤلاء عامَّة المؤمنين الذين يدخلون الجنَّة.

٢ ـ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ من الشؤم وهم أهل النَّار ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾؟ أي ما أعظم حالهم من العذاب والخزي.

٣ ـ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ولم يقل «ما السابقون» لعدم الحاجة إلى التهويل فيهم، فإنَّهم المعرفون بأنَّهم السابقون ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى رضوان الله

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٣) كذا في المرآة: ج٣، ص١٦٥ ـ بتصرُّف ـ

مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧-١١]، **فَالسَّابِقُونَ هُمْ رُسُلُ اللَّهِ عليهم السلام وَخَاصَّةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ[٢]، جَعَلَ فِيهِمْ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ[٣]، أَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ فَبِهِ عَرَفُوا الْأَشْيَاءَ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الْإِيمَانِ فَبِهِ خَافُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الْقُوَّةِ**

تعالى فهؤلاء سبقوا إلى الله بإيمانهم، أو سبقوا إلى الجنَّة.

ثمَّ إنَّ أصحاب اليمين جماعة كثيرة من الأوَّلين وجماعة كثيرة من الآخرين ولذا قال فيهم: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾(١).

وأمَّا المقرَّبون فهم الأنبياء والأوصياء وهم جماعة كثيرة من الأوَّلين، ولكن عددهم في الآخرين قليل، إذ هم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام وفاطمة الزَّهراء عليها السلام وقليل من أوليائهم، ولذا قال تعالى فيهم: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾(٢).

[٢] **(خاصَّة الله من خلقه):**

أي الأوصياء، وبعض الأولياء ـ كالشيعة الخلَّص كما يُستفاد من بعض الروايات(٣)ـ.

[٣] **(جعل فيهم خمسة أرواح):**

الظاهر أنَّ المراد أنَّ جهات روحهم متعدِّدة، ففيها حقائق خمس، هي حقيقة الطهارة والإيمان والقوَّة والشهوة والحياة وهي:

١ ـ طهارة تلك الرُّوح تطهيراً إلٰهيّاً بالكتاب والحكمة والفيض الإلٰهي، كما قال تعالى في أهل البيت عليهم السلام: ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾(٤)، فلذا سُمِّيت روح القدس، ومن المعلوم أنَّ المعرفة تكون عن طريق الكتاب والحكمة

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ١٤ ـ ١٥.

(٣) البرهان: ج٩، ص٢٣٨ فما بعد.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

فَبِهِ قَدَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ[٤]، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الشَّهْوَةِ فَبِهِ اشْتَهَوْا طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ

وسائر الفيوضات، فليست روح القدس هنا بمعنى جبرائيل عليه السلام، ولا المخلوق الذي هو أعظم من الملائكة.

٢ ـ خشية تلك الروح من الله تعالى، وذلك بتحلّيها بالإيمان، فبهذا الاعتبار سُمّيت روح الإيمان.

٣ ـ كون تلك الرُّوح سبباً لحياة الجسم، فيتحرَّك الجسم نحو الأعمال والرغبات، فبهذا الاعتبار سُمّيت روح القوة.

٤ ـ روح الشهوة وهذه الروح ضرورية لاستمرار الحياة المادية، فبها يشتهي الإنسان ما ينفعه وبه استمرار حياته، ولولا اشتهائها لعزف الناس عن الإقدام على ما فيه حياتهم، لكن السابقين يصرفون هذه الروح أيضاً في طاعة الله تعالى، فيمارسون ما فيه حياتهم لأجل الطاعة لا لمجرّد اللّذة.

٥ ـ روح المدرج الذي بها يتميّز الإنسان عن الجماد.

فالسابقون والمؤمنون يصبّون أعمالهم ورغباتهم فيما فيه رضىٰ الله تعالى فيمتثلون أوامره بالقدرة التي سبَّبتها الرُّوح في الجسم، فيرغبون في الطاعة ويكرهون المعصية.

والحاصل: أنَّ الرُّوح واحدة وجهاتها متعدِّدة، وقيل غير ذلك.

أمَّا روح القدس فهي خاصَّة بالسابقين وهم الأنبياء والأوصياء وهي سبب عصمتهم، وأمَّا روح الإيمان فتوجد في المؤمنين أيضاً، وكلَّما كان الإيمان أقوى كانت هذه الرُّوح أقوىٰ.

وأمَّا سائر الأرواح فهي مشتركة بين جميع الناس.

[٤] **(فبه قدروا على طاعة الله):**

روح القوَّة وروح الشهوة يشترك فيهما المؤمن وغيره، ولكن المؤمنين يصرفونهما في طاعة الله، أو لا يكون معصية له تعالى، وهذا لا ينافي استعمالهما في غير المحرَّم من الملذّات التي حلَّلها الله تعالى.

فإنَّ كل ما جعله الله في الإنسان، إنَّما جعله لمصلحته، فلا بُدَّ له من

وَجَلَّ وَكَرِهُوا مَعْصِيَتَهُ[٥]، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الْمَدْرَجِ[٦] الَّذِي بِهِ يَذْهَبُ النَّاسُ وَيَجِيئُونَ. وَجَعَلَ فِي الْمُؤْمِنِينَ[٧] وَأَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ رُوحَ الْإِيمَانِ فَبِهِ خَافُوا اللَّهَ، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الْقُوَّةِ فَبِهِ قَدَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الشَّهْوَةِ فَبِهِ اشْتَهَوْا طَاعَةَ اللَّهِ، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الْمَدْرَجِ الَّذِي بِهِ يَذْهَبُ النَّاسُ وَيَجِيئُونَ[٨].

مراعاة حدّ الوسط لتساعده على حياته ويتقوّىٰ به على الطاعة وتجنُّب المعصية.

فلولا شهوة الأكل لم يعش الإنسان، ولولا شهوة النكاح لانقطع النسل، وهكذا كل ما أودعه الله في نفس الإنسان أو بدنه.

نعم كلّ إفراط أو تفريط يكون سبباً للضنك في المعيشة أو المعصية، وذلك مبغوض له تعالى.

[٥] **(وكرهوا معصيته):**

وذلك لاشتهاء ضدّ المعصية، فكلّ كراهة لشيء تلازم الرغبة في ضدّه. فتأمَّل.

[٦] **(وروح المدرج):**

من «درج» بمعنى المشي والانتقال، و(روح المدرج) عبَّر عنها في أحاديث أُخرى بـ(روح البدن) أو (روح الحياة)، والمراد منها جهة ارتباط الروح بالجسم، فيكون موجوداً حيّاً، وبانفصال تلك الروح يكون الموت.

[٧] **(وجعل في المؤمنين. . .) إلخ:**

أي جعل فيهم أربعة أرواح، ولم يذكر أصحاب المشأمة لوضوح فقدانهم لروح الإيمان، ووجود ثلاثة أرواح فيهم وبه كانوا كالأنعام بل أضلّ.

[٨] **(يذهب الناس ويجيئون):**

لا بأس بنقل حديث من بصائر الدرجات فيه توضيح لهذا الحديث الشريف، فقد روى الصفار رضوان الله عليه في البصائر بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أُناس

يزعمون أنَّ العبد لا يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد كَبُر هذا عليَّ، وحرج منه صدري، حتَّى زعم أنَّ هذا العبد الذي يصلِّي إلى قبلتي، ويدعو دعوتي، ويُناكحني وأُناكحه، ويُوارثني وأُوارثه، فأخرجه من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه!!

فقال له عليّ عليه السلام: «صدق أخوك، إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: خلق الله الخلق وهم على ثلاث طبقات، وأنزلهم ثلاث منازل، فذلك قوله في الكتاب أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون السابقون.

فأمَّا ما ذكرت من السابقين فأنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوَّة، وروح الشهوة، وروح البدن.

فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوَّة جاهدوا عدوّهم وعالجوا معايشهم، وبروح الشهوة أصابوا اللذيذ من الطعام ونكحوا الحلال من شباب النِّساء، وبروح البدن دبّوا ودرجوا. ـ إلى أن قال ـ: وأما ما ذكرت من أصحاب الميمنة فهم المؤمنون حقّاً بأعيانهم فجعل فيهم أربعة أرواح: روح الإيمان، وروح القوَّة، وروح الشهوة، وروح البدن، ولا يزال العبد يستكمل بهذه الأرواح حتى تأتي حالات».

قال: وما هذه الحالات؟

فقال عليّ عليه السلام: «أمَّا أوّلهن فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[1] فهذا ينتقص منه جميع الأرواح، وليس من الذي يخرج من دين الله، لأنَّ الله الفاعل ذلك به ردَّه إلى أرذل عمره فهو لا يعرف للصلاة وقتاً، ولا يستطيع التهجُّد باللَّيل، ولا الصيام بالنَّهار، ولا القيام في صفّ من النَّاس، فهذا نقصان روح الإيمان فليس يضرُّه شيء إن شاء الله ـ إلى أن قال ـ: فهذا حال خير، لأنَّ الله فعل

(١) سورة النحل: الآية ٧٠.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الْمُنَخَّلِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْعَالِمِ؟ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ إِنَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُدُسِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ، وَرُوحَ الْحَيَاةِ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، فَبِرُوحِ الْقُدُسِ ـ يَا جَابِرُ ـ عَرَفُوا مَا تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى[١]، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ إِنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ

ذلك به، وقد تأتي عليه حالات في قوَّته وشبابه يَهُمّ بالخطيئة فتشجعه روح القوَّة، وتزيِّن له روح الشهوة، وتقوده روح البدن، حتى توقعه في المعصية، فإذا مسَّها انتقص من الإيمان، ونقصانه من الإيمان ليس بعائد فيه أبداً أو يتوب، فإن تاب وعرف الولاية تاب الله عليه، وإن عاد وهو تارك الولاية أدخله الله نار جهنَّم».

وأمَّا أصحاب المشأمة ـ إلى أن قال ـ: «فسلبهم روح الإيمان وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح، روح القوَّة وروح الشهوة وروح البدن، ثمَّ أضافهم إلى الأنعام فقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(١) لأنَّ الدابَّة إنَّما تحمل بروح القوَّة، وتعتلف بروح الشهوة وتسير بروح البدن(٢).

الحديث الثاني:

[١] (عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرىٰ):

أي عرفوا كلّ شيء، فإنَّ كلّ المخلوقات هي بينهما، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾(٣).

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

(٢) البحار: ج٢٥، ص٦٤ ـ ٦٧ عن بصائر الدرجات: ص١٣٣.

(٣) سورة طٰه: الآيتان ٥ ـ ٦.

أَرْوَاحٌ يُصِيبُهَا الْحَدَثَانُ[٢] إِلَّا رُوحَ الْقُدُسِ فَإِنَّهَا لَا تَلْهُو وَلَا تَلْعَبُ[٣].

---

[٢] **(يُصيبها الحدثان):**

أي النازلة العارضة، والحادثة والحدثان بمعنى واحد.

أمَّا إصابة الحادثة لروح الحياة والقوَّة والشهوة فواضح، وفي الحديث السابق: «وينتقص منه روح القوَّة فلا يستطيع جهاد عدوّه ولا يستطيع طلب المعيشة، وينتقص منه روح الشهوة فلو مرَّت به أصبح بنات آدم لم يحنَّ إليها ولم يقم، ويبقىٰ روح البدن فهو يدبّ ويدرج حتَّى يأتيه ملك الموت... الحديث.

والحدثان تُصيب في روح الحياة كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾(١)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾(٢)، وكذا في روح القوَّة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾(٣)، وكذا روح الشهوة كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾(٤).

ولكن في روح الإيمان قد تصيبها الحدثان في غير الأنبياء، فقوله عليه السلام: «هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان» يُراد منه إنَّ هذه الأرواح بشكل عام يصيبها الحدثان، وقد يكون هناك بعض الاستثناءات، ومنها روح الإيمان في الأنبياء لا يصيبها ذلك أمَّا في غيرهم فقد يصيبها الحدثان أمَّا روح القدس فلا يصيبها الحدثان أصلاً لأنَّها خاصَّة بالأنبياء والأوصياء ولا تنقص فيهم ولا تزول عنهم أبداً.

[٣] **(فإنَّها لا تلهو ولا تلعب):**

في المرآة: أمَّا من اتّصف بروح القدس فلا يصيبه ما يمنعه عن العلم

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨.

(٣) سورة مريم: الآية ٤.

(٤) سورة مريم: الآية ٨.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الإِمَامِ بِمَا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ[١] وَهُوَ فِي بَيْتِهِ مُرْخًى عَلَيْهِ سِتْرُهُ؟ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْحَيَاةِ فَبِهِ دَبَّ وَدَرَجَ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ فَبِهِ نَهَضَ وَجَاهَدَ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ فَبِهِ أَكَلَ وَشَرِبَ وَأَتَى النِّسَاءَ مِنَ الْحَلَالِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ فَبِهِ آمَنَ وَعَدَلَ، وَرُوحَ الْقُدُسِ فَبِهِ حَمَلَ النُّبُوَّةَ، فَإِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله انْتَقَلَ رُوحُ الْقُدُسِ فَصَارَ إِلَى الْإِمَامِ[٢]، وَرُوحُ الْقُدُسِ[٣] لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفُلُ وَلَا

والمعرفة (لا يلهو) أي لا يسهو عن أمر و(لا يلعب) أي لا يرتكب أمراً لا منفعة فيه(١).

الحديث الثالث:

[١] **(أقطار الأرض):**
أي جوانبها وأطرافها.

[٢] **(انتقل روح القدس فصار إلى الإمام):**
لعلَّ هذا الانتقال بمعناه المجازي، أي حدوث مثله في الإمام، فيكون بمعنى نهوض الإمام بمهام الإمامة، وهذا نظير قولنا انتقلت الإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام، حيث نقصد حدوث مثلها للحسن عليه السلام وذلك بمعنى نهوضه بأعبائها.

[٣] **(وروح القدس. . .) إلخ:**
أي لا يمكن أن تعرض عليه هذه الأُمور، فلا «نوم» له بمعنى فقدان المدارك مؤقتاً، ولا «غفلة» بمعنى ترك الشيء ذهولاً عنه، ولا «لهو»

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٦٧.

يَلْهُو وَلَا يَزْهُو، وَالْأَرْبَعَةُ الْأَرْوَاحِ تَنَامُ وَتَغْفُلُ وَتَزْهُو وَتَلْهُو، وَرُوحُ الْقُدُسِ كَانَ يَرَى بِهِ.

بمعنى الانشغال عن الشيء بشيء آخر، ولا «زهو» بمعنى الكبر والفخر أو بمعنى الباطل والكذب[1].

---

(١) انظر مقاييس اللغة: ص٤٤١.

بَابُ الرُّوحِ الَّتِي يُسَدِّدُ اللَّهُ بِهَا الْأَئِمَّةَ عليهم السلام

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[١]: ﴿وَكَذَلِكَ

الحديث الأوّل:

[١] (عن قول الله تبارك وتعالى):

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أوحينا إلى الأنبياء السالفين ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ أي ما يكون به الحياة المعنوية كالقرآن والشريعة، ومن المصاديق: المخلوق الذي هو أعظم من جبرائيل ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ «من» تتعلّق بـ«وحياً» أو «روحاً»، وفي التقريب: فإنَّ الإنسان قد يُعطي من نفسه وقد يُعطي من غيره، وما يُعطي من نفسه أكثر خيراً وتكرمة، ولعلَّ الإتيان بـ«من أمرنا» لبيان ذلك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ قبل أن يوحى إليك ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ قبل أن تتلقّنه، ومن البديهي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قبل إلقاء الله إليه الكتاب والإيمان لم يكن يعلمهما، إنَّما الكلام أنَّ الآية ساكتة عن ذلك الوقت، والظاهر أنّه قبل خلق العالم، فهو حكاية عن ابتداء خلقة الرسول صلى الله عليه وآله في العوالم العِلْويَّة كما ورد كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين(١).

﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وفي الروايات بيان أنَّ تلك الروح جعلها الله نوراً يسدِّد به الأئمَّة عليهم السلام، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله يدعو النَّاس إلى ولاية عليّ عليه السلام الذي هو

---

(١) التقريب: ج٥، ص٤٦.

أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]. قَالَ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُخْبِرُهُ وَيُسَدِّدُهُ، وَهُوَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ أَسْبَاطِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ هِيتَ ـ وَأَنَا حَاضِرٌ ـ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ فَقَالَ: مُنْذُ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الرُّوحَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[١]، ....

الصِّراط المستقيم(١).

وقيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ إشارة إلى عالم الأمر وهو عالم المجردات، وأنَّ قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾(٢) إشارة إلى عالم المادَّة وعالم المجردات.

وفيه نظر، بل هو تفسير بالرأي من غير شاهد من اللغة أو الروايات، بل معنى ﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ هو أنَّ له التكوين والتشريع، أو له التكوين وله التصرُّف، بل لا مجرَّد سوى الله تعالى، وقد مرَّ أنَّ جميع المخلوقات إنَّما هي أجسام ماديَّة، ولكن بعضها لها جسم كثيف وبعضها لها جسم لطيف كالرُّوح والملائكة، وعلى ذلك دلَّت بعض الروايات، فراجع (فقه العقائد)(٣).

الحديث الثاني:

[١] **(منذ أنزل الله ذلك الروح على محمَّد صلى الله عليه وآله):**

دلَّ هذا الحديث على أنَّ هذه الروح نزلت على خصوص النَّبي صلى الله عليه وآله ولم

---

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٨، ص٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٣) موسوعة الفقه، كتاب العقائد: ص٤٢.

مَا صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَإِنَّهُ لَفِينَا[٢].

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]:

تنزل على من قبله، وانتقلت بعده إلى الأئمَّة عليهم السلام، كما سيأتي التصريح بذلك في الحديث الرابع.

وفي الوافي: وإنَّما لم يصعد ذلك الروح إلى السَّماء لعدم خلو الأرض عن حجَّة ولا بُدَّ أن يكون معه من يسدِّده(١).

(ذلك الروح):

الروح مؤنث سماعي، قال في جامع الشواهد: التي بمعنى النَّفس فمؤنثة، والذي بمعنى المهجة ـ أي الدم ـ فمذكّر(٢)، فقوله عليه السلام: «ذلك الروح» إمَّا باعتبار المعنى أو بتأويل الشخص أو الخلق ونحو ذلك، أو يُقال: إنَّ الروح بهذا المعنى ـ وهو الخلق الأعظم من جبرائيل ـ ليس بمؤنث بل مذكَّر لفظاً.

[٢] **(وإنَّه لفينا):**

(في) إمَّا بمعنى (مع) أي إنَّ هذه الروح معنا، وإمَّا بمعنى الظرفية المكانية، أي محل استقرار هذه الروح في داخل ذواتهم المقدَّسة.

الحديث الثالث:

[١] **(عن قول الله عزَّ وجلَّ):**

الظاهر أنَّ سؤالهم كان عن (الروح) بشكل مطلق من غير تعيين المصداق، فلذا جاء الجواب أيضاً مطلقاً شاملاً للمصاديق المختلفة.

وبعبارة أُخرى: لعلَّهم سمعوا عن ذكر (الروح) في القرآن الكريم وعلى

---

(١) الوافي: ج٣، ص٦٣١.

(٢) جامع الشواهد: ج٣، ص٣٨٥، الخاتمة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي[٢]﴾ [الإسراء: ٨٥] قَالَ: خَلْقٌ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ مَعَ الأَئِمَّةِ، وَهُوَ مِنَ الْمَلَكُوتِ[٣].

لسان النَّبي صلى الله عليه وآله أو الأنبياء السابقين، فأرادوا معرفة حقيقتها من دون أن يقصدوا مصداقاً معيَّناً، فأجابهم تعالى بإجابة عامَّة، وأنَّ الروح مخلوق من مخلوقاته تعالى وأنَّ علم النَّاس بها قليل.

[٢] **(﴿من أمر ربِّي﴾):**

في التبيين: حصل من أمر الله الذي قال له كن فكان، فليس شيئاً أزلياً كما زعمه الفلاسفة. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فليس تعلمون أكثر الحقائق والأشياء، وإنَّما تعرفونها بالآثار، فليكن الروح منه(١).

وفي التقريب: فهو من الأُمور التي تكوَّنت بأمر الله سبحانه، ولا يعلم ما هو إلَّا الله سبحانه، ومن أعلمه إيَّاه(٢).

أمَّا لماذا لم يجبهم الله تعالى بإجابة تفصيلية؟ فلعلَّه لأجل قصور المدارك عن فهم حقيقة الروح، فإنَّ الإنسان يعجز عن إدراك حقيقة أكثر المحسوسات، بل يعرفها عن طريق آثارها، فما بالك بغير المحسوسات.

وقيل: إنَّ اليهود قالت لقريش: سلوا محمَّداً عن الروح، فإن أجابكم فليس بنبيّ، وإن لم يجبكم فهو نبيّ، فإنَّا نجد في كتبنا ذلك!! فأمر الله بالعدول عن جوابهم، وأن يكلِّمهم في معرفة الروح على ما في عقولهم، ليكون ذلك علماً على صدقه ودلالة لنبوَّته(٣).

وقيل غير ذلك.

[٣] **(وهو من الملكوت):**

أي هو موجود من الغيب، لأنَّ الملكوت هو الملك العظيم، وليس

---

(١) تبيين القرآن: ص٣٠٢.

(٢) تقريب القرآن: ج٣، ص٣٤٠.

(٣) راجع مجمع البيان: ج٦، ص٤٢٧.

٤ ـ عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] قَالَ: خَلْقٌ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، لَمْ يَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى غَيْرِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ مَعَ الْأَئِمَّةِ يُسَدِّدُهُمْ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا طُلِبَ وُجِدَ[١].

المعنى أنَّه من المجردات، إذ لم يذكر هذا المعنى لا في اللغة ولا في الأخبار.

وقيل: الفرق بين الملك والملكوت، أنَّ «المُلك» هو ما يدرك بالحسّ، ويُقال له: عالم الشهادة، و«الملكوت» ما لم يدرك به، وهو عالم الغيب وعالم الأمر، لكون عالم الشهادة بالنسبة إلى عالم الغيب كالقطرة من البحر، يُسمّىٰ الأوَّل ملكاً، والثاني ملكوتاً، لما تقرَّر من أنَّ زيادة المباني تدلُّ على زيادة المعاني(١).

وفيه نظر، بل الملكوت هو الملك العظيم سواء كان من عالم الغيب أم الشهادة.

وفي مجمع البيان: الملكوت بمنزلة الملك غير أنَّ هذا اللفظ أبلغ لأنَّ الواو والتاء تُزادان للمبالغة(٢).

الحديث الرابع:

[١] **(وليس كلَّ ما طلب وجد):**

لعلَّ هذا المقطع تفسير لقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فالمعنى أنَّ هؤلاء السائلين طلبوا معرفة الروح لكنَّ الله لم يجبهم ـ لما مرَّ في الحديث السابق ـ، وعلى هذا المعنى يكون (طُلِب) بالمجهول، أي ليس

---

(١) معجم الفروق اللغوية: ص٥١١ ـ ٥١٢.

(٢) المجمع: ج٤، ص١٢٧.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْعِلْمِ، أَهُوَ عِلْمٌ يَتَعَلَّمُهُ الْعَالِمُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، أَمْ فِي الْكِتَابِ عِنْدَكُمْ تَقْرَؤُونَهُ فَتَعْلَمُونَ مِنْهُ؟ قَالَ: الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْجَبُ[١]، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ

كلّ أمر طُلِب بالسؤال حصل له الجواب.

وقيل: أي ليس حصول تلك المرتبة الجليلة ميسَّرة بالطلب، بل ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء.

ويحتمل أن يكون المعنى: «ليس كلّ ما طلب» أي كلّ ما أراده السائل ورغب فيه «وجد» أي وجد الجواب مطابقاً لما يتصوّره ويريده، فيكون المعنى أنَّ السائل كان يرغب في سماع جواب طبقاً لما تخيَّله من أنَّ الرُّوح في هذه الآية هو جبرائيل لكن جاء الجواب بشكل آخر، ويؤيّده قوله في رواية أُخرى: «أعظم من جبرائيل، وليس كما ظننت»(١) فتأمَّل.

الحديث الخامس:

[١] **(الأمر أعظم من ذلك وأوجب)**:

«أوجب» أي أكثر ثبوتاً، لأنَّ الرِّجال قد يخطئون، فالتعلُّم من أفواههم والقراءة في كتبهم قد تُوجب الخطأ، كما أنَّه محدود وفي مواضيع معيَّنة وقد يتعرَّض النسيان للمتعلِّم، أمَّا ما عند الأئمَّة عليهم السلام فأعظم من ذلك لسعته، ولعدم تطرُّق احتمال الخطأ فيه، وهو أثبت لعدم تعرُّض النسيان والسهو والغفلة ونحوها على معلوماتهم.

ثمَّ إنَّ نفي التعلُّم من أفواه الرِّجال ومن قراءة الكتاب، لا ينافي تعلُّمهم أيضاً من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا قراءتهم في كتاب عليّ عليه السلام ومصحف

---

(١) البرهان: ج٦، ص١٦٢ عن تفسير العياشي.

مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]. ثُمَّ قَالَ: أَيَّ شَيْءٍ يَقُولُ: أَصْحَابُكُمْ فِي هَذِهِ الآيَةِ، أَيُقِرُّونَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ[٢]؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ مَا يَقُولُونَ!! فَقَالَ لِي: بَلَى قَدْ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّوحَ الَّتِي ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ، فَلَمَّا أَوْحَاهَا إِلَيْهِ[٣] ....

فاطمة عليها السلام، وذلك لأنَّ مقصود السائل هو التعلُّم بالطرق الطبيعية الحاصلة لسائر النَّاس، فلذلك نفاه الإمام عليه السلام.

أو يُقال: إنَّ الإمام عليه السلام لم ينفِ التعلُّم من الرسول صلى الله عليه وآله ولا نفى القراءة في كتاب عليّ ومصحف فاطمة، بل بيَّن أنَّ العلم الحاصل من الروح أعظم وأوجب نظير ما مرَّ في باب جهات علوم الأئمَّة عليهم السلام عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأمَّا الماضي فمفسَّر، وأمَّا الغابر فمزبور، وأمَّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبيّنا».

ويؤيِّد هذا المعنى ما في بصائر الدرجات بإسناده عن عبد الله بن طلحة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني يا ابن رسول الله عن العلم الذي تحدِّثونا به، أمن صحف عندكم؟ أم من رواية يرويها بعضكم عن بعض؟ أم كيف حال العلم عندكم؟ قال: «يا عبد الله الأمر أعظم من ذلك وأجلّ. . .» الحديث(١).

[٢] **(لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان):**

مرَّ معنى هذا المقطع في شرح الحديث الأوَّل من هذا الباب فراجع.

[٣] **(أوحاها إليه):**

أصل «الوحي»: الإشارة السريعة، وقد يُستعمل في التسخير(٢)، فلعلَّ

---

(١) البحار: ج٢٥، ص٥٩.

(٢) راجع مفردات الراغب: ص٨٥٨ ـ ٨٦٠.

عَلِمَ بِهَا الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ[٤]، وَهِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ[٥]، فَإِذَا أَعْطَاهَا عَبْداً عَلَّمَهُ الْفَهْمَ.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَسْأَلُهُ عَنِ الرُّوحِ أَلَيْسَ هُوَ جَبْرَائِيلَ؟ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: جَبْرَائِيلُ عليه السلام مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ غَيْرُ جَبْرَائِيلَ[١]، فَكَرَّرَ

معنى (أوحاها إليه) هو سخَّرها له، أو بتضمين الوحي معنى الإنزال، أي أنزلها إليه.

[٤] (العلم والفهم):

قيل: الفرق بين الفهم والعلم: أنَّ «الفهم» هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصَّة، ولذا يُقال: فلان سيِّء الفهم ـ إذا كان بطيء العلم بما يسمع ـ، ولذلك كان الأعجمي لا يفهم كلام العربي، ولا يجوز أن يوصف الله بالفهم لأنَّه عالم بكلِّ شيء على ما هو به فيما لم يزل(١).

[٥] (يعطيها الله من شاء):

كما قال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾(٣).

الحديث السادس:

[١] (والروح غير جبرئيل):

راجع أول الباب السابق فقد ذكرنا التفصيل هناك.

---

(١) معجم الفروق اللغوية: ص٤١٤.

(٢) سورة المؤمن: الآية ١٥.

(٣) سورة النحل: الآية ٢.

ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قُلْتَ عَظِيماً مِنَ الْقَوْلِ، مَا أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّ الرُّوحَ غَيْرُ جبْرَائِيلَ. فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّكَ ضَالٌّ تَرْوِي عَنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله[٢]: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ١-٢] وَالرُّوحُ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم.

---

[٢] **(يقول الله لنبيّه صلى الله عليه وآله):**

في المرآة: قال المفسّرون: لما أوعدهم النّبي بإهلاكهم كما فعل يوم بدر أو بقيام الساعة، استعجلوا ذلك استهزاءً وتكذيباً، وقالوا: إن صحَّ ذلك يخلّصنا أصنامنا عنه، فرَدَّ عليهم جلَّ شأنه بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي أمره بالإهلاك أو قيام الساعة، وعبَّر عنه بالماضي للدلالة على تحقُّق وقوعه ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ لأنَّه لاحق بكم ولا مردَّ له ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ نزَّهه عن أن يكون له شريك يدفع عنهم ما أراد بهم ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي مصاحبين معه، فاستدلَّ عليه السلام باستدعاء المصاحبة المغايرة[١].

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٧٤.

بَابُ وَقْتِ مَا يَعْلَمُ الْإِمَامُ جَمِيعَ عِلْمِ الْإِمَامِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ عليه السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَتَى يَعْرِفُ الْأَخِيرُ مَا عِنْدَ الْأَوَّلِ[١]؟ قَالَ: فِي آخِرِ دَقِيقَةٍ تَبْقَى مِنْ رُوحِهِ[٢].

الحديث الأوّل:

[١] **(ما عند الأوّل):**

في العلم وغيره، أما العلم فيعرف جميعه حين موت السابق، ولعلّ بعض تلك العلوم تختصّ بالإمام حين إمامته ـ أي حين تحوله إلى إمام ناطق ـ فلذا لا تنتقل إليه إلّا حين موت الذي قبله.

ثمَّ إنَّ قوله: (ما عند الأوّل) أعمّ من العلم، بل يشمل العلم ـ كما في الحديث الثاني ـ، ويشمل غيره كالإمامة ـ كما في الحديث الثالث ـ.

[٢] **(في آخر دقيقة تبقى من روحه):**

لأنَّ العلم النازل إلى الأرض لم يرفع ـ كما مرَّ في أحاديث سابقة ـ فلا يرفع ذلك العلم بموت من يحمله، بل يورثه إلى من بعده.

٢ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ؛ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُ قَالُوا: سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: يَعْرِفُ الَّذِي بَعْدَ الْإِمَامِ[١] عِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فِي آخِرِ دَقِيقَةٍ تَبْقَى مِنْ رُوحِهِ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الْإِمَامُ مَتَى يَعْرِفُ إِمَامَتَهُ وَيَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَيْهِ[١]؟ قَالَ: فِي آخِرِ دَقِيقَةٍ مِنْ حَيَاةِ الْأَوَّلِ.

الحديث الثاني:

[١] (الذي بعد الإمام):
أي الإمام اللاحق الذي هو بعد الإمام السابق، ولعلَّ التعبير بـ(الذي بعد الإمام)، لأجل أنَّه كان يختلط الأمر على بعض الشيعة ـ لظروف التقيَّة ـ فكانوا لا يعرفون الإمام اللاحق، فلا يقولون بإمامة أحد إلَّا بعد ظهور دلالة على إمامته، وأوضح الدلائل: علمه، فمن كان وارثاً لعلم سابقه كان هو الإمام.

الحديث الثالث:

[١] (وينتهي الأمر إليه):
هنا سؤالان، أحدهما وقت إمامته، والآخر عن وقت علمه بهذه الإمامة، فكأنَّ السائل توهم إمكان اختلافهما في الوقت كبعض المناصب الدنيوية التي قد يعلم بها صاحبها بعد تبوّئه لها!!، ويحتمل أن يكون العطف في (يعرف إمامته وينتهي الأمر إليه) تفسيري.
ومعنى (آخر دقيقة من حياة الأوَّل) هو تزامن موت السابق مع إمامة اللاحق ـ أي نطقه بها كما مرّ ـ.

بَابٌ فِي أَنَّ الْأَئِمَّةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالطَّاعَةِ سَوَاءٌ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنِ الْخَشَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ

الحديث الأوّل:

[١] (قال الله تعالىٰ):

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ بأن لم يكونوا كفّاراً ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ حتى يتنعَّم الآباء بأبنائهم، فإنَّ في ذلك قرَّة عين لهم، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ أي لم ننقص الآباء ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فليس إلحاق الأبناء يكون على حساب الآباء، بأن ينقص من الآباء شيء يوضع للأبناء، أو بمعنى أنَّه لا تنقص درجة الآباء بإلحاقهم بالأبناء، وليس رفع الأبناء من غير عمل بل ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، فالأولاد كانوا مؤمنين صالحين لكن درجة الآباء أعلى، فألحق الله الأبناء بهم كرامة للآباء.

ثمَّ إنَّ الروايات بيَّنت مصاديق للآية الكريمة(١).

منها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ أطفال شيعتنا تربيهم فاطمة عليها السلام، وقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: يهدون إلى آبائهم يوم القيامة(٢)،

---

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٩، ص٢٣٨ ـ ٢٤١.

(٢) المصدر: ص٢٣٩ عن تفسير القمّي.

وفي حديث: إنَّ الله أكفل إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين[١].

ومنها: عن أبي عبد الله عليه السلام: قصرت الأبناء عن عمل الآباء، فألحق الله عزَّ وجلَّ الأبناء بالآباء ليقرّوا بذلك أعينهم[٢].

ومنها: شفاعة فاطمة عليها السلام في ولدها وذرّيّتها ومن ودَّهم وحفظهم بعدها، فيشفّعها الله تعالى فيهم[٣].

ومنها: إلحاق الأئمَّة عليهم السلام برسول الله صلى الله عليه وآله في درجته في الجنَّة، فعن ابن عبَّاس قال: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وعن محمَّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن محمَّد عليهما السلام يقولان: إنَّ الله تعالى عوَّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرِّيَّته، والشفاء في تربته، وإجابة الدُّعاء عند قبره، ولا تُعدُّ أيَّام زائريه ـ جائياً وراجعاً ـ من عمره.

قال محمَّد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: في هذه الخلال تُنال بالحسين، فما له في نفسه؟ قال: إنَّ الله تعالى ألحقه بالنَّبيّ صلى الله عليه وآله فكان معه في درجته ومنزلته، ثمَّ تلا أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية[٤].

ومنها: ما في هذا الحديث الشريف من أنَّ المراد إلحاق الأئمَّة برسول الله في الحُجَّة، فكما جعل الله الحجَّة لرسول الله صلى الله عليه وآله كذلك جعل الحجَّة للأئمَّة، عليهم السلام من العقل والنقل والمعاجز، فكما دلَّ العقل على لزوم النُّبوَّة كذلك دلَّ على ضرورة الإمامة، وكما بشّر الأنبياء برسول الله صلى الله عليه وآله كذلك بشّر الرسول بالأئمَّة عليهم السلام، وكما كانت له معاجز تدلُّ على صدقه كذلك أجرىٰ الله المعاجز للأئمَّة عليهم السلام.

وكما لم يتمكّن الكاتمون من إخفاء الحجّة في رسول الله صلى الله عليه وآله، كذلك لم

(١) المصدر: ص٢٤١ عن من لا يحضره الفقيه.
(٢) المصدر: ص٢٣٨ عن توحيد الصدوق.
(٣) المصدر: ص٢٣٩ عن تاويل الآيات.
(٤) المصدر: ص٢٤١ عن أمالي الشيخ الطوسي.

عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] قَالَ: الَّذِينَ آمَنُوا النَّبِيُّ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؑ وَذُرِّيَّتُهُ الْأَئِمَّةُ[٢] وَالْأَوْصِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، أَلْحَقْنَا بِهِمْ وَلَمْ نَنْقُصْ ذُرِّيَّتَهُمُ الْحُجَّةَ[٣] الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ فِي عَلِيٍّ ؑ، وَحُجَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ دَاوُدَ النَّهْدِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ؑ قَالَ[١]: قَالَ لِي: نَحْنُ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ سَوَاءٌ وَفِي الْعَطَايَا عَلَى قَدْرِ مَا نُؤْمَرُ.

يتمكّن المحرّفون والوضّاعون والكاتمون من إخفاء حجّتهم ؑ فإنّ لله الحجّة البالغة، والحمد لله ربّ العالمين.

وعلى هذا المعنى يكون الضمير في ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ يرجع إلى الذرّيّة، وعلى المعاني السابقة يرجع إلى الذين آمنوا.

[٢] **(وذرّيّته الأئمّة):**

الواو للاستئناف، و«ذرّيّته» مبتدأ و«الأوصياء» خبر.

[٣] **(ولم تنقص ذرّيّتهم الحجّة):**

أوّل الإمام ؑ (عملهم) بـ(الحجّة)، لأنّ إقامة الحجّة عمل، وقد قام الرسول ﷺ بهذه المهمّة أفضل قيام.

الحديث الثاني:

[١] **(عن أبي الحسن ؑ قال):**

أي للأئمّة ؑ جانبان، أحدهما يرتبط بأنفسهم الشريفة، والآخر يرتبط بالنّاس.

أمّا ما يرتبط بهم: فكلّهم نور واحد ومن شجرة واحدة، وصفاتهم النفسية وملكاتهم القدسية واحدة، و(العلم والشجاعة) من باب المثال.

وأمّا ما يرتبط بالنّاس: فإنّ عطاءهم ـ المعنوي والمادي ـ للناس حسب

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «نَحْنُ فِي الْأَمْرِ وَالْفَهْمِ[١] وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ[٢] نَجْرِي مَجْرًى وَاحِداً»، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٣] وَعَلِيٌّ عليه السلام فَلَهُمَا فَضْلُهُمَا.

ما يأمرهم الله تعالى من مراعاة المصلحة، فلذا قد تختلف عطاياهم، فالإمام الباقر والصَّادق عليهما السلام أعطيا من العلم أكثر من غيرهما لأنَّ الظروف كانت مهيَّأة لذلك، وأمير المؤمنين عليه السلام رسّخ دعائم التوحيد بخطبه وكلامه للضرورة إلى التركيز في ذلك الجانب، وكذلك سائر الأئمَّة عليهم السلام، وهكذا في العطايا المالية.

الحديث الثالث:

[١] **(في الأمر والفهم):**

لعلَّ المراد من «الأمر» في الخلقة، أو في وجوب طاعتنا و«الفهم» أي في علمنا، وفي البصائر: (في الأمر والنهي).

[٢] **(الحلال والحرام):**

أي العلم بهما، ولعلَّ ذكره بعد (الفهم) من باب ذكر الخاصّ بعد العام وإنَّما خصَّا بالذِّكر للأهميَّة.

[٣] **(فأمَّا رسول الله...):**

هذا المقطع كلام للإمام الصَّادق عليه السلام، فإنَّه بعد أن نقل كلام الرسول صلى الله عليه وآله، بيَّن أنَّ التساوي في الأمر والفهم والحلال والحرام ليس بمعنى التساوي في الفضيلة، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من جميع المخلوقات ثمَّ الإمام علي عليه السلام أفضل من جميع الأئمَّة عليهم السلام.

ولكن جاءت الرواية في بصائر الدرجات بنفس هذا الإسناد هكذا: عن

الحارث النضري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في الأمر والنهي والحلال والحرام نجري مجرى واحد، فأمَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ فلهما فضلهما[1].

قال الكراجكي رحمه الله: يجب أن يُعتقد أنَّ أفضل الأئمَّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... وأنَّ أفضل الأئمَّة بعد أمير المؤمنين ولده الحسن، ثمَّ الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين إمام الزمان المهدي عليه السلام، ثمَّ بقيَّة الأئمَّة من بعده سواء، على ما جاء به الأثر وثبت في النظر[2].

(١) البحار: ج٢٥، ص٣٥٧ عن بصائر الدرجات.

(٢) نقله عن المرآة: ج٣، ص١٧٨، وفي البحار: ج٢٥، ص٣٦٢.

بَابُ أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام يَعْرِفُ الْإِمَامَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ فِيهِمْ عليهم السلام نَزَلَتْ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ

الحديث الأوّل:

[١] (عن قول الله عزّ وجلّ):

شأن نزول الآية فيهم عليهم السلام لكن ذلك لا ينافي العموم في الآية، ولذا رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصّادق عليه السلام أنّها في كلّ من ائتُمن أمانة من الأمانات، وأمانات الله أوامره ونواهيه، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً(١).

وأهم الأمانات هي الأمانات الإلٰهيَّة وقد استفاضت الروايات بأنَّ الأمانات هي: الوصيَّة والكتب والعلم وسلاح رسول الله صلى الله عليه وآله(٢) يسلّمها الإمام السابق إلى الإمام الذي من بعده، ومنها روايات هذا الباب من الكافي الشريف.

بل نفس سياق الآية الكريمة يدلُّ على المقصود منها، فراجع سورة النِّساء الآيات (٥١ ـ ٦١).

---

(١) راجع مجمع البيان: ج٣، ص١٦٢.

(٢) راجع سائر الروايات في تفسير البرهان: ج٣، ص١٣١ ـ ١٣٢.

بل روى العياشي رواية مفصَّلة عن الإمام الباقر عليه السلام رجع الإمام فيها إلى السياق ليتبيَّن المقصود من الآية.

فعن بريد بن معاوية، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فسألته عن قول الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١)؟

قال: فكان جوابه أن قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ فلان وفلان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ يقول: الأئمَّة الضالَّة والدعاة إلى النَّار هؤلاء أهدى من آل محمَّد وأولياؤهم سبيلاً ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ يعني الإمامة والخلافة ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ نحن الناس الذين عنى الله، والنقير النقطة التي في وسط النواة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فنحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يقول: فجعلنا منهم الرُّسل والأنبياء والأئمَّة فكيف يقرّون بذلك في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمَّد صلى الله عليه وآله؟ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

قال: قلت: قوله في آل إبراهيم: ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ ما الملك العظيم؟

قال: أن جعل منهم أئمَّة، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم.

قال: ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، قال: إيَّانا عنى، أن يؤدِّي الأوَّل منَّا إلى الإمام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ الذي في أيديكم، ثم قال للناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فجمع المؤمنين إلى يوم

(١) سورة النِّساء: الآية ٥٨.

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. **قَالَ: إِيَّانَا عَنَى أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَوَّلُ إِلَى الْإِمَامِ الَّذِي بَعْدَهُ الْكُتُبَ وَالْعِلْمَ وَالسِّلَاحَ، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ**[٢]**، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾** [النساء: ٥٩] **إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً، أَمَرَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِطَاعَتِنَا، فَإِنْ خِفْتُمْ تَنَازُعاً**[٣] **فِي أَمْرٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، كَذَا نَزَلَتْ**[٤]**، وَكَيْفَ يَأْمُرُهُمْ**

القيامة ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ إيّانا عنىٰ خاصّة... الحديث[١].

[٢] **(الذي في أيديكم):**

أي العدل الذي تعلمون به والمحفوظ عندكم، لا بما يتوهمه الناس.

[٣] **(فإن خفتم تنازعاً):**

تفسير لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾، فالمراد أنّه إن كان هناك احتمال التنازع فارجعوا إلى الله وإلى الرسول، واستعمال الفعل وإرادة الإشراف عليه مجاز شائع كقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٢]، أي إذا أردتم طلاقهن، وكقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾[٣] أي إذا أردتم القيام إليها.

[٤] **(كذا نزلت):**

قد مرَّ أنَّ القرآن كما نزلت ألفاظه، كذلك نزل تفسيره وتأويله، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾[٤]، وأنَّ ما نزل على رسول الله ﷺ سبعة عشر ألف آية منها ستة آلاف ونيف

---

(١) تفسير البرهان: ج٣، ص١٤٤ ـ ١٤٥ عن تفسير العياشي.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

(٤) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الْأَمْرِ وَيُرَخِّصُ فِي مُنَازَعَتِهِمْ[٥]؟! ....

هي ألفاظ القرآن وأحد عشر ألف ونيّف هي تفسيره وتأويله، فراجع.

فالمقصود من قوله عليه السلام: (كذا نزلت) أي هكذا تفسيرها الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقيل: إنَّها في قراءة أهل البيت عليهم السلام هكذا.

وفيه نظر: إذ القراءة واحدة فقط وهي القراءة المشهورة المتداولة بين المسلمين، وقد ذكرنا تفصيله في البحوث السابقة فراجع.

[٥] **(ويرخص في منازعتهم):**

فقد توهّم المخالفون أنَّ المنازعة هي مع أولي الأمر، فكلّما حصل نزاع معهم، وجب الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة لرفع ذلك النزاع.

وهذا توهم باطل إذ إنَّ الله تعالى أمر بإطاعة أولي الأمر بشكل مطلق فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١) فقرن طاعتهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، فلا يعقل ترخيصه تعالى لمنازعتهم، وإلَّا كان تناقضاً في الآية، تعالى الله عن ذلك.

وفي مجمع البيان: أمَّا أصحابنا فإنَّهم رووا عن الباقر والصَّادق عليهما السلام أنَّ أولي الأمر هم الأئمَّة من آل محمد، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله.

ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلَّا من ثبتت عصمته، وعُلم أنَّ باطنه كظاهره، وأمن منه الغلط والأمر القبيح، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم، جلَّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنَّه محال أن يُطاع المختلفون، كما أنَّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه...(٢).

وقال أيضاً في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾: الردّ إلى الأئمَّة القائمين مقام

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) مجمع البيان: ج٣، ص١٦٦.

إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ[٦] لِلْمَأْمُورِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنْ يُؤَدِّيَ الْإِمَامُ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَلَا يَخُصَّ بِهَا غَيْرَهُ وَلَا يَزْوِيَهَا عَنْهُ[١].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

الرسول بعد وفاته هو مثل الردّ إلى الرسول في حياته، لأنّهم الحافظون لشريعته، وخلفاؤه في أُمّته فجروا مجراه فيه(١).

[٦] (إنّما قيل ذلك):

أي إنّ الضمير في (تنازعتم) يرجع إلى المخاطبين بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، أي سائر الناس من غير أولي الأمر عليهم بإطاعة الله والرسول وأولي الأمر، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى الله وإلى الرسول ومن المعلوم أنّ الرجوع إلى الأئمّة المعصومين رجوع إلى الله وإلى الرسول.

الحديث الثاني:

[١] (ولا يزويها عنه):

أي لا يصرفها عنه.

والمعنى أنّ اختيار الأئمّة إنّما هو من الله تعالىٰ، وليس لأحد تعيين الإمام إلّا بعد أمر الله تعالىٰ.

---

(١) المصدر نفسه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ يُؤَدِّي الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا يَخُصُّ بِهَا غَيْرَهُ وَلَا يَزْوِيهَا عَنْهُ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ الْإِمَامَ الْأَوَّلَ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى الْإِمَامِ الَّذِي بَعْدَهُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ[١].

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا يَمُوتُ الْإِمَامُ حَتَّى يَعْلَمَ[١] مَنْ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ فَيُوصِيَ إِلَيْهِ.

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ

الحديث الرابع:

[١] (كل شيء عنده):
أي من مختصّات الإمامة، وهي مواريث الأنبياء والوصية والعلم والسلاح والكتب وأمثالها ـ وقد مرّ تفاصيلها ـ.

الحديث الخامس:

[١] (حتى يعلم...):
المقصود هو أنّه لا يموت إمام إلّا بعد أن يوصي إلى مَن بعده كما أمره الله تعالى وهذا لا ينافي علمه من الأول بالوصي من بعده وكذا سائر الأئمة عليهم السلام.
وبعبارة أخرى: ليس المعنى أنه لم يكن يعلم ثم يعلم فيوصي، بل المُراد أنه لا يوصي إلّا بعلم وأنه لا يموت بلا وصية.

يَحْيَى، عَنِ ابْنِ أَبِي عُثْمَانَ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ يَعْرِفُ الْإِمَامَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ فَيُوصِي إِلَيْهِ.

٧ ـ أَحْمَدُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مَاتَ عَالِمٌ حَتَّى يُعْلِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَنْ يُوصِي.

بَابُ أَنَّ الْإِمَامَةَ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْهُودٌ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبَانٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَذَكَرُوا الْأَوْصِيَاءَ وَذَكَرْتُ إِسْمَاعِيلَ[١]!! فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا ذَاكَ إِلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ.

الحديث الأوّل:

[١] (وذكرت إسماعيل):

ابن الإمام الصّادق عليه السلام وأُمّه فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: وكان إسماعيل أكبر إخوته، وكان أبو عبد الله شديد المحبّة له، والبرّ به، والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنّه القائم بعد أبيه، والخليفة له من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنّاً، ولميل أبيه إليه، وإكرامه له، فمات في حياة أبيه بالعُريض، وحمل على رقاب الرِّجال إلى أبيه بالمدينة، حتى دُفن بالبقيع.

وروي أنّ أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدَّم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وإزالة الشُّبهة عنه في حياته. . .إلخ(١).

---

(١) البحار: ج٤٧، ص٢٤٢ عن الإرشاد.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: أَتَرَوْنَ الْمُوصِيَ مِنَّا يُوصِي إِلَى مَنْ يُرِيدُ[١]؟! لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنْ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله[٢] لِرَجُلٍ فَرَجُلٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى صَاحِبِهِ[٣].

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مِنْهَالٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مِثْلَهُ.

الحديث الثاني:

[١] **(يوصي إلى من يريد):**
بمعنى أن يكون الاختيار إليه.

[٢] **(عهد من الله ورسوله):**
«العهد» الوصية والموثق، وعهد فلان إلى فلان: ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه(١).

وعطف الرسول على الله تعالى، لأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله بلَّغ عهد الله تعالى.

[٣] **(حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه):**
وهو الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، إذ لا عهد بعده، فهو لخاتِم الأوصياء.

وقيل: يحتمل أن يكون (حتى) للتعليل، أي إنَّما عهد الله لكي تصل إلى ما يستحقها، إذ الناس قد يخطئون في انتخابهم، فلا بُدَّ من تعيين الله تعالى من يستحقها.

---

(١) انظر مفردات الراغب: ص٥٩١.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَيْثَمِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْإِمَامَةَ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْهُودٌ لِرِجَالٍ مُسَمَّيْنَ[١]، لَيْسَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَزْوِيَهَا عَنِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: أَنِ اتَّخِذْ وَصِيّاً مِنْ أَهْلِكَ، فَإِنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنْ لَا أَبْعَثَ نَبِيّاً إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ[٢] مِنْ أَهْلِهِ، وَكَانَ لِدَاوُدَ عليه السلام أَوْلَادٌ عِدَّةٌ وَفِيهِمْ غُلَامٌ كَانَتْ أُمُّهُ عِنْدَ دَاوُدَ[٣] وَكَانَ لَهَا مُحِبّاً، فَدَخَلَ دَاوُدُ عليه السلام عَلَيْهَا حِينَ أَتَاهُ الْوَحْيُ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى

الحديث الثالث:

[١] (لرجال مسمين):
أي ليس بذكر الأوصاف فقط حتى يمكن تطبيقه على أشخاص متعدِّدين.

[٢] (أن لا أبعث نبياً إلَّا وله وصي):
ظاهر الحديث أنَّ جميع الأنبياء كان لهم أوصياء من أقاربهم، وقيل: المراد (نبيّ له كتاب)، وكان لداود عليه السلام الزبور.
ويدلُّ على أنَّ الأوصياء من أهل الأنبياء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

[٣] (كانت أُمّه عند داود):
أي كانت حيَّة ولم ينفصل عنها، ولعلَّ أُمَّهات الآخرين كنَّ أمواتاً أو مطلقات، أو بمعنى: كانت عنده حين نزول هذا الوحي، أو هذا المقطع مقدِّمة لقوله: (وكان لها محباً).

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣ ـ ٣٤.

إِلَيَّ يَأْمُرُنِي أَنِ أَتَّخِذَ وَصِيّاً مِنْ أَهْلِي، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ فَلْيَكُنِ ابْنِي؟ قَالَ: ذَلِكَ أُرِيدُ. وَكَانَ السَّابِقُ فِي عِلْمِ اللَّهِ الْمَحْتُومِ عِنْدَهُ أَنَّهُ سُلَيْمَانُ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى دَاوُدَ: أَنْ لَا تَعْجَلْ دُونَ أَنْ يَأْتِيَكَ أَمْرِي، فَلَمْ يَلْبَثْ دَاوُدُ عليه السلام أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي الْغَنَمِ وَالْكَرْمِ[٤]، فَأَوْحَى اللَّهُ

---

[٤] **(يختصمان في الغنم والكرم):**

قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ زرع الكرم ـ أشجار العنب ـ والحكم إمّا بمعنى القضاء أو بمعنى المناظرة بينهما كما روي[(١)] ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ أي تفرّقت ليلاً ﴿فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ حكم داود وسليمان والمتحاكمين إليهما، أو حكمهما وحكم قضاة بني إسرائيل ﴿شَاهِدِينَ﴾.

وكان حكم داود صحيحاً، لكن حكم سليمان كان أحسن، وذلك لأنَّ الحكم هو ضمان صاحب الغنم ما تلف من الزرع، وكان قيمته بقيمة الغنم، فحكم داود بإعطاء الغنم إلى صاحب الزرع، وحكم سليمان بأن يعطى لصاحب الزرع أصواف الغنم ونتاجها في ذلك العام ـ وكانت بقيمة الزرع التالف ـ. فكلا الحكمين صحيح إذ فيهما تعويض صاحب الضرر قيمة زرعه التالف، ويكون دفع العوض بأية كيفية يراها الحاكم بالشرع، ولكن حكم سليمان كان فيه تعويض مع حفظ مصلحة صاحب الغنم فكان أحسن، ولذا قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي الحكومة التي أحسن ﴿سُلَيْمَانَ وَكُلًّا﴾ من سليمان وداود ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

وروي أنَّ حكم الأنبياء قبل داود كان بما حكم به داود ثم نسخ ذلك الحكم بما أوحاه الله إلى سليمان وكذلك عملت الأنبياء بعد سليمان. وللتفصيل راجع تفسير البرهان[(٢)].

---

(١) البرهان: ج٦، ص٤٩٠ عن المحاسن.

(٢) البرهان: ج٦، ص٤٨٩ ـ ٤٩١.

عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ أَنِ اجْمَعْ وُلْدَكَ[٥] فَمَنْ قَضَى بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَأَصَابَ فَهُوَ وَصِيُّكَ مِنْ بَعْدِكَ، فَجَمَعَ دَاوُدُ عليه السلام وُلْدَهُ، فَلَمَّا أَنْ قَصَّ الْخَصْمَانِ قَالَ سُلَيْمَانُ عليه السلام: يَا صَاحِبَ الْكَرْمِ مَتَى دَخَلَتْ غَنَمُ هَذَا الرَّجُلِ كَرْمَكَ؟ قَالَ: دَخَلَتْهُ لَيْلاً، قَالَ: قَضَيْتُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْغَنَمِ بِأَوْلَادِ غَنَمِكَ وَأَصْوَافِهَا فِي عَامِكَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ دَاوُدُ: فَكَيْفَ لَمْ تَقْضِ بِرِقَابِ الْغَنَمِ، وَقَدْ قَوَّمَ ذَلِكَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ[٦] وَكَانَ ثَمَنُ الْكَرْمِ قِيمَةَ الْغَنَمِ؟ فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّ الْكَرْمَ لَمْ يُجْتَثَّ مِنْ أَصْلِهِ وَإِنَّمَا أُكِلَ حِمْلُهُ وَهُوَ عَائِدٌ فِي قَابِلٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ: إِنَّ الْقَضَاءَ[٧] فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مَا قَضَى سُلَيْمَانُ بِهِ، يَا دَاوُدُ أَرَدْتَ أَمْراً وَأَرَدْنَا أَمْراً غَيْرَهُ، فَدَخَلَ دَاوُدُ عَلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَرَدْنَا أَمْراً وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْراً غَيْرَهُ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ رَضِينَا بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَلَّمْنَا.

وَكَذَلِكَ الْأَوْصِيَاءُ عليهم السلام لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَتَعَدَّوْا بِهَذَا الْأَمْرِ فَيُجَاوِزُونَ[٨] صَاحِبَهُ إِلَى غَيْرِهِ.

---

[٥] (أن أجمع ولدك. . .) الخ:
وإنَّما أمره بهذه الكيفية، ليعلم أبناء داود وسائر الناس أنَّ اختيار سليمان للوصاية كان عن استحقاق وليس اعتباطاً.

[٦] (علماء بني إسرائيل):
لعلَّ المراد قضاتهم، أو أهل الخبرة في القِيَم.

[٧] (إنَّ القضاء):
أي القضاء الحقّ أو الأحسن.

[٨] (فيجاوزون):
قيل: الفاء ليست للعطف وإلَّا حذفت نون (يجاوزون) للعطف على المنصوب ـ وهو يتعدوا ـ، بل الفاء للاستئناف.

قَالَ الْكُلَيْنِيُّ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ[٩]: أَنَّ الْغَنَمَ لَوْ دَخَلَتِ الْكَرْمَ نَهَاراً، لَمْ يَكُنْ عَلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ شَيْءٌ، لِأَنَّ لِصَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يُسَرِّحَ غَنَمَهُ بِالنَّهَارِ تَرْعَى وَعَلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ حِفْظُهُ، وَعَلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يَرْبِطَ غَنَمَهُ لَيْلاً وَلِصَاحِبِ الْكَرْمِ أَنْ يَنَامَ فِي بَيْتِهِ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ؛ وَجَمِيلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: أَتَرَوْنَ أَنَّ الْمُوصِيَ مِنَّا يُوصِي إِلَى مَنْ يُرِيدُ؟ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى رَجُلٍ فَرَجُلٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَفْسِهِ[١].

لكن قال ابن هشام في نظير المورد: والتحقيق أنَّ الفاء في ذلك كلّه للعطف، وأنَّ المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل... وإنّما يقدّر النحويون كلمة (هو) ليبيّنوا أنَّ الفعل ليس المعتمد بالعطف(١).

[٩] **(معنى الحديث الأوّل):**

«الأوّل» بدل من الحديث، فالمراد: معنى أوّل الحديث.

الحديث الرابع:

[١] **(حتّى انتهى إلى نفسه):**

لعلَّ المراد أنّه عليه السلام ذكر آبائه عليهم السلام حتّى انتهى إلى نفسه.

أو بمعنى حتّى انتهى العهد إلى نفس الوصي، فالمعنى أنَّ العهد يصل إلى الإمام من غير اختياره من الإمام السابق، بل بتعيين من الله تعالى وتبليغ من رسوله صلى الله عليه وآله.

---

(١) مغني اللبيب: ج١، ص٢٢٣.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئاً وَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْرٍ مِنْهُ لَا يَتَجَاوَزُونَهُ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَالْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْوَصِيَّةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَاباً، لَمْ يُنْزَلْ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[١] كِتَابٌ مَخْتُومٌ إِلَّا الْوَصِيَّةُ، فَقَالَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام: يَا مُحَمَّدُ، هَذِهِ وَصِيَّتُكَ فِي أُمَّتِكَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتِكَ[٢]، فَقَالَ

الحديث الأوّل:

[١] (لم ينزل على محمّد صلى الله عليه وآله...):
أمّا سائر ما نزل فكان وحياً بلفظ أو إلهام من غير واسطة أو بواسطة جبرائيل، أمّا نزول الكتاب فكان هذه الوصية فقط، جاء بها جبرائيل عليه السلام.
وأمّا كونه مختوماً فنوع تشريف وإلّا فهم عليهم السلام كانوا يعلمون بما يكون، والسابق منهم يعلم تكليف اللاحق، أو أنّ ما في الوصية لم يكن فيه البداء فأراد تعالى أن يبقى مكتوماً إلى حين وقت العمل به، أو لبيان أهميتها بحيث لم يطلع عليها حتى جبرائيل عليه السلام وهو الذي قال عنه تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(١)، أو لغير ذلك والله يعلم.

[٢] (وصيتك في أُمّتك عند أهل بيتك):
لأنّ تكليفهم عليهم السلام كان في كيفية تعاملهم مع الأُمّة، فالمعنى هذه الوصية تكون عند أهل بيتك ليتعاملوا من خلالها مع الأُمّة.

---

(١) سورة التكوير: الآية ٢٠.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ أَهْلِ بَيْتِي[٣] يَا جَبْرَائِيلُ؟ قَالَ: نَجِيبُ اللَّهِ[٤] مِنْهُمْ

ويمكن أن يكون المراد أنَّ لرسول الله ﷺ وصيتان: إحداهما: للأُمَّة وهي التمسُّك بالكتاب والعترة كما ورد في حديث الثقلين، والأُخرى: لأهل البيت عليهم السلام وهي ما في هذا الكتاب.

وإنَّما قال: (هذه وصيتك) لأنَّ الرسول ﷺ يأتمر بأمر الله تعالى فوصيته نفس وصية الله تعالى، أو لأنه أمر بإيصالها فكانت كأنّها وصيته.

[٣] **(فقال رسول الله: أيّ أهل بيتي):**

«أي» مجرور، بتقدير (عند) أي عند أيٍّ منهم، وقيل غير ذلك.

ولعلَّ السبب في سؤال النبي ﷺ: أنَّ (أهل بيتك) يُستعمل بعدَّة معانٍ، منها:

١ ـ المعنى القرآني الوارد في آية التطهير، وهو اصطلاح خاص بالخمسة أهل الكساء وسائر الأئمَّة فقط ولا يشمل غيرهم، كما في متواتر الروايات التي روتها الخاصَّة والعامَّة.

وبحسب هذا المعنى يُستعمل (البيت) محلّىً بالألف واللام ومن غير إضافة ـ عادة ـ.

٢ ـ المعنى العرفي، ويدخل فيه السيِّدة زينب وأُمّ كلثوم والمحسن وجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطَّلب عليهم السلام وأمثالهم، وقد استُعمل في بعض الروايات بهذا المعنى، وعادة يُستعمل (البيت) حسب هذا المعنى مضافاً إلى الرسول ﷺ فيُقال: (أهل بيتك) و(أهل بيتي) ونحو ذلك.

[٤] **(نجيب الله):**

المراد من اصطفاه الله تعالى، وذرِّيَّته الذين اصطفاهم الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١)، وفي المقاييس: (انتجب فلاناً: استخلصه واصطفاه)(٢).

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٢) المقاييس: ص٩٧٩.

وَذُرِّيَّتُهُ، لِيَرِثَكَ عِلْمَ النُّبُوَّةِ[٥] كَمَا وَرَّثَهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام[٦]، وَمِيرَاثُهُ لِعَلِيٍّ عليه السلام[٧] وَذُرِّيَّتِكَ مِنْ صُلْبِهِ، قَالَ: وَكَانَ عَلَيْهَا خَوَاتِيمُ، قَالَ: فَفَتَحَ عَلِيٌّ عليه السلام الْخَاتَمَ الْأَوَّلَ وَمَضَى لِمَا فِيهَا[٨]، ثُمَّ فَتَحَ الْحَسَنُ عليه السلام الْخَاتَمَ الثَّانِيَ وَمَضَى لِمَا أُمِرَ

---

[٥] **(ليرثك علم النُّبوَّة):**

اللام للتعليل في «ليرثك»، وهو إمَّا علَّة لنجابته أي اصطفاه الله ليرث علم النُّبوَّة، وإمَّا علَّة للوصية، أي إنَّما كانت هذه الوصية لأنَّ فيها علم النُّبوَّة فأراد الله أن يرث عليٌّ عليه السلام ذلك العلم.

[٦] **(كما ورثه إبراهيم عليه السلام):**

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾(١)، فقد ورَّث إبراهيم عليه السلام علمَ النُّبوَّة إلى الأنبياء من ذرِّيَّته كإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم عليهم السلام.

ولعلَّ المقصود أنَّ الله كما اصطفى آل إبراهيم عليه السلام فأورثهم علمه، كذلك اصطفى آل محمَّد صلى الله عليه وآله فأورثهم علم الرسول صلى الله عليه وآله، والفارق أنَّ ذرِّيَّة إبراهيم الوارثة للعلم من صلبه ولكن ذرِّية النَّبي صلى الله عليه وآله الوراثة لعلمه من صلب عليّ عليه السلام.

[٧] **(وميراثه لعلي عليه السلام...):**

أي يكون ميراث إبراهيم عليه السلام للإمام علي وذرِّيَّته عليهم السلام، والمقصود بيان أنَّ الإمام عليّاً وذرِّيَّته عليهم السلام كما يرثون علم رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك يرثون علم إبراهيم عليه السلام، لأنَّ جميع علم إبراهيم كان عند الرسول صلى الله عليه وآله، وقد ورث الأئمَّة عليهم السلام كلُّ ذلك.

[٨] **(ومضى لما فيها):**

أي سار في حياته بحسب ما رُسم له في الوصية.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٦.

بِهِ فِيهَا، فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْحَسَنُ وَمَضَى فَتَحَ الْحُسَيْنُ عليه السلام الْخَاتَمَ الثَّالِثَ فَوَجَدَ فِيهَا: أَنْ قَاتِلْ فَاقْتُلْ وَتُقْتَلْ، وَاخْرُجْ بِأَقْوَامٍ لِلشَّهَادَةِ[٩] لَا شَهَادَةَ لَهُمْ إِلَّا مَعَكَ[١٠]، قَالَ: فَفَعَلَ عليه السلام، فَلَمَّا مَضَى دَفَعَهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْلَ ذَلِكَ، فَفَتَحَ الْخَاتَمَ الرَّابِعَ فَوَجَدَ فِيهَا: أَنِ اصْمُتْ وَأَطْرِقْ لَمَّا حُجِبَ الْعِلْمُ[١١]، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَمَضَى دَفَعَهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَفَتَحَ الْخَاتَمَ الْخَامِسَ، فَوَجَدَ فِيهَا: أَنْ فَسِّرْ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَدِّقْ أَبَاكَ[١٢]،

---

[٩] **(اخرج بأقوام للشهادة):**
اللام للعاقبة أي عاقبة الخروج ستكون الشهادة، أو للتعليل أي علّة الخروج هي الشهادة، فإنَّه يتوقَّف عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

[١٠] **(لا شهادة لهم إلّا معك):**
لعلَّ ذكرهم دون سائر أصحاب الأئمَّة، لبيان منزلتهم وعظم قدرهم.

[١١] **(وأطرق لما حجب العلم):**
«الطرق» الاسترخاء، و(أَطْرَقَ) أي أرخى عينيه إلى الأرض، كناية عن عدم الالتفات إلى ما يفعله الناس من الباطل.
و«لمَّا حجب العلم» الظاهر أنَّ (لمّا) بتشديد الميم، أي في الوقت الذي مُنِع العلم عن الناس بشدَّة استبداد بني أُميَّة وقتلهم للعلماء وشدَّة التقيَّة.
أو (لِمٰا) بالتخفيف، أي أطرق برأسك ولا تنظر إلى الناس بسبب ظهور المنكرات منهم، حيث إنَّ العلم محجوب والباطل ظاهر.
وكأنَّ هذا مقدِّمة لبقر العلم بواسطة الإمام محمَّد بن علي الباقر عليهما السلام.

[١٢] **(صدّق أباك):**
لعلَّ هذه الوصية لأجل اختلاف كيفية التعامل مع الأُمَّة من السكوت إلى بقر العلم، فلعلَّ بعض السذَّج يتصوَّرون أنَّ هناك تناقضاً في الموقفين، فلدفع هذا التوهم قيل له عليه السلام: (صدّق أباك).

وَوَرِّثِ ابْنَكَ[١٣]، ....

ثمَّ لا يخفىٰ أنَّ هذه الوصايا المختلفة للأئمَّة عليهم السلام مع أنَّهم نور واحد، وكلّهم عاملون بكتاب الله تعالى، معصومون من الخطأ، لأجل اختلاف الظروف، فكلّ ظرف كانت مصلحة الدِّين فيه تقتضي كيفية خاصَّة من التعامل.

كما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتم أمره ثلاث سنين، ثمَّ جهر بالدعوة ولم يُقاتل، ثم أذن الله له في القتال، ثمَّ صالح في الحديبية، وغير ذلك من مواقف كلّها كانت صائبة لأنَّ فيها مصلحة الدِّين.

كذلك الأئمَّة عليهم السلام أمرهم الله في أفعالهم بما فيه صلاح الدِّين.

ولعلَّ اختلاف ظروفهم ليكونوا أسوة للناس ليقتدوا بهم حينما تكون الظروف متشابهة، فسكت أمير المؤمنين ثمَّ نهض بالأمر فقاتل، ثمَّ صالح الإمام الحسن عليه السلام، ثمَّ جاهد الإمام الحسين عليه السلام، ثمَّ أطرق الإمام زين العابدين عليه السلام عابداً داعياً، ثمَّ بقر الإمام الباقر عليه السلام العلم بقراً بعد احتجابه، ثمَّ ربَّى الإمام الصَّادق عليه السلام الرواة والعلماء، ثمَّ ظروف السجن والإرهاب للإمام الكاظم عليه السلام، ثمَّ الدخول في السلطة ظاهراً بولاية العهد للإمام الرِّضا عليه السلام، ثمَّ القرب من السلطة بالمصاهرة ظاهراً والابتعاد عنها واقعاً كما حدث للإمام الجواد عليه السلام، ثمَّ ظروف الحصار والاحتجاب تمهيداً للغيبة الكبرى كما حدث للإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

فكلّ من عاشر ظروفاً كتلك الظروف يتخذ أسلوب الإمام مقتدياً به، ولا تناقض بينها إذ بعضها يكمل بعضاً.

وما ذكرناه إنَّما هو جانب من الجوانب وإلَّا فجوانب سيرتهم أكثر وأعمق، وهي بحاجة إلى دراسة وتعمّق وأخذ العبر، وفّقنا الله وإيَّاكم للاقتداء بهم فإنَّ اللازم لهم لاحق، وأمَّا المتقدِّم عنهم فمارق والمتأخّر عنهم فزاهق.

[١٣] (وورِّث ابنك):

أي ورِّثه علومك، وأْمُرْهُ بنشرها.

وَاصْطَنِعِ الْأُمَّةَ[١٤]، وَقُمْ بِحَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١٥]، وَقُلِ الْحَقَّ فِي الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ[١٦]، وَلَا تَخْشَ إِلَّا اللَّهَ، فَفَعَلَ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: فَقَالَ: مَا بِي إِلَّا أَنْ تَذْهَبَ[١٧]

ولعلَّ الإمام الصَّادق عليه السلام ذكر هذا المقطع من الوصية ـ مع أنَّ كلّ سابق أُمِرَ بأن يورِّث اللاحق ـ لأجل بيان أنَّه وارث علم أبيه، لم يذكره صراحة وإنَّما كناية.

[١٤] **(واصطنع الأُمَّة):**

«الاصطناع» التربية، كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾(١)، فإنَّ تربية الأُمَّة إنَّما هو بالعلم.

[١٥] **(قم بحقّ الله عزَّ وجلَّ):**

من نشر أوامره ونواهيه، وإرشاد الناس إليهما، وتعليمهم التوحيد وسائر أُصول الدِّين.

[١٦] **(وقل الحقّ في الخوف والأمن):**

لعلَّه بيان أنَّه لا يصيبه مكروه من جهة بيان الحقّ، فلا يكون في تقيَّة خوفاً على نفسه.

أمَّا شهادته عليه السلام فلم تكن من جهة بيان أحكام الشرع، بل لجهة خوف الظالمين منه أو حسَّادهم، لأنَّ الظالمين يقتلون من يخافون من أصل وجوه حتَّى وإن كان صامتاً ساكتاً، ولذا قتلوا الأئمَّة عليهم السلام جميعاً مع أنَّهم عليهم السلام أعرف الناس بالتقيَّة وبمواردها، ولكن الظالمين لا يطيقون من هو أفضل منهم أو من يرغب الناس فيه حتى وإن لم يكن منافساً لهم في السلطة.

[١٧] **(ما بي إلَّا أن تذهب. . .) إلخ:**

في المرآة: (ما) نافية، و(الباء) للإلصاق، نحو: بزيد داءٌ، أي ما بي

---

(١) سورة طه: الآية ٤١.

يَا مُعَاذُ فَتَرْوِيَ عَلَيَّ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَكَ مِنْ آبَائِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ أَنْ يَرْزُقَكَ مِنْ عَقِبِكَ مِثْلَهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ، قَالَ: قَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ يَا مُعَاذُ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَنْ هُوَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: هَذَا الرَّاقِدُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ - وَهُوَ رَاقِدٌ.

٢ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْكِنَانِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ نَجِيحٍ الْكِنْدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله كِتَاباً قَبْلَ وَفَاتِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ وَصِيَّتُكَ إِلَى النُّجَبَةِ[١] مِنْ أَهْلِكَ، قَالَ: وَمَا النُّجَبَةُ يَا جَبْرَائِيلُ؟ فَقَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَوُلْدُهُ عليهم السلام، وَكَانَ عَلَى الْكِتَابِ خَوَاتِيمُ مِنْ ذَهَبٍ، فَدَفَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَأَمَرَهُ أَنْ يَفُكَّ خَاتَماً مِنْهُ وَيَعْمَلَ بِمَا فِيهِ، فَفَكَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَاتَماً وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ. ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام فَفَكَّ خَاتَماً وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ. ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فِيهِ: أَنِ اخْرُجْ بِقَوْمٍ إِلَى الشَّهَادَةِ، فَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ إِلَّا مَعَكَ

بأس وضرر، و(إلّا) للاستثناء المفرّغ، و(علي) للإضرار، أي أن تروي عند المخالفين فيضرّني(١).

الحديث الثاني:

[١] (النجبة):

«النُجَبَة» بضم النون وفتح الجيم مبالغة في النجيب، و«النَجَبَة» بفتحهما جمع ناجب بمعنى نجيب، مثل الكتبة جمع كاتب.

---

(١) المرآة: ج٢، ص١٩٠ - ١٩١.

وَاشْرِ نَفْسَكَ لِلَّهِ[٢] عَزَّ وَجَلَّ فَفَعَلَ. ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فِيهِ: أَنْ أَطْرِقْ وَاصْمُتْ وَالْزَمْ مَنْزِلَكَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ[٣]، فَفَعَلَ. ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فِيهِ: حَدِّثِ النَّاسَ وَأَفْتِهِمْ، وَلَا تَخَافَنَّ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ[٤] فَفَعَلَ. ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرٍ فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فِيهِ: حَدِّثِ النَّاسَ، وَأَفْتِهِمْ، وَانْشُرْ عُلُومَ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَصَدِّقْ آبَاءَكَ الصَّالِحِينَ، وَلَا تَخَافَنَّ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ فِي حِرْزٍ وَأَمَانٍ، فَفَعَلَ. ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ

---

[٢] **(واشر نفسك لله):**

عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾(١)، والشراء بمعنى البيع.

[٣] **(واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين):**

أي الموت، لأنّه متيقن، أي اعبده ما دمت حياً، ولكثرة انشغاله عليه السلام بالعبادة سُمّي (زين العابدين).

ولا يخفىٰ أنّ الإمام عليه السلام بعبادته ودعائه قاوم موجة الفساد والارتخاء المادي بين المسلمين التي أعقبت الفتوحات الكثيرة والغنائم الوفيرة، فكل غنىً يستتبع بطراً وطغياناً إذا لم يتوجّه الإنسان إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾(٢) وخاصّة أنّ السلطة الغاشمة لبني أُميّة كانت تريد ذلك.

[٤] **(لا سبيل لأحد عليك):**

أي من جهة نشرك للعلوم، كما مرَّ توضيحه في الحديث السابق.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٢) سورة العلق: الآيتان ٦ ـ ٧.

مُوسَى عليه السلام[٥] وَكَذَلِكَ يَدْفَعُهُ مُوسَى إِلَى الَّذِي بَعْدَهُ ثُمَّ كَذَلِكَ إِلَى قِيَامِ الْمَهْدِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ ضُرَيْسٍ الْكُنَاسِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ لَهُ حُمْرَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ: أَرَأَيْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام، وَخُرُوجِهِمْ وَقِيَامِهِمْ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أُصِيبُوا مِنْ قَتْلِ الطَّوَاغِيتِ إِيَّاهُمْ، وَالظَّفَرِ بِهِمْ، حَتَّى قُتِلُوا وَغُلِبُوا؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا حُمْرَانُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَضَاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ، ثُمَّ أَجْرَاهُ، فَبِتَقَدُّمِ عِلْمِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَبِعِلْمٍ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا.

---

[٥] (ثمَّ دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام):
هذا إما من كلام الراوي. فالمعنى بعد أن حدثني الإمام الصادق عليه السلام بذلك، وقبل وفاته دفع الكتاب إلى الإمام الكاظم عليه السلام.
وإمّا من كلام نفس الإمام الصادق عليه السلام، فالمعنى: وأنا قد دفعت الكتاب إلى ابني موسى عليه السلام فاستعمال ضمير الغائب إما من الراوي أو من الإمام نفسه تنزيلاً للمتكلّم منزلة الغائب ـ وهو من الأساليب المتعارفة في الكلام ـ.

الحديث الثالث:

هذا الحديث هو جزء من حديث سابق، قد مرَّ في باب (أنَّ الأئمَّة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون)، فراجع.

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَقْطِينٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ الْمُسْتَفَادِ أَبِي مُوسَى الضَّرِيرِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: أَلَيْسَ[١] كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَاتِبَ الْوَصِيَّةِ[٢] وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمُمْلِي عَلَيْهِ[٣]، وَجَبْرَائِيلُ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ عليهم السلام[٤] شُهُودٌ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ طَوِيلاً[٥] ثُمَّ قَالَ: ....

الحديث الرابع:

[١] **(أليس):**

اسم ليس ضمير الشأن المستتر، والخبر جملة (كان أمير المؤمنين عليه السلام) إلخ.

[٢] **(كاتب الوصية. . .):**

يظهر أنَّ الوصية نزلت مكتوبة، ثمَّ أملاها رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام فكتبها، ولعلَّ ذلك للتأكيد.

ويمكن أن تكون هناك وصيتان، وصية أملاها الرسول صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام فكتبها، ووصية أُخرى نزلت من السَّماء، ويبدو أنَّها نفس الكتاب الذي ذُكر في الحديث الأوَّل والثاني من هذا الباب.

[٣] **(المملي عليه):**

«الإملاء» هو أن يقرأ شخص شيئاً، ويكتبه الآخر.

[٤] **(الملائكة المقرَّبون):**

أي الذين قرَّبهم الله إلى ساحة لطفه، وهو قرب شرف وجاه، كما قال سبحانه: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(١).

[٥] **(فأطرق طويلاً):**

في المرآة: لعلَّ الإطراق لإفادة أنَّ ما يذكر في الجواب، صعب

---

(١) سورة النِّساء: الآية ١٧٢.

يَا أَبَا الْحَسَنِ: قَدْ كَانَ مَا قُلْتَ[٦]، وَلَكِنْ حِينَ نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَمْرُ[٧]، نَزَلَتِ الْوَصِيَّةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كِتَاباً مُسَجَّلاً[٨]، نَزَلَ بِهِ جَبْرَائِيلُ مَعَ أُمَنَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ جَبْرَائِيلُ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ بِإِخْرَاجِ مَنْ عِنْدَكَ إِلَّا وَصِيَّكَ[٩]، لِيَقْبِضَهَا مِنَّا، وَتُشْهِدَنَا بِدَفْعِكَ إِيَّاهَا إِلَيْهِ ضَامِناً

مستصعب، لا يذعن به إلَّا الخواص من الشيعة فيجب صونه عن غيرهم ما أمكن(١).

ويمكن أن يكون لأجل أن ذكر الوصية أثار شجون الإمام ﵇ للمصائب التي جرت على الأئمَّة ﵈ والتي ذُكرت في الوصية.

[٦] **(قد كان ما قلت):**

أي من الإملاء والكتابة.

[٧] **(نزل برسول الله ﷺ الأمر):**

أي قضاء الله تعالى برحيله من هذا العالم، والمراد قرب الأمر.

[٨] **(كتاباً مسجلاً):**

حال، و«المسجل» إمَّا بمعنى المكتوب، فيكون تأكيداً للكتاب، أو من (السِّجِلّ) وهو كتاب يجمع كتباً ومعاني(٢)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾(٣)، ولعلَّ ذلك لأنَّه كانت لكل إمام وصية خاصَّة كما مرَّ في الحديث الأوَّل والثاني.

[٩] **(بإخراج من عندك إلَّا وصيك):**

وسيأتي في آخر هذا الحديث : (ثمَّ دعا رسول الله ﷺ فاطمة والحسن والحسين وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين)، فإخراج من عنده: إمَّا لأجل وجود ناس آخرين مع غياب الحسنين وفاطمة ﵈.

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٩٣.

(٢) انظر مقاييس اللغة: ص٤٨٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

لَهَا[١٠] ـ يَعْنِي عَلِيّاً عليه السلام ـ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِإِخْرَاجِ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَا خَلَا عَلِيّاً عليه السلام؛ وَفَاطِمَةُ فِيمَا بَيْنَ السِّتْرِ وَالْبَابِ[١١]، فَقَالَ جَبْرَائِيلُ: يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ يُقْرِؤُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ[١٢]: هَذَا كِتَابُ مَا كُنْتُ عَهِدْتُ إِلَيْكَ، وَشَرَطْتُ

أو لأجل أن لا يروا ما يحلّ بأمير المؤمنين من الصعقة وسقوطه على وجهه حين إبلاغه بالوصية ـ كما سيأتي في أواخر الحديث ـ.

أو لأجل أن يُبلَّغ أمير المؤمنين أوّلاً لأنَّه الوصي الأوّل ثمَّ يبلّغ الآخرون امتيازاً له عليه السلام، أو لغير ذلك، والله العالم.

[١٠] **(ضامناً لها):**

جبرائيل والملائكة سلَّموا الوصية إلى الرسول صلى الله عليه وآله فسلَّمها لأمير المؤمنين عليه السلام، فلذا قال جبرائيل: (ليقبضها منّا) أي بواسطتك ثمَّ قال: (وتُشهدنا بدفعك إيّاها إليه).

وقوله: (ضامناً لها) حال عن ضمير (إليه)، ووضّحه الإمام الصّادق عليه السلام بقوله: (يعني عليّاً)، والمعنى: حال كون الإمام عليّ عليه السلام ملتزماً بالعمل بهذه الوصية كاملاً.

[١١] **(وفاطمة ما بين الستر والباب):**

ويظهر أنَّ (ما بين الستر والباب) يُعتبر من خارج البيت، وإنَّما ذكر هذا لبيان أنَّ إخراج من في البيت ليس لكتمان سرّ عن فاطمة عليها السلام ولعلَّها كانت تسمع ما يُقال، إذ ليس دونها سِرّ، وإنَّما الإخراج لجهة أُخرى ـ كما أشرنا قبل قليل ـ.

[١٢] **(يقرؤك السّلام ويقول):**

أي إنَّ الله قد أخذ العهد من الرسول صلى الله عليه وآله بتلك الوصية سابقاً وشرط عليه وأشهد عليه، ثمَّ لما حانت وفاته أمره الله بأن يأخذ العهد من أمير المؤمنين عليه السلام ويشرط عليه ويشهد عليه.

عَلَيْكَ، وَشَهِدْتُ بِهِ عَلَيْكَ، وَأَشْهَدْتُ بِهِ عَلَيْكَ مَلَائِكَتِي وَكَفَى بِي يَا مُحَمَّدُ شَهِيداً، قَالَ: فَارْتَعَدَتْ مَفَاصِلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[١٣] فَقَالَ: يَا جَبْرَائِيلُ رَبِّي هُوَ السَّلَامُ[١٤]، وَمِنْهُ السَّلَامُ[١٥]، وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ[١٦]، صَدَقَ عَزَّ وَجَلَّ وَبَرَّ[١٧]، هَاتِ الْكِتَابَ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِدَفْعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

---

[١٣] (فارتعدت مفاصل النّبي صلى الله عليه وآله):

من هيبة الموقف وأخذ العهد الغليظ، أو لأجل صعوبة إبلاغ تلك الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام، فإنَّ تلك المصائب جرت عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأمَّا النبي فكان على علم بها وقد أخذ منه العهد عليها بجريانها بعده، وإنَّه من الصعوبة بمكان أن تخبر عزيزاً بما يجري عليه من المصائب الكبار، والمستعان بالله.

[١٤] (فقال: يا جبرائيل ربِّي هو السلام. . .) إلخ:

هذا جواب (ربّك يقرئك السَّلام)، و«السَّلام» من صفات الله تعالى المذكورة في القرآن الكريم في قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾(١)، ومعنى (السَّلام): المنزَّه من كلّ عيب وآفة، لأنَّ السلامة تعني التعري من الآفات الظاهرة والباطنة(٢).

[١٥] (ومنه السلام):

أي كلّ كمال نشأ منه تعالى، فكل سلامة من عيب وآفة فهي نعمة منه سبحانه.

[١٦] (وإليه يعود السَّلام):

قيل: إنَّ الثناء يعود إليه، فكلّما مُدح شخص بكمال فيه فإنَّما مرجع ذلك إلى لطفه تعالى، وقيل غير ذلك.

[١٧] (وبرّ):

أي أحسن فيما قدَّر، أو وفىٰ بالشرط، إذا اشترط قبول الوصية بمقامات أو جزاء، وقد وفىٰ بما شرط.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٢) راجع مفردات الراغب: ص٤٢١.

فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْهُ فَقَرَأَهُ حَرْفاً حَرْفاً، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ! هَذَا عَهْدُ رَبِّي[١٨] تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيَّ، وَشَرْطُهُ عَلَيَّ، وَأَمَانَتُهُ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ وَأَدَّيْتُ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: وَأَنَا أَشْهَدُ لَكَ بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ بِالْبَلَاغِ وَالنَّصِيحَةِ وَالتَّصْدِيقِ عَلَى مَا قُلْتَ[١٩]، وَيَشْهَدُ لَكَ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي، فَقَالَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام: وَأَنَا لَكُمَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا

---

[١٨] **(هذا عهد ربّي. . .) إلخ:**

«العهد» الموثق الذي يلزم مراعاته، وعهد فلان إلى فلان أي ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه(١).

و«الشرط» كل أمر معلوم متعلّق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له(٢).

وقيل: الفرق بين الأداء والبلاغ: أنَّ (الأداء) هو إيصال الشيء على ما يجب فيه، ومنه أداء الدين، فلانٌ حَسَنُ الأداء لما يسمع، وحَسَنُ الأداء للقراءة، و(البلاغ) إيصال ما فيه بيان للإفهام، ومنه البلاغة وهي إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة(٣).

وقوله: (قد بلّغت ونصحت وأدّيت) من اللّف والنشر المرتّب أي قد بلّغت العهد، ونصحت للشرط ـ لأنَّ النصيحة بمعنى الخلوص ـ، وأدّيت الأمانة.

وهذه عبارات متقاربة المعنى يُراد منها التأكيد.

[١٩] **(والتصديق على ما قلت):**

«التصديق» عطف على البلاغ، ولعلَّ المراد أنّي أشهد بأنَّ فعلك كان مطابقاً لقولك في العهد والشرط، فقد وفيّت بما وعدت.

---

(١) راجع مفردات الراغب: ص٥٩١.

(٢) المصدر: ص٤٥٠.

(٣) معجم الفروق اللغوية: ص٣٠.

عَلِيُّ أَخَذْتَ وَصِيَّتِي وَعَرَفْتَهَا وَضَمِنْتَ لِلَّهِ وَلِيَ الْوَفَاءَ بِمَا فِيهَا؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي[٢٠]، عَلَيَّ ضَمَانُهَا، وَعَلَى اللَّهِ عَوْنِي وَتَوْفِيقِي[٢١] عَلَى أَدَائِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ إِنِّي أُرِيدُ[٢٢] أَنْ أُشْهِدَ عَلَيْكَ بِمُوَافَاتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: نَعَمْ أَشْهِدْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِنَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْآنَ وَهُمَا حَاضِرَانِ، مَعَهُمَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، لِأُشْهِدَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَالَ: نَعَمْ لِيَشْهَدُوا، وَأَنَا ـ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ـ أُشْهِدُهُمْ[٢٣]، فَأَشْهَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَكَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ

---

[٢٠] (بأبي أنت وأُمّي):

أصله (فُدِيت بأبي وأُمّي) حذف الفعل فانفصل الضمير، والفداء هو ما يجعل بدل الشيء، وتُقال هذه العبارة في تعظيم شخص وبيان استعداد المتكلّم في أن يضحّي لأجله أعزّ ما عنده، وأيُّ شيء أعزّ من الأبوين؟

[٢١] (عوني وتوفيقي):

«العون» المساعدة، و«التوفيق» التطابق بين شيئين، والمعنى أن يتطابق فعلي مع ما يريده الله تعالى، فالعون هو مقدّمة للتوفيق، ويمكن القول بالترادف ـ هنا ـ.

[٢٢] (يا علي إنّي أريد. . .) إلخ:

«يوم القيامة» متعلّق بـ(أشهد)، و«الموافاة» إتمام العهد وعدم نقض حفظه، والمعنى أشهد عليك يوم القيامة بأنّي قد وافيتك بهذه الوصية بأن أدّيتها إليك كما أُمِرت.

[٢٣] (وأنا ـ بأبي أنت وأُمّي ـ أشهدهم):

أي كما أشهدتهم يا رسول الله، فأنا أيضاً أجعلهم شهوداً، والظاهر أنَّ هذا كناية عن العزم على الوفاء بالوصية بنحو الجزم، وإلّا فقد كان يكفي إشهاد الرسول صلى الله عليه وآله لهم.

عَلَيْهِ النَّبِيُّ بِأَمْرِ جِبْرَائِيلَ عليه السلام فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٢٤] أَنْ قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ تَفِي بِمَا فِيهَا مِنْ مُوَالَاةِ مَنْ وَالَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْبَرَاءَةِ وَالْعَدَاوَةِ[٢٥] لِمَنْ

---

[٢٤] **(بأمر جبرائيل فيما أمر الله عزّ وجلّ):**
فالله قد أمر، وجبرائيل قد أوصل الأمر ولذا عبَّر عنه (بأمر جبرائيل) مجازاً، والرسول صلى الله عليه وآله قد بلَّغ ذلك الشرط فلذا عُبِّر عنه بـ(اشترط عليه النبي).

[٢٥] **(والبراءة والعداوة):**
«البراءة» انقطاع العصمة والمودَّة، فقد تكون بالقلب وقد تكون باللِّسان والفعل.
فمن الأوَّل: قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أمَّا السبّ فسبّوني فإنَّه لي زكاة ولكم نجاة، وأمَّا البراءة فلا تتبرَّأوا منِّي فإنِّي وُلدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة»(١) فإنَّ معنى هذا الكلام أنَّه تجوز التقيَّة بالكلام، ولكن لا تقيَّة في القلب إذ لا سلطان للظالمين عليه، فلا يجوز التبرؤ منه قلباً، ويحصل التبرؤ لمن انغمس مع الظالمين فاستطاب دنياهم، فبالتدريج يحصل في قلبه كُره لمن خالفهم حتَّى وإن كان يواليهم سابقاً، وقد شاهدنا أُناساً كان ولاؤهم لشخص ثمَّ لمَّا صارت مصلحتهم مع أعدائه غيَّروا ولاءهم حتَّى في قلوبهم، فإنَّ مقدِّمات الحبّ والبغض اختيارية.
ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾(٢).
فتحصل أنَّ تكرار البراءة في هذا الحديث في قوله: «والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله والبراءة منهم»، لعلَّ البراءة الأولى في القلب، والثانية باللِّسان والفعل، والعداوة في العمل، لأنَّ «العداوة» بمعنى عدم الالتئام معهم، ولعلَّ المقصود هو الابتعاد عنهم.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٦.

عَادَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، عَلَى الصَّبْرِ مِنْكَ، وَعَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ[٢٦]، وَعَلَى ذَهَابِ حَقِّي، وَغَصْبِ خُمُسِكَ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِكَ[٢٧]؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ[٢٨] وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَقَدْ

ويمكن أن يكون ذكر البراءة مرَّتين مع ذكر العداوة إنَّما هو بمعنى واحد كُرِّر للتأكيد، وذلك لأنَّ أعداء الله تعالى وأعداء رسوله قد يكون لهم بريق دنيوي مع ما لهم من السلطة والإعلام وجيش من الوضّاعين الذين يختلقون لهم فضائل، فلو لم تركّز البراءة منهم لانخدع بهم الناس، أمَّا لو تربَّى الإنسان على لعنهم والبراءة منهم ومنذ صغره فإنَّه تحصل له حصانة نفسية تجاههم ممَّا تمنع الإنسان من الاغترار بهم، ولعلَّ هذا من أسباب شدَّة التأكيد على لعنهم وفي مختلف الأحوال.

ويحتمل أن يكون الغرض من (البراءة) الأولى أصل وجوبها، ومن (البراءة) الثانية هو بيان كيفيتها.

فقوله: (والبراءة منهم على الصبر. . .) إلخ، أي لتكن براءتك مقترنة مع الصبر وكظم الغيظ، لأنَّ (على) ـ هنا ـ بمعنى (مع).

[٢٦] **(على الصبر منك وعلى كظم الغيظ):**

الصبر ـ هنا ـ بمعنى التحمُّل وعدم الانهيار أمام المصائب، وأمَّا كظم الغيظ فهو عدم إظهاره وتجرُّعه، وبين الصبر وكظم الغيظ عموم من وجه.

[٢٧] **(وانتهاك حرمتك):**

وأهم حرمة انتُهكت هي ما جرى على الزَّهراء عليها السلام من قتلها وإسقاط جنينها وإيذائها وإحراق الباب وسائر ما جرى من المصائب.

[٢٨] **(والذي فلق الحبَّة. . .) إلخ:**

(فلق الحبَّة) بمعنى شقّها للإنبات، وهذا من عجيب صنعه تعالى، فإنَّ الدفن يُوجب الاضمحلال، لكن الحبَّة حياتها بذلك، و(برأ النسمة) أي خلقها، والنسمة: النَّفس، وهذا أيضاً من عجيب صنعه تعالى.

سَمِعْتُ جِبْرَائِيلَ عليه السلام يَقُولُ لِلنَّبِيِّ: يَا مُحَمَّدُ عَرِّفْهُ أَنَّهُ يُنْتَهَكُ الْحُرْمَةُ وَهِيَ حُرْمَةُ اللَّهِ وَحُرْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَعَلَى أَنْ تُخْضَبَ لِحْيَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ بِدَمٍ عَبِيطٍ[٢٩]، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فَصَعِقْتُ[٣٠] حِينَ فَهِمْتُ الْكَلِمَةَ مِنَ الْأَمِينِ جِبْرَائِيلَ حَتَّى سَقَطْتُ عَلَى وَجْهِي وَقُلْتُ: نَعَمْ قَبِلْتُ وَرَضِيتُ[٣١] وَإِنِ انْتَهَكَتِ الْحُرْمَةُ، وَعُطِّلَتِ السُّنَنُ، وَمُزِّقَ الْكِتَابُ، وَهُدِّمَتِ الْكَعْبَةُ، وَخُضِبَتْ لِحْيَتِي مِنْ رَأْسِي بِدَمٍ عَبِيطٍ، صَابِراً مُحْتَسِباً أَبَداً حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ. ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَأَعْلَمَهُمْ مِثْلَ مَا أَعْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالُوا: مِثْلَ قَوْلِهِ، فَخُتِمَتِ الْوَصِيَّةُ بِخَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ[٣٢]، وَدُفِعَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

---

[٢٩] **(بدم عبيط)**:

«عبط» بمعنى شدَّة تُصيب من غير استحقاق، والدم العبيط: الطريّ(١)، ولعلَّ توصيف الدم بالعبيط لأنَّه يُراق من غير فساد أو مرض ونحو ذلك.

[٣٠] **(فصعقت)**:

لعلَّ الصعق هو لأجل ما عرف من انتهاك الحرمة، لا من خضاب لحيته الشريفة بدمه، لأنَّه عليه السلام لم يكن يهاب الموت أوقع عليه أم وقع الموت عليه.

[٣١] **(قبلت ورضيت...) إلخ**:

القبول في العمل، والرِّضا في القلب.

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام ذكر الأُمور التي يبتني عليها الدِّين، وهي الكتاب والعترة والسُّنَّة والكعبة، و(انتهكت الحرمة) و(خضبت لحيتي...) يرتبطان بالعترة، وسائر الفقرات واضحة.

[٣٢] **(لم تمسّه النَّار)**:

أي إن جعله ختماً لم يحتج إلى النار ليلين فيختم به، بل ختمت به

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٧٠٤.

فَقُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام[٣٣]، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَلَا تَذْكُرُ مَا كَانَ فِي الْوَصِيَّةِ[٣٤]؟ فَقَالَ: سُنَنُ اللَّهِ وَسُنَنُ رَسُولِهِ[٣٥]، فَقُلْتُ: أَكَانَ فِي الْوَصِيَّةِ تَوَثُّبُهُمْ[٣٦] وَخِلَافُهُمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ شَيْئاً شَيْئاً، وَحَرْفاً حَرْفاً، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣٧]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام: أَلَيْسَ قَدْ فَهِمْتُمَا مَا تَقَدَّمْتُ بِهِ إِلَيْكُمَا وَقَبِلْتُمَاهُ؟ فَقَالَا بَلَى وَصَبَرْنَا عَلَى مَا سَاءَنَا وَغَاظَنَا.

الوصية بالقدرة الإلٰهيَّة، وقيل: إنَّ الذهب كان من عالم الملكوت ولم يكن من ذهب الدُّنيا الذي استخراجه من الحجر والتراب فيكون بحاجة إلى تصفيته بالنار.

[٣٣] **(فقلت لأبي الحسن عليه السلام)**:
أي راوي الحديث وهو عيسى بن المستفاد، قال لأبي الحسن الكاظم عليه السلام:

[٣٤] **(ألا تذكر ما كان في الوصية)**:
أي زيادة على ما قلته.

[٣٥] **(سُنن الله وسُنن رسوله)**:
الظاهر أنَّ المراد هو التقديرات الإلٰهيَّة فيما يتعلَّق بأمر الخلافة ونحوها، فعطف (سُنن الرَّسول) على (سُنن الله) نوع تشريف للرسول صلى الله عليه وآله، وإلَّا فكلّها تقديرات إلٰهيَّة.

[٣٦] **(توثُّبهم)**:
أي استيلاؤهم ظلماً.

[٣٧] **(أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ)**:
استشهد بالآية الشريفة لكي لا يستبعد الراوي ـ عيسى بن المستفاد ـ

وَفِي نُسْخَةِ الصَّفْوَانِيِّ زِيَادَةٌ[١]:

وجود «توثّبهم على الخلافة» في الوصية، إذ إنَّ الله تعالى أحصىٰ كلّ شيء في اللوح المحفوظ، فلا استبعاد في أن يحصيه في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي التقريب: بعد الكلام حول الألوهية والرِّسالة [في الآيات السابقة] يأتي دور المعاد فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ التكرار للتأكيد، والإلفات إلى أنَّ المتكلِّم ذو مقام عظيم ﴿نُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ جمع ميِّت، أي ليوم القيامة لنجازيهم، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي قدّم الناس لآخرتهم من الأعمال الصالحة أو الفاسدة ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ أي الأعمال التي أبقوها بعدهم، كمن عمَّر مسجداً ومخمراً، فإنَّه يكتب له الثواب والعقاب وهو في القبر، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال الصالحة والطالحة وسائر الأشياء ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ من الإحصاء، وهو التعداد بالإثبات والكتابة، إذ إنَّ الله تعالىٰ أحصىٰ ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي كتاب ظاهر، وإنَّما سُمِّي الكتاب إماماً، لأنَّه يُجعل مصدر الأخذ، كما أنَّ الإمام مصدر الاقتداء والأخذ، ولعلَّ المراد بذلك اللوح المحفوظ، وفي جملة من الأحاديث: أنَّ الإمام المبين هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك إمَّا تأويل أو مصداق، فإنَّ الأعمال تُعرض على الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، حتَّى يكونوا شهداء عليها، فيعلمون أعمال الناس، ولا تنافي بين أن يكون هناك كتاب صامت وكتاب ناطق(١).

[١] **(وفي نسخة الصفواني زيادة):**

في المرآة: هذا كلام بعض رواة الكليني، فإنَّ نسخ الكافي كانت بروايات مختلفة، كالصفواني هذا وهو محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمَّال وكان ثقة فقيهاً فاضلاً، ومحمَّد بن إبراهيم النعماني، وهارون بن موسى التلعكبري، وكان بين تلك النسخ

(١) التقريب: ج٤، ص٤٣٥، وراجع الروايات في تفسير البرهان: ج٨، ص١٧١ ـ فما بعد.

٥ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَّازِ، عَنْ حَرِيزٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ بَقَاءَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ[١] وَأَقْرَبَ آجَالَكُمْ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ مَعَ

اختلاف، فتصدَّىٰ بعض من تأخَّر عنهم كالصدوق محمَّد بن بابويه أو الشيخ المفيد رحمة الله عليهما وأضرابهما، فجمعوا بين النسخ وأشاروا إلى الاختلاف الواقع بينها، ولما كان في نسخة الصفواني هذا الخبر الآتي، ولم تكن في سائر الروايات، أشاروا إلى ذلك بهذا الكلام، وسيأتي مثله في مواضع(١).

أقول: لعلَّ سبب اختلاف النسخ هو أنَّ الكليني بعد تأليفه الكتاب وروايته لبعض تلامذته، أضاف روايات أُخرى ثمَّ رواها مرَّة أُخرى لتلامذة آخرين وهذا أسلوب متعارف حتى في العصر الحاضر حيث يتصرّف المؤلف في الطبعة الثانية من كتابه، فتأمّل.

الحديث الخامس:

[١] **(ما أقل بقاءكم أهل البيت. . .) إلخ:**

أسنّ الأئمّة الماضين عليهم السلام هو الإمام الصَّادق عليه السلام فقد عمَّر ٦٥ عاماً، وأقلّهم عمراً الإمام الجواد عليه السلام عمَّر ٢٥ عاماً، أمَّا السبب الواقعي فهو قضاء الله سبحانه، كما أجاب بذلك الإمام الصَّادق عليه السلام في هذا الحديث الشريف، ولعلَّ السبب الظاهري هو ابتلاؤهم بالظالمين الذين كادوا لهم المكائد لقتلهم، وقد روي أنَّه «ما منَّا إلَّا مقتول أو مسموم»(٢).

فهم عليهم السلام وإن كانوا يستعملون التقيَّة إلَّا أنَّها كانت مؤثّرة في تأخير قتلهم قليلاً:

١ - لأنَّهم عليهم السلام كانوا يبيِّنون الأحكام الواقعية ولو لخلُّص الأصحاب مع

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٩٨ - ١٩٩.

(٢) كفاية الأثر: ص١٦٢.

حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْكُمْ؟! فَقَالَ: إِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا صَحِيفَةً، فِيهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ فِي مُدَّتِهِ، فَإِذَا انْقَضَى مَا فِيهَا مِمَّا أُمِرَ بِهِ[٢] عَرَفَ أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ حَضَرَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْعَى إِلَيْهِ نَفْسَهُ[٣] وَأَخْبَرَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَأَنَّ

مراعاة التقيَّة الشديدة إلَّا أنَّ البعض كانوا يذيعون سرّهم، بل كان هناك من يفتري عليهم تقرُّباً إلى سلاطين الجور.

٢ ـ مضافاً إلى حسد الظالمين منهم، وكما قال الشاعر:

إن يحسدونك على علاك فإنَّما ... متسافل الدرجات يحسد من علا

٣ ـ وأيضاً شعور الظالمين الباطني في أنَّهم اغتصبوا حقَّهم، لذا كانوا في هاجس دائم خوفاً من رجوع الحقّ إلى الأئمَّة عليهم السلام، أو التفات الناس إلى ذلك، فكانوا يجدون أقرب الطرق التخلُّص منهم بقتلهم.

٤ ـ مع ارتفاع التقيَّة عنهم أحياناً لمصلحة الدِّين، فإنَّ التقيَّة إنَّما شرِّعت لحفظ الدِّين وأهله، فإذا كان بقاء الدِّين متوقف على تركها، وجب الجهاد، كما نهض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر بعد عثمان، وكخروج الإمام الحسين عليه السلام، والله العالم.

[٢] **(فإذا انقضى ما فيها ممَّا أمر به):**

أي أدّىٰ مهمَّته التي أوكلها الله إليه تعالى، فحينئذٍ كان الأصلح هو انتقاله إلى جوار ربِّه.

[٣] **(فأتاه النبي ﷺ ينعىٰ إليه نفسه):**

الظاهر أنَّ ذلك قبل الاحتضار، ولعلَّ السبب لكي يُسَلِّم مواريث النُّبوَّة ويُحكم الوصية، أو لأجل أن تطيب نفسه فلذا يخبره النبي ﷺ بما له عند الله، كما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾(١).

---

(١) سورة الضحىٰ: الآيتان ٤ ـ ٥.

الْحُسَيْنَ عليه السلام[٤] قَرَأَ صَحِيفَتَهُ الَّتِي أُعْطِيَهَا، وَفُسِّرَ لَهُ مَا يَأْتِي بِنَعْيٍ[٥]، وَبَقِيَ

---

[٤] **(وأنَّ الحسين. . .) إلخ:**

لعلَّ ذكر خصوص الإمام الحسين عليه السلام، إنّما هو لعظم مُصابه، فأراد الإمام الصَّادق عليه السلام بيان أنَّ الله تعالى كما عوَّضه في الآخرة، كذلك عوَّضه في الدُّنيا.

[٥] **(وفسَّر له ما يأتي بنعي):**

«النعي» خبر الموت، أو «ما يأتيه» خبر استشهاده، واستشهاد أولاده وإخوانه وقراباته وأنصاره.

ويُستفاد من الروايات أنَّ ذلك التعويض في ثلاثة أُمور:

١ ـ في الآخرة: بالدرجات الرفيعة، وروي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال للإمام الحسين عليه السلام: «إنَّ لك درجة لا تنالها إلَّا بالشهادة»(١).

٢ ـ في الدُّنيا: في ذرِّيَّته، وزوَّاره، وقبره، وفي الحديث: «إنَّ الله عوَّض الحسين عن قتله بأن جعل الشفاء في تربته، واستجابة الدُّعاء تحت قبَّته، والأئمَّة من ذرِّيَّته»(٢).

٣ ـ في الدُّنيا ـ أيضاً ـ وذلك برجعته، وطول ملكه.

ففي مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام: «أوَّل من تنشقّ الأرض عنه ويرجع إلى الدُّنيا: الحسين بن علي عليهما السلام»(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ أوَّل من يرجع لَجاركم الحسين عليه السلام، فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر»(٤).

وفي حديث آخر عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «يُقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قتلوا معه، ومعه سبعين نبيّاً ـ كما بُعثوا مع موسى بن

---

(١) أمالي الصدوق: ص٢١٧.

(٢) أمالي الطوسي: ص٣١٧.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ص٢٤.

(٤) المصدر نفسه.

فِيهَا أَشْيَاءُ لَمْ تُقْضَ[٦]، فَخَرَجَ لِلْقِتَالِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي بَقِيَتْ[٧] أَنَّ الْمَلَائِكَةَ سَأَلَتِ اللَّهَ فِي نُصْرَتِهِ، فَأَذِنَ لَهَا، وَمَكَثَتْ تَسْتَعِدُّ لِلْقِتَالِ وَتَتَأَهَّبُ لِذَلِكَ[٨] حَتَّى قُتِلَ، ....

عمران ـ، فيدفع إليه القائم الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه وإبلاغه حفرته»(١).

[٦] **(وبقي فيها أشياء لم تقض):**

الظاهر أنَّ المعنى أنَّ هناك أُموراً مكتوبة في صحيفته لم تتحقَّق بعد، ولكنَّها ستتحقَّق في رجعته.

وقيل: أي لم يتعلَّق بها القضاء الحتم وكان في معرض البداء، والأوَّل أقرب.

[٧] **(وكانت تلك الأمور التي بقيت...) إلخ:**

في تركيب العبارة احتمالات:

الأوَّل: أن ينتهي الكلام عند (التي بقيت)، ثمَّ يستأنف الكلام بقوله: «إنَّ الملائكة...»، فالمعنى: فخرج للقتال والحال كانت تلك الأُمور هي التي بقيت دون غيرها.

الثاني: ـ وهو الأقرب ـ، أن يكون قوله: «إنَّ الملائكة...» خبر «كانت»، فالمعنى، وكانت تلك الأُمور التي بقيت هي نصرته بواسطة الملائكة، حيث سألت الله تعالى فأذن لها في نصرته ولكن كان المقصود نصرته بعد رجعته.

الثالث: تقدير «من»، أي وكانت من تلك الأُمور التي بقيت أنَّ الملائكة...إلخ، فجملة «أنَّ الملائكة...» اسم «كانت».

[٨] **(ومكثت تستعدّ للقتال وتتأهَّب لذلك):**

التأهُّب والاستعداد متقاربا المعنى، إلّا أنَّ «الاستعداد» هو التهيؤ مطلقاً، و«التأهُّب» هو التهيؤ للسير.

ثمَّ إنَّ تهيؤ الملائكة لعلَّه ليتصوّروا بصورة الإنسان ويأخذوا أدوات قتال

---

(١) الوافي: ج٢، ص٢٦٧.

فَنَزَلَتْ وَقَدِ انْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ[٩] وَقُتِلَ عليه السلام، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ أَذِنْتَ لَنَا فِي الِانْحِدَارِ وَأَذِنْتَ لَنَا فِي نُصْرَتِهِ، فَانْحَدَرْنَا وَقَدْ قَبَضْتَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَنِ الْزَمُوا قَبْرَهُ[١٠] ....

الناس، كما يظهر من بعض السِيَر في غزوة بدر(١)، حيث كانت الملائكة مسوَّمين أي معمَّمين ـ كما في بعض الأحاديث(٢) ـ، وقد مرَّ ما روي أنَّ جبرائيل كان على فرس(٣)، ورُوي أنَّ عليه أداة حرب(٤) وروي أنَّهم سمعوا قعقعة السلاح في الجوّ(٥).

[٩] (فنزلت وقد انقطعت مدَّته):

هذا في النزول الثاني، لأنَّهم نزلوا في المرَّة الأولى فلم يأذن الإمام الحسين عليه السلام لهم للقتال معه، فعرجوا ثمَّ رجعوا مرَّة أُخرى ليأذن لهم، وكان قد قتل.

ففي كامل الزيارات عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «هبط أربعة آلاف ملك يريدون القتال مع الحسين فلم يُؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الاستئمار فهبطوا وقد قتل رحمة الله عليه ولعن قاتله ومن أعان عليه ومن شرك في دمه، فهم عند قبره شُعُث غُبر يبكونه إلى يوم القيامة ـ إلى أن قال ـ: فكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام(٦).

[١٠] (فأوحىٰ الله إليهم أن الزموا قبره):

ورد استفتاء على السيِّد العم حفظه الله تعالى عن النفع الذي تحصل عليه

---

(١) راجع البحار: ج١٩، ص٢٨٥ عن المناقب، وفيه عن النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ الملائكة الذين أيَّدني الله بهم على صورة علي بن أبي طالب عليه السلام ليكون ذلك أهيب في صدور الأعداء.

(٢) البحار: ج١٩، ص٢٨٤ عن تفسير العياشي.

(٣) البحار: ج١٩، ص٢٢٦، عن بعض العامّة.

(٤) المصدر نفسه عن بعض العامّة.

(٥) المصدر نفسه: ج١٩، ص٢٥٦ عن تفسير القمّي.

(٦) البحار: ج٤٥، ص٢٢٦ عن كامل الزيارات، وقريب منه ما في أمالي الصدوق.

الملائكة من زيارتها للإمام الحسين عليه السلام، وما هو غرضهم من ذلك.

فكان الجواب: الملائكة أيضاً تحتاج إلى التقرُّب إلى الله تعالى، وقد جعل الله أهل البيت عليهم السلام الوسيلة إليه، وقد ورد في متواتر الروايات أنَّ الملائكة ينفِّذون أمره تعالى بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، ويبكون عليه، وجمع منهم ينتظر قيام القائم عليه السلام حتى يأخذوا بثأر الإمام الحسين عليه السلام معه، كما أنَّهم موكَّلون بزوَّار الإمام الحسين عليه السلام، ولهم وظائف تجاه الزائر ـ بأمر من الله تعالى ـ ومنها:

١ ـ السَّلام على الزائرين.

٢ ـ مسح وجوههم بأيدي الزائرين.

٣ ـ ويصافحونهم.

٤ ـ ويحفّون بأجنحتهم الزوَّار.

٥ ـ ويباركون للزائرين.

٦ ـ ويدعون لهم.

٧ ـ ويحفظونهم من الشياطين والجنّ والإنس، حتَّى يرجعون.

٨ ـ ويبلغونهم سلام الله تعالى، وسلام رسول الله صلى الله عليه وآله.

٩ ـ ويستغفرون للزائرين.

١٠ ـ ويكتبون أسماءهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم.

١١ ـ ويَسِمُون وجوههم بميسم من نور عرش الله.

١٢ ـ ويودّعون الزائرين، ويعودون مرضاهم، ويشهدون جنازتهم، ويحضرون غسلهم وأكفانهم.

١٣ ـ ويكتبون حسنات الزائرين، ولا يكتبون سيِّئاتهم، فإذا أراد الحفظة أن يكتبوا على زائر الإمام الحسين عليه السلام سيِّئة قالت الملائكة للحفظة: كُفّوا، فيكفون، فإذا عمل حسنة قالوا لهم: اكتبوا ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٖ﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

حَتَّى تَرَوْهُ وَقَدْ خَرَجَ[١١] فَانْصُرُوهُ، وَابْكُوا عَلَيْهِ وَعَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنْ

---

١٤ ـ ثمَّ إنَّ الله يكتب ثواب عمل هؤلاء الملائكة لزوَّار الإمام الحسين عليه السلام، وثواب صلاتهم ـ وهي تعادل ألف صلاة من الآدميين ـ لزوَّار الإمام الحسين عليه السلام.

وغير ذلك كثير[١].

[١١] (حتى تروه وقد خرج):

في المرآة: واعلم أنَّ الرجعة ـ أي رجوع جماعة من المؤمنين إلى الدُّنيا قبل القيامة في زمن القائم عليه السلام أو قبله أو بعده، ليروا دولة الحق، ويفرحوا بذلك، وينتقموا من أعدائهم، و[رجوع] جماعة من الكافرين والمنافقين لينتقم الله منهم ـ ممَّا انفردت به الإمامية، وأجمعوا عليه، وتواترت به الأخبار، ودلَّت عليه بعض الآيات... : وجميع كتب الحديث المتداولة الآن مشحونة بذكرها، وقد أوردت في المجلد الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار[٢] أزيد من مائتي حديث، نقلاً عن نيّف وأربعين أصلاً من الأُصول المعتبرة، وكلّها صريحة في إثبات الرجعة... إلخ[٣].

ولا يخفى أنَّ الرجعة ممكنة عقلاً فإنَّه تعالى قادر على ذلك، وقد وقعت في الأُمم السابقة كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥]، وبعد وجود هذا الكم الهائل من الأحاديث الدالّة عليها لا معنى لإنكارها ولا لتأويلها.

---

(١) فقه السائرين والزائرين للإمام الحسين عليه السلام (احكام المشاية): ص١٥ ـ ١٦، ومصادر كل ما ذكر من كامل الزيارات والتهذيب والكافي.

(٢) المجلّد ٥٣ من الطبعة الحديثة.

(٣) المرآة: ج٣، ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٥٦.

نُصْرَتِهِ[١٢]، فَإِنَّكُمْ قَدْ خُصِّصْتُمْ بِنُصْرَتِهِ وَبِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ، فَبَكَتِ الْمَلَائِكَةُ تَعَزِّياً وَحُزْناً عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ، فَإِذَا خَرَجَ يَكُونُونَ أَنْصَارَهُ.

وأمّا تهريج بعض النواصب فهذا ديدن أهل الباطل في إنكار حقائق أهل الحق، وليس إنكارهم بأسوأ من إنكار الملحدين والدهريين والمشركين لحقائق الدِّين، والله المُستعان على ما يصفون.

قال الشيخ المفيد في المسائل السروية: وأما قوله عليه السلام: «من لم يؤمن برجعتنا، فليس منّا»، فإنّما أراد بذلك ما يختصه من القول به في أنَّ الله تعالى يحشر قوماً من أُمَّة محمَّد ﷺ بعد موتهم قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختصّ به آل محمَّد ﷺ، والقرآن شاهد به، قال الله عزَّ وجلَّ في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾(١)، وقال سبحانه في حشر الرجعة قبل يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(٢)، فأخبر أنَّ الحشر حشران: عام وخاص، وقال سبحانه مخبراً عمَّن يُحشر من الظالمين أنَّه يقول يوم الحشر الأكبر: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾(٣)، وللعامَّة في هذه الآية تأويل مردود(٤).

[١٢] **(وابكوا عليه، وعلى ما فاتكم من نصرته):**

أمَّا البكاء عليه، فتعزيّاً ورحمة وطلباً للثواب.

وأمَّا البكاء على ما فاتهم، فهو بكاء على عدم التوفيق لنيل هذه الدرجة العظيمة ـ التي هي نصرته ـ، ويظهر أنَّ نصرته في يوم عاشوراء أفضل من نصرته بعد رجعته، وقد فاز بتلك النصرة أقوام اختارهم الله لها، فيا ليتنا كنَّا معهم فنفوز فوزاً عظيماً.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٨.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٣.

(٣) سورة غافر: الآية ١١.

(٤) انظر تفسير القرطبي: ج١٥، ص٢٩٧، والدر المنثور: ج٧، ص٢٧٨.

بَابُ الْأُمُورِ الَّتِي تُوجِبُ حُجَّةَ الْإِمَامِ عليه السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ:

اعلم أنَّ علائم الإمام المذكورة في هذا الباب على ثلاثة أصناف:

الصنف الأوّل: ما يعرفه عامّة الناس، وهي:

١ ـ أن يكون أكبر ولد أبيه الأحياء، بشرط أن لا يكون فيه عاهة، وإن كان في الأكبر عاهة ففي الذي يليه.

٢ ـ طهارة ولادته، وحسن تربيته، وإعراضه عن اللهو واللعب.

٣ ـ الوصية الظاهرة، بأن يكون وصي أبيه بما يعرفه العامّة والخاصّة وحتّى الصبيان، والنصّ الظاهر عليه.

٤ ـ أن يكون أفضل ولد أبيه علماً وورعاً وأخلاقاً بحيث لا يتمكّن أحد من الطعن فيه في أيّ شيء، وخاصّة فيما يُبتلى به المنتحلون عادة من الكذب وأكل المال بالباطل ونحو ذلك، فالإمام منزّه عن ذلك كلّه.

٥ ـ أن لا يعجز عن جواب سؤال، وأن لا يكون أحد أعرف منه بشيء من الأشياء، حتّى لغة الأقوام المختلفة يكون الإمام عارفاً بها.

٦ ـ صدور المعاجز منه، كإخباره بأُمور غائبة ـ بأن يُطلعه الله عليها ـ.

الصنف الثاني: ما يعرفه الخواص، وذلك بسؤاله عن غوامض المسائل مع مطابقة جوابه مع جواب الأئمّة السابقين عليهم السلام، وهذا ليس علامة للعامّة، لعدم معرفتهم صحّة الجواب في هكذا مسائل عادة.

الصنف الثالث: أن يكون عنده مواريث الأنبياء، وخاصّة سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا وإن لم تكن تعرفه لا العامّة ولا الخاصّة، إلّا أنّه يمكن سؤال منتحل الإمامة بأنّه هل عنده السلاح؟ وما علامته؟ فإنّه لا يتمكّن من الجواب، فحينئذٍ يتبيّن عدم صدقه.

قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: إِذَا مَاتَ الْإِمَامُ بِمَ يُعْرَفُ الَّذِي بَعْدَهُ؟ فَقَالَ: لِلْإِمَامِ عَلَامَاتٌ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ وُلْدِ أَبِيهِ[١]، وَيَكُونَ فِيهِ الْفَضْلُ وَالْوَصِيَّةُ[٢]، وَيَقْدَمَ الرَّكْبُ[٣] فَيَقُولَ: إِلَى مَنْ أَوْصَى فُلَانٌ؟ فَيُقَالَ: إِلَى

ولا يخفى أنَّ كلّ واحدة من روايات هذا الباب ذكرت بعض هذه العلائم، ولعلَّ ذلك باعتبار السائل، أو لاختلاف الظروف.

الحديث الأوَّل:

[١] **(أكبر ولد أبيه):**

أي أكبر الأحياء عند وفاة الأب، وبشرط أن لا يكون في الأكبر عاهة في جسده ـ كما سيأتي هذا التقييد في الحديث السادس ـ.

ويُستثنى من ذلك الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّه الإمام بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وسيأتي تفصيله في الباب اللاحق إن شاء الله تعالى.

وكان الأئمَّة عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام أكبر الأولاد الأحياء للإمام السابق، إلَّا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فإنَّه كان الثاني ولكن كان الأكبر ـ وهو عبد الله الأفطح ـ معيوباً في جسمه وفيه فطح.

وإنَّما قلنا الأحياء حين وفاة الإمام، لأنَّ عليّاً الأكبر عليه السلام كان الأكبر لكنَّه استشهد في حياة أبيه، وكذا إسماعيل ابن الإمام الصَّادق رضوان الله عليه كان الأكبر إلَّا أنَّه مات في حياته عليه السلام، وكذا السيِّد محمَّد ـ المدفون في بلد ـ كان أكبر أبناء الإمام الهادي عليه السلام إلَّا أنَّه مات في حياته.

[٢] **(ويكون فيه الفضل والوصية):**

أي الفضل في العلم والورع والأخلاق.

وأمَّا الوصية فهي النصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أو الإمام السابق عليه.

[٣] **(ويقدم الركب):**

الوصية ظاهرة لأهل المدينة، أمَّا الغرباء فإنَّ طريق معرفتهم للوصية هو الشياع في أهل المدينة.

و«الركب»: جمع راكب، أو اسم جمع، والمراد القافلة.

فُلَانٍ، وَالسِّلَاحُ فِينَا بِمَنْزِلَةِ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، تَكُونُ الْإِمَامَةُ مَعَ السِّلَاحِ حَيْثُمَا كَانَ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ يَزِيدَ شَعرٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْمُتَوَثِّبُ[١] عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، الْمُدَّعِي لَهُ، مَا الْحُجَّةُ عَلَيْهِ[٢]؟ قَالَ: يُسْأَلُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْحُجَّةِ لَمْ تَجْتَمِعْ فِي أَحَدٍ إِلَّا كَانَ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ، أَنْ يَكُونَ أَوْلَى النَّاسِ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ[٣]،

وفي هذا الحديث الصنف الثالث، وبعض علائم الصنف الأوَّل.

الحديث الثاني:

[١] **(المتوثب):**
من الوثبة بمعنى الطفرة، والمراد المستولي ظلماً، وقد يعبّر عنها بالنزو، كما في رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله حيث رأى قردة ينزون على منبره(١).

[٢] **(ما الحجّة عليه):**
أي طريقة بيان زيف قوله، وأنَّه مدعٍ ما ليس له، وهذه طريقة فضحه بحيث لا يمكنه الإنكار، لأنَّ الجاهل لا يستوي مع العالم بداهة، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى﴾(٣)، فلا يليق الجاهل بهذا الأمر مع وجود من هو أفضل منه علماً.

[٣] **(أولى الناس بمن كان قبله):**
من جهة النسب ـ وهو أن يكون أكبر ولده ـ، ومن جهة الفضيلة.

---

(١) البحار: ج٣١، ص٥٣٦؛ ومن مصادر العامّة: المستدرك على الصحيحين: ج٤، ص٤٨٠.
(٢) سورة الزمر: الآية ٩.
(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.

وَيَكُونَ عِنْدَهُ السِّلَاحُ، وَيَكُونَ صَاحِبَ الْوَصِيَّةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي إِذَا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ سَأَلْتَ عَنْهَا الْعَامَّةَ وَالصِّبْيَانَ: إِلَى مَنْ أَوْصَى فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ؛ وَحَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ يُعْرَفُ الْإِمَامُ؟ قَالَ: بِالْوَصِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَبِالْفَضْلِ، إِنَّ الْإِمَامَ[١] لَا يَسْتَطِيعُ

الحديث الثالث:

[١] (إنَّ الإمام. . .) إلخ:

هذا بيان لقوله: (وبالفضل).

لأنَّ منتحل الإمامة لا بُدَّ أن يكون جاهلاً ببعض المسائل فيضطر للكذب لإخفاء جهله، ولذا ينفضح عند العلماء.

وكذا انتحال الإمامة إنَّما تصدر من أُناس لا ورع لهم ممَّن لهم رغبة في حطام الدُّنيا، ولذا يأكلون أموال الناس بالباطل، فيتبيَّن زيف دعواهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

وحيث إنَّ المنتحل لا ورع له وهو يبحث عن رغبته في الحطام، فلا عفَّة له، وكثيراً ما يرتكب ما يخالف العفَّة.

وإنَّ حكَّام الجور رغم أنَّهم كانوا يحاربون الأئمَّة عليهم السلام بمختلف الوسائل، ولم يتورعوا عن استخدام جميع الأساليب والدعايات المضلّلة وانتهاءً بالقتل، إلَّا أنَّهم لم يتمكَّنوا من الطعن فيهم في صدقهم وورعهم وعفَّتهم، إذ ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

أَحَدٌ أَنْ يَطْعُنَ عَلَيْهِ فِي فَمٍ وَلَا بَطْنٍ وَلَا فَرْجٍ فَيُقَالَ: كَذَّابٌ وَيَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا[٢].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا عَلَامَةُ الْإِمَامِ الَّذِي بَعْدَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: طَهَارَةُ الْوِلَادَةِ[١]، وَحُسْنُ الْمَنْشَإِ[٢]، وَلَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ[٣].

---

[٢] **(وما أشبه هذا):**
إشارة إلى الطعن في الفرج، لم يصرِّح عليه السلام به لاستهجانه ـ كما في المرآة(١) ـ.

الحديث الرابع:

[١] **(طهارة الولادة):**
أي لا طعن في نسبه، ولعلَّ في هذا تعريض بخلفاء الجور حيث إنَّهم ألصقوا بقريش، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمعاوية: «وليس الصريح كاللصيق»(٢).

[٢] **(حسن المنشأ):**
أي التربية الصحيحة، بحيث لا يطعن عليه بمعصية، ولا دناءة، في أيِّ حال من أحواله.

[٣] **(ولا يلهو ولا يلعب):**
«اللهو» هو الفعل الذي يوجب الغفلة ويُشغل الإنسان عمَّا يعنيه، و«اللعب» هو الفعل الذي لا يترتّب عليه غرض صحيح عقلائي.
وقيل المعنى: أن لا ينخدع كما قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾(٣).

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٠٥.
(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم ١٧.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ: الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ: الْكِبَرُ وَالْفَضْلُ وَالْوَصِيَّةُ، إِذَا قَدِمَ الرَّكْبُ الْمَدِينَةَ فَقَالُوا: إِلَى مَنْ أَوْصَى فُلَانٌ؟ قِيلَ: إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، وَدُورُوا مَعَ السِّلَاحِ حَيْثُمَا دَارَ، فَأَمَّا الْمَسَائِلُ فَلَيْسَ فِيهَا حُجَّةٌ[١].

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ فِي الْكَبِيرِ مَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ عَاهَةٌ[١].

الحديث الخامس:

[١] **(فأما المسائل فليس فيها حجَّة):**
أي ليس فيها حجَّة للعامَّة، لأنَّهم لا يتمكنون من تمييز الجواب الصحيح من غيره.
نعم هي حجَّة للعلماء، كما مرَّ في الحديث الثاني، وسيأتي في الحديث اللاحق.

الحديث السادس:

[١] **(ما لم تكن فيه عاهة):**
أي آفة في بدنه، وقد مرَّ أن الأنبياء والأئمَّة مبرّؤون من كلّ عيب في خَلقهم ـ كما لا عيب في خُلقهم ـ.
ولعلَّ سبب ذلك لكي تتمّ الحجَّة على الجميع، لكي لا يعتذر أحد بأنَّه لم يسمع كلامهم أو لم يذهب إليهم لنفوره من شكلهم أو أجسامهم، وقد قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١).

---

(١) سورة النِّساء: الآية ١٦٥.

٧ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، بِمَ يُعْرَفُ الْإِمَامُ؟ قَالَ: فَقَالَ: بِخِصَالٍ أَمَّا أَوَّلُهَا فَإِنَّهُ بِشَيْءٍ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَبِيهِ فِيهِ بِإِشَارَةٍ إِلَيْهِ لِتَكُونَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً، وَيُسْأَلُ فَيُجِيبُ، وَإِنْ سُكِتَ عَنْهُ ابْتَدَأَ، وَيُخْبِرُ بِمَا فِي غَدٍ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِكُلِّ لِسَانٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أُعْطِيكَ عَلَامَةً قَبْلَ أَنْ تَقُومَ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، فَكَلَّمَهُ الْخُرَاسَانِيُّ بِالْعَرَبِيَّةِ فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام بِالْفَارِسِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ الْخُرَاسَانِيُّ: وَاللَّهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا مَنَعَنِي أَنْ أُكَلِّمَكَ بِالْخُرَاسَانِيَّةِ غَيْرُ أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُهَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ إِذَا كُنْتُ لَا أُحْسِنُ أُجِيبُكَ فَمَا فَضْلِي عَلَيْكَ[١]!! ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ

وأمّا ما ورد من عيب في أجسامهم كالعمى والنتن ونحو ذلك فمؤوّل بما لا يتنافى مع صحّة الجسم.

نعم لا مانع من بعض الأُمور التي لا تُعتبر عاهة كضعف البصر، أو المرض ونحو ذلك.

ولم يكن في أكبر أولاد الأئمّة عليهم السلام عاهة إلّا في عبد الله الأفطح فإنّه كان أكبر أولاد الإمام الصّادق عليه السلام حين وفاته ـ وكان إسماعيل قد توفي في حياته عليه السلام ـ، وكان فيه فَطَح في رجليه وقيل في رأسه، وهو عرض بشكل غير طبيعي.

الحديث السابع:

[١] **(فما فضلي عليك):**

بمعنى أنّك تكون في هذه الجهة ـ وهي لغتك ـ أعلم منّي فلا أكون أفضل منك في هذه الجهة، بل يلزم أن أتبعك فيها، وهل يعقل أن يكون الإمام تابعاً؟

الْإِمَامَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كَلَامُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا طَيْرٍ[٢] وَلَا بَهِيمَةٍ وَلَا شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِيهِ فَلَيْسَ هُوَ بِإِمَامٍ.

[٢] (ولا طير...):

فإنَّهم عليهم السلام علّموا منطق الطير - كما في بعض الأحاديث الصحيحة(١) - كما كان سليمان عليه السلام يعرفها.

ثمَّ عمَّم الإمام عليه السلام بقوله: «ولا شيء فيه روح»، وهو ذكر عام بعد خاص.

(١) بصائر الدرجات: ص٣٦١.

بَابُ ثَبَاتِ الْإِمَامَةِ فِي الْأَعْقَابِ وَأَنَّهَا لَا تَعُودُ فِي أَخٍ وَلَا عَمٍّ وَلَا غَيْرِهِمَا مِنَ الْقَرَابَاتِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا تَعُودُ الْإِمَامَةُ فِي أَخَوَيْنِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ أَبَداً، إِنَّمَا جَرَتْ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ[١] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٢]: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾

الحديث الأوّل:

[١] (إنّما جرت من علي بن الحسين):
أي جرت الإمامة في الأعقاب، فلا يكون بعد الإمام زين العابدين عليه السلام إمام إلّا من ذرّيّة الإمام السابق.

[٢] (كما قال الله تبارك وتعالىٰ):
وردت هذه الآية في القرآن مرّتين:
أمّا الآية الأولى:
فقد قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾(١).
وظاهر سياق الآية أنّها في مقام بيان منزلة النبي وقرابته.
أمّا النبي صلى الله عليه وآله: فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فله الولاية عليهم سواء في الأمور العامّة أم الخاصّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[(١)].

وأمَّا زوجات النبي: فيحرم نكاحهن، لأنَّهنَّ أُمَّهات المؤمنين، وهذا تشريف لهن لكن بشرط التقوى، وإلَّا فيضاعف لهن العذاب، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[(٢)]، فليس لهن من الأُمومة إلَّا حرمة النكاح دون سائر أحكامها من المَحْرَمية والإرث ونحو ذلك.

وأمَّا أولو الأرحام أي أرحام النبي ﷺ: فهم أولى بالنبي من غيرهم، فالآية في الإمام علي عليه السلام وذرِّيَّته لأنَّهم أرحام النبي وهم أقرب إليه من غيرهم، فهم أولى من سائر المؤمنين ومن المهاجرين بالخصوص.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع، فالمعنى أنَّ الولاية للأقرباء، وعليكم فعل المعروف إلى أوليائكم.

والمعنى: انَّ الإمرة مختصَّة بأرحام الرسول، ولكم أن تفعلوا معروفاً إلى غيرهم من أوليائكم في الدِّين، فأمَّا الطاعة المفترضة فهي مختصَّة بهم - كذا قيل -.

ويدلُّ السياق على المعنى الذي ذكرناه، حيث قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٣)]، فكما سطَّر الله في الكتاب حكم الولاية بين أولي الأرحام، كذلك سطَّر فيه أخذ الميثاق عن النَّبيِّين، وبعبارة أُخرى: إنَّ أولوية أولي الأرحام من مصاديق ذلك الميثاق العام.

وأمَّا الآية الثانية:

فهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.
(٢) سورة الأحزاب: الآيات ٢٨ ـ ٣١.
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧ ـ ٨.

[الأنفال: ٧٥] **فَلَا تَكُونُ بَعْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ﷺ إِلَّا فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ.**

﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾(١).

والظاهر أنَّ هذه الآية وردت في الإرث، فإنَّ الأرحام يرثون دون الأجانب، والرحم القريب يمنع البعيد لأنَّه أولى منه في الإرث، فمعنى الآية أنَّ المهاجرين والمجاهدين هم من المؤمنين وإن تأخَّر إيمانهم، لكنَّهم لا يرثون من الأباعد بل أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض.

وبما ذكرناه من ظاهر الآيتين يجمع بين الروايات التي دلَّت على أنَّ الآية في الإمرة لا في الميراث حيث إنّها في تفسير الآية الأولى، وبين الروايات الدالَّة على أنَّها في الفرائض حيث إنّها في تفسير الآية الثانية(٢).

فمن الأولى: عن أبي عبد الله ﷺ سُئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ قال: نزلت في وُلد الحسين ﷺ، قال: قلت: جعلت فداك نزلت في الفرائض؟ قال: لا، قلت: ففي المواريث؟ فقال: لا، نزلت في الإمرة(٣).

ومن الثانية: عن الإمام الباقر ﷺ، إنَّ بعضهم أولى بالميراث من بعض لأنَّ أقربهم إليه رحماً أولى به... الحديث(٤).

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٢) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٤، ص٣٧٣ فما بعد، وج٧، ص٥٢١ فما بعد.

(٣) البرهان: ج٧، ص٥٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ج٤، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَهَا لِأَخَوَيْنِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام[١].

الحديث الثاني:

[١] (بعد الحسن والحسين عليهما السلام):

أمّا كون الإمامة للحسين بعد الحسن عليه السلام، فلأنَّ الإمام الحسين عليه السلام أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أولاد الإمام الحسن عليه السلام، فلا داعي للقول بأنَّ إمامة الحسين عليه السلام تخصيص للآية بالنصّ القطعي والاتفاق على إمامته.

ولعلَّ جعل الإمامة فيهما عليهما السلام لأجل أنَّ أبويهما معصومان، فجعل الله في أولادهما إمامين باعتبار كلّ واحد منهما، كذا قيل، وهو أمر لطيف إلّا أنّه مجرَّد احتمال، والله العالم بحقائق الأُمور.

وقد أشارت الروايات إلى سبب جعل الإمامة في ذرّية الإمام الحسين عليه السلام دون الإمام الحسن عليه السلام مع أنَّ الحسن أفضل من الحسين.

فقد سئل الإمام الصّادق عليه السلام: يا ابن رسول الله فكيف صارت في ولد الحسين دون الحسن، وهما جميعاً ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيِّدا شباب أهل الجنَّة؟

فقال: «إنَّ موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين، فجعل الله النُّبوَّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لِمَ فعل الله ذلك، فإنَّ الإمامة خلافة الله عزَّ وجلَّ ليس لأحد أن يقول: لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن، لأنَّ الله هو الحكيم في أفعاله لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون»(١).

والمعنى: أنّه لا يحقّ لأحد الاعتراض على ذلك، وأمّا السبب فقد بيِّن

---

(١) البحار: ج٢٥، ص٢٦٠ ـ ٢٦١ عن الخصال ومعاني الأخبار وكمال الدِّين.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، أَنَّهُ سُئِلَ أَتَكُونُ الْإِمَامَةُ فِي عَمٍّ أَوْ خَالٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ: فَفِي أَخٍ؟ قَالَ لَا. قُلْتُ فَفِي مَنْ؟ قَالَ: فِي وَلَدِي، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ لَا وَلَدَ لَهُ[١].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَا تَجْتَمِعُ الْإِمَامَةُ فِي أَخَوَيْنِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَعْقَابِ، وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ.

في بعض الأخبار بأنَّ ذلك تعويض عن قتله عليه السلام.

منها: أنَّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة إنَّ الله قد وهب لك غلاماً اسمه الحسين تقتله أُمَّتي، قالت: فلا حاجة لي فيه، قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وعدني فيه أن يجعل الأئمَّة من ولده، قالت: قد رضيت يا رسول الله(١).

ثمَّ إنَّه قد اجتمعت الإمامة في ذرِّيَّة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، لأنَّ أُمّ الإمام الباقر هي فاطمة بنت الإمام الحسن (صلوات الله عليهم جميعاً).

الحديث الثالث:

[١] **(وهو يومئذٍ لا ولد له):**

حتَّى أنَّ الناس زعموا أنه عليه السلام عقيم، وكان ذلك من حجج الواقفة، فدحض الله حجَّتهم بميلاد الإمام الجواد عليه السلام بعد حين، وروي: «أنَّه ما ولد مولود في الإسلام أكثر بركة منه»(٢) إذ بميلاده عليه السلام اندثر مذهب من المذاهب الباطلة.

---

(١) المصدر: ص٢٦٠ عن علل الشرائع.

(٢) الكافي: ج١، ص٣٢١.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَانَ كَوْنٌ ـ وَلَا أَرَانِي اللَّهُ ـ فَبِمَنْ أَئْتَمُّ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ حَدَثَ بِمُوسَى حَدَثٌ فَبِمَنْ أَئْتَمُّ؟ قَالَ: بِوَلَدِهِ، قُلْتُ: فَإِنْ حَدَثَ بِوَلَدِهِ حَدَثٌ وَتَرَكَ أَخاً كَبِيراً وَابْناً صَغِيراً؛ فَبِمَنْ أَئْتَمُّ؟ قَالَ: بِوَلَدِهِ ثُمَّ وَاحِداً فَوَاحِداً.

«وَفِي نُسْخَةِ الصَّفْوَانِيِّ»: ثُمَّ هَكَذَا أَبَداً[١].

الحديث الخامس:

[١] (وفي نسخة الصفواني: ثم هكذا أبداً):

في المرآة: والظاهر أنَّه كان في نسخة الصفواني (ثم هكذا أبداً) بدل قوله: (ثمَّ واحداً واحداً)(١).

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢١٢.

بَابُ مَا نَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ عَلَى الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَاحِداً فَوَاحِداً

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ. وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام[١]. فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: فَمَا لَهُ لَمْ يُسَمِّ عَلِيّاً وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليهم السلام[٢] فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: فَقَالَ:

الحديث الأوَّل:

[١] **(نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام):**

قد مرَّ الكلام في الآية في (باب أنَّ الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر) و(باب فرض طاعة الأئمَّة).

وفي المرآة: ولعلَّ التخصيص بالثلاثة لكونهم موجودين عند نزول الآية(١)، وقد استفاضت الروايات في أنَّ الآية تشمل جميع الأئمَّة عليهم السلام(٢).

[٢] **(فما له لم يسمِّ عليّاً وأهل بيته...) إلخ:**

وهذه شبهة قديمة بأنَّه لماذا لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢١٢.

(٢) مضافاً إلى ما مرَّ، راجع البرهان: ج٣، ص١٣٤ فما بعد.

والجواب من وجوه كثيرة بعضها نقضي وبعضها حلّي.

منها: ما في هذا الحديث الشريف، وهو أنَّ القرآن الكريم ذكر الأُصول، وأمَّا التفاصيل فكان على رسول الله ﷺ بيانها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١]، وقد ذكر أصل الإمامة في آيات متعدِّدة ـ وقد مرَّت الإشارة إلى بعضها ـ كقوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] وكقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣].

ومنها: أنَّه ذكر في القرآن الوصف الذي لا ينطبق إلَّا على الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[٤]، حيث إنَّها نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالاتفاق.

ومنها: أنَّ الله تعالى أراد حفظ القرآن من التحريف بالطرق الطبيعيَّة، وكان ذكر اسمه عليه السلام بالصراحة يوجب التحريف من مناوئيه للقرآن الكريم.

ومنها: أنَّ اسمه ذكر في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[٦].

ومنها: أنَّه حتى لو ذكر اسمه صراحة فإنَّه كان يمكنهم تحريف المعنى ـ دون اللفظ ـ كأن يقولوا إنَّ (عليّ) وصف وليس اسماً، كما أمكن هذا في الآيتين السابقتين.

ومنها: النقض بعدم ذكر أسماء خلفائهم في القرآن، مع أنَّ العامَّة يعتبرون الاعتقاد بهم من أُصول الدِّين ـ وإن كانوا لا يجاهرون بذلك ـ، فلذا

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٥) سورة الزخرف: الآية: ٤.

(٦) سورة مريم: الآية ٥٠.

قُولُوا لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَلَمْ يُسَمِّ اللَّهُ لَهُمْ ثَلَاثاً وَلَا أَرْبَعاً، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَلَمْ يُسَمِّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَماً دِرْهَمٌ[٣]، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَ الْحَجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ: طُوفُوا أُسْبُوعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] - وَنَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ[٤]؛ وَقَالَ صلى الله عليه وآله:

يقولون بضلال من أنكر خلافتهم وأنَّه من أهل النار، وكفَّروا من حاربوهم، وأباحوا دماء وأموال وأعراض مناوئيهم.

ولا زال ركن مذهب أهل الخلاف هو الاعتقاد بالثلاثة، مع أنَّه على مبانيهم حتى على فرض صحة بيعتهم - فرضاً محالاً - فإنَّ خلافتهم تكون أمراً تاريخياً - كسائر الخلفاء الذين يعتقدون بصحة بيعتهم - فلا ربط لها بالدِّين وبالعقيدة، لكن العامَّة يناقضون أنفسهم حينما جعلوا الاعتقاد بالثلاثة ركناً للدِّين.

والأجوبة - حلاً ونقضاً - كثيرة، وقد ألَّف الأخ السيِّد المرتضى حفظه الله كتاباً ذكر فيه عشرات الأجوبة على هذا الإشكال وهو (لماذا لم يصرِّح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن) فراجع.

[٣] (من كلِّ أربعين درهماً درهم):

بعد الوصول إلى النصاب وهو مائتا درهم، حيث تجب فيه خمسة دراهم.

حديث الغدير

[٤] (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه):

أمَّا سند حديث الغدير فمتواتر، لا يرتاب فيه أحد، وقد جمع العلَّامة

الأميني رضوان الله عليه في (كتاب الغدير) كثيراً من المصادر من العامَّة في مجلَّدات عدَّة، كما نقل العلَّامة المجلسي في البحار[١] أكثر من مائة حديث من أحاديث واقعة الغدير، فراجع.

وأمَّا دلالة الحديث فهي واضحة لا غبار عليها، لكن لما أراد بعض العامَّة التشكيك في مدلولها فلا بُدَّ من بيان جهة دلالة حديث الغدير على الإمامة الكبرى والرئاسة العامَّة، وذلك من وجوه[٢]:

الأوَّل: أنَّ جمع الصحابة في ذلك الموقف مع شدَّة الحرّ وإخبار الرسول ﷺ بقرب وفاته ثم رفعه يد الإمام علي عليه السلام وقوله: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، قرينة قطعية على أنَّه ﷺ أراد أمراً هامّاً جدّاً وهو الإمامة الكبرى، كما هو واضح لكلّ عاقل.

الثاني: أنَّ قوله ﷺ قبل ذلك: «ألست أولى بكم من أنفسكم» تمهيد لجعل نفس الأولوية للإمام علي عليه السلام، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[٣]، أي أولى بهم في كلّ شيء من أُمور الدِّين والدُّنيا، فتجب طاعته في كلّ شيء، ولا ينفذ حكم أحد إن خالف حكمه ﷺ.

وبعد هذا التمهيد قال ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، ومن الواضح على كلّ ذي لبّ ارتباط ذلك التمهيد بهذا الكلام، أي من كنت أولى به من نفسه فهذا عليٌّ كذلك أولى به من نفسه.

الثالث: إنَّ دعاءه ﷺ بعد ذلك حيث قال: «اللَّهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله» أيضاً قرينة أُخرى على إرادة الإمامة الكبرى، إذ هي بحاجة إلى الأعوان والأنصار ودفع الأعداء، لأنَّ جعل الإمامة في شخصٍ يُثير الضغائن والحسد، وخاصَّة أنَّ الإمام علي عليه السلام قتل كثيراً من شخصياتهم في غزوات الرسول ﷺ.

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٧، ص١٠٨ ـ ٢٣٥.

(٢) فصَّل العلَّامة المجلسي رحمه الله في البحار: ج٣٧، ص٢٣٥ ـ ٢٥٢، وفي المرآة: ج٣، ص٢١٩ ـ ٢٣٠ في وجه الدلالة، فراجع.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.

ولو لم يُرِد ﷺ الإمامة لم يكن معنى لهذا الدُّعاء أصلاً.

الرابع: نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] حيث إنَّه روت الخاصَّة والعامَّة[2] في أنَّها نزلت قبل كلام الرسول في الغدير، ومن المعلوم أنَّ هذا النوع من التهديد لا يناسب إلَّا أمراً من أصول الدِّين.

وكذا نزول قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]، حيث روت العامَّة والخاصَّة أنَّها نزلت في الغدير[4]، فإنَّه من الواضح أنَّ إكمال الدِّين وإتمام النعمة لا يكون إلَّا فيما هو من أُصول الدِّين.

ومن ذلك كلّه يتضح أنَّ معنى (المولى) هنا هو (الأولى بالتصرُّف) كما في قوله تعالى: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[5].

وفي المرآة: أكثر المخالفين لجؤوا في دفع الاستدلال به، إلى تجويز كون المراد: الناصر والمحب، ولا يخفى على عاقل أنَّه ما كان يتوقف بيان ذلك على اجتماع الناس لذلك في شدَّة الحرّ، بل كان هذا أمر يجب أن يُوصي به عليّاً عليه السلام بأن ينصر من كان الرسول ينصره، ويحبّ من كان ﷺ يحبه، ولا يتصوَّر في إخبار الناس بذلك فائدة يعتدّ بها، إلَّا إذا أريد بذلك نوع من النصرة والمحبة يكون للأمراء بالنسبة إلى رعاياهم، أو أريد به جلب محبتهم بالنسبة إليه ووجوب متابعتهم له حيث ينصرهم في جميع المواطن ويحبهم على الدِّين وبهذا أيضاً يتمّ المدعى[6].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) من الخاصّة راجع: البرهان: ج٣، ص٤٤٤ فما بعد. ومن العامّة راجع: تفسير الرازي: ج١٢، ص٤٠٠؛ والدر المنثور: ج٣، ص١١٧ .

(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

(٤) من الخاصّة راجع: تفسير البرهان: ج٣، ص٢٩١ فما بعد. ومن العامّة راجع: تفسير الرازي، والدر المنثور، والثعلبي: ج٤، ص٩٢..

(٥) سورة الحديد: الآية ١٥.

(٦) المرآة: ج٣، ص٢٢١.

أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ[٥]، وَقَالَ: لَا تُعَلِّمُوهُمْ

حديث الثقلين

[٥] (فأعطاني ذلك):

لا يخفى أنَّ حديث الثقلين متواتر لدى العامَّة والخاصَّة(١)، وقد ذكره رسول الله ﷺ في مواطن متعدِّدة، ولذا تعدَّدت ألفاظه، ومن أشهرها قوله ﷺ: «إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي أبداً»(٢).

وفي بعض مرويات العامَّة (سُنَّتي) بدل (عترتي) لكن طرقه ضعيفة بل موضوعة حتَّى على مبانيهم في الجرح والتعديل.

قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه: لا يكون شيء أبلغ من قول القائل: قد تركت فيكم فلاناً، كما يقول الأمير ـ إذا خرج من بلده واستخلف من يقوم مقامه لأهل البلد ـ: «قد تركت فيكم فلاناً يرعاكم ويقوم فيكم مقامي»، وكما يقول من أراد الخروج عن أهله، وأراد أن يوكّل عليهم وكيلاً يقوم بأمرهم: «قد تركت فيكم فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا»، فإذا كان ذلك كذلك، فهو النصّ الجلي الذي لا يحتمل غيره، إذ خلَّف في جميع الخلق أهل بيته، وأمرهم بطاعتهم والانقياد لهم بما أخبر به عنهم من العصمة، وأنَّهم لا يفارقون الكتاب ولا يتعدّون الحكم بالصواب(٣).

وعدم افتراقهما من وجوه(٤) منها:

١ ـ استمرارهما إلى آخر الدهر، ففي كلّ زمان يكون فيه الكتاب يكون

---

(١) من الخاصَّة: كمال الدين: ص٦٤، وبصائر الدرجات: ص٤٣٣، ومن العامَّة: مسلم في صحيحه: ج٧، ص١٢٢؛ وابن حنبل في مسنده: ج٣، ص١٧؛ والترمذي في سُننه: ج٥، ص٦٦٢، وغيرهم.

(٢) المصادر نفسها.

(٣) الطرائف: ص١٢٠، نقلاً عن المفيد.

(٤) اقتباس باختصار وتصرُّف عن المرآة: ج٣، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦.

فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ[٦]؛ وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ[٧]. فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ، لَادَّعَاهَا آلُ فُلَانٍ وَآلُ فُلَانٍ[٨]، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقاً

فيه إمام من العترة.

٢ ـ استمرار هدايتهما وإرشادهما.

٣ ـ اتفاقهما وعدم اختلافهما في شيء، فكلّ كلامهم متطابق مع القرآن الكريم.

٤ ـ كون جميع علم الكتاب عندهم، بحيث لا يكون شيء في الكتاب إلّا ويعلمونه ﷺ.

ولا يخفىٰ دلالة الكلمة على العصمة، إذ مع الخطأ أو السهو يكون افتراق عن القرآن، حيث إنّه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾(١).

أحاديث أُخرى

[٦] (لا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم):

قد مرَّت بعض الأدلَّة الدالة على أنَّ الإمام علياً ﷺ كان أعلم الصحابة.

[٧] (ولن يدخلوكم في باب ضلالة):

وهذا الحديث يدلُّ على العصمة، لأنَّه مع الخطأ أو السهو يكون إخراج من باب هدى وإدخال في باب ضلال ـ ولو في تلك القضية ـ.

آية التطهير

[٨] (لادّعاها آل فلان وآل فلان):

في المرآة: أي آل العبَّاس وآل جعفر وأضرابهم من أقاربه ﷺ، أو آل تيم وآل عدي لشبهة كون بنتيهما في بيته، أو لبنتيهما(٢).

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٢) المرآة: ج٣، ص٢٣٦.

لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا[٩]﴾

---

[٩] **(ويطهّركم تطهيراً):**

وفي الآية بحوث:

الأوّل: لا إشكال في أنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يُراد بهم زوجات النبي ﷺ.

فقد اتفقت الخاصَّة وكثير من العامَّة على أنَّ المراد بأهل البيت: هم أصحاب الكساء دون زوجات الرسول.

وفي الصحاح عند العامَّة ما يدلُّ على ذلك، فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة، قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحَّل[١] أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحسين فأدخله، ثمَّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمَّ جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

وروى الترمذي عن أُمّ سلمة، قالت: إنَّ الآية نزلت في بيتها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ فقال: إنَّك على خير، أنت من أزواج رسول الله، قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجلَّلهم بكساء، وقال: اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيراً[٣].

وفي حديث آخر: قالت أُمّ سلمة: وأنا منهم يا نبيَّ الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير[٤].

والروايات عن العامَّة في ذلك كثيرة، نعم حاول بعضهم إدخال آل عقيل وآل جعفر وآل عبَّاس في أهل البيت[٥] لكن ذلك ليس من حديث

---

(١) أي كساء من صوف ونحوه تشبه نقوشه رحال الإبل.

(٢) مسلم: ج٧، ص١٣٠، الحديث رقم ٦٤١٤.

(٣) جامع الأصول: ج٩، ص١٥٥، الحديث رقم ٦٧٠٢.

(٤) الترمذي: ج٥، ص٦٦٣، الحديث رقم ٣٧٨٧.

(٥) مسلم: ج٧، ص١٢٢.

الرسول صلى الله عليه وآله، بل نسب ذلك إلى زيد بن أرقم، ولا عبرة بكلامه مع تعارضه مع الأخبار المتواترة في اختصاص أهل البيت بأصحاب الكساء عليهم السلام.

وعن ابن حجر في صواعقه: إنَّ أكثر المفسِّرين على أنَّ الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لتذكير ضمير عنكم[١].

بل استفاض نقل العامَّة بحصر أهل البيت فيهم عليهم السلام، مثل ما رواه مسلم في صحيحه في حديث المباهلة عن سعد بن وقاص: دعا رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي[٢] ولم يقل: «هؤلاء من أهل بيتي».

الثاني: لا إشكال في دلالة الآية على العصمة، وذلك لأنَّ الإرادة إمَّا تشريعية أو تكوينية.

أمَّا التشريعيَّة فهي بمعنى: (إرادة صدور الفعل عن الغير باختياره)، والفعل قد يتحقَّق إذا اختاره الغير، وقد لا يتحقَّق إذا لم يختره الغير، كقوله: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[٣] حيث إنَّ الله أمر بالوضوء والغسل والتيمم لأنَّه يريد طهارة المسلمين، وهذه إرادة تشريعيَّة[٤].

وأمَّا التكوينية فهي بمعنى: (إرادة تحقُّق الفعل مباشرة ومن غير واسطة فاعل مختار)، والمراد هنا يتحقَّق تكويناً لا محالة متى ما أراده الله تعالى.

وفي آية التطهير ليست الإرادة تشريعيَّة، وذلك لمكان (إنَّما)، وهي تفيد

---

(١) الصواعق المحرقة: ج٢، ص٤٢١.

(٢) مسلم: ج٧، ص١٢٠، الحديث رقم ٦٣٧٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

(٤) قد مرَّ سابقاً أنَّ إرادته تعالى سواء كانت تكوينية أم تشريعيَّة لا تنفكّ عن المراد، ففي الإرادة التشريعيَّة يكون المراد هو صدور التشريع - لا الفعل - ولذا متى ما أراد الله تعالى حكماً شرعيّاً فإنَّه يُصدر ذلك الحكم، وفي الإرادة التكوينية يكون المراد هو صدور الفعل.

ولذا ذكرنا أنَّ الفعل قد يتحقَّق وقد لا يتحقَّق - في الإرادة التشريعيَّة - لا أنَّ المراد قد يتحقَّق وقد لا يتحقَّق، فدقِّق.

الحصر باتفاق علماء العربية، حيث إنَّ إرادة التطهير التشريعي ليس خاصّاً بل هو عام لكلّ الناس، ولذا أمر الله الجميع بتلك الطهارة.
فالإرادة في آية التطهير تكوينية فالله تعالى أذهب عنهم الرِّجس وطهَّرهم تكويناً، بحيث لا يشاركهم فيه أحد، وهذه هي العصمة بعينها.
ثمَّ مع وجود المعصوم يكون ترجيح غيره عليه قبيحاً عقلاً، لأنَّه ترجيح المرجوح على الراجح.
وبعبارة أُخرى: ـ كما في المرآة ـ: كلمة «إنَّما» تدلُّ على التخصيص ـ كما قُرِّر في محلّه ـ والإرادة المذكورة [أي الأمر باجتناب المعاصي] تعمُّ سائر المكلَّفين، حتَّى الكفَّار، لاشتراك الجميع في التكليف، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فلا وجه للتخصيص بأهل البيت ﷺ[2].
أي إذا كانت الإرادة تشريعيَّة فلا معنى لتخصيصها، وحيث إنَّ الآية خصصتها بهم، علمنا أنَّها إرادة تكوينية.
والحاصل ـ كما في المرآة أيضاً[3] ـ: أنَّ من نظر إلى سياق الأخبار المتقدِّمة، وأنصف من نفسه، علم أنَّ الأمر الذي دعا رسول الله ﷺ لأهل بيته وخصَّهم بهم، ومنع أُمّ سلمة من الدخول فيهم ـ مع جلالتها وكرامتها ـ، لا بُدَّ أن يكون أمراً جليلاً لا يتيسَّر لسائر الخلق، ومعلوم من سياق الآية أنَّه من قبيل إذهاب النقائص والرذائل، إذ الرِّجس ظاهر أنَّه ليس المراد به النجاسات الظاهرة، وكذا التطهير لا ريب أنَّه التطهير من الأدناس المعنوية، فإذهاب الرِّجس يكون من الشَّك والشُّبهة في أُمور الدِّين، والتطهير من العيوب والمعاصي، أو كلّ منهما للأعم، ولو أُريد بهما إذهاب بعض الذُّنوب، كالكبائر ـ على ما قيل ـ فأي اختصاص له بأهل البيت؟ لا سيَّما وهم يدَّعون أنَّ الصحابة كلّهم عدول، فلماذا منع

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٢) المرآة: ج٣، ص٢٤٣.
(٣) المرآة: ج٣، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

[الأحزاب: ٣٣] فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام[١٠]، فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله تَحْتَ الْكِسَاءِ[١١] فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ[١٢]، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وَثَقَلاً، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَثَقَلِي. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَثِقْلِي. فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ عَلِيٌّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا بَلَّغَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَإِقَامَتِهِ لِلنَّاسِ[١٣] وَأَخْذِهِ بِيَدِهِ. فَلَمَّا مَضَى عَلِيٌّ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ عَلِيٌّ - وَلَمْ

أُمّ سلمة من الدخول مع كونها عادلة متّقية بالاتفاق؟

فلا بُدَّ من كون المراد العصمة من جميع الذُّنوب والمعاصي والشكوك في أمر الدِّين. . . إلخ.

[١٠] **قوله: (فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام):**

أمّا سائر الأئمّة عليهم السلام فلم يكونوا قد وُلدوا حينئذٍ، فالآية وإن كانت تشملهم، لكن عدم إدخالهم في الكساء لأجل عدم ولادتهم بعد، على أنّهم كانوا في صلب الحسين عليه السلام.

[١١] **قوله: (فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء):**

لعلَّ الإدخال تحت الكساء، لمزيد توضيح بأنَّ الآية مختصّة بهم، حتّى لا يمكن لأحد ادّعاء دخول مَن في الدار في دعائه صلى الله عليه وآله وفي الآية.

[١٢] **قوله: (في بيت أُمّ سلمة):**

لعلَّ كونه في بيت أُمّ سلمة، لأجل ورعها وحبّها لأهل البيت عليهم السلام ولذا نقلت عدم شمول الآية لها كما مرَّ في بعض الأحاديث، وقد روت عائشة الحديث أيضاً لكنّها لم تذكر عدم شمول الآية لها!! كما مرَّ قبل قليل رواية مسلم لحديثها. .

[١٣] **(وإقامته للنّاس):**

عطف على (كثرة)، أي ولإقامته للناس وأخذه بيده.

يَكُنْ لِيَفْعَلَ ـ[١٤] أَنْ يُدْخِلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَلَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ، وَلَا وَاحِداً مِنْ وُلْدِهِ، إِذاً لَقَالَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِينَا كَمَا أَنْزَلَ فِيكَ، فَأَمَرَ بِطَاعَتِنَا كَمَا أَمَرَ بِطَاعَتِكَ، وَبَلَّغَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا بَلَّغَ فِيكَ، وَأَذْهَبَ عَنَّا الرِّجْسَ كَمَا أَذْهَبَهُ عَنْكَ. فَلَمَّا مَضَى عَلِيٌّ عليه السلام كَانَ الْحَسَنُ عليه السلام أَوْلَى بِهَا لِكِبَرِهِ[١٥]، فَلَمَّا تُوُفِّيَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدْخِلَ وُلْدَهُ

وفي هذه إشارة إلى مرحلتين:

١ ـ مرحلة التبليغ اللفظي، وذلك في أحاديث متواترة في مواطن كثيرة.

٢ ـ مرحلة التعيين العملي في يوم الغدير حيث أقامه أمام الناس وأخذ بيده، وأيضاً أخذ البيعة من الناس.

ولا يخفى أنَّ التبليغ مرَّة واحدة كان فيه الكفاية، فقوله عليه السلام: «كان عليّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه...» لأجل بيان إتمام الحجّة على الناس، ولبيان أهمية الموضوع بحيث احتاج إلى تذكيرهم به مراراً وتكراراً.

[١٤] **(لم يكن يستطيع عليّ ولم يكنْ ليفعل):**

إذ لا يحقّ لأحد تغيير الأمر الإلٰهي المحتوم، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(١)، وفي هذا دلالة على أن تعيين الإمام خاص بالله تعالى، ولم يفوّضه لأي أحد ـ حتى للرسول ﷺ وللأئمة عليهم السلام ـ.

[١٥] **(أولى بها لكبره):**

وقد مرَّ في الأبواب السابقة أنَّ الإمامة في أكبر الأولاد الأحياء ما لم يكن به عاهة.

ولا يخفى أنَّ (الكبر) هو علامة، وإلّا فسبب الإمامة هو اختيار الله تعالىٰ.

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

ـ وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ ـ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ[١٦]: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] فَيَجْعَلُهَا فِي وُلْدِهِ، إِذاً لَقَالَ الْحُسَيْنُ: أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِي كَمَا أَمَرَ بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ أَبِيكَ، وَبَلَّغَ فِيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا بَلَّغَ فِيكَ وَفِي أَبِيكَ، وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي الرِّجْسَ كَمَا أَذْهَبَ عَنْكَ وَعَنْ أَبِيكَ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَ عَلَيْهِ[١٧] كَمَا كَانَ هُوَ يَدَّعِي عَلَى أَخِيهِ وَعَلَى أَبِيهِ،

---

[١٦] (والله عزَّ وجلَّ يقول):

في تفسير العياشي: فلمَّا حضر الحسن بن علي لم يستطع ـ ولم يكن ليفعل ـ أن يقول: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ فيجعلها في ولده(١).

والمعنى: أنَّه لا يمكن الاستدلال بهذه الآية لإمامة وُلد الحسن عليه السلام، وذلك لتخصيصها بالآيات الواردة في الإمام الحسين عليه السلام وكذا نصّ رسول الله ﷺ على إمامته عليه السلام.

[١٧] (من أهل بيته يستطيع أن يدَّعي عليه):

أي لم يكن يستطيع أخوته وبنو أخيه من ادّعاء شيء من الإمامة، إذ لم تنزل فيهم آية، ولم يرد فيهم نصّ من رسول الله ﷺ، وحيث إنَّه لا بُدَّ أن يدلّ القرآن على الإمام، ولا دليل ـ في الظاهر ـ إلَّا قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فلم يكن يحقّ لأحد الاعتراض على الإمام الحسين عليه السلام حين أوصى إلى ولده الإمام زين العابدين عليه السلام.

والحاصل أنَّ نصَّ الإمام الحسين على ولده متطابق مع القرآن الكريم، هذا مضافاً إلى تعيين الله تعالى للأئمَّة واحداً بعد واحد، ونصَّ رسول الله عليهم.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٥٠.

لَوْ أَرَادَا أَنْ يَصْرِفَا الْأَمْرَ عَنْهُ، وَلَمْ يَكُونَا لِيَفْعَلَا، ثُمَّ صَارَتْ حِينَ أَفْضَتْ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام[١٨] فَجَرَى تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ[١٩]: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]. ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام.

وَقَالَ: الرِّجْسُ هُوَ الشَّكُّ[٢٠]، وَاللَّهِ لَا نَشُكُّ فِي رَبِّنَا أَبَداً.

---

[١٨] **(ثمَّ صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام):**

أي ثمَّ صارت الإمامة حين وصلت إلى الحسين، وخبر (صارت) محذوف، لدلالة السياق عليه، أي ثمَّ صارت الإمامة في الأعقاب وحسب مدلول آية ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ...﴾.

[١٩] **(فجرى تأويل هذه الآية):**

أي جرت الآية حسب المراد منها بلا تخصيص.

وفي المفردات: التأويل من (الأوّل)، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يُرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه ـ علماً كان أو فعلاً ـ(١).

فمن التأويل في العلم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(٢).

ومن التأويل في العمل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾(٣) أي ما يؤول إليه أمر القرآن، فإنَّ ظهور مآل القرآن إنَّما هو في يوم القيامة.

[٢٠] **(الرِّجس هو الشَّكّ):**

هذا تفسير بالمصداق الأهم، فإنَّ الشَّك في الله تعالى وفيما يتعلّق به هو أسوأ أنواع الخبث والقذارة، ومن المصاديق المعصية وغيرها.

وفي المرآة: يمكن أن يكون المراد ما يشمل الشَّك في دينه وأحكامه

---

(١) المفردات: ص٩٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ؛ وَالْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ؛ وَعِمْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مِثْلَ ذَلِكَ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ رَوْحٍ الْقَصِيرِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] فِيمَنْ نَزَلَتْ؟ فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي الْإِمْرَةِ، إِنَّ هَـٰذِهِ الْآيَةَ جَرَتْ فِي وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام[١] مِنْ بَعْدِهِ فَنَحْنُ أَوْلَى بِالْأَمْرِ وَبِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

تعالى وشرائعه، أي ليس لنا شكّ وتحيُّر في شيء من أُمور الدِّين، أو يكون الشَّك في الرَّبّ كناية عن المعصية، فإنَّ من كان في درجة اليقين بالله وباليوم الآخر لا يصدر منه معصية(١).

الحديث الثاني:

[١] **(إنَّ هذه الآية جرت في ولد الحسين عليه السلام)**:

أي بلا تخصيص للآية فيهم، وليس المراد حصر الآية في ولد الحسين، وذلك لأنَّها شاملة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث إنَّه أولى بالرسول صلى الله عليه وآله من سائر المهاجرين والأنصار، بل من سائر قرابات الرسول صلى الله عليه وآله، فهو أقرب من العبَّاس، لأنَّ العبَّاس كان عمّاً لأب فقط، والإمام عليّ عليه السلام ابن عمّ لأب وأمّ، لأنَّ أمّ عبد الله وأبي طالب عليهما السلام واحدة، وسائر أبناء عبد المطلب عليه السلام لأُمَّهات شتَّى ـ وابن العم للأبوين يرث دون العم للأب.

بل الظاهر من الجمع بين الأخبار أنَّ تفسير الآية في الإمام عليّ عليه السلام

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٤٨.

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ[٢]، قُلْتُ: فَوُلْدُ جَعْفَرٍ لَهُمْ فِيهَا نَصِيبٌ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلِوُلْدِ الْعَبَّاسِ فِيهَا نَصِيبٌ؟ فَقَالَ: لَا، فَعَدَدْتُ عَلَيْهِ بُطُونَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا، قَالَ: وَنَسِيتُ وُلْدَ الْحَسَنِ عليه السلام؛ فَدَخَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لِوُلْدِ الْحَسَنِ عليه السلام فِيهَا نَصِيبٌ؟ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ مَا لِمُحَمَّدِيٍّ فِيهَا نَصِيبٌ غَيْرَنَا.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

وتأويلها في ولد الإمام الحسين عليه السلام.

فعن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيرها، قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام، معناه: أنَّه رحم النبي صلى الله عليه وآله، فيكون أولى به من المؤمنين والمهاجرين(١).

[٢] (من المؤمنين والمهاجرين والأنصار):

نـصّ الآيـة: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ وذكر المهاجرين بعد المؤمنين من باب ذكر الخاص بعد العام، وإنَّما خصَّهم بالذِّكر إكمالاً للحجَّة وأنَّه لا حقّ لهم في الإمامة بل هي خاصَّة بأولي الأرحام.

وأمَّا الأنصار فهم داخلون في العام أي ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ذكرهم الإمام عليه السلام تفسيراً للآية.

الحديث الثالث:

[١] (عن قول الله عزَّ وجلَّ):

قد مضى الكلام في الآية في (باب فرض طاعة الأئمَّة) الحديث السابع، فراجع.

---

(١) البرهان: ج٧، ص٥٢٧ عن تأويل الآيات، والبحار: ج٢٣، ص٢٥٨.

[المائدة: ٥٥] قَالَ: إِنَّمَا يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ - أَيْ أَحَقُّ بِكُمْ وَبِأُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ - اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي عَلِيّاً وَأَوْلَادَهُ الأَئِمَّةَ عليهم السلام إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ وَصَفَهُمُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ رَاكِعٌ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ قِيمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ[٢]، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله كَسَاهُ إِيَّاهَا، وَكَانَ النَّجَاشِيُّ أَهْدَاهَا لَهُ، فَجَاءَ سَائِلٌ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللّٰهِ وَأَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ تَصَدَّقْ عَلَى مِسْكِينٍ، فَطَرَحَ الْحُلَّةَ إِلَيْهِ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ أَنِ احْمِلْهَا[٣]، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الآيَةَ، وَصَيَّرَ نِعْمَةَ أَوْلَادِهِ

---

[٢] **(وعليه حلَّة قيمتها ألف دينار):**

في أكثر الأخبار أنَّه عليه السلام تصدَّق بالخاتم الذي كان في يده(١).

وفي هذا الحديث تصريح بأنَّه كان (حُلَّة)، وفي المرآة: يمكن الجمع بينهما بوقوع الأمرين معاً - إمَّا في حالة واحدة أو حالتين -(٢).

أي يمكن أنه عليه السلام تصدَّق بخاتمه وبالحُلَّة معاً، ويمكن وقوع التصدُّق مرَّتين: مرَّة بالخاتم ومرَّة بالحُلَّة فنزلت الآية مرَّتين، وقد دلَّت الأدلَّة على نزول بعض الآيات بل بعض السور مرَّتين، ولعلَّ اشتهار الخاتم لأنَّه كان في المرَّة الأولى، والله العالم.

[٣] **(فطرح الحلَّة إليه وأومأ إليه أن احملها):**

وهذا لا ينافي كمال توجهه عليه السلام إلى الله تعالى في الصلاة، وذلك لأنَّ هذه الصدقة كانت في سبيله تعالى أيضاً.

وفي المناقب: فباهى الله تعالى ملائكته بأمير المؤمنين عليه السلام، وقال: ملائكتي أما ترون عبدي؟ جسده في عبادتي، وقلبه معلَّق عندي، وهو يتصدَّق بماله طلباً لرضاي، أُشهدكم أنِّي رضيت عنه وعن خَلَفه - يعني

---

(١) راجع الروايات - عن العامَّة والخاصَّة - في البحار: ج٣٥، ص١٨٣ - ٢٠٦.

(٢) المرآة: ج٣، ص٢٤٨.

بِنِعْمَتِهِ[٤]، فَكُلُّ مَنْ بَلَغَ مِنْ أَوْلَادِهِ مَبْلَغَ الْإِمَامَةِ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِثْلَهُ، فَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَالسَّائِلُ الَّذِي سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنَ الْمَلَائِكَةِ[٥]، وَالَّذِينَ يَسْأَلُونَ الْأَئِمَّةَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَكُونُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ؛ وَالْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ؛ وَبُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ؛ وَبُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ وَأَبِي الْجَارُودِ ـ جَمِيعاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ[١] ـ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ

ذرِّيَّته ـ ونزل جبرائيل بالآية(١).

[٤] (وصيَّر نعمة أولاده بنعمته):

في الوافي: يعني أتى بصيغة الجمع بعد أن جعل نعمة أولاده شبيهة بنعمته، نظيرة لها، منضمَّة إليها(٢).

وفي المرآة: أي جعل الله نعمة أولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه موصولة بنعمته، مقرونة بها، مذكورة معها... والمراد بالنعمة: التصدُّق في الركوع(٣).

[٥] (من الملائكة):

وفي جملة من الأخبار: أنَّ الناس رأوا السائل، وهذا يدلُّ على إمكان رؤية الناس للملائكة، بل دلَّ القرآن على ذلك أيضاً حيث رأى قوم لوط الملائكة عند لوط عليه السلام.

الحديث الرابع:

[١] (بولاية علي):

أي بتبليغ ولايته.

---

(١) البحار: ج٣٥، ص١٩٠ عن مناقب آل أبي طالب.

(٢) الوافي: ج٢، ص٢٧٨.

(٣) المرآة: ج٣، ص٢٥٠.

يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]. وَفَرَضَ وَلَايَةَ أُولِي الْأَمْرِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا هِيَ، فَأَمَرَ اللَّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله أَنْ يُفَسِّرَ لَهُمُ الْوَلَايَةَ، كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ، فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ ضَاقَ بِذَلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢]، وَتَخَوَّفَ[٣] أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَأَنْ يُكَذِّبُوهُ، فَضَاقَ صَدْرُهُ وَرَاجَعَ رَبَّهُ[٤] عَزَّ وَجَلَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ

---

[٢] **(ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله):**

أي ضاق بما علم من رفض بعض الناس لولاية علي عليه السلام أو بأقاويلهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾(٣)، أي تاركه فلا تبلّغهم إيّاه لأجل استهزائهم بك وضائق صدرك بالوحي لأجل كلامهم، والمقصود أنّ سوء كلامهم يقتضي ذلك لولا عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وتسديد الله تعالى إيّاه.

[٣] **(وتخوّف...):**

هذا علّة الضيق، فليس الضيق من أمر الله تعالى، بل كان الرسول صلى الله عليه وآله راضياً راغباً في كلّ ما أمره الله تعالى، وإنّما تخوّف من ارتدادهم شفقة على الناس كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

[٤] **(وراجع ربّه):**

قال السيّد ابن طاوس رحمه الله: اعلم أنّ موسى نبيّ الله راجع الله تعالىٰ في إبلاغ رسالته، وقال في مراجعته: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾(٥)،

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٧.
(٢) سورة النمل: الآية ٧٠.
(٣) سورة هود: الآية ١٢.
(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٥) سورة القصص: الآية ٣٣.

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ[٥]﴾ [المائدة: ٦٧].

وإنّما قتل نفساً واحدة، أمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّه قد قتل من قريش وغيرهم من القبائل قتلى كثيرة، كلّ واحد منهم يحتمل مراجعة النبي صلى الله عليه وآله، شفيقاً على أُمّته ـ كما وصفه الله جلّ جلاله ـ فأشفق عليهم من الامتحان بإظهار ولاية عليّ عليه السلام في أوان.

ويحتمل أن يكون الله جلّ جلاله أذن للنبي صلى الله عليه وآله في مراجعته لتظهر لأُمّته أنّه ما آثر علياً عليه السلام، وإنّما الله جلّ جلاله آثره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(١)، انتهى(٢).

[٥] (﴿والله يعصمك من الناس﴾):

أي حين تبليغ ولاية علي عليه السلام فإنّ الله يحفظك منهم ومن كيدهم لكي تتمّ البيعة في الغدير.

إذ كان يحتمل أن يتكلّم بعضهم بكلام أو يفعلوا أفعالاً تُسبّب اللغط والاختلاف بما لا تتمّ معه البيعة، فوعد الله سبحانه بأنّه يعصمه من الناس في بيعة الغدير، وقد تمّت البيعة بأتمّ وجه بلا معارضة ولا منغّصات.

وليس المعنى عدم تأذيه صلى الله عليه وآله بأفعالهم وأقوالهم بعد ذلك، فقد سمّوه صلى الله عليه وآله حتى مضى شهيداً(٣)، كما أثاروا اللغط حين وفاته حيث طلب صلى الله عليه وآله كتاباً ودواة ليكتب كتاباً لا يضلّون بعده أبداً، فقال عمر: إنّ الرجل ليهجر!! وكثر الاختلاف في محضره صلى الله عليه وآله وهو في حالة الاحتضار ـ بأبي هو وأُمّي ـ حتّى أنّه طردهم عن بيته، واشتهرت القضية برزية يوم الخميس، ورواها العامّة في أصحّ كتبهم بعبارات مختلفة(٤).

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣ ـ ٤.

(٢) إقبال الأعمال: ج٢، ص٢٤٤، ونقله عنه في المرآة: ج٣، ص٢٥٦.

(٣) رواه العامّة والخاصّة، فقد رواه العياشي في تفسيره: ج١، ص٢٠٠، ومن العامّة رواه ابن كثير في السيرة النبوية: ج٤، ص٤٤٩.

(٤) رواها البخاري في الصحيح عندهم في سبعة مواضع بألفاظ مختلفة منها: ج١، ص٥٤، الحديث رقم١١٤، وغيره.

فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ[٦] تَعَالَى ذِكْرُهُ، فَقَامَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً[٧]، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ أُذَيْنَةَ: قَالُوا جَمِيعاً ـ غَيْرَ أَبِي الْجَارُودِ ـ: وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَكَانَتِ الْفَرِيضَةُ تَنْزِلُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ الْأُخْرَى، وَكَانَتِ الْوَلَايَةُ آخِرَ الْفَرَائِضِ[٨]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

---

[٦] **(فصدع بأمر الله):**

صدع بالحقّ أي تكلّم به جهاراً(١) قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(٢).

[٧] **(الصلاة جامعة):**

عبارة تُقال كناية عن طلب اجتماع النّاس لأمر مهم.

[٨] **(وكانت الولاية آخر الفرائض):**

لا يخفى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد أخبرهم بخلافة الإمام عليّ عليه السلام من أوائل البعثة وبعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ كما روته العامَّة والخاصَّة(٣)، وكذا في مواطن متعدِّدة في المدينة أخبرهم بأنَّ عليّاً عليه السلام خليفته كقوله صلى الله عليه وآله: «أنت أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي»(٤)، وكقوله: «هذا وليّكم من بعدي»(٥) وغيرها كثير.

ولكن لم يأخذ البيعة منهم إلَّا في يوم الغدير، فكانت بيعته عليه السلام آخر الفرائض على المسلمين.

ويحتمل أن يكون آخر الفرائض هو إبلاغهم بأنّها من أُصول الدِّين فعليهم

---

(١) مقاييس اللغة: ص٥٦٤.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٣) دعائم الإسلام: ج١، ص١٥، ومن مصادر العامّة: تفسير ابن كثير: ج١٠، ص٣٧٨، وتفسير الطبري: ج١٩، ص٤١٠.

(٤) انظر: أمالي الصدوق: ص١١٢ وص٤١١، ومن مصادر العامة: كنز العمال: ج١١، ص٦١٠ ـ ٦١١.

(٥) الكافي: ج١، ص٢٥٣، ومن مصادر العامة: المعجم الأوسط للطبراني: ج٦، ص١٦٣، الحديث رقم ٦٠٨٥.

نِعۡمَتِي﴾[٩] [المائدة: ٣] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا أُنْزِلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذِهِ فَرِيضَةً قَدْ أَكْمَلْتُ لَكُمُ الْفَرَائِضَ.

الاعتقاد ومن ثَمَّ الالتزام بها، وقبل ذلك كان مجرَّد إخبار لهم وتكليف بالقبول.

[٩] **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي):**

الفرق بين الإكمال والإتمام، أنَّ (الكمال): اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، و(التمام): اسم للجزء الذي يتمّ به الموصوف، ولهذا يُقال: القافية تمام البيت، ولا يُقال كماله، ويقولون: البيت بكماله، أو باجتماعه(١).

فالمعنى: أنَّ الدِّين يُنظر إليه باعتباره وحدة واحدة، ولكن كلّ نعمة يُنظر إليها بانفرادها، فلذا كانت الولاية كمال الدِّين وتماماً للنعمة.

وقد تواترت الأخبار من الخاصَّة والعامَّة على نزول الآية بعد تبليغ الولاية في يوم الغدير(٢).

بل روت العامَّة استحباب صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجَّة بسند معتبر عندهم عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجَّة كتب الله له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب وقال: ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فقال له عمر: بخٍّ بخٍّ يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾(٣).

---

(١) معجم فروق اللغة: ص١٥ عن أبي هلال العسكري.

(٢) من الخاصَّة تفسير البرهان: ج٣، ص٢٩١، ومن العامَّة راجع: تفسير الرازي: ج١٢، ص٤٠٠؛ والدرّ المنثور: ج٣، ص١١٧؛ وتفسير الثعلبي: ج٤، ص٩٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب: ج٨، ص٢٨٤.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﵇ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَهُ جَالِساً، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: حَدِّثْنِي عَنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ، أَ مِنَ اللّٰهِ أَوْ مِنْ رَسُولِهِ؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَخْوَفَ لِلّٰهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِهِ اللّٰهُ[١]، بَلِ افْتَرَضَهُ كَمَا افْتَرَضَ اللّٰهُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﵇ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﵇ يَقُولُ: فَرَضَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ خَمْساً، أَخَذُوا أَرْبَعاً وَتَرَكُوا وَاحِداً، قُلْتُ أَتُسَمِّيهِنَّ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ فَقَالَ: الصَّلَاةُ، وَكَانَ النَّاسُ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ يُصَلُّونَ، فَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ ﵇ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْهُمْ بِمَوَاقِيتِ صَلَاتِهِمْ[١]، ثُمَّ نَزَلَتِ الزَّكَاةُ

الحديث الخامس:

[١] (من أن يقول: ما لم يأمر به الله):
وأمّا التفويض إليه ﷺ فقد كان من الله تعالىٰ أيضاً، وقد مرَّ أنَّ الله أدَّب نبيّه بآدابه ففوَّض إليه أمر دينه، فالسُّنن التي جعلها الرسول ﷺ كانت طبقاً لما أراه الله تعالى من المصلحة.
وليس الإمامة والولاية من الأمور التي فُوِّضت إليه ﷺ، بل هي بأمر من الله تعالى وتنفيذ من الرسول ﷺ.

الحديث السادس:

[١] (بمواقيت صلاتهم):
أي حدود صلاتهم، كما يُقال: مواقيت الإحرام أي الحدود التي يلزم

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْهُمْ مِنْ زَكَاتِهِمْ مَا أَخْبَرْتَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ[٢]، ثُمَّ نَزَلَ الصَّوْمُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ[٣] بَعَثَ إِلَى مَا حَوْلَهُ مِنَ

الإحرام فيها، والوقت ـ كما في المقاييس(١) ـ أصل يدلُّ على حدّ شيء وكنهه ـ من زمان وغيره ـ.

[٢] **(ما أخبرتهم من صلاتهم):**
أي بيِّن حدود الزكاة، كما بيَّن حدود الصلاة.

صيام عاشوراء

[٣] **(إذا كان يوم عاشوراء. . .) إلخ:**
دلَّ على أنَّ صوم عاشوراء كان قبل صوم شهر رمضان، ثمَّ نُسخ به، وهنا بحوث:

الأوَّل: أنَّ صوم يوم عاشوراء إن كان للشماتة فهو حرام بلا ريب ولا إشكال.

روى عبد الملك عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: وأمَّا يوم عاشوراء فيوم أُصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى، أفصوم يكون ذلك اليوم؟ كلَّا ـ وربِّ البيت الحرام ـ ما هو يوم صوم، وما هو إلَّا يوم حزن ومصيبة ـ إلى أن قال ـ: فمن صام أو تبرَّك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوطاً عليه(٢).

وعن عيسى بن جعفر، قال: سألت الرِّضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني!! ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام، وهو يوم يتشاءم به آل محمَّد ﷺ، ويتشاءم به أهل الإسلام، واليوم الذي يتشاءم به أهل الإسلام لا يُصام ولا يتبرَّك به. . . الحديث(٣).

---

(١) مقاييس اللغة: ص١٠٦١.

(٢) الوسائل: ج١٠، ص٤٦٠، أبواب الصوم المندوب، الباب ٢١، الحديث ٢، عن الكافي.

(٣) المصدر: الحديث ٣ عن الكافي والتهذيب والاستبصار.

الْقُرَى فَصَامُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَنَزَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ بَيْنَ شَعْبَانَ وَشَوَّالٍ[٤]، ثُمَّ نَزَلَ

وعن عبيد بن زرارة عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: من صامه كان حظّه من صيام ذلك اليوم حظّ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظّهم من ذلك اليوم؟ قال: النار، أعاذنا الله من النار، ومن عمل يقرب به من النار(١).

الثاني: ما دلَّ على أنَّ هذا الصوم منسوخ، مثل هذا الحديث، ومثل ما روي عن نجيَّة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، فقال: صوم متروك بنزول رمضان، والمتروك بدعة. قال نجيَّة: فسألت أبا عبد الله عليه السلام من بعد أبيه عليه السلام عن ذلك فأجابني بمثل جواب أبيه ثمَّ قال: أما إنَّه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سُنَّة، إلَّا سُنَّة آل زياد بقتل الحسين بن عليّ عليه السلام(٢).

الثالث: إذا لم يكن للشماتة ولا للسرور بمقتل سيِّد شباب أهل الجنَّة، فمشهور الفقهاء جواز ذلك على كراهة.

وأمَّا ما روي في ثواب صيامه أو استحبابه(٣)، فمحمول على التقيَّة، أو على أنَّ ذلك كان قبل النسخ، أو على أنَّ المراد هو الإمساك عن الأكل والشرب إلى العصر من غير نيَّة الصوم.

فقد روى عبد الله بن سنان عن الصَّادق عليه السلام - في حديث عاشوراء - فقلت له: ما تقول في صومه؟ قال: صُمه من غير تبيت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوماً كاملاً، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة ولو بشربة من ماء(٤).

وإن شئت التفصيل أكثر فراجع موسوعة الفقه للوالد رضوان الله عليه(٥).

[٤] **(بين شعبان وشوال)**:

في المرآة: الظاهر أنَّه لم يكن اشتهار هذا الشهر بهذا الاسم في أوَّل

---

(١) المصدر: الحديث ٤ عن الكافي والتهذيب والاستبصار والمقنعة.

(٢) المصدر: الحديث ٥ عن الكافي والتهذيب والاستبصار.

(٣) المصدر: الباب ٢٠.

(٤) المصدر: الباب ٢١، الحديث ٧ عن مصباح المتهجِّد.

(٥) الفقه، كتاب الصوم: ج٣٧، ص٦٤ فما بعد.

الْحَجُّ فَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام فَقَالَ: أَخْبِرْهُمْ مِنْ حَجِّهِمْ مَا أَخْبَرْتَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ.

ثُمَّ نَزَلَتِ الْوَلَايَةُ، وَإِنَّمَا أَتَاهُ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِعَرَفَةَ[٥]، أَنْزَلَ اللَّهُ

الأمر كاشتهاره اليوم، فرفع بذلك توهم كونه غيره، أو لأنَّه لما كان المشهور أنَّ رمضان من الرمض ـ وهو شدَّة وقع الشمس على الرمل وغيره ـ، وإنَّما سمّوه رمضان، لأنَّهم كانوا يسمّون الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق رمضان أيَّام رمض الحرّ فربَّما توهم أنَّه إنَّما يُسمَّىٰ بهذا الاسم إذا وقع في ذلك الفصل، فرفع بهذا القول ذلك التوهم(١).

أو لأنَّ أهل الجاهلية كانوا يغيِّرون الشهور بالنسيء فأراد عليه السلام بيان موقعه الصحيح من غير نسيء.

تبليغ الولاية

[٥] **قوله: (في يوم الجمعة بعرفة):**

أي أتاه الأمر بتبليغ الولاية في عرفة، وذلك لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى الحجّ في العام العاشر من الهجرة.

فعن الإمام الصَّادق عليه السلام: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ، ثمَّ أنزل الله عزَّ وجلَّ عليه: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(٢) فأمر المؤذِّنين أن يؤذِّنوا بأعلى أصواتهم بأنَّ رسول الله يحجّ في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب، واجتمعوا لحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله...(٣).

وأما من بَعُدَ عن المدينة، فقد كتب إليهم كتاباً يُعْلمهم بذلك، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الحج فكتب إلى من بلغه كتابه ممَّن

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٦٠.

(٢) سورة الحج: الآية ٢٧.

(٣) البحار: ج٢١، ص٣٩٠ عن الكافي.

دخل في الإسلام: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الحجّ، يُؤذنهم ليحجّ من أطاق الحجّ. . .[(١)].

وفي تفسير العياشي: ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله نُسكه، أشرك عليّاً عليه السلام في هديه، وقفل إلى المدينة ـ وهو معه والمسلمون ـ حتَّى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم، وليس بموضع ـ إذ ذاك ـ يصلح للمنزل لعدم الماء فيه والمرعى، فنزل صلى الله عليه وآله في الموضع ونزل المسلمون معه، وكان سبب نزوله في هذا المكان: نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة في الأُمَّة من بعده، وقد كان تقدَّم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له، فأخَّره لحضور وقتٍ يأمن فيه الاختلاف منهم عليه، وعلم الله عزَّ وجلَّ أنَّه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلدانهم وأماكنهم وبواديهم، فأراد أن يجمعهم لسماع النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام وتأكيد الحجَّة عليهم فيه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني في استخلاف علي عليه السلام، والنصّ بالإمامة عليه ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[(٢)] فأكَّد الفرض عليه بذلك وخوَّفه من تأخير الأمر فيه وضمن له العصمة ومنع الناس منه. . . الحديث[(٣)].

الحكمة في التأخير

والحاصل: أنَّ الأمر بالولاية وأخذ البيعة نزل في يوم عرفة، وأوكل الله زمانه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليختار الزمان الأنسب، فأخَّره إلى يوم الثامن عشر من ذي الحجَّة حيث نزل الأمر بالتبليغ فيه.

أقول: لعلَّ الحكمة في التأخير أُمور، منها:

الأوَّل: ما في هذا الحديث الشريف (فأخَّره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه)، وذلك لأنَّ ضبطهم في الحجّ أمر صعب جدّاً

---

(١) المصدر: ص٣٩٦ عن الكافي.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) البحار: ج٢١، ص٣٨٦ ـ ٣٨٧ عن تفسير العياشي، وعن أعلام الورى.

وخاصَّة المسلمون الذين جاؤوا من نجد واليمن وغيرها من المناطق الحديثة عهد بالإسلام حيث أسلموا في العام الثامن بعد فتح مكَّة، فلم يكن قد مضى من إسلامهم إلَّا سنتان أو أقل، وأمَّا أهل المدينة وأطرافها فكانوا قد أسلموا منذ الهجرة مضافاً إلى كون الرسول ﷺ بين أظهرهم بحيث يخاف المنافقون منه.

الثاني: أنَّ الناس في الحجّ كانوا في شُغُل بأعمالهم ومناسكهم وقد بيَّن الرسول ﷺ لهم كثيراً من الأحكام وخاصَّة أحكام الحجّ، فأراد ﷺ أن يُفرد لأخذ البيعة يوماً بعينه ومكاناً خاصّاً لا شُغُل لهم فيه سوى البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ولكي لا يتمكَّن أحد من التغطية على البيعة وإنكارها بعد ذلك.

الثالث: أنَّ رسول الله ﷺ كان قد أخبرهم منذ يوم الإنذار في مكَّة بأنَّ عليّاً عليه السلام خليفته، وكذا في مواطن متعدِّدة في المدينة وغيرها، فأراد - بأمر الله تعالىٰ - إبرام الأمر على أهل المدينة وأطرافها حيث إنَّها العاصمة، وهي التي لها الثقل الأكبر في تثبيت الحاكم أو الانقلاب عليه، فكان أخذ البيعة في منتصف الطريق من أهل المدينة وأطرافها، بحيث لا تبقى حجَّة على أيّ أحدٍ منهم.

وكان شروع الانقلاب من اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وكان غلبة أبي بكر وعمر عليهم بمعونة انقلاب جمع من الأنصار على سعد بن عبادة ثمَّ معونة قبيلة (أسلم) الذين كانوا يقطنون في أطراف المدينة(١).

والله العالم، وله تعالىٰ في خلقه شؤون.

ثمَّ اعلم أنَّ ظاهر الحديث أنَّ نزول الآية كان يوم عرفة، وفي أكثر الأخبار أنَّه كان بعد نصب الإمام علي عليه السلام يوم الغدير(٢).

ويمكن الجمع بينهما بالقول بنزول الآية مرَّتين، أو تأويل هذا الحديث بأن نقول: «وإنَّما أتاه ذلك» الأمر بالتبليغ «في يوم الجمعة بعرفة» من غير

(١) حول تفاصيل السقيفة راجع البحار: ج٢٨، ص١٧٥.

(٢) راجع البرهان: ج٣، ص٢٩٢ فما بعد، والبحار: ج٣٧، ص١٣٧ فما بعد.

عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المَائدة: ٣]. وَكَانَ كَمَالُ الدِّينِ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمَّتِي حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَمَتَى أَخْبَرْتُهُمْ بِهَذَا فِي ابْنِ عَمِّي يَقُولُ قَائِلٌ وَيَقُولُ قَائِلٌ[٦]، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْطِقَ بِهِ لِسَانِي[٧] - فَأَتَتْنِي عَزِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَتْلَةٌ[٨] أَوْعَدَنِي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ أَنْ يُعَذِّبَنِي، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

توقيت بل فوّض الوقت إليه ﷺ، ثمَّ بعد الغدير «أنزل الله عزَّ وجل»... إلخ.

أو يُقال: بأنَّ الآية نزلت في عرفة، وأعلن الرسول ﷺ عنها بعد البيعة في الغدير، كما نزلت الولاية في عرفة وأخَّر الرسول ﷺ الإعلان عنها إلى يوم الثامن عشر.

[٦] **(يقول قائل: ويقول قائل):**

كناية عن كثرة طعنهم فيه ﷺ، أو كناية على اختلافهم في أمر خلافة الإمام علي عليه السلام بين مؤيِّدٍ ومعارض.

[٧] **(من غير أن ينطق لساني):**

ليس بمعنى عدم الرِّضا عن أمر الله، بل بمعنى التفكُّر في العواقب، فقد يكون الإنسان موطِّناً نفسه على امتثال أمر الله تعالى راضياً به راغباً فيه، ومع ذلك يفكِّر في نتيجة فعله، وما دار في فكره ﷺ كان صحيحاً، حيث حاولوا صرف الأمر عن الإمام علي عليه السلام، واتَّهموا رسول الله ﷺ بأنَّه يهجر لما أراد تأكيد الوصية، وإلى الله المشتكى تعالىٰ.

[٨] **(بتلَّة):**

أي جازمة مقطوع بها، من (ب ت ل) بمعنى القطع، ومنه التبتُّل في العبادة، كقوله: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾(١).

---

(١) سورة المزمل: الآية ٨.

بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ عَمَّرَهُ اللَّهُ[٩]، ثُمَّ دَعَاهُ فَأَجَابَهُ، فَأَوْشَكَ[١٠] أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَأَنَا مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ[١١]، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَنَصَحْتَ[١٢] وَأَدَّيْتَ مَا عَلَيْكَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ جَزَاءِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:

---

[٩] **(قد عمّره الله):**

أي أبقاه مدَّة، ثمَّ دعاه إلى جواره فقبض روحه، والإجابة بمعنى عدم الامتناع إمَّا اضطراراً أو اختياراً، كما في البعث قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾(١).

[١٠] **(فأوشك):**

فعل مبني على المعلوم، إمَّا فعل ماض بمعنى قَرُب فـ«أن أُدعى» فاعله، أو فعل مضارع ـ صيغة المتكلِّم بضمّ الكاف ـ والفاعل الضمير، و«أن أدعى» منصوب على التميز.

من السرعة، و(أوشك فلان خروجاً) أي أسرع وعجل(٢).

[١١] **(وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون):**

كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٣).

[١٢] **(ونصحت):**

«النصح» تحرِّي فِعل أو قول فيه صلاح صاحبه(٤)، وهو ضدّ الغش، والناصح: من يُرشد الناس إلى ما فيه صلاحهم من غير اختلاط النيَّة بغرض آخر.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٢.

(٢) المقاييس: ص١٠٥٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٦.

(٤) المفردات: ص٨٠٨.

اللَّهُمَّ اشْهَدْ[١٣] ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: هَذَا وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ؑ: كَانَ ـ وَاللَّهِ ـ عَلِيٌّ ؑ أَمِينَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَغَيْبِهِ وَدِينِهِ[١٤] الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَ فَدَعَا عَلِيّاً فَقَالَ: يَا عَلِيُّ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَئْتَمِنَكَ عَلَى مَا ائْتَمَنَنِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْبِهِ وَعِلْمِهِ[١٥] ....

---

[١٣] (اللَّهم اشهد):

أي اشهد عليهم ـ وذلك بإقرارهم بإتمام الحجَّة عليهم ـ، أو اشهد لي بذلك أي بالبلاغ والنصح والأداء بإقرارهم.

[١٤] (أمين الله على خلقه وغيبه ودينه):

أي أمين من قِبل الله تعالىٰ على هذه الأُمور، فعَمِل عليٌّ ؑ فيها حسب مشيئة الله وإرادته.

فهو أمين على الناس بمعنى أنَّه سار فيهم طبقاً لموازين الشرع، فكان يُؤْثِر رضى الله تعالىٰ على رضىٰ غيره، وكان يمكنه النصر بالجور لكنَّه رفض ذلك ابتغاءً لمرضاة الله تعالى.

وهو أمين الله على غيبه ـ من العلوم والقضايا الغيبيَّة ـ فلم يُذعها إلَّا بما أمر الله تعالىٰ به.

وهو أمينه تعالىٰ على دينه، فبيَّن للناس دين الله حسب ما علَّمه رسوله ﷺ بلا زيادة أو نقيصة.

[١٥] (من غيبه وعلمه):

عطف تفسيري، وبيان أنَّ المراد من الغيب هو العلم الذي أنزله الله تعالىٰ من علوم المنايا والبلايا والأنساب وما كان وما يكون وغير ذلك، وقد مرَّت الإشارة إليها في بعض الأحاديث السابقة.

وتدلُّ (مِنْ) على أنَّ العطف تفسيري، حيث جاءت قبل الأُمور الثلاثة ولم

وَمِنْ خَلْقِهِ وَمِنْ دِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ[١٦]، فَلَمْ يُشْرِكْ وَاللَّهِ[١٧] فِيهَا يَا زِيَادُ[١٨] أَحَداً مِنَ الْخَلْقِ. ثُمَّ إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ، فَدَعَا وُلْدَهُ ـ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ ذَكَراً[١٩] ـ فَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَبَى

تأت قبل العلم حيث قال عليه السلام «من غيبه وعلمه، ومن خلقه، ومن دينه».

[١٦] **(ودينه الذي ارتضاه لنفسه):**

أي رضي بنسبة ذلك الدِّين إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١)، وحيث إنَّ الله سبحانه رضي بأن يكون الإسلام دينه لذلك رضي لهم ذلك فقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢)، للتلازم بين الأمرين.

[١٧] **(فلم يشرك والله):**

أي لم يشرك الرسول صلى الله عليه وآله أحداً من الناس مع الإمام علي عليه السلام في الأمانة على الخلق والدِّين والغيب.

[١٨] **(يا زياد):**

زياد هو أبو الجارود راوي الحديث، ذكر اسمه الإمام الباقر عليه السلام زيادة للالتفات.

[١٩] **(وكانوا اثني عشر ذكراً):**

وهم الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وأُمّهم فاطمة الزَّهراء عليها السلام. والعبَّاس وجعفر وعثمان وعبد الله وأُمّهم أُمّ البنين عليها السلام. ومحمَّد الأصغر وعبيد الله وأُمّهما ليلى بنت مسعود الدارمية، وهؤلاء الستة عليهم السلام استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء. ومحمَّد ابن الحنفية. وعمر وأُمّه أُمّ حبيب بنت ربيعة. ويحيىٰ وعون وأُمّهما أسماء بنت عميس، ذكر ذلك الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦.

(٣) ونقله عنه في المرآة: ج٣، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ واختصرناه.

إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ فِيَّ سُنَّةً مِنْ يَعْقُوبَ، وَإِنَّ يَعْقُوبَ دَعَا وُلْدَهُ[٢٠] ـ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ ذَكَراً ـ، فَأَخْبَرَهُمْ بِصَاحِبِهِمْ[٢١]، أَلَا وَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ، أَلَا إِنَّ هٰذَيْنِ ابْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ـ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام ـ فَاسْمَعُوا لَهُمَا وَأَطِيعُوا وَوَازِرُوهُمَا[٢٢]، فَإِنِّي قَدِ ائْتَمَنْتُهُمَا عَلَى مَا ائْتَمَنَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِمَّا ائْتَمَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ وَمِنْ غَيْبِهِ وَمِنْ دِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ.

فَأَوْجَبَ اللَّهُ لَهُمَا مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام[٢٣] مَا أَوْجَبَ لِعَلِيٍّ عليه السلام مِنْ

وكلّ هؤلاء كانوا أحياء حين استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وله من الأبناء المحسن السقط عليه السلام قُتل قبل أن يُولد.

[٢٠] **(وإنَّ يعقوب دعا ولده):**

وقد أخبر الله تعالى بطَرَف من وصية يعقوب في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١).

[٢١] **(فأخبرهم بصاحبهم):**

وهو يوسف عليه السلام.

[٢٢] **(وازروهما):**

في المفردات: والموازرة: المعاونة، يُقال: وازرت فلاناً موازرة: أعنته على الأمر(٢).

[٢٣] **(فأوجب لهما الله من عليّ. . .) إلخ:**

هذا من كلام الإمام الباقر عليه السلام أي أثبت الله خلافتهما للإمام علي عليه السلام، كما أثبت خلافة علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

(٢) المفردات: ص٨٦٨.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمَا فَضْلٌ عَلَى صَاحِبِهِ[٢٤] إِلَّا بِكِبَرِهِ[٢٥]، وَإِنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ إِذَا حَضَرَ الْحَسَنُ لَمْ يَنْطِقْ[٢٦] فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حَتَّى يَقُومَ. ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ عليه السلام حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ فَسَلَّمَ ذَلِكَ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام. ثُمَّ إِنَّ حُسَيْناً حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ، فَدَعَا ابْنَتَهُ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَدَفَعَ إِلَيْهَا[٢٧] كِتَاباً مَلْفُوفاً وَوَصِيَّةً ظَاهِرَةً[٢٨]، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ

---

[٢٤] **(فضل على صاحبه):**

أي التساوي في الإمامة والوصية، نعم في بعض الجهات الأخرى فالإمام الحسن عليه السلام أفضل كما دلَّت عليه الأدلَّة، وعن الإمام الحسين عليه السلام أنَّه قال في يوم عاشوراء: «وأخي خير منِّي»(١).

[٢٥] **(إلَّا بكبره):**

وقد مرَّ في (باب الأمور التي توجب حجَّة الإمام عليه السلام) أنَّ الإمامة في أكبر الأولاد الأحياء إن لم يكن به عاهة.

[٢٦] **(لم ينطق):**

أي في الأُمور المرتبطة بالإمامة كبيان الأحكام والقضاء ونحو ذلك.

[٢٧] **(فدفع إليها):**

هذا الكتاب غير ودائع النُّبوَّة والإمامة التي ائتمن الإمام الحسين عليه السلام عليها أُمّ سلمة رضوان الله عليها حين خروجه من المدينة، وقبضها منها الإمام زين العابدين عليه السلام بعد رجوعه.

[٢٨] **(كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة):**

العطف للتفسير كما يظهر من التتمة التي ستأتي في الحديث الأوَّل من (باب الإشارة والنصّ على علي بن الحسين صلوات الله عليهما) وفيها بيان ما في هذا الكتاب، وهي:

---

(١) إرشاد المفيد: ج٢، ص٩٤.

الْحُسَيْنِ عليه السلام مَبْطُوناً[٢٩] لا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّهُ لِمَا بِهِ[٣٠]، فَدَفَعَتْ فَاطِمَةُ الْكِتَابَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ صَارَ وَاللَّهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ إِلَيْنَا.

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مِثْلَهُ.

قال: قلت: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟

قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم، منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدُّنيا، والله إنَّ فيه الحدود حتى أنَّ فيه أرش الخدش..

ويحتمل أن يكون تسليم الكتاب لها في المدينة أو في مكَّة قبل الخروج إلى كربلاء، هذا فضلاً عن سائر الكتب والودائع التي سلَّمها عليه السلام إلى أمّ سلمة رضوان الله عليها.

أو أنَّه عليه السلام سلَّمها لها في كربلاء وحفظه الله عن النهب بطريقة إعجازية.

ولعلَّ تسليم الكتب إلى أُمّ سلمة وإلى فاطمة بنت الحسين بغرض أن ينتشر خبر ذلك بين الناس أو بين القربى، تثبيتاً لإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام لكي لا يدَّعيها أحد من بني هاشم أو غيرهم(١).

[٢٩] (مبطوناً):

في المقاييس: «المبطون»: العليل البطن(٢).

[٣٠] (لا يرون إلَّا أنَّه لما به):

كناية عن الإشراف على الموت، أي لا يظنون إلَّا أنَّه مُقبل على الموت الذي ينزل به.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٦٤.

(٢) المقاييس: ص١٢٠، والمفردات: ص١٣٠.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ صَبَّاحِ الْأَزْرَقِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُخْتَارِيَّةِ[١] لَقِيَنِي فَزَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ إِمَامٌ، فَغَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام، ثُمَّ قَالَ: أَفَلَا قُلْتَ لَهُ[٢]؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا

الحديثا السابع:

[١] **(من المختارية):**

أي أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهم جماعة يُقال لهم: الكيسانية، اعتقدوا إمامة محمَّد ابن الحنفيَّة.

واعلم أنَّه قد اختلفت الروايات والأقوال في شأن المختار ـ بين مدح وذمّ ـ فهل هو الذي ابتدع الكيسانية أم بعض أتباعه؟

قال العلَّامة المجلسي ـ بعد ذكره خبراً في شأنه ـ: كأنَّ هذا الخبر وجه الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا الباب، بأنَّه وإن لم يكن كاملاً في الإيمان واليقين، ولا مأذوناً فيما فعله صريحاً من أئمَّة الدِّين، لكن لمَّا جرى على يديه الخيرات الكثيرة، وشفي بها صدور قوم مؤمنين، كانت عاقبة أمره آيلة إلى النجاة، فدخل بذلك تحت قوله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(١)، وأنا في شأنه من المتوقفين، وإن كان الأشهر بين أصحابنا أنَّه من المشكورين(٢).

[٢] **(أفلا قلت له):**

أي لماذا لم تجبه، أو بتقدير المفعول، أي لماذا لم تقل له ما يكون حجَّة عليه.

وحاصل جواب الإمام عليه السلام، أنَّ محمَّداً ابن الحنفية لا وصية عليه من

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

(٢) البحار: ج٤٥، ص٣٣٩، وراجع كلام ابن نما رحمه الله في مدحه في المصدر: ص٣٨٦ ـ ٣٨٧.

وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ، قَالَ: أَفَلَا قُلْتَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَلَمَّا مَضَى عَلِيٌّ عليه السلام أَوْصَى إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَلَوْ ذَهَبَ يَزْوِيهَا[٣] عَنْهُمَا لَقَالَا لَهُ: نَحْنُ وَصِيَّانِ مِثْلُكَ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، وَأَوْصَى الْحَسَنُ إِلَى الْحُسَيْنِ، وَلَوْ ذَهَبَ يَزْوِيهَا عَنْهُ لَقَالَ: أَنَا وَصِيٌّ مِثْلُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَبِي، وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] هِيَ فِينَا وَفِي أَبْنَائِنَا.

رسول الله ﷺ، ولا تشمله الأدلّة العامّة ـ كآية ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ـ بل شملت الإمام زين العابدين عليه السلام.

والحاصل: أنّه لم يقم على إمامته لا دليل خاص ولا دليل عام.

[٣] **(يزويها عنهما)**:

بمعنى يصرفها عنهما إلى غيرهما.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ الْجَهْمِ الْهِلَالِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَتْ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَكَانَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: سَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ مِمَّا أَكَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ـ يَا زَيْدُ[١] ـ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَهُمَا[٢]:

الحديث الأوّل:

[١] **(يا زيد):**

خاطب الإمام راوي الحديث، وهو زيد بن الجهم، لزيادة الإلفات.

[٢] **(قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما):**

وقد روى العياشي في تفسيره تفصيل القول، وهو: لمَّا سلَّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله للأوَّل: قم فسلِّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقال: أ مِن الله ورسوله يا رسول الله؟ فقال: نعم من الله ومن رسوله. ثمَّ قال لصاحبه: قم فسلِّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقال: أمن الله ومن رسوله؟ قال: نعم من الله ومن رسوله. ثمَّ قال: يا مقداد، قم فسلِّم على عليّ بإمرة المؤمنين، قال: فقام وسلَّم ولم يقل ما قال صاحباه. ثمَّ قال: قم يا أبا ذرّ، فسلِّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقام وسلَّم، ثمَّ قال: قم يا سلمان وسلِّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقام وسلَّم. قال: حتى إذا خرجا، وهما يقولان: لا والله، لا نسلِّم له ما قال أبداً. الحديث(١).

---

(١) تفسير البرهان: ج٥، ص٦٠٠ عن تفسير العياشي.

قُومَا فَسَلِّمَا عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَا: أَمِنَ اللَّهِ أَوْ مِنْ رَسُولِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٣]: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ

---

[٣] (فأنزل الله عزَّ وجلَّ):

تفسير الآيات من سورة النحل:

ففي التقريب: ولقد كان بعض المعاهدين مع الرسول صلى الله عليه وآله ينقضون عهدهم معه، بحجّة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه قلّة ضعيفة، وأنَّ قريشاً وسائر الكفّار كثرة قوية(١).

وفي مستفيض الأحاديث ومنها هذا الحديث: إنَّ الآية نزلت في نكثهم للبيعة في الغدير، ولعلّه من أبرز المصاديق للآية.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ كل عهد أوجب الله الوفاء به، والإمامة من عهوده تعالى كما قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٢) ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ جمع يمين بمعنى الحلف، أي لا تخالفوا متعلّق اليمين ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي توثيقها بذكر الله تعالى، ومنها بيعتكم الإمام علياً عليه السلام في الغدير، حيث أكّدت البيعة هذا الميثاق والعهد ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ إذ ذكره تعالىٰ إنّما هو بمعنى جعله سبحانه كفيلاً بإنجاز الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه، ثمّ إنَّ الله تعالى يضرب مثلاً لنقض العهد ليتضح قلّة عقل الناقضين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي﴾ أي كالمرأة التي ﴿نَقَضَتْ﴾ فلّت ﴿غَزْلَهَا﴾ أي ما غزلته ﴿مِن بَعْدِ﴾ فتلٍ بـ﴿قُوَّةٍ﴾ وإحكام ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نكث وهو إرجاع المغزول إلى حالته الأولى قبل الغزل، و«إنكاثاً» إمّا مفعول ثانٍ لـ«نقضت»، أو حال من «غزلها»، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنَّ التي نقضت غزلها: امرأة من بني تَيم بن مرّة، يُقال لها: رَيطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن

---

(١) التقريب: ج٣، ص٢٥٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

غالب، كانت حمقاء تغزل الشَّعر، فإذا غزلته نقضته ثمَّ عادت فغزلته[١]، وتأويله بمن نقضت البيعة[٢] ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا﴾ مكراً وحيلة، وفي المفردات: «الدخل» كناية عن الفساد والعداوة[٣]، وأصله الدخول في الشيء على وجه الفساد، وإنَّما تنقضون العهد كراهية ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أخرى التي تعاهدتم معها، فقد كانت قريش إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أولئك الأعداء، وهكذا من نقض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام حيث زعموا أنَّ أئمَّتهم أفضل من أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو زعموا أنَّهم أفضل منه فاحتلوا موقعه.

وليس إمهال الله للناقضين إلَّا لأجل الامتحان فـ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ بالوفاء أو بكون أُمَّة أربى من أُمَّة، كما يختبركم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمَّ إنَّ لهذا الامتحان أمداً ينتهي عنده ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ بياناً يعقبه الجزاء ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، وذلك لأنَّ الدُّنيا دار امتحان فلذا خلق الله الإنسان مختاراً، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يجبركم جميعاً على الهداية ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على نهج الحقّ ﴿وَلَـٰكِن﴾ يبطل حينئذٍ الثواب والعقاب بل وتبطل أيضاً الحكمة من الخلق فلذا خلقكم مختارين فـ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بتركه من غير توفيق وذلك لسوء اختياره، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق وذلك لحسن اختياره، ﴿وَ﴾ إذا انتهت الدُّنيا ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ سؤالاً يعقبه المجازاة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثمَّ إنَّ الله تعالى أكَّد وجوب الوفاء بالعهد وعدم نقضه فقال: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ فهنا تصريح بالنهي وفي الآية السابقة تضمين النهي ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ عن الحقّ بسبب النقض ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ بالعهد والإيمان، وقيل: إفراد وتنكير «قدم» للدلالة على أنَّ زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام

(١) البرهان: ج٦، ص٥٩٩.
(٢) المصدر: ص٦٠١ عن تفسير العياشي.
(٣) المفردات: ص٣٠٩.

ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾، يَعْنِي بِهِ[٤] قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمَا، وَقَوْلَهُمَا أَمِنَ اللَّهِ أَوْ مِنْ رَسُولِهِ؟ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ﴾ أَئِمَّةٌ هِيَ أَزْكَى مِنْ أَئِمَّتِكُمْ[٥]، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَئِمَّةٌ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ أَئِمَّةٌ، قُلْتُ: فَإِنَّا نَقْرَأُ أَرْبَى، فَقَالَ: مَا أَرْبَى[٦]؟ ....

كثيرة ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ في الدُّنيا نتيجة للنقض ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ الوفاء من سبيله تعالىٰ فبنقضكم منعتم عنه، أو لأنَّكم بالنقض جرَّأتم الآخرين عليه ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخرة.

[٤] **(يعني به):**

«به» أي بقوله: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾.

[٥] **(أن تكون أئمَّة هي أزكىٰ من أئمَّتكم):**

هذا المقطع لبيان معنى الآية، أي: إنَّ (أربىٰ) بمعنى (أزكىٰ) لأنَّ كليهما بمعنى النمو، وكذا (الأُمَّة الأربىٰ) هم غير أئمَّتكم، و(أُمَّتكم) هي أئمَّتكم.

وقيل: لعلَّ ذلك من قراءتهم.

أقول: قد مرَّ مراراً أنَّ قراءتهم عليهم السلام هي القراءة المشهورة المتداولة، وأمثال هذه الروايات إنَّما هي مقام التفسير أو التأويل، وهذا أسلوب متعارف في طريقة التفسير حتى في خطباء عصرنا.

[٦] **(فقال: وما أربىٰ؟):**

أي أليس معنى (أربىٰ) هو (أزكىٰ)؟ لأنَّه من (ر ب و) بمعنى العلو والزيادة والنماء(١)، و(ز ك و) أصل يدلُّ على نماء وزيادة(٢).

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٤١٩.

(٢) راجع المصدر: ص٤٣٦.

ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ فَطَرَحَهَا[٧] ـ ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يَعْنِي بِعَلِيٍّ عليه السلام ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ يَعْنِي بَعْدَ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ عليه السلام[٨] ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي بِهِ عَلِيّاً عليه السلام[٩] ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩١ ـ ٩٤].

---

[٧] **(وأومأ بيده فطرحها):**

في الوافي: وكأنَّه عليه السلام أراد بقوله «ما أربىٰ» وتعجُّبه وطرح يده، أن أربىٰ هٰهنا ليس معناه إلَّا (أزكىٰ)، وكذلك قراءته بالأئمَّة إشارة إلى أنَّ (الأُمَّة) في الموضعين أريد بها الأئمَّة خاصَّة[١].

ثمَّ إنَّه يُراد من إضافة الإشارة إلى القول تقوية الكلام، فإنَّ السامع يسمع بأذنه، فلو رأى بعينه أيضاً كان أوقع في النفس وأحسن للفهم.

[٨] **(يعني بعد مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام):**

أي إنَّ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام عليّ عليه السلام هو سبب ثبوت القدم، فيكون نقصه زللاً للأقدام.

وبعبارة أُخرى ـ كما في المرآة[٢] ـ لعلَّه عليه السلام فسَّر الثبوت: بما يوجب الثبوت ويقتضيه ـ من النصّ الصريح عليه عليه السلام ـ.

[٩] **(يعني به عليّاً عليه السلام):**

أي يعني بسبيل الله عليّاً عليه السلام إذ اتِّباع أمير المؤمنين عليه السلام يوصل الإنسان إلى قرب الله وثوابه.

---

(١) الوافي: ج٢، ص٢٨١.

(٢) المرآة: ج٣، ص٢٦٨.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ؛ وَأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَمَّا أَنْ قَضَى مُحَمَّدٌ نُبُوَّتَهُ[١]، وَاسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ[٢]، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ، قَدْ قَضَيْتَ نُبُوَّتَكَ، وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ[٣] وَالْإِيمَانَ وَالِاسْمَ الْأَكْبَرَ

الحديث الثاني:

[١] **(أن قضى محمَّد نبوَّته):**
أي أحكم أمر نبوَّته، لأنَّ مادَّة (ق ض ي) تدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانه وإنفاذه لجهته(١).

[٢] **(واستكمل أيَّامه):**
أي أتمّ المقدار الذي قدَّره الله له صلى الله عليه وآله من الحياة في هذه الدُّنيا.

[٣] **(فاجعل العلم الذي عندك...) إلخ:**
ولعلَّ الفرق أنَّ:
١ ـ «العلم» هو ما أوحاه الله تعالىٰ إليه، كعلوم القرآن، وعلم ما كان وما يكون، ونحو ذلك.
٢ ـ و«الأيمان» بفتح الهمزة بمعنى المواثيق، أو بكسرها بمعنى المعرفة، أي أخبر الإمام عليّاً عليه السلام بهذه الدرجة القصوى منها.
٣ ـ و«الاسم الأكبر»: كتب الأنبياء السابقين ـ كما سيأتي تفسيره بذلك في الحديث اللاحق ـ.
٤ ـ و«ميراث العلم»: سائر علوم الأنبياء والأوصياء ممَّا لم يكن في كتبهم.
٥ ـ و«آثار علم النُّبوَّة»: أي ودائع الأنبياء كعصا موسى عليه السلام وثوب

---

(١) مقاييس اللغة: ص٨٦١.

وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ وَآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[٤]، فَإِنِّي لَنْ أَقْطَعَ[٥] الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالِاسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ وَآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ مِنَ الْعَقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، كَمَا لَمْ أَقْطَعْهَا مِنْ ذُرِّيَّاتِ الْأَنْبِيَاءِ[٦].

إبراهيم عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام ونحو ذلك، وإنّما سُمِّيت (آثار علم النُّبوَّة) لأنَّ تأثيرها كان بسبب علم الأنبياء ـ كعلمهم بالاسم الأعظم ـ، أو لأنَّها كانت بحوزة من لهم علم النُّبوَّة.

واعلم أنَّ بعض ما ذكرناه إنَّما هو على سبيل الاحتمال، والله العالم بحقيقة مراد أوليائه عليهم السلام.

[٤] **(في أهل بيتك عند عليّ بن أبي طالب):**

«في» متعلِّقة بـ (اجعل)، و«عند. . .» بدل، أي اجعلها في أهل بيتك، اجعلها عند الإمام عليّ عليه السلام.

ويحتمل ـ على بُعد ـ أن تكون (في) متعلِّقة بـ(آثار) فتكون تكميلاً للأمر الخامس أي (آثار علم النُّبوَّة في أهل البيت)، فتأمَّل.

[٥] **(فإنّي لن أقطع. . .) إلخ:**

وقد مرَّ أنَّ العلم الذي هبط مع آدم عليه السلام ومع سائر الأنبياء لم يرفع بل انتقل من نبي إلى نبي آخر أو وصي، وهكذا إلى أن وصل إلى رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

[٦] **(من ذرِّيّات الأنبياء):**

كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾(١)، فهم ورثوا العلم ونحوه عن آبائهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾(٢).

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ؛ وَغَيْرُهُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ـ جَمِيعاً ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ؛ وَعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الدَّيْلَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: أَوْصَى مُوسَى عليه السلام إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ[٢]، وَأَوْصَى يُوشَعُ بْنُ نُونٍ إِلَى وَلَدِ هَارُونَ، وَلَمْ يُوصِ إِلَى وَلَدِهِ، وَلَا إِلَى وَلَدِ

الحديث الثالث:

[١] (عن أبي عبد الله عليه السلام):

حاصل الحديث أنَّ اختبار الأوصياء بيد الله تعالىٰ، ولم يجعله لأوليائه، بل يأمرهم تعالىٰ فيبلِّغون ما أمرهم، فكان كلُّ سابقٍ يوصي بالذي يخلفه، ويبشِّر بالرسول القادم من أولي العزم، فلذا أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع عليه السلام وبشَّر بعيسى عليه السلام، وعيسى أوصى إلى المستحفظين من الحواريين وبشَّر برسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، وهكذا نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وآله عيَّن خلفائه بأمر من الله تعالىٰ.

وفي هذا الحديث بيان جملة من الآيات والأحاديث التي وردت في الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام.

[٢] (أوصىٰ موسىٰ عليه السلام إلى يوشع بن نون):

لأنَّ هارون عليه السلام مات في حياة موسى عليه السلام، ولو بقي حيّاً لكان أولى من يوشع، إذ كان خليفة موسىٰ عليه السلام على بني إسرائيل - بِمَنْ فيهم يوشع عليه السلام - في جميع المواقف التي كان يغيب عنها موسىٰ عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(١)، ولكن لمَّا مات هارون عليه السلام جعل الله تعالى يوشع عليه السلام وصيّاً، ولم يجعل الوصية في أولاد موسىٰ عليه السلام، فلما مات يوشع عليه السلام جعل الله الوصية في ولد هارون عليه السلام، وفي ذلك دلالة على أنَّ الاختيار بيد الله تعالىٰ.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

مُوسَى، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ الْخِيَرَةُ[٣]، يَخْتَارُ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ يَشَاءُ[٤]، وَبَشَّرَ مُوسَى وَيُوشَعُ بِالْمَسِيحِ عليه السلام، فَلَمَّا أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَسِيحَ عليه السلام قَالَ الْمَسِيحُ لَهُمْ: إِنَّهُ سَوْفَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ اسْمُهُ أَحْمَدُ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام، يَجِيءُ بِتَصْدِيقِي وَتَصْدِيقِكُمْ[٥]، وَعُذْرِي وَعُذْرِكُمْ[٦]، وَجَرَتْ

---

[٣] **(إنَّ الله تعالىٰ له الخيرة):**

كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١)، فمن له الخلق له الاختيار أيضاً لا لغيره، فهو يخلق ما يشاء ويختار مَن يشاء.

[٤] **(ممَّن يشاء):**

أي من ذرِّيَّة من شاء تعالىٰ.

[٥] **(بتصديقي وتصديقكم):**

أمَّا تصديق عيسى عليه السلام، ففي آيات كثيرة من القرآن بيان لنبوَّته وصحَّة ولادته ومعجزاته.

وأمَّا تصديقهم، ففي الآيات المادحة للحواريين بأنَّهم آمنوا بعيسى عليه السلام واتبعوه كقوله تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾(٢).

[٦] **(وعذري وعذركم):**

في الوافي: حجَّتي وحجَّتكم، من قولهم: (أعذر) إذا احتجَّ لنفسه، أو براءتي ممَّا رُميت به من السوء، وبراءتكم من متابعة من كان متصفاً بمثله(٣). كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٢) سورة الصف: الآية ١٤.

(٣) الوافي: ج٢، ص٣١٨.

مِنْ بَعْدِهِ فِي الْحَوَارِيِّينَ[٧] فِي الْمُسْتَحْفَظِينَ[٨]، وَإِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

عَلَّمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾(١).

[٧] **(وجرت من بعده في الحواريين):**

أي جرت الوصية، وعن الإمام الرِّضا عليه السلام: أما عند الناس فإنَّهم سُمّوا حواريين لأنَّهم كانوا قصَّارين يخلِّصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخُبز الحَوَّارَى، وأما عندنا فسُمِّي الحواريُّون حواريِّين لأنَّهم كانوا مخلِّصين في أنفسهم ومخلِّصين لغيرهم من أوساخ الذُّنوب بالوعظ والتذكير(٢).

وأصله من (ح و ر) بمعنى شدَّة البياض أو التبييض، ومنه: الحور العين لشدَّة بياض العين في شدَّة سوادها وذلك أجمل العيون(٣).

[٨] **(من المستحفظين):**

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾(٤).

وتفسيرها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يجلو المشكلات، ولعلَّ الفرق بينهما اعتباري أو العطف تفسيري، ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ بالتوراة ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ لله تعالىٰ وأذعنوا لحكمه، وكان حكمهم ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي بين اليهود، ﴿وَ﴾ كذا يحكم بها **﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾** جمع «ربَّانيّ» منسوب إلى الرَّبّ من غير قياس، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ جمع «حبر» ـ بكسر الحاء وفتحها ـ وهو العالم، وروي أنَّ الربَّانيِّين هم الأئمَّة دون الأنبياء، والأحبار هم العلماء دون الربَّانيين، وإنَّما يحكم هؤلاء بالتوراة ﴿بِمَا﴾

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) البرهان: ج٢، ص٤٠٦ عن علل الشرائع، والحُوَّارىٰ الطحين الأبيض وهو لباب الدقيق، والخبز الحوارى هو الخبز المعمول من هذا الطحين.

(٣) للتفصيل راجع المقاييس: ص٢٦٩، والمفردات: ص٢٦٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

الْمُسْتَحْفَظِينَ لِأَنَّهُمُ اسْتُحْفِظُوا الِاسْمَ الْأَكْبَرَ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي يُعْلَمُ[٩] بِهِ عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ[١٠] صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى[١١]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا﴾ [الروم: ٤٧] ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] الْكِتَابُ الِاسْمُ الْأَكْبَرُ، وَإِنَّمَا عُرِفَ[١٢] مِمَّا يُدْعَى

أي بسبب الذي ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ أي كلّفهم الله ﴿مِن﴾ حفظ ﴿كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا﴾ هؤلاء الأنبياء والربّانيون والأحبار ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على كون هذا الكتاب من عند الله تعالىٰ، وأنَّ ما فيه حقّ وصدق ﴿شُهَدَآءَ﴾.
ثمَّ إنَّ قوله: «في الحواريين في المستحفظين» بدل كلّ عن بعض، فقد جرت الوصية في الحواريين وهم من المستحفظين ثمَّ بعدهم في سائر المستحفظين.

[٩] **(وهو الكتاب الذي يعلم... إلخ):**
المراد جنس الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ﴾(١).

[١٠] **(الذي يعلم به علم كلّ شيء الذي كان مع الأنبياء):**
«الذي» صفة لـ(كلّ شيء)، والمعنى الكتاب الجامع لعلوم الأنبياء عليهم السلام، أو كلّ شيء كان مع الأنبياء ـ من علم أو غيره ـ مذكور في الكتاب.

[١١] **(يقول الله تعالىٰ):**
استشهاد بآيتين: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(٣) ويمكن أن يكون استشهاد بالآية الثانية مع نقل صدرها بالمعنى.

[١٢] **(الكتاب الاسم الأكبر وإنّما عرف...) إلخ:**
أي الكتب السّماويّة هي الاسم الأكبر، المعروف في هذا الزمان بين

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

الْكِتَابَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْفُرْقَانُ، فِيهَا كِتَابُ نُوحٍ، وَفِيهَا كِتَابُ صَالِحٍ، وَشُعَيْبٍ، وَإِبْرَاهِيمَ عليه السلام. فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]. فَأَيْنَ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ[١٣]، إِنَّمَا صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ الِاسْمُ الْأَكْبَرُ، وَصُحُفُ مُوسَى الِاسْمُ الْأَكْبَرُ، فَلَمْ تَزَلِ الْوَصِيَّةُ فِي عَالِمٍ بَعْدَ عَالِمٍ حَتَّى دَفَعُوهَا إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله أَسْلَمَ لَهُ الْعَقِبُ مِنَ الْمُسْتَحْفِظِينَ[١٤]، وَكَذَّبَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَيْهِ: أَنْ

الناس منها ثلاثة ـ التوراة والإنجيل والقرآن ـ، وهناك كتب أُخرى غير معروفة لدى الناس ككتاب نوح وصالح.. .إلخ مع أنَّ الله ذكر بعضها ـ كصحف إبراهيم ـ ومع ذلك هي غير معروفة عند الناس.

[١٣] **(فأين صحف إبراهيم)**:

لعلَّ الغرض هو ردّ على من زعم أنَّ المستحفظين هم أحبار اليهود، فيُقال في ردّ هذا الزعم، أنَّه لا يوجد عند الأحبار صحف إبراهيم، ولو كانوا هم المستحفظين للزم كون تلك الصحف عندهم لقوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(١)، مضافاً إلى أنَّ أحبار اليهود حاربوا رسول الله محمَّداً صلى الله عليه وآله ولم يسلِّموه شيئاً، فلا بُدَّ أن يكون الأوصياء هم المستحفظون وقد انتقلت هذه الكتب من وصي إلى وصي إلى أن سلَّمها آخرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

[١٤] **(العقب من المستحفظين)**:

في المرآة: فالمراد بالعقب من المستحفظين: الأوصياء، أي أولادهم، بل ظاهره أنَّ العقب لم يكونوا من بني إسرائيل، فالمراد بهم أبو طالب وأمير المؤمنين(٢).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) المرآة: ج٣، ص٢٧١.

أَعْلِنْ فَضْلَ وَصِيِّكَ، فَقَالَ: رَبِّ إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ جُفَاةٌ[١٥]، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ كِتَابٌ وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ، وَلَا يَعْرِفُونَ[١٦] فَضْلَ نُبُوَّاتِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَلَا

وذلك لأنَّ أبا طالب عليه السلام كان آخر أوصياء عيسى عليه السلام، وكان أمير المؤمنين أوَّل أوصياء رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، و«من» إمَّا تبعيضية أي أسلم له ذرِّية بعض المستحفظين، كما يُقال: إنَّ بعض أجداد النبي صلى الله عليه وآله كانوا من الأوصياء، وإمَّا بيانية أي أسلم العقب الذي كان مستحفظاً.

[١٥] **(إنَّ العرب قوم جُفاة):**

جمع جافٍ، من «الجفاء»، وهو الخشونة وترك الرفق بسبب الابتعاد عن الآداب.

وبيَّن عليه السلام سبب الجفاء بأمرين:

١ ـ عدم وجود الأنبياء والكتب بينهم، لأنَّ الأنبياء هم سبب إشعاع النُّور على بني آدم، وكلّ تطوُّر وفضيلة في النَّاس فإنَّما جذرها يرجع إليهم عليهم السلام، بل حتَّى التطوُّر المادي والعلمي الحاصل في عالم اليوم فإنَّه بسبب الحضارة الإسلامية والتقاء سائر الأُمم بالمسلمين في الأندلس وفلسطين، ومرجع الحضارة الإسلامية إلى رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

٢ ـ الجهل، فإنَّ من لا يعرف قيمة شيء فلا يثمِّنه ولا يقدِّره، ومرجع هذا الثاني إلى الأوَّل.

هذا مضافاً إلى طبيعة الصحراء وقلَّة المياه ومصادر الطعام، فإنَّ البيئة الطبيعية التي يسكنها الإنسان تؤثِّر في فكره وأخلاقه.

[١٦] **(لا يعرفون فضل نبوَّات. . .) إلخ:**

أي لا يعرفون النُّبوَّة ولا الأنبياء، فإنَّ النُّبوَّة مقام ومنزلة رفيعة، وتعود بالنفع ـ دنيا وآخرةً ـ على المرسل إليهم، كما أنَّ الأنبياء لهم الشرف ـ والرفعة ـ على غيرهم ممَّن أُرسلوا لهم.

فجهل العرب بكلا الأمرين سبب إثارتهم المتاعب لرسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا

شَرَفَهُمْ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِي إِنْ أَنَا أَخْبَرْتُهُمْ بِفَضْلِ أَهْلِ بَيْتِي، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[١٧] [الحجر: ٨٨]. ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[١٨] [الزخرف: ٨٩]. فَذَكَرَ مِنْ فَضْلِ وَصِيِّهِ ذِكْراً[١٩]، ....

القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ فيه صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾(١)، وكان أكثر العرب سكّان البوادي فقال تعالى في أكثرهم: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(٢).

[١٧] (﴿ولا تحزن عليهم﴾):

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾(٣).

[١٨] (﴿وقل سلام فسوف تعلمون﴾):

قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٤).

وقد ذكر الإمام عليه السلام الآيتين، دون أن يفصل بينهما بـ(وقال تعالى)، وهذا أسلوب متعارف في الكلام.

[١٩] (فذكر من فضل وصيّه ذكراً):

تنكير (ذكراً) للدلالة على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله ذكر قليلاً من فضائله لعدم تحمّل الناس لها، وقد يكون التنكير للتفخيم.

---

(١) سورة يس: الآيات ٦ ـ ٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩٧.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٧.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٨٩.

فَوَقَعَ النِّفَاقُ فِي قُلُوبِهِمْ[٢٠]، فَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ وَمَا يَقُولُونَ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٢١] [الحجر: ٩٧]

---

[٢٠] **(فوقع النفاق في قلوبهم):**

إذ قد لا يكون الشخص منافقاً، فإذا نزلت آية رفضها أو شُرِّع حكم أنكره، فحينئذٍ يقع النفاق في قلبه، كثعلبة الذي رفض الزكاة فقال تعالى عنه: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾(٢).

[٢١] **(﴿ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون﴾):**

﴿فَاصْدَعْ﴾ أي أعلن وأجهر ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ من الإنذار والتبليغ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تبال بشأنهم بل عليك أداء وظيفتك سواء رضوا أم كرهوا، والمنافقون مشركون باطناً وإن أظهروا الإسلام ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ نكفيك شرّهم ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فهؤلاء لا يراعون حقّ الله فكيف يراعون حقّك، ومن آلهتهم هواهم(٣) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتهم حين موتهم أو في القيامة، ثمّ سلّى الله رسوله فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي افتراءاتهم، وسبب ضيق الصدر هو الهموم التي توجب انفعالات في جسم الإنسان فيحتاج إلى التنفُّس أكثر، فتتحرَّك الرئة أكثر من المعتاد فيشعر الإنسان بضيق في الصدر ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي نزِّه الله بالحمد، لأنَّ التنزيه قد يكون سلبياً كما يُقال: فلان لا يؤذي الناس، وقد يكون إيجابياً كأن يُقال: فلان يرحم الناس ويعطف عليهم، وهذا أبلغ في التعظيم(٤) ﴿وَكُن مِّنَ

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٧.

(٢) سورة التوبة: الآيتان ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٤) عن التقريب: ج٣، ص١٩١ ـ بتصرُّف ـ

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ[٢٢]﴾ [الأنعام: ٣٣] وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ بِغَيْرِ حُجَّةٍ لَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَتَأَلَّفُهُمْ، وَيَسْتَعِينُ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ[٢٣]، وَلَا يَزَالُ يُخْرِجُ لَهُمْ شَيْئاً فِي فَضْلِ وَصِيِّهِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ[٢٤]، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ حِينَ أُعْلِمَ بِمَوْتِهِ[٢٥]، وَنُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَقَالَ اللَّهُ

ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ الخاضعين لعظمة الله تعالى، والتسبيح والسجود يخفِّفان وقع التكذيب والاستهزاء، إذ بذكر الله تطمئنُّ القلوب.

[٢٢] (﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾):

والآية ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ «قد» تستعمل في المضارع للتحقيق أحياناً ﴿إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ ممَّا ينسبونه إليك ويسبونك ويستهزئون بك ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي يعلمون أنَّك صادق في قرارة نفوسهم، وهذا نوع تسلية إذ الإنسان إذا علم أنَّ عدوّه يُجلّه في قرارة نفسه كان ذلك سلوة له، أو بمعنى أنَّ تكذيبهم لك راجع إلى تكذيب الله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾(١).

[٢٣] (يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض):

كما قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾(٢).

[٢٤] (نزلت هذه السورة):

أي (سورة الشرح) التي سيذكرها الإمام بعد قليل.

[٢٥] (فاحتجّ عليهم حين أعلم بموته...):

أي أقام الحجّة الواضحة، وذلك بنصبه الإمام عليّاً عليه السلام في يوم الغدير.

---

(١) عن التقريب: ج٢، ص٦٢ ـ ٦٣ ـ بتصرُّف ـ

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[٢٦] [الشرح: ٧-٨]. يَقُولُ: إِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ عَلَمَكَ[٢٧]، وَأَعْلِنْ وَصِيَّكَ، فَأَعْلِمْهُمْ فَضْلَهُ عَلَانِيَةً، فَقَالَ ﷺ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ

---

[٢٦] (﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربّك فارغب﴾):

والفراغ والنصب والرغبة لها مصاديق ذُكرت في الروايات:

منها: ما عن الإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام: إذا فرغت من الصلاة فانصب إلى ربّك في الدُّعاء وارغب إليه في المسألة يعطيك(١).

ومنها: تعيين الإمام أمير المؤمنين ولياً بعده ﷺ(٢) كقول الإمام الصادق عليه السلام: فإذا فرغت من إكمال الشريعة فانصب عليّاً لهم إماماً(٣). وقوله عليه السلام: فإذا فرغت من نبوّتك فانصب عليّاً وإلى ربّك فارغب في ذلك(٤). وفي تفسير القمّي: فإذا فرغت من حجّتك فانصب عليّاً للنّاس.

ثمَّ اعلم أنَّ (فانصب) بفتح الصاد من (النَّصَب) بمعنى التعب، فتفسيره عليه السلام هو بيان لحاصل المعنى، أي فإذا فرغت فأجهد نفسك وأتعبها في تعيين الإمام علي عليه السلام.

[٢٧] (فانصب علمك):

(العَلَمُ) هو الأثر الذي يُعلم به الشيء كعَلَم الطريق وعَلَم الجيش(٥)، وأمير المؤمنين عليه السلام هو عَلَم لرسول الله ﷺ حيث إنَّه عليه السلام باب علمه والدالّ عليه والحافظ لسُنّته والمطبّق لسيرته.

---

(١) البرهان: ج١٠، ص٣١٩ عن مجمع البيان.

(٢) راجع الروايات في البرهان: ج١٠، ص٣١٦ فما بعد.

(٣) المصدر: ص٣١٨ عن المناقب.

(٤) المصدر: ص٣١٦ عن تأويل الآيات.

(٥) المفردات: ص٥٨١.

عَادَاهُ» ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ. ثُمَّ قَالَ[٢٨]: «لَأَبْعَثَنَّ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَيْسَ بِفَرَّارٍ»، يُعَرِّضُ بِمَنْ رَجَعَ[٢٩] يُجَبِّنُ أَصْحَابَهُ وَيُجَبِّنُونَهُ[٣٠]. وَقَالَ ﷺ: «عَلِيٌّ سَيِّدُ الْمُؤْمِنِينَ»[٣١]. وَقَالَ: «عَلِيٌّ عَمُودُ

---

[٢٨] (ثمَّ قال):

«ثمَّ» هنا ليست للترتيب الزماني بل للترتيب في الإخبار، كقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾(١).

وقوله ﷺ: هذا كان في غزوة خيبر لمَّا أعطى الراية لأبي بكر فرجع يُجَبِّن أصحابه ويجبِّنونه، ثمَّ أعطاها عمر فرجع يُجَبِّن أصحابه ويجبِّنونه(٢).

[٢٩] (يعرِّض بمن رجع):

«التعريض» هو نفي عيب من أحد لإثباته لآخر.

وفي المرآة: ولا خفاء في أنَّ سياق هذا الكلام يدلُّ على اختصاص جميع تلك الأوصاف بالمبعوث أخيراً وإلَّا فلا فائدة في ذكرها(٣).

[٣٠] (يجبِّن أصحابه ويجبِّنونه):

إمَّا بمعنى يخوِّف أصحابه، أو بمعنى ينسبهم إلى الجبن، والثاني أنسب لأنَّ المهزوم يحاول إلقاء اللّوم على غيره.

[٣١] (على سيِّد المؤمنين):

في المفردات: «السيِّد»: المتولي للسواد، أي الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك فيُقال سيِّد القوم(٤).

وقد يُستعمل «السيِّد» بمعنى الأفضل، فيُقال سيِّد الناس إذا فاقهم في الكمالات.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٧.

(٢) رواه ـ من العامَّة ـ الحاكم في المستدرك: ج٣، ص٤٠، وكذا في تاريخ دمشق: ج٤٢، ص٩٧.

(٣) المرآة: ج٣، ص٢٧٨.

(٤) المفردات: ص٤٣٢.

الدِّينِ». وَقَالَ: «هَذَا هُوَ الَّذِي يَضْرِبُ[٣٢] النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ بَعْدِي». وَقَالَ: «الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ أَيْنَمَا مَالَ»[٣٣]. وَقَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَهْلَ بَيْتِي عِتْرَتِي، أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَقَدْ بَلَّغْتُ، إِنَّكُمْ سَتَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ[٣٤] فَأَسْأَلُكُمْ

---

[٣٢] (هذا هو الذي يضرب. . .) إلخ:

هذا التركيب ـ بذكر «هو» بين المبتدأ والخبر ـ يدلُّ على الحصر، فالفتوحات لم تكن إلّا لتوسعة السلطان، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين إعلاءً لكلمة الله تعالى، فقد قاتل على التأويل كما قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله على التنزيل.

[٣٣] (أينما مال):

أي أينما مال عليٌّ عليه السلام فيميل الحقّ معه، أو أينما مال الحقّ مال عليّ عليه السلام معه.

وهذا الحديث ممّا يدلُّ على العصمة، وكذا قوله صلى الله عليه وآله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»(١) وقوله: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ»(٢) لأنَّ الخطأ والسهو والغفلة والمعصية افتراق عن الحقّ وعن القرآن.

[٣٤] (إنّكم ستردون علي الحوض. . .) إلخ:

روت العامّة في صحاحها حديث الحوض وبيان ارتداد الأكثر.

وفي البخاري: (أنا فرطكم على الحوض من مرّ عليَّ شرب ومن شرب لا يظمأ أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: يا ربّ أصحابي! فيُقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)(٣).

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٥٠، ومن العامّة: مجمع الزوائد: ج٧، ص٢٣٥.

(٢) أمالي الطوسي: ص٤٦٠، ومن مصادرهم: المستدرك: ج٣، ص١٣٤.

(٣) البخاري: ج٥، ص٢٤٠٦ باب الحوض.

عَمَّا فَعَلْتُمْ فِي الثِّقْلَيْنِ[٣٥]، وَالثَّقْلَانِ: كِتَابُ اللَّهِ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ وَأَهْلُ بَيْتِي، فَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَهْلِكُوا، وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ».

فَوَقَعَتِ الْحُجَّةُ[٣٦] بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَبِالْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَؤُهُ النَّاسُ، فَلَمْ يَزَلْ يُلْقِي فَضْلَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِالْكَلَامِ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ بِالْقُرْآنِ[٣٧]: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

وفي لفظ آخر: (فلا أراه يخلص منهم إلَّا مثل همل النعم)(١)، أي القليل جداً.

[٣٥] (في الثقلين):

بكسر الثاء وسكون القاف، من الثِّقل ضدّ الخفَّة، وأمَّا (الثَّقَلان) بفتحتين فهما الجن والإنس كقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾(٢).

[٣٦] (فوقعت الحجَّة...) إلخ:

أي تمَّت الحجَّة عليهم بالقرآن وببيان الرسول صلى الله عليه وآله، ولعلَّ تقديم «قول النبي» على «الكتاب»، لأجل أنَّ القرآن حمَّال ذو وجوه ـ كما عن أمير المؤمنين عليه السلام(٣) ـ ولا تتم الحجَّة إلَّا بعد بيانه بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله كما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٤).

وأيضاً القرآن صامت ولذا قال: «وبالكتاب الذي يقرأه الناس»، والرسول صلى الله عليه وآله ناطق فقال: «بقول النبي صلى الله عليه وآله».

[٣٧] (ويبيِّن لهم بالقرآن...) إلخ:

بمعنى يفسِّر لهم معنى هذه الآيات، وأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم عليٌّ وفاطمة وابناهما عليهم السلام، وكذا أرادهم الله في آيات ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ و﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾

---

(١) البخاري: ج٥، ص٢٤٠٦، باب الحوض.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣١.

(٣) قال عليه السلام لابن عبَّاس لا تحاججهم بالقرآن لأنَّه حمَّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسُّنَّة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٧٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٤.

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٨] [الأحزاب: ٣٣]. **وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ:** ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٣٩] [الأنفال: ٤١].

و﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ و﴿قَوْمِكَ﴾ و﴿أُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾، هذا مضافاً إلى ما قاله الرسول ﷺ في يوم الغدير وما أوصاه قبل وفاته.

[٣٨] **(ويطهّركم تطهيراً):**

قد مرَّ في الحديث الأوَّل من الباب الماضي معنى الآية ووجَّه الاستدلال بها، فراجع.

[٣٩] **(فأنَّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى):**

عظَّم الله تعالى شأن رسوله وشأن ذي القربى بأن قدَّم نفسه أوَّلاً، ثم أمر بإعطائهم سهامهم، ولذا كان الخُمس تشريفاً لهم، وكذا في الفيء حيث قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١).

والحاصل: أنَّ الله تعالى جعل سهماً لنفسه ـ مع وضوح أنَّ التصرُّف فيه بيد الرسول ثم بيد ذي القربى ـ ثم جعل سهماً لرسوله وسهماً لذي القربى، لكي لا يظنُّ أحد بفضل عليهم، بل الله يمنُّ على من يخمِّس بأن شرَّفه بلزوم إعطاء الخمس لله ثم للرسول ثم لذي القربى.

أما الأموال التي لم تخصَّص للرسول ﷺ ولذي القربى عليهم السلام فلم يجعل الله لنفسه سهماً، بل اعتُبرت أوساخ الناس تؤخذ منهم لتطهِّرهم بذلك، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾(٣).

ولا يخفى أنَّ الخمس لا ينحصر في الغنائم الحربية.

أما عند الشيعة: فواضح اتباعاً لأهل البيت عليهم السلام فقد بيّنوا وجوب الخمس في سبعة: غنائم الحرب، وأرباح المكاسب، والغوص، والمعدن،

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٠.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٤٠] [الإسراء: ٢٦]. فكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام وَكَانَ حَقُّهُ: الْوَصِيَّةَ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ، وَالِاسْمَ الْأَكْبَرَ، وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ، وَآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ، فَقَالَ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٤١] [الشورى: ٢٣]. ثُمَّ

والحلال المختلط بالحرام، والأرض التي يشتريها الذمي من المسلم، والكنز.

وأما عند العامّة: فدلّت صحاحهم على وجوب الخمس في الرّكاز، وهو الكنز والمعدن، ففي مفردات الراغب: الركاز للمال المدفون إمّا بفعل آدمي كالكنز، وإمّا بفعل إلهي كالمعدن، ويتناول الركاز الأمرين، وفُسّر قوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: وفي «الركاز الخمس» بالأمرين جميعاً(١).

فتبيّن أنّ الخمس كما يشمل الغنائم الحربية، كذلك يشمل غيرها سواء في صحاح الشيعة أم في روايات العامّة.

[٤٠] (وآت ذا القربى حقّه):

في التقريب: (ذا) بمعنى صاحب، و(القربى) مؤنث الأقرب، وهي صفة لمحذوف هو: «صلة»، أي صاحب صلة القربى(٢)، والمُراد بالآية أقرباء النبي صلى الله عليه وآله.

فمن مصاديق الآية أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بإعطاء فاطمة فدكاً كما روت ذلك الخاصّة والعامّة(٣).

ومن مصاديقها إعطاء أمير المؤمنين عليه السلام حقّه في الوصية وغيرها ـ كما في هذا الحديث الشريف ـ.

[٤١] (إلّا المودّة في القربى):

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا

---

(١) المفردات: ص٣٦٤، وفي هامشه: أخرجه مالك في الموطأ... والبخاري في الزكاة باب الركاز: ٣/٣٦٤، ومسلم في الحدود برقم ١٧١٠.

(٢) التقريب: ج٣، ص٣٠٢.

(٣) راجع البحار: ج٢٩، الباب ١١، ص٣٢ فما بعد، وايضاً تفسير البرهان: ج٦، ص٧٥ فما بعد.

قَالَ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[٤٢] ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩] يَقُولُ: أَسْأَلُكُمْ عَنِ الْمَوَدَّةِ الَّتِي أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ فَضْلَهَا، مَوَدَّةِ الْقُرْبَى، بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْتُمُوهُمْ؟ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، قَالَ:

يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٢ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١][٢].

والاستثناء إمَّا منقطع: أي لا أسألكم عليه أجراً، لكن يجب عليكم مودَّة القربى، ولا يخفى لزوم أن يكون بين المستثنى والمستثنى منه نوع مناسبة ليصحّ الاستثناء المنقطع.

وإمَّا متصل: فيكون المعنى: لا أسألكم إلَّا المودَّة فقد رضيت بها أجراً مع أنَّ النفع راجع إليكم ففي الحقيقة لم أسألكم الأجر، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[٣].

[٤٢] (وإذا الموؤدة سئلت):

للموؤدة مصاديق متعدِّدة:

منها: البنت المدفونة حيَّة، ففي تفسير القمِّي: كان العرب يقتلون البنات للغيرة[٤]، وفي مجمع البيان: وكانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها. فإن ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة[٥].

ومنها: من قُتِل في مودَّة أهل البيت عليهم السلام كما في مستفيض الأحاديث[٦] كهذا الحديث الشريف.

---

(١) سورة الشورى: الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) راجع الروايات في تفسير الآية، في البرهان: ج٨، ص٥٠٠ فما بعد.

(٣) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(٤) البرهان: ج١٠، ص١٩٣.

(٥) مجمع البيان: ج١٠، ص٤٠٩.

(٦) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج١٠، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

الْكِتَابُ هُوَ الذِّكْرُ، وَأَهْلُهُ آلُ مُحَمَّدٍ عليهم السلام أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسُؤَالِهِمْ[٤٣] وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِسُؤَالِ الْجُهَّالِ، وَسَمَّى اللَّهُ[٤٤] عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ ذِكْراً فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. **وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾** [الزخرف: ٤٤]. **وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾** [النساء: ٥٩]. **وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ**

ومنها: الإمام الحسين عليه السلام: ففي كامل الزيارات بإسناده عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «نزلت في الحسين بن علي عليهما السلام»(١).

ويحتمل أن يكون الأوَّل تفسيراً، والثاني والثالث تأويلاً، فتأمَّل.

[٤٣] **(أمر الله عزَّ وجلّ بسؤالهم):**

لأنَّهم العلماء، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾(٢).

[٤٤] **(وسمَّى الله. . .) إلخ:**

لمَّا بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ (الذكْر) هو القرآن، استدلَّ على ذلك بآية أطلق فيها الذِّكر وأُريد به الكتاب المجيد.

وقد مرَّ البحث عن هذه الآية في (باب أنَّ أهل الذِّكر هم الأئمَّة عليهم السلام).

وعن آية ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في (باب فرض طاعة الأئمة) وباب (أنَّ الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر. . .).

وعن آية ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ في (باب أن الإمام عليه السلام يعرف الإمام الذي يكون بعده. . .).

---

(١) كامل الزيارات: ص١٣٤.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٥.

﴿يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. فَرَدَّ الْأَمْرَ ـ أَمْرَ النَّاسِ[٤٥] ـ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمُ الَّذِينَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ وَبِالرَّدِّ إِلَيْهِمْ.

فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَائِيلُ عليه السلام فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فَنَادَى النَّاسَ فَاجْتَمَعُوا، وَأَمَرَ بِسَمُرَاتٍ فَقُمَّ شَوْكُهُنَّ[٤٦]، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ وَلِيُّكُمْ وَأَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ»؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ، فَوَقَعَتْ حَسَكَةُ النِّفَاقِ[٤٧] فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ، وَقَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ هَذَا عَلَى مُحَمَّدٍ قَطُّ، وَمَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ بِضَبْعِ ابْنِ عَمِّهِ[٤٨].

---

[٤٥] (فردَّ الأمر ـ أمر النَّاس ـ . . . .) إلخ:

لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ وإن كانت بصيغة الشرط، لكنَّه دال على وجوب الردّ إليهم، وقوله عليه السلام: «أمر الناس» تفسير للأمر، أي أمر الناس قد فوَّضه الله تعالى إليهم عليهم السلام.

[٤٦] (بسمرات فقُمّ شوكهن):

السمرات جمع سَمُرة: شجرة ذات أشواك يُقال لها: أُمّ غيلان، و«قمّ» بمعنى كنس.

[٤٧] (حسكة النفاق):

«الحسكة» شوك صلب، استعير للضغن في الصدور، فيُقال: «في صدره حسكة»، وقوله: «حسكة النفاق» الإضافة بمعنى (من)، أي ضغن نشأ من نفاقهم، و«القوم» هم المنقلبون على الأعقاب.

[٤٨] (بضبع ابن عمّه):

في المرآة: «الضبع»: العضد كلّها، أو وسطها بلحمها، أو الإبط، أو ما

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَتَتْهُ الْأَنْصَارُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ ذِكْرُهُ - قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَشَرَّفَنَا بِكَ وَبِنُزُولِكَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا[٤٩]، فَقَدْ فَرَّحَ اللَّهُ صَدِيقَنَا وَكَبَّتَ عَدُوَّنَا، وَقَدْ يَأْتِيكَ وُفُودٌ، فَلَا تَجِدُ مَا تُعْطِيهِمْ فَيَشْمَتُ[٥٠] بِكَ الْعَدُوُّ، فَنُحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ ثُلُثَ أَمْوَالِنَا حَتَّى إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ وَفْدُ مَكَّةَ وَجَدْتَ مَا تُعْطِيهِمْ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَيْهِمْ شَيْئاً، وَكَانَ يَنْتَظِرُ مَا يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ فَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام وَقَالَ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وَلَمْ يَقْبَلْ أَمْوَالَهُمْ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا عَلَى مُحَمَّدٍ وَمَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ بِضَبْعِ ابْنِ عَمِّهِ، وَيَحْمِلَ عَلَيْنَا أَهْلَ بَيْتِهِ، يَقُولُ أَمْسِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَالْيَوْمَ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةُ الْخُمُسِ فَقَالُوا: يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَمْوَالَنَا وَفَيْئَنَا[٥١]. ثُمَّ أَتَاهُ جَبْرَائِيلُ

بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه، ذكره الفيروزآبادي. ورفعها كناية عن إعلاء قدره وإشادة ذكره وجعله مسلَّطاً عليهم(١).

[٤٩] (بين ظهرانينا):

نسبة إلى (الظهر) بإضافة الألف والنون - على غير قياس - مثل ربانيّ، ويستعمل في النزول عند قوم، وقد مرَّ أصل الكلمة.

[٥٠] (فيشمت):

الشماتة: إظهار السرور ببليَّة العدو، كقوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾(٢).

[٥١] (وفيئنا):

أي غنائمنا وخراجنا.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٨٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

فَقَالَ[٥٢]: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ نُبُوَّتَكَ وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ الِاسْمَ الْأَكْبَرَ، وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ، وَآثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ[٥٣] عِنْدَ عَلِيٍّ عليه السلام، فَإِنِّي لَمْ أَتْرُكِ الْأَرْضَ[٥٤] إِلَّا وَلِيَ فِيهَا عَالِمٌ تُعْرَفُ بِهِ طَاعَتِي، وَتُعْرَفُ بِهِ وَلَايَتِي[٥٥]، وَيَكُونُ حُجَّةً لِمَنْ يُولَدُ بَيْنَ قَبْضِ النَّبِيِّ إِلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ الْآخَرِ، قَالَ: فَأَوْصَى إِلَيْهِ بِالِاسْمِ الْأَكْبَرِ، وَمِيرَاثِ الْعِلْمِ، وَآثَارِ عِلْمِ النُّبُوَّةِ، وَأَوْصَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ كَلِمَةٍ[٥٦]

---

[٥٢] (ثم أتاه جبرائيل فقال):

أي قال عن الله تعالى.

[٥٣] (الاسم الأكبر ... علم النبوّة):

مرَّ في الحديث الماضي معنى هذه الفقرات، فراجع.

[٥٤] (فإنّي لم أترك الأرض):

أي قبلك، فالمعنى من لدن آدم وإلى يومك كانت الحجَّة في الأرض بين نبي ووصي، وهكذا سيكون بعدك، فلا تخلو الأرض من وصي إلى أن تقوم الساعة إذ لا نبي بعد رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

[٥٥] (تعرف به طاعتي وتعرف به ولايتي):

لأنَّ الأنبياء والأوصياء يُبيِّنون أحكام الله تعالى فلا تُعرف طاعة الله تعالى إلَّا بالاستماع إليهم وطاعتهم، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[١].

كما أنَّ الله تعالى جعل طريقَ ولايته ولايةَ أوليائه، فمن والى أعداء الله فقد اتخذ من دونه أولياء، ومن والى أولياء الله فقد والى الله تعالى.

[٥٦] (وأوصى إليه بألف كلمة ...) إلخ:

هذا المقطع ممَّا كثرت فيه الروايات[٢]، وهنا مطالب:

---

(١) سورة النّساء: الآية ٨٠.

(٢) راجع البحار: ج٤٠، ص١٣٠ فما بعد. وفي البحار: ج٤٠، ص١٥١ ولقد روى أبو جعفر بن بابويه هذا الخبر في الخصال من أربع وعشرين طريقة، وسعد بن عبد الله القمّي في بصائر الدرجات من ست وثلاثين طريقة.

وَأَلْفِ بَابٍ، يَفْتَحُ كُلُّ كَلِمَةٍ وَكُلُّ بَابٍ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَأَلْفَ بَابٍ.

الأوّل: أنَّ مقدار هذه الحروف والأبواب في بعض الروايات ألف ألف ألف ـ أي مليار ـ، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله علَّم عليّاً ألف حرف، كلّ حرف يفتح ألف حرف، والألف حرف منها يفتح ألف حرف»[١]، وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً ألف كلمة، كلّ كلمة تفتح ألف كلمة، والألف كلمة تفتح كلّ كلمة ألف كلمة»[٢].

ولا منافاة بينها، إذ فرقها في الإجمال والتفصيل، مثلاً يقول أحدنا: أنا أعلم الطب، ويقول مرَّة أُخرى: أعلم الطب والهندسة، ومرَّة ثالثة أعلم سبعة علوم وهكذا.

وهذا أسلوب متّبع في كثير من الآيات والروايات، وعليه طريقة العقلاء، فقد يذكرون في كل مقام جانباً من الأمر وقد يذكرون كلّ الجوانب.

ويؤيِّد هذا المعنى ما عن الصادق عليه السلام قال: «علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً حرفاً، يفتح كلّ حرف ألف حرف، كل حرف منها يفتح ألف حرف»[٣].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وايم الله لو نشطت لحديثكم حتى يحول الحول، لا أُعيد حرفاً ورثت وحويت من رسول الله صلى الله عليه وآله»[٤].

الثاني: تعدَّدت التعبيرات عن هذا العلم بـ(الباب) و(الكلمة) و(الحرف)، فهنا احتمالان:

١ ـ أنَّها كلمات مترادفة أريد بها معنى واحد.

٢ ـ أنَّها إشارة إلى معانٍ مختلفة، ويؤيِّده العطف في هذه الرواية (أوصى إليه بألف كلمة وألف باب...) إلخ، والأصل في العطف التأسيس لا التأكيد، فتأمَّل.

---

(١) البحار:ج٤، ص١٣٢ عن الخصال.

(٢) المصدر: ص١٣٤ عن الخصال.

(٣) المصدر: ص١٤٠ عن بصائر الدرجات..

(٤) البحار: ج٤٠، ص١٤٥ عن الخرائج.

الثالث: الظاهر أنَّ الألف (الأولى) هي أُصول العلوم، و(الثانية) هي فروع تلك العلوم، و(الثالثة) هي قواعد تلك الفروع.

مثلاً: الطب علم واحد، وله فروع كثيرة ـ يعبِّر عنها بالتخصصات ـ كتخصُّص القلب، والرئة والعظام... إلخ، وكل تخصُّص فيه عشرات القواعد الكلية.

مثال آخر: الفقه علم واحد، وله مجموعة فروع مثل كتاب الطهارة والصلاة والصوم... إلخ، وكل كتاب له مجموعة قواعد ومسائل، وقد سمعت الوالد يقول: إنَّ في كتاب (جواهر الكلام) ما يقارب من ربع مليون مسألة فقهية.

وقد صرَّح في بعض الروايات ببعض هذه الأبواب ـ سواء من الألف الأولى أم الثانية أم الثالثة.

منها: ما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من الحلال والحرام، وممَّا كان وممَّا يكون إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى عُلِّمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[(١)].

ومنها: ما عن موسى بن بكر، قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يُغمى عليه اليوم واليومين أو الثلاثة أو أكثر من ذلك، كم يقضي من صلاته؟ فقال: «ألا أخبرك بما ينتظم به هذا وأشباهه؟ فقال: كلَّ ما غلب الله عليه من أمر الله فالله أعذر لعبده، وزاد فيه غيره قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: وهذا من الأبواب التي يفتح كلّ باب منها ألف باب»[(٢)] فتأمَّل.

الرابع: الظاهر أنَّ (ألف) يُراد به الكثرة من غير إحصاء، لا العدد المخصوص، وهذا أسلوب متعارف في الكلام، ولعلَّ تلك العلوم أكثر بكثير من العدد المخصوص، وإنَّما اختار (ألف) لأنَّه آخر لفظ يدلُّ على عدد، وما بعده من الأعداد ألفاظها مركَّبة.

(١) البحار: ج٤٠، ص٤٠، ص١٣٠ عن الخصال، وقريب منه في: ص١٤١ عن البصائر.
(٢) الوافي: ج٢، ص٣٢٢ عن بصائر الدرجات.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ؛ وَصَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَمَّرٍ الْعَطَّارِ، عَنْ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: ادْعُوا لِي خَلِيلِي، فَأَرْسَلَتَا إِلَى أَبَوَيْهِمَا[١]، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَعْرَضَ عَنْهُمَا، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي خَلِيلِي، فَأُرْسِلَ إِلَى عَلِيٍّ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَكَبَّ عَلَيْهِ[٢] يُحَدِّثُهُ، فَلَمَّا خَرَجَ لَقِيَاهُ فَقَالَا لَهُ: مَا حَدَّثَكَ خَلِيلُكَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَلْفَ بَابٍ يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

ويؤيِّد هذا ما عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام كلمة، يفتح ألف كلمة، يفتح كلّ كلمة ألفي كلمة»(١)، وحيث أريد الكثرة الكاثرة فلا منافاة بين (ألف) و(ألفين)، ويمكن أن يكون إشارة إلى اختلاف مسائل العلوم كثرة وقلّة، فمسائل بعضها أكثر من بعضها الآخر.

الحديث الرابع:

[١] **(فأرسلتا إلى أبويهما):**

عائشة وحفصة، وهذا الحديث روته العامَّة بألفاظ متقاربة(٢).

[٢] **(أكبَّ عليه):**

أي أكبَّ الرسول صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام، و«أكبَّ عليه» بمعنى أقبل ولزمه، وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «جلَّل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام ثوباً، ثم كلَّمه ألف كلمة، تفتح كل كلمة ألف كلمة»(٣).

---

(١) البحار: ج٤٠، ص٤٠ عن بصائر الدرجات.
(٢) راجع كمثال تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢، ص٣٩٢.
(٣) البحار: ج٤٠، ص١٣٣ عن الخصال.

إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام أَلْفَ حَرْفٍ، كُلُّ حَرْفٍ يَفْتَحُ أَلْفَ حَرْفٍ.

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ فِي ذُؤَابَةِ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١] صَحِيفَةٌ صَغِيرَةٌ، فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ فِي تِلْكَ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: هِيَ الْأَحْرُفُ الَّتِي يَفْتَحُ كُلُّ حَرْفٍ أَلْفَ حَرْفٍ.

قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَمَا خَرَجَ مِنْهَا حَرْفَانِ حَتَّى السَّاعَةِ[٢].

الحديث السادس:

[١] **(ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله):**
في المرآة(١) ذؤابة كلّ شيء أعلاه، وأصله الهمزة قُلبت واواً، والمراد هنا قبضته، أو ما يعلّق من قبضته ويجعل فيه الضروريات، تشبيهاً بذؤابة المرأة.

[٢] **(فما خرج منها حرفان حتى الساعة):**
إمَّا حرفان من الألف جزء أو حرفان من الألف ألف جزء.
سؤال: ما فائدة هذا التعليم إذا لم يخرج منه إلّا القليل.
الجواب:
أوّلاً: لا تنحصر فائدة العلم في التعليم، بل العلم كمال سواء استفاد الناس منه أم لم يستفيدوا.
وثانياً: إنَّ في ذلك إظهاراً لعظمة الله تعالى وقدرته، حيث خلق خلقاً كرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمَّة عليهم السلام، فهم أعظم وأكبر آية لله تعالى، وعِلْمُهم من أهم جوانب عظمتهم.
وثالثاً: إنَّ هذا العلم ينتقل من إمام إلى إمام، وبعضه أظهره الأئمَّة عليهم السلام، ولذا قال: (حتى الساعة)، وفي بعض الأحاديث دلالة على أنَّ كثيراً من

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٨٧.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ سُكَّرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هَلْ لِلْمَاءِ الَّذِي يُغَسَّلُ بِهِ الْمَيِّتُ حَدٌّ مَحْدُودٌ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيٍّ عليه السلام: إِذَا مِتُّ فَاسْتَقِ[١] سِتَّ قِرَبٍ مِنْ مَاءِ بِئْرِ غَرْسٍ، فَغَسِّلْنِي وَكَفِّنِّي وَحَنِّطْنِي، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ غُسْلِي وَكَفْنِي فَخُذْ بِجَوَامِعِ كَفَنِي[٢] وَأَجْلِسْنِي ثُمَّ سَلْنِي[٣] عَمَّا

ذلك العلم سيظهر في عصر الإمام المهدي عليه السلام(١).

ورابعاً: ولعلَّ جوانب من ذلك العلم لا يرتبط بالبشر، بل يرتبط بأُمور أُخرى أراد الله أن يجعل الرسول صلى الله عليه وآله والأمير عليه السلام والأئمَّة عليهم السلام الوسائط في تلك الأُمور، وقد يرتبط بعض ذلك العلم بولايتهم التكوينية وتعليمهم للملائكة وغير ذلك، والله العالم.

وخامساً: أنَّ من لطف الله تعالى على الناس أن جعل إمامهم هذا العالم، وعدم استفادتهم من علمه من شقائهم حيث أزالوه عن المرتبة التي جعلها الله له، كما أنَّ عدم اهتداء كثير من الناس بالأنبياء لنقص في أهل الضلال ورفضهم للطف الله تعالى.

الحديث السابع:

[١] (فاستق):

أي انزح، و«بئر غرس» بئر في المدينة، وفي الحديث: (غرس عين من عيون الجنَّة). وبلفظ آخر: (في غرس عين من عيون الجنَّة)(٢).

[٢] (بجوامع كفني):

جمع جامعة، وهو الموضع الذي اجتمع فيه طرفا الثوب الملفوف.

[٣] (وأجلسني ثم سلني...) إلخ:

في هذه الكلمة احتمالات:

---

(١) انظر كمثال: مختصر بصائر الدرجات: ص١١٧، والخرائج: ج٢، ص٨٤١.

(٢) الأوَّل في الوافي: ج٢، ص٣٢٥، والثاني في المرآة: ج٣، ص٢٨٧.

شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَجَبْتُكَ فِيهِ.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمَوْتُ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ[١]، ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ إِذَا أَنَا مِتُّ

---

١ ـ الظاهر أنَّ الأمر بالإجلاس والسؤال ليس على حقيقته، بل هو كناية عن أنَّه لا فرق بين حياته وموته صلى الله عليه وآله، فكما هو نبي ويجب الرجوع إليه في حياته، فكذلك بعد وفاته.

٢ ـ أو أنَّ السؤال ليس للاستفهام الحقيقي ـ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته علَّم أمير المؤمنين عليه السلام جميع علومه ـ، بل لعلَّ السؤال والجواب لغرض آخر لا نعلمه نحن.

٣ ـ أو أنَّ السؤال عن العلوم الجديدة التي أفاضها الله على رسوله صلى الله عليه وآله بعد وفاته.

٤ ـ أو لعلَّ الغرض بيان منزلة أمير المؤمنين عليه السلام، وشدَّة حبّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله له، بحيث إنَّ الله يحيي رسوله ليجيب على أسئلته.

٥ ـ أو لبيان أنَّ الرسول يسمع ويجيب بعد وفاته، ولكنَّا لا نسمع كلامه لوجود حجاب على أسماعنا، أما عليٌّ عليه السلام فكان يسمع(١) والله العالم بحقيقة الأمر.

الحديث الثامن:

[١] **(فأدخل رأسه):**

يفسّر هذا المقطع ما ذكرناه قبل قليل عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «جَلَّلَ

---

(١) حتى العامَّة رووا في صحاحهم أنَّ الله يردّ روح الرسول إلى بدنه ليجيب على سلام من سلَّم عليه، راجع سنن أبي داود: ج٢، ص١٦٩، كنز العمال: ج١، ص٤٩١.

فَغَسِّلْنِي وَكَفِّنِّي ثُمَّ أَقْعِدْنِي وَسَلْنِي وَاكْتُبْ.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ رِبَاطٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَكَامِلٌ التَّمَّارُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ كَامِلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ فُلَانٌ؟ فَقَالَ: اذْكُرْهُ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيّاً عليه السلام بِأَلْفِ بَابٍ ـ يَوْمَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ـ، كُلُّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ، فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ. فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَظَهَرَ ذَلِكَ لِشِيعَتِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ؟ فَقَالَ: يَا كَامِلُ بَابٌ أَوْ بَابَانِ[١]. فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَا يُرْوَى مِنْ فَضْلِكُمْ[٢]

رسولُ الله على عليّ ثوباً. . .إلخ، فالمعنى أدخل رسول الله صلى الله عليه وآله رأس الإمام علي عليه السلام في غطاء».

ولعلّ الغرض كان التفات من حضر إلى هذه المسارّة، لتتبيّن فضيلة للإمام علي عليه السلام، كما مرّ نظير هذا في حديث الكساء حيث جَلَّلَ رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته بكساء، فراجع.

الحديث التاسع:

[١] **(باب أو بابان):**

الظاهر أنّ الترديد من الراوي، ويدلُّ عليه ما في البصائر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لم يخرج إلى الناس من تلك الأبواب التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إلّا باب أو اثنان، وأكثر علمي أنّه قال: باب واحد»(١).

[٢] **(من فضلكم):**

في المرآة: قيل: أي من علمكم، والظاهر أنّ الراوي توهّم أنّ ما حدّث

---

(١) البحار: ج٤٠، ص١٣٩ عن البصائر.

مِنْ أَلْفِ أَلْفِ بَابٍ إِلَّا بَابٌ أَوْ بَابَانِ؟ قَالَ: فَقَالَ: وَمَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَرَوْوا مِنْ فَضْلِنَا!! مَا تَرَوْونَ مِنْ فَضْلِنَا إِلَّا أَلِفاً غَيْرَ مَعْطُوفَةٍ[٣].

به النبي ﷺ في ذلك اليوم علياً عليه السلام كان فضل أهل البيت عليهم السلام.

أو أنَّ انتشار الفضل بنسبة انتشار سائر العلوم(١) فبيَّن أنَّ انتشار الفضل أقلّ من انتشار سائر العلوم، لقصور عقول أكثر الخلق عن فهمها، بل لم ينتشر من فضائلهم بين الناس إلَّا أقلّ من جزء من ألف ألف جزء(٢).

[٣] **(إلَّا ألفاً غير معطوفة):**

في الوافي: يعني إلَّا حرفاً واحداً ناقصاً، أي أقلّ من حرف واحد. . . وعدم عطفها كناية عن نقصانها فإنَّها تكتب في رسم الخطّ الكوفي هكذا: (L)، فإذا كان طرفها غير مائل كان ناقصاً(٣).

أقول: يصطلح عندنا إذا أرادوا التعبير عن عدم كتابة شيء أو عدم التكلُّم بشيء، أن يقولوا: (لا أكتب أَلِفاً) أو (لا أقول أَلِفاً)، كما يصطلح عن الابتداء بالشيء أن يقولوا: (كتب أَلِفاً) أو (قال أَلِفاً).

فلعلَّ هذا الاصطلاح كان أيضاً في ذلك العصر، كناية على القِلَّة، والله العالم.

ويحتمل أن يكون (أَلْفاً) ـ بسكون اللام ـ. أي لا ترون إلَّا ألف فضيلة من فضائلنا لا أكثر، فقوله: (غير معطوفة) بمعنى لا ترون أَلْفاً ثانية من الفضائل، والأول أظهر.

---

(١) اي كما انتشر واحد بالمليون من العلوم، كذلك انتشر واحد بالمليون من فضائلهم عليهم السلام.

(٢) المرآة: ج٣، ص٢٩٠.

(٣) الوافي: ج٢، ص٣٢٤.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ؛ وَعُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: شَهِدْتُ وَصِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حِينَ أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام، وَأَشْهَدَ عَلَى وَصِيَّتِهِ الْحُسَيْنَ عليه السلام وَمُحَمَّداً وَجَمِيعَ وُلْدِهِ وَرُؤَسَاءَ شِيعَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَالسِّلَاحَ[١]، وَقَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام: يَا بُنَيَّ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ وَأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وَسِلَاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَدَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَهُ وَسِلَاحَهُ، وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ: وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى ابْنِكَ هَذَا ـ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ـ[٢] ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْ

الحديث الأوّل:

[١] (الكتاب والسلاح):
الألف واللام للجنس، أي جميع الكتب التي في الجفر الأبيض وجميع الأسلحة التي في الجفر الأحمر ـ وقد مرّ تفصيلها ـ.

[٢] (ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام):
لعلّ سبب الأخذ بيده، هو أنّه كان للإمام الحسين عليه السلام ولد آخر هو عليّ الأكبر عليه السلام الشهيد في الطف، فأراد أمير المؤمنين عليه السلام تمييز الإمام زين العابدين عليه السلام عنه.

تَدْفَعَهَا إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَقْرِئْهُ[٣] مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنِّي السَّلَامَ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لَمَّا حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُسِرَّ إِلَيْكَ[١] مَا أَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ، وَأَئْتَمِنَكَ عَلَى مَا ائْتَمَنَنِي عَلَيْهِ، فَفَعَلَ.

---

[٣] **(أقرئه):**

بمعنى أوصل سلامي إليه، أمر من باب الإفعال، أو من الثلاثي المجرّد من باب مَنَع يَمْنَع.

ولعلّ سبب تخصيصه بالسلام هو أن الرسول ﷺ كان قد أقرأ الإمام زين العابدين عليه السلام وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد بلّغه فيما مضى. ولكنه أبقى إقراء السلام إلى الإمام الباقر عليه السلام إلى لحظة وفاته عليه السلام، والله العالم.

الحديث الثاني:

[١] **(أسرّ إليك):**

أي قال له خفية، في المفردات: أسررت إلى فلان حديثاً، أفضيت إليه في خفية(١)، قال تعالى: ﴿أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ حَدِيثًا﴾(٢).

لعلّ الفرق بين ما أسرّه وما ائتمنه، أنّ الأوّل في العلم والثاني في ودائع النُّبوّة، أو الأوّل إفضاء السرّ والثاني طلب كتمانه عن غير أهله.

---

(١) المفردات: ص٤٠٤.

(٢) سورة التحريم: الآية ٣.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْأَجْلَحُ وَسَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ وَدَاوُدُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ وَزَيْدٌ الْيَمَامِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام حِينَ سَارَ إِلَى الْكُوفَةِ، اسْتَوْدَعَ أُمَّ سَلَمَةَ كُتُبَهُ وَالْوَصِيَّةَ[١]، فَلَمَّا رَجَعَ الْحَسَنُ عليه السلام دَفَعَتْهَا إِلَيْهِ.

٤ ـ وَفِي نُسْخَةِ الصَّفْوَانِيِّ[١]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ

الحديث الثالث:

[١] (استودع أمّ سلمة كتبه والوصية):

لعلَّ المراد بعض كتبه وبعض الوصايا.

وقيل: المراد بالوصية: (الصحيفة المختومة).

وهو بعيد، لأنَّ تلك كان فيها (ثم فتح الحسن الخاتم الثاني ومضى لما أمر به فيها)(١) ولا يخفى أنّه جرت أُمور عظام بعد استشهاد الأمير عليه السلام إلى رجوع الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة المنوَّرة، ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام ليقرِّر فيها إلَّا بما أراده الله تعالى وأنزله في تلك الوصية.

إذاً فالأقرب أنَّ المراد من الوصية بعض وصاياه في أمواله وأُموره ونحو ذلك، وقد كانت لأمير المؤمنين عليه السلام وصايا متعدِّدة منها ما رواه في نهج البلاغة من وصية كتبها بـ(حاضرين) حين انصرافه من صفين(٢).

الحديث الرابع:

[١] (وفي نسخة الصفواني):

هذا الحديث بنفس سند الحديث السابق إلى أبي بكر الحضرمي، ولعلَّه جاء إلى الإمام الصَّادق عليه السلام ليسأله عن صحَّة ما رواه له هؤلاء عن شهر بن حوشب، فبيَّن له الإمام الصَّادق عليه السلام صحَّة الرواية.

---

(١) راجع (باب أنَّ الائمّة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلَّا بعهد من الله عزَّ وجلَّ وأمر منه لا يتجاوزونه).

(٢) راجع نهج البلاغة/الرسائل/الوصية ٣١، وكذا الوصية ٢٤ وغيرها.

سَيْفٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّ عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ إِلَى الْكُوفَةِ، اسْتَوْدَعَ أُمَّ سَلَمَةَ كُتُبَهُ وَالْوَصِيَّةَ فَلَمَّا رَجَعَ الْحَسَنُ دَفَعَتْهَا إِلَيْهِ».

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْحَسَنِ، وَأَشْهَدَ عَلَى وَصِيَّتِهِ الْحُسَيْنَ عليه السلام وَمُحَمَّداً وَجَمِيعَ وُلْدِهِ وَرُؤَسَاءَ شِيعَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَالسِّلَاحَ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ: يَا بُنَيَّ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ وَأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وَسِلَاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَدَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَهُ وَسِلَاحَهُ، وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ وَقَالَ: أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِكَ هَذَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ ابْنِ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: يَا بُنَيَّ وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَقْرِئْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمِنِّي السَّلَامَ، ثُمَ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ وَلِيُّ الْأَمْرِ وَوَلِيُّ الدَّمِ[١]، فَإِنْ عَفَوْتَ فَلَكَ،

وقد مرَّ أنَّه تصدَّىٰ أمثال الصدوق والمفيد لجمع نسخ الكافي وتطبيق بعضها ببعض، وإذا وجدوا اختلافاً فيها أشاروا إليه، كما في هذا الحديث، والظاهر أنَّ الكليني أضاف هذا الحديث بعد الانتهاء من كتابة الكافي وانتشاره، فلذا كان هذا الحديث في النسخ المتأخِّرة ولم يكن في النسخ المتقدِّمة، وهذا أسلوب شائع حتى في العصر الحاضر حيث يغيِّر المؤلفون في الطبعات اللاحقة من كتبهم.

الحديث الخامس:

[١] (وليّ الأمر وولي الدم):

أي لك الحقّ في القصاص أو العفو من جهتين:

وَإِنْ قَتَلْتَ فَضَرْبَةٌ مَكَانَ ضَرْبَةٍ[٢] وَلَا تَأْثَمْ[٣].

الأولى: أنَّك وليّ الأمر، أي أمر الخلافة والإمامة، والإمام أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنَّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما مرَّ ذكره في حديث الغدير.

الثانية: أنَّك وليّ الدم، لأنَّك الابن الأكبر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾(١).

[٢] **(ضربة مكان ضربة)**:

المعنى: أن يُقتل ابن ملجم لعنه الله كما قتل الإمام عليّاً عليه السلام كقوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾(٢)، وكقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾(٣).

أو المراد أن يُقتل بضربة واحدة فقط بحيث لا يحتاج في قتله إلى ضربات متعدِّدة.

[٣] **(ولا تأثم)**:

نهي، بمعنى لا تفعل ما يوجب الإثم، كالمُثلة وقتل غير القاتل من عشيرته وأعوانه مثلاً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾(٤).

وفي تفسير القمّي: إنَّ المشركين يوم أُحُد مثَّلوا بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين استشهدوا ـ منهم حمزة ـ فقال المسلمون: أما والله لئن أدالنا الله عليهم لنُمثِّلنَّ بأخيارهم، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآية(٥).

ومن وصية لأمير المؤمنين عليه السلام: يا بني عبد المطلب لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتلنَّ بي إلَّا

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٣) سورة محمَّد: الآية ٤.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٥) البرهان: ج٥، ص٦١٨.

٦ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَسَنِيُّ رَفَعَهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِيِّ رَفَعَهُ، قَالَ: لَمَّا ضُرِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَفَّ بِهِ الْعُوَّادُ[١] وَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصِ، فَقَالَ: اثْنُوا لِي وِسَادَةً[٢]، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ[٣] مُتَّبِعِينَ أَمْرَهُ[٤]، وَأَحْمَدُهُ كَمَا

قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا يُمثَّل بالرجل، فإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إيَّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»(١).

ورواه الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة بألفاظ متقاربة(٢).

الحديث السادس:

[١] (حفَّ به العواد):

أي أحاطوا به، و«العواد» جمع عائد ـ وهو زائر المريض ـ.

[٢] (اثنوا لي وسادة):

«الثني» لوي الشيء، و«الوسادة» ما يتوكأ عليه، وثني الوسادة إمَّا لترتفع ليظهر للسامعين أو للاتكاء عليها.

[٣] (حقَّ قدره):

أي حسب منزلته اللائقة به قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾(٣).

[٤] (متبعين أمره):

أي نحمده حال كوننا متبعين أمره تعالى، فلا بُدَّ من إتباع القول بالعمل. كقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(٤).

---

(١) نهج البلاغة: الرسائل، رقم ٤٧.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٤٩.
(٣) سورة الانعام: الآية ٩١.
(٤) سورة الحجر: الآية ٩٨.

أَحَبَّ[٥]، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ كَمَا انْتَسَبَ[٦]. أَيُّهَا النَّاسُ! كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ فِي فِرَارِهِ مَا مِنْهُ يَفِرُّ[٧]، وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ إِلَيْهِ[٨]، وَالْهَرَبَ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ[٩]، كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ[١٠] أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا

---

[٥] **(وأحمده كما أحبّ):**

أي بالطريقة التي أرادها وارتضاها.

[٦] **(كما انتسب):**

في سورة الإخلاص، فإنّها نسبة الرّبّ ـ كما مرّ في كتاب التوحيد ـ.

[٧] **(لاق في فراره ما يفرّ منه):**

أي سيلاقي الموت رغم فراره منه، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾(١)، وهذا الفرار ليس ظاهرياً، ولكن الإنسان بمواظبته على صحّة جسده ووقايته من الآفات كالفارّ من الموت.

[٨] **(والأجل مساق النفس إليه):**

«الأجل» وقت نهاية الشيء، و«مساق» اسم زمان السوق، والمعنى: الأجل هو وقت سوق النفس إلى الموت.

[٩] **(والهرب منه موافاته):**

أي الهرب من الموت يوجب الوصول إليه، لأنّ الهرب يحتاج إلى زمان، وكلّما انقضى زمان اقترب الأجل.

[١٠] **(كم أطردت الأيّام):**

من باب الأفعال، وفي توضيح نهج البلاغة: إسناد الإطراد إلى الأيّام مجاز، والأصل أطردت ما أريد في الأيّام، نحو صائم نهاره، و(أطرد الشيء) جعله طريداً لاقتناصه والتحصيل عليه(٢).

و«أبحثها...» حال، أي طردتها حال كوني أبحث في تلك الأيّام.

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٨.

(٢) توضيح نهج البلاغة: ج٢، ص٣٧٢.

الْأَمْرِ[١١]، فَأَبَى اللَّهُ - عَزَّ ذِكْرُهُ - إِلَّا إِخْفَاءَهُ، هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَكْنُونٌ[١٢]. أَمَّا وَصِيَّتِي فَأَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - شَيْئاً، وَمُحَمَّداً ﷺ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ[١٣]، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ[١٤]، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا[١٥]، ....

---

[١١] **(عن مكنون هذا الأمر):**

بمعنى حقوقه عليه السلام في الخلافة وسائر ظلاماته، فالمعنى: كم حاولت إظهار حقّي وظلامتي، ولكن الله تعالى قدّر عدم ذلك، لحكمة هو يعلمها، ممّا هو مخفيّ عنكم، لأنَّ بعض مسائل القضاء والقدر من الغوامض التي لا يعلمها غالب الناس.

وقيل في معنى العبارة غير هذا(١).

[١٢] **(هيهات علم مكنون):**

أي لا يعلمه أحد لأنَّه علم مخزون من الغيب الذي لا يُطلع الله عليه أحداً إلَّا من ارتضاه.

[١٣] **(ومحمَّداً فلا تضيّعوا سُنَّته):**

بتقدير الزموا محمَّداً، و«التضييع» هو الإهمال.

[١٤] **(أقيموا هذين العمودين...) إلخ:**

العمودان والمصباحان هما التوحيد والنُّبوَّة - اللذان وصّى عليه السلام بهما - والإيقاد كناية عن الاستضاءة بنورهما.

[١٥] **(خلاكم ذمّ ما لم تشردوا):**

أي برئتم من الذّمّ، بشرط عدم الميل عن هذين العمودين، فكلّ من لم يشرك وعمل بمنهاج الرسول ﷺ فلا سبيل إلى ذمّه، وعن ابن الأثير: يُقال: افعل كذا وخلاك ذمّ، أي أعذرت وسقط عنك الذّمّ(٢).

---

(١) راجع التوضيح: ج٢، ص٣٧٣، والمرآة: ج٣، ص٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) الوافي: ج٢، ص٣٣٤.

حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مَجْهُودَهُ[١٦]، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ[١٧] رَبٌّ رَحِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ[١٨] صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً

---

[١٦] **(حُمِّل كلّ امرىء مجهوده):**

أي عليكم بمتابعة الكتاب والسُّنَّة بمقدار طاقتكم، فهذا هو الذي كلّفهم الله به، و«حُمِّل» بمعنى كُلِّف بأدائه.

وكلامه عليه السلام يُشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾(١)، أي عليه ما كُلِّف بأدائه، وعليكم ما كُلِّفتم من الطاعة.

[١٧] **(وخفَّف عن الجهلة...) إلخ:**

«خفَّف» بالمعلوم، أي لم يُكلِّف الجهلة أكثر من مبلغ علمهم، فلا يُحاسبون على جهلهم إذا لم يكن عن تقصير وقوله: (ربٌّ، إمامٌ، دينٌ) فاعل (خفَّف).

ولعلَّ المراد أنَّ التخفيف نشأ عن المشرِّع وهو الله، والمنفِّذ وهو الإمام، والقانون وهو الدِّين.

فالله تعالى يريد اليُسر بعباده ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢) فشرَّع ديناً سهلاً كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «بعثني بالحنيفية السهلة السمحة»(٣)، ونصب أئمَّةً معصومين ليطبِّقوا الدِّين بعد الرسول صلى الله عليه وآله بلا انحراف ولا اعوجاج لعلمهم وعصمتهم.

و«قويم» أي يقوم بشؤون الناس في معاشهم ومعادهم.

[١٨] **(أنا بالأمس...) إلخ:**

أي في حال صحتي كنت مثلكم أصحبكم في القضايا نافذ الحكم فيكم، وأما اليوم في مرضي تعتبرون بي كيف صارت حالتي مع تسليمي لقضاء الله، ثم سأفارقكم بالموت.

---

(١) سورة النُّور: الآية ٥٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٣) الكافي: ج٥، ص٤٩٤.

مُفَارِقُكُمْ. إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ الْمُرَادُ[١٩]، وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ[٢٠] فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ[٢١]، ....

[١٩] **(إن ثبتت الوطأة في هذه المزلّة فذاك المراد):**
«الوطأة» موضع القدم، «المزلّة» أي محل زلل الحياة حيث ضُرب عليه السلام، وهذا كناية عن معافاته عليه السلام من جرحه، وهذا هو ما يرجوه أهله والمؤمنون، أما هو عليه السلام فكان آنس بالموت من الطفل لمحالب أمّه، كما قال عليه السلام(١)، بل دعا الله تعالى لكي يريحه من الظالمين فقال: «اللّهمَّ إنّي مللتهم وملّوني فأبدلني خيراً منهم وأبدلهم شراً منّي»(٢).
وفي المرآة: ثم الظاهر ـ مع سائر الأخبار ـ أنَّه عليه السلام كان عالماً بشهادته ووقتها، وكان ينتظرها ويخبر بوقوعها، ويستنبطها في اللّيلة التي وعدها، ويقول: «ما منع قاتل»، فهذا الكلام من قبيل تصوير العالم نفسه بصورة الشاك لبعض المصالح، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾(٣).

[٢٠] **(وإن تدحض القدم. . .) إلخ:**
«دحضت القدم» زلَّت وزلقت، وهذا كناية عن الموت، وجزاء (إن) محذوف، أُقيم السبب مقام المسبِّب، أي وإن تدحض القدم فذلك قضاء الله لأنَّ بقاء الإنسان في الدُّنيا قليل كظلّ شجرة وغمام ونحو ذلك.

[٢١] **(أفياء أغصان):**
«أفياء» جمع فيء، وهو الظِّل، وعادة يُطلق على الظِّل بعد الظهر، لأنَّه يعود إلى الزيادة بعد نقصانه.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٥.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٥.
(٣) المرآة: ج٣، ص٢٩٨ والآية في سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وَذَرَى رِيَاحٍ[٢٢]، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامَةٍ[٢٣] اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُها، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّها، وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً[٢٤]، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَكَةٍ، وَكَاظِمَةً بَعْدَ نُطْقٍ[٢٥]، لِيَعِظَكُمْ هُدُوِّي[٢٦]،

---

[٢٢] **(وذَرىٰ رياح):**
أي ما جمعته الرِّياح، فإنَّه سرعان ما يتفرَّق، وفي المقاييس: والذَّرا: اسم لما ذرَّته الريح(١).

[٢٣] **(وتحت ظلِّ غمامة...) إلخ:**
أي وكنَّا تحت ظلِّ سحابة تفرَّقت في الفضاء بحيث لم يرَ لها أثر لا في السَّماء ولا في الأرض، و«اضمحلّ» أي تقشَّع، بمعنى ذهب، و«الجو» يُقال: لما بين السَّماء والأرض، و«متلفقها» من التلفيق، بمعنى المنضم بعضه إلى البعض، و«عفا» أي اندرس وذهب، و«مخطها» أي أثر ما خَطَّت في الأرض وهو ما يحدث في الأرض من الخطّ الفاصل بين ظلِّ الغمام ونور الشمس.

[٢٤] **(إنَّما كنت جاراً جاوركم بدني أيَّاماً...إلخ):**
أمَّا روحه عليه السلام فهي باقية بين الناس يشهد مقامهم ويسمع كلامهم ويردُّ جوابهم، ويحضر وفاتهم كما في مستفيض الأخبار(٢).
و«جثَّة خلاء» أي خالية من الرُّوح.

[٢٥] **(كاظمة بعد نطق):**
«كاظمة» بمعنى ساكنة ـ من السكون ـ.

[٢٦] **(ليعظكم هدوي...) إلخ:**
اللام إمَّا جارَّة فهي لام العاقبة أي حينما ترون هذه الحال تتعظون بها، وإمَّا لام الأمر والمعنى: اتعظوا.

---

(١) مقاييس اللغة: ص٣٦٥.
(٢) راجع البحار: ج٦، ص١٧٣ فما بعد.

وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لَكُمْ مِنَ النَّاطِقِ الْبَلِيغِ، وَدَّعْتُكُمْ وَدَاعَ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي[٢٧]. غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي[٢٨]، وَيَكْشِفُ اللَّهُ عَزَّ

«هدوّي» أصله (هدوئي) من هدأ يهدأ بمعنى السكون، و«خفوت» أي سكون، و«إطراقي» في الوافي: سكون قواي وموتها، جمع طِرق بالكسر بمعنى القوّة وقيل غير ذلك، و«أطرافي» إمَّا بفتح الهمزة جمع (طَرَف) أي الأعضاء، وإمّا بكسرها مصدر باب الأفعال بمعنى تحريك الجفن.

[٢٧] **(ودَّعتكم وداع مرصد للتلاقي):**
أي أودِّعكم لكن مع انتظار لقائكم، في ساعة احتضاركم وفي الرجعة وفي القيامة، «مُرْصِد» اسم فاعل من أرصد: أي منتظر.

[٢٨] **(غداً ترون أيَّامي. . .) إلخ:**
إمَّا بمعنى: أنَّكم ستعرفون فضل أيَّامي حينما يسيطر عليكم الظَلَمَة، فإنَّ غالب الناس لا يعرف النعمة إلَّا بعد فقدها، وحينئذٍ يتّضح لكم نواياي الحسنة تجاهكم، وأنِّي كنت أريد خيركم، ولذا حكمت بينكم بالعدل، ولم أظلم أحداً منكم.
أو بمعنى: غداً في الآخرة ترون أيَّامي، التي تكون بإرادة الله عامرة بالعزّ، حيث أقسم الجنَّة والنَّار بإذن الله، وأسقي المؤمنين من الحوض وأمنع الكفَّار والمنافقين عنه بإذن الله تعالى، وغير ذلك ممَّا سيظهر في الآخرة.
ويمكن أن يكون كلامه عليه السلام مقطعان:
الأوّل: يرتبط بالآخرة وهو قوله: «غداً ترون أيَّامي ويكشف الله عزَّ وجلَّ عن سرائري» وذلك لاتصاله بقوله: «مرصد للتلاقي».
والثاني: يرتبط بالدُّنيا وهو قوله: «وتعرفوني بعد خلوِّ مكاني، وقيام غيري مقامي».
وإنَّما قدَّم الآخرة لأنَّ ظهور قَدَره هناك على أجلىٰ صورة، أو مراعاة لترتيب الكلام وارتباطه بما قبله وهو «مرصد للتلاقي».

وَجَلَّ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونِّي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي. إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي[٢٩]، وَإِنْ أَفْنَ[٣٠] فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَلَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا[٣١]، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ. فَيَا لَهَا

---

[٢٩] (فأنا وليّ دمي):

لأنَّ الإنسان أولى بجراحاته من غيره، فكلّ جناية ـ لم توجب موتاً ـ جرت عليه فولاية القصاص أو الدية أو العفو له، هذا فضلاً عن أولويته عليه السلام من جهة الإمامة.

[٣٠] (وإن أفن. . .) إلخ:

من الفناء بمعنى الموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١).

ثم بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ له ولاية العفو حتى لو أدّى الجرح إلى الموت، وذلك لولايته من جهة الإمامة.

لكنَّه عليه السلام لم يعفُ عن قاتله بل أمر الإمام الحسن عليه السلام بقتله كما في آخر هذا الحديث، ويدلُّ عليه الحديث اللاحق، وذلك لعدم المصلحة في العفو عن ابن ملجم لعنه الله، فأمره بالعفو إنَّما هو عفو عمَّن شارك في دمه كالأشعث وقطام وغيرهما من المتآمرين، وذلك لعدم المصلحة في الانتقام منهم، بل أوكل عقابهم إلى ربّ العالمين.

[٣١] (فاعفوا واصفحوا):

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، وفي التبيين: ﴿وَإِن تَعْفُوا﴾ عنهم بترك عقابهم ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ بترك توبيخهم ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ لهم ما فرط منهم. . . إلخ.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٧.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٤.

حَسْرَةً[٣٢] عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً[٣٣]، أَوْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ. جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا يَقْصُرُ بِهِ[٣٤] عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ رَغْبَةٌ، أَوْ

فقد يعفو الإنسان ولا يُعاقب ولكنَّه يوبِّخ، وقد يترك التوبيخ لكنَّه لا يرجع الأمور إلى حالتها الطبيعية.

كلُّ ذلك لمن كان لائقاً لذلك أو كانت المصلحة في ذلك.

[٣٢] (فيا لها حسرة):

النداء للتعجب، واللام في (لها) حرف جر وهي تُفتح مع حرف النداء، و(ها) ضمير مُبهم، و(حسرة) تمييز لهذا الضمير المُبهم.

و(المستغاث به) إمَّا نفس الحسرة، أي يا حسرة احضري فهذا وقتك، وإمَّا محذوف أي يا قوم أدعوكم للحسرة، فتكون (الحسرة) ـ على هذا ـ مُستغاث له.

[٣٣] (عمره عليه حجَّة):

كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾(١)، والأيَّام تشهد على الإنسان في يوم القيامة كما في الحديث: «أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد»(٢) فإن عمل فيها صالحاً كانت الأيَّام حجَّة له، وإلَّا كانت حجَّة عليه.

[٣٤] (لا يقصر به...) إلخ:

فاعل لا يقصر قوله: (رغبة)، و(قصَّر فيه) من باب التفعيل بمعنى التواني والتماهل، و(قَصَر عنه) المجرَّد بمعنى العجز، و(أقصر عنه) من باب الأفعال بمعنى نزع عن الشيء وهو قادر عليه(٣).

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٥.

(٢) الكافي: ج٢، ص٥٢٣.

(٣) راجع مقاييس اللغة: ص٨٦٠.

تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَقِمَةٌ، فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ[٣٥]. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ: يَا بُنَيَّ ضَرْبَةً مَكَانَ ضَرْبَةٍ وَلَا تَأْثَمْ.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَقِيلِيِّ يَرْفَعُهُ قَالَ: قَالَ: لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ لِلْحَسَنِ: يَا بُنَيَّ إِذَا أَنَا مِتُّ فَاقْتُلِ ابْنَ مُلْجَمٍ وَاحْفِرْ لَهُ فِي الْكُنَاسَةِ[١] (وَوَصَفَ الْعَقِيلِيُّ الْمَوْضِعَ عَلَى بَابِ طَاقِ الْمَحَامِلِ مَوْضِعُ الشَّوَّاءِ وَالرَّوَّاسِ[٢]) ثُمَّ ارْمِ بِهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ.

---

[٣٥] (فإنَّما نحن له وبه):
أي نحن للموت ومتلبسون به، أو نحن لله وأفعالنا به أي بمعونته.

الحديث السابع:

[١] (الكناسة):
موضع في الكوفة، ولعلَّه كان في بداية أمره محلّ إلقاء القمامة، ووزن (فُعالة) لما يبقى من الشيء بعد الفعل، كالغُسالة والقُلامة والكُناسة.

[٢] (الشواء والرؤاس):
أي المكان الذين يشوون فيه اللحم ويطبخون الرأس، أو محل بيعهما، ولعلَّ تخصيص ذلك المكان لدفن هذا الملعون لأجل أن لا يتخذه الخوارج والنواصب مزاراً، فإنَّه سوق عام محل مرور وعمل الناس.
وقوله: «فإنَّه وادٍ من أودية جهنَّم» لعلَّه صار كذلك بعد مدفن ذلك الملعون، أو أنَّه تعالى جعله من أودية جهنَّم ليُدفن الخبيث فيه.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ؛ قَالَ الْكُلَيْنِيُّ وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنِ ابْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَمَّا حَضَرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام الْوَفَاةُ قَالَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا أَخِي إِنِّي أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا، إِذَا أَنَا مِتُّ فَهَيِّئْنِي، ثُمَّ وَجِّهْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِأُحْدِثَ بِهِ عَهْداً[١]، ....

الحديث الأوّل:

هذا الخبر يشتمل على وصية الإمام الحسن عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام، وأيضاً صلاته عليه، وكلاهما من علامات الإمامة.

[١] **(لأحدث به عهداً):**

أي أُجدِّد اللقاء به، لأنَّ العهد يأتي بمعنى الالتقاء والإلمام(١).

وفي المرآة: يمكن أن يستدلّ به على شرعيَّة ما هو شائع في هذه الأعصار في الروضات المقدَّسات من تزوير الأموات(٢).

وفي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام وفاطمة عليها السلام فيوضات معنوية سواء كان الزائر من الأحياء أم أدخل عليها ميتاً.

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٦٨٧.

(٢) المرآة: ج٣، ص٣٠٥.

ثُمَّ اصْرِفْنِي إِلَى أُمِّي عليها السلام[٢]، ثُمَّ رُدَّنِي فَادْفِنِّي بِالْبَقِيعِ[٣]، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيُصِيبُنِي مِنْ عَائِشَةَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ وَالنَّاسُ[٤]، صَنِيعُهَا وَعَدَاوَتُهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَعَدَاوَتُهَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلَمَّا قُبِضَ الْحَسَنُ عليه السلام وَوُضِعَ عَلَى

---

[٢] (ثمَّ اصرفني إلى أُمّي):

في المرآة: يدلُّ على أنَّ فاطمة ليست مدفونة في البقيع(١)، فلعلَّها مدفونة في الروضة أو في بيتها أو في مكان آخر.

[٣] (فادفني بالبقيع):

سيأتي في شرح الحديث الرابع أنّ وصيته عليه السلام بالدفن في البقيع مقيدة بالمنع عن دفنه عند جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

[٤] (ما يعلم الله والناس...) إلخ:

أي سيصيبني ما ليس خافياً على الله، كما أنَّ الناس سيعلمون بقبح عملها وعداوتها.

وقوله: «صنيعها» اسم ظاهر وضع مكان الضمير العائد إلى الموصول، فالمعنى: ما يعلمه الله والناس، وهو صنيعها وعداوتها... إلخ.

و«الصنيع» الفعل القبيح، وعن القاموس: صنع به صنيعاً قبيحاً فعله.

قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ يا عائشة وحفصة ممَّا آذيتم به النبي صلى الله عليه وآله ﴿إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ﴾ مالت ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ عن مرضاة الله تعالى، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ تتعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على النبي صلى الله عليه وآله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي فلا يصيبه مكروه لأنَّ الله تعالى يلي أمره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) وهو الإمام علي عليه السلام.

وقد روت العامَّة في صحاحهم أنَّ عائشة لا تطيب نفساً بذكر علي بن أبي طالب(٣)

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣٠٥.

(٢) سورة التحريم: الآية ٤.

(٣) راجع: مسند أحمد: ج٦، ص٣٤، ومصنف عبد الرزاق: ج٥، ص٤٣١، وطبقات ابن سعد: ج٢، ص٢٣٢.

السَّرِيرِ ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهِ إِلَى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ عَلَى الْجَنَائِزِ فَصَلَّى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَحُمِلَ وَأُدْخِلَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا أُوقِفَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ ذُو الْعُوَيْنَيْنِ[٥] إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا: إِنَّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا بِالْحَسَنِ لِيَدْفِنُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَخَرَجَتْ مُبَادِرَةً عَلَى بَغْلٍ بِسَرْجٍ - فَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ رَكِبَتْ فِي الْإِسْلَامِ سَرْجاً - فَقَالَتْ: نَحُّوا ابْنَكُمْ عَنْ بَيْتِي فَإِنَّهُ لَا يُدْفَنُ فِي بَيْتِي وَيُهْتَكُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ حِجَابُهُ، فَقَالَ لَهَا الْحُسَيْنُ عليه السلام: قَدِيماً هَتَكْتِ أَنْتِ وَأَبُوكِ حِجَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٦] وَأَدْخَلْتِ عَلَيْهِ بَيْتَهُ مَنْ لَا يُحِبُّ قُرْبَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُكِ عَنْ ذَلِكِ يَا عَائِشَةُ.

---

[٥] (ذو العوينين):

تصغير عين، بمعنى الجاموس، وكان مروان بن الحكم لعنه الله[١].

[٦] (حجاب رسول الله ﷺ):

ولهذا الحديث تتمة، وهو ردّ الإمام الحسين عليه السلام عليها، وفيه بيان معنى هتكها لحجاب رسول الله ﷺ.

ثمَّ اعلم أنَّه ما كان يجوز دفنهما عند رسول الله ﷺ لا عند الخاصَّة ولا على مذهب العامَّة.

أما عند الخاصَّة: فلأنَّ بيوته ﷺ كانت إرثاً لورثته، وورثته كن زوجاته يرثن ثُمن تركته خلا الأرض لأنَّ الزوجة لا ترث من الأرض شيئاً، فكانت كل أراضي بيوته إرثاً للزهراء عليها السلام وبعدها ورثها أمير المؤمنين عليه السلام وأولادهما عليهم السلام، ولم يستأذنهم أحد في دفنهما في الحجرة، وقال لها ابن الحنفية أو ابن عبّاس:

لك التُّسع من الثُّمن وفي الكل تصرَّفتِ

لأنَّ زوجات الرسول ﷺ حين وفاته كنَّ تسعة، وحصتهن جميعاً من

---

(١) كما في البحار: ج٤٤، ص١٤١ عن عيون المعجزات للسيِّد المرتضى.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ؛ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا حَضَرَتِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام الْوَفَاةُ، قَالَ: يَا قَنْبَرُ انْظُرْ هَلْ تَرَى مِنْ وَرَاءِ[١] بَابِكَ مُؤْمِناً مِنْ غَيْرِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام؟ فَقَالَ:

الإرث الثُّمن يقسم عليهن، فنصيب كل واحدة منهن التُّسع من الثُمن أي واحد من اثنين وسبعين جزءاً، ما خلا الأرض فلا يرثن منه شيئاً.

وأما عند العامَّة: فلأنَّ تركته عندهم صدقة لحديث وضعوه، فكانت بيوته صدقة لفقراء المسلمين، فما كان يجوز دفنهما في أرض الصدقة ـ وهي لفقراء المسلمين ـ.

الحديث الثاني:

في هذا الحديث ما يدلُّ على جلالة محمَّد ابن الحنفية رضوان الله عليه، وبيان قدره عند أمير المؤمنين عليه السلام، وتسليمه لأمر الله في إمامة أخويه عليهما السلام.

وإنَّما خصَّ الإمام الحسن عليه السلام محمَّداً بهذا الكلام، لأنَّه كان أكبر إخوته بعد الحسنين عليهما السلام، وأيضاً لعلمه عليه السلام بما ستدّعيه عليه الكيسانية، فأراد إتمام الحجَّة عليهم وعلى غيرهم ممَّن يبلغه هذا الكلام.

وأيضاً حفظاً لمحمَّد ابن الحنفية، فإنَّه لم يكن معصوماً فاحتاج إلى تأكيد الأمر عليه.

[١] **(هل ترى من وراء...) إلخ:**

الظاهر أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان يريد حضورهم ليشهدوا ما يقوله لمحمد ابن الحنفية، وما يقوله محمَّد له عليه السلام.

وفي البحار: ولعلَّ السؤال لأنَّه كان يريد أوَّلاً أن يبعث غير قنبر لطلب ابن الحنفية، فلمَّا لم يجد غيره بعثه(١).

---

(١) البحار: ج٤٤، ص١٧٦.

اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ وَابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي[٢]، قَالَ: ادْعُ لِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، فَأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: هَلْ حَدَثَ إِلَّا خَيْرٌ؟ قُلْتُ: أَجِبْ أَبَا مُحَمَّدٍ، فَعَجَّلَ عَلَى شِسْعِ نَعْلِهِ[٣]، فَلَمْ يُسَوِّهِ وَخَرَجَ مَعِي يَعْدُو، فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: اجْلِسْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ يَغِيبُ عَنْ سَمَاعِ كَلَامٍ يَحْيَا بِهِ الْأَمْوَاتُ، وَيَمُوتُ بِهِ الْأَحْيَاءُ[٤]، ....

---

[٢] **(أعلم به منّي):**

لما قال له الإمام عليه السلام: «مؤمناً من غير آل محمَّد»، أجاب قنبر بهذا الجواب، فإنَّ معرفة حقيقة الإيمان غير متيسِّرة إلَّا مع العلم بالبواطن.

ولعلَّ قنبراً رضوان الله عليه كان يعلم بالبواطن حيث كان من أصحاب الأسرار ولذا قال: «أنت أعلم» ـ كذا في المرآة(١) ـ.

[٣] **(فعجَّل على شسع نعله):**

أي صار تعجيله مانعاً عن عقد شسع نعله(٢)، و«يعدو» أي يركض.

[٤] **(كلام يحيا به الأموات، ويموت به الأحياء):**

أي كلام فيه الحجَّة، كما قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾(٣)، أي ليهلك بالكفر بعد إقامة الحجَّة عليه، ويحيي بالإيمان من قَبِل الحجَّة وأذعن لها.

أو بمعنى أنَّ السامع إذا أقرَّ به فهو حيّ بالحياة المعنوية حتى بعد وفاته وإذا أنكره فهو ميِّت حتى في حال حياته، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٤).

أو يُقال: إنَّ هكذا تعبير هو كناية عن أهمية المطلب.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣٠٦.

(٢) كذا في البحار: ج٤٤، ص٣٠٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

كُونُوا أَوْعِيَةَ الْعِلْمِ[٥]، وَمَصَابِيحَ الْهُدَى، فَإِنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ بَعْضُهُ أَضْوَأُ مِنْ بَعْضٍ[٦]، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ وُلْدَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَئِمَّةً[٧]، وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ[٨] عَلَى بَعْضٍ، وَآتَى دَاوُدَ عليه السلام زَبُوراً، وَقَدْ عَلِمْتَ بِمَا اسْتَأْثَرَ بِهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله[٩]،

---

[٥] **(كونوا أوعية العلم...) إلخ:**
«أوعية العلم» تحريض على قبول الوصية، «ومصابيح الهدى» تحريض على نشرها.

[٦] **(فإنَّ ضوء النهار بعضه أضوأ من بعض):**
الظاهر أنَّ هذا المقطع كالمقدِّمة لكلامه عليه السلام، فيقول له: إنَّك وإن كنت أخانا، ولكن الله اختارني وأخي الحسين للإمامة ولم يخترك، كما أنَّ ضوء الفجر والضحى والزوال والغروب كلّه من أصل واحد هي الشمس لكن بعضها أنور من بعض، وكما حدث هذا في الأُمم السابقة حيث اصطفى الله بعض ذرِّيَّة إبراهيم عليه السلام دون بعض.

[٧] **(جعل ولد إبراهيم أئمَّة):**
كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٢)

[٨] **(وفضَّل بعضهم...) إلخ:**
إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾(٣).

[٩] **(وقد علمت بما استأثر به محمَّداً صلى الله عليه وآله):**
أي كان سبب اختياره صلى الله عليه وآله هو اصطفاء الله تعالى، له وليس السبب ماله أو نسبه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٢) سورة الأنبياء: الآيتان ٧٢ ـ ٧٣.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ[١٠]! إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْحَسَدَ[١١]، وَإِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْكَافِرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[١٢]: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾(١)، وكما قال إخوة يوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾(٢).

والحاصل: أنَّ محمد ابن الحنفية كان يعلم فضل الإمام الحسين عليه السلام عليه، وذلك الفضل هو سبب اختيار الله تعالى للحسين دون ابن الحنفية.

[١٠] **(يا محمَّد بن علي):**

الإمام الحسن عليه السلام في مقام تحريض ابن الحنفية على اتباع الإمام الحسين عليه السلام ذكر أمور:

١ ـ حذَّره من الحسد وهو عدو داخلي.

٢ ـ حذَّره من الشيطان وهو عدو خارجي.

٣ ـ بيَّن فضل ابن الحنفيَّة تطيباً لخاطره، وبياناً في أنَّ له مقاماً وشأناً فلا يطمع في ما ليس له، وإن نصحه من باب البرّ لأمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ بيَّن أنَّ الإمامة هي باختيار الله، وأنَّه عليه السلام أوصى للحسين عليه السلام واختاره تنفيذاً لأمر الله تعالى.

[١١] **(أخاف عليك الحسد):**

لأنَّ الحسد من أقوى منافذ الشيطان، وقد يُردي الحسدُ المؤمنين ويسوقهم إلى الجحود والكفر، فلذا احتاج حتى أمثال ابن الحنفية للتحذير منه.

[١٢] **(فقال الله عزَّ وجلَّ):**

تمام الآية ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(٣).

---

(١) سورة الضحى: الآيات ٦ ـ ٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البَقَرَة: ١٠٩]. وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكَ سُلْطَاناً[١٣]، يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ! أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِيكَ فِيكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَاكَ عليه السلام يَقُولُ[١٤] يَوْمَ الْبَصْرَةِ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبَرَّنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَبَرَّ مُحَمَّداً وَلَدِي، يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ! لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ وَأَنْتَ نُطْفَةٌ فِي ظَهْرِ أَبِيكَ لَأَخْبَرْتُكَ[١٥]، يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام - بَعْدَ وَفَاةِ نَفْسِي وَمُفَارَقَةِ رُوحِي جِسْمِي - إِمَامٌ مِنْ بَعْدِي، وَعِنْدَ اللَّهِ[١٦] جَلَّ اسْمُهُ فِي

---

[١٣] (ولم يجعل الله عزَّ وجلَّ للشيطان عليك سلطاناً):

المقصود هو حثّ محمَّداً ابن الحنفية على الإيمان والتوكّل لكيلا يقع في شرك الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾(١).

[١٤] (سمعت أباك عليه السلام يقول: ...) إلخ:

لعلَّ المقصود أنَّ نصيحتي لك إنَّما هي إحسان إليك، فإنَّ من يدَّعي الإمامة بغير حقّ أو ينازع إماماً منصوباً من الله فقد باء بغضب من الله ومصيره إلى النار، فإنِّي أريد أن أبرّ أباك عليه السلام بأن أُحسن إليك واحذّرك من مغبَّة مخالفة الإمام الحسين عليه السلام.

وأيّ برّ أعظم من هداية إنسان إلى طريق الحقّ وتحذيره عن طريق جهنَّم.

[١٥] (وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك):

لعلَّ المراد بيان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعتُه منه في إمامة الحسين عليه السلام وذلك قبل انعقاد نطفتك.

[١٦] (وعند الله):

عطف على (بعدي)، أي وإمام من عند الله جلَّ اسمه، وقد سطَّره تعالى في الكتاب أي في اللوح المحفوظ وفي القرآن وفي الوصية المنزلة من السَّماء.

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٩٩ - ١٠٠.

الْكِتَابِ، وِرَاثَةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ[١٧]، أَضَافَهَا اللَّهُ[١٨] عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِي وِرَاثَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ خِيَرَةُ خَلْقِهِ فَاصْطَفَى مِنْكُمْ مُحَمَّداً ﷺ، وَاخْتَارَ مُحَمَّدٌ عَلِيّاً عليه السلام، وَاخْتَارَنِي عَلِيٌّ عليه السلام بِالْإِمَامَةِ، وَاخْتَرْتُ أَنَا الْحُسَيْنَ عليه السلام. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ[١٩]: أَنْتَ إِمَامٌ وَأَنْتَ وَسِيلَتِي إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ

---

[١٧] **(وراثة من النبي ﷺ):**

فإنَّ رسول الله ﷺ كان الإمام، وبعده انتقلت الإمامة إلى أمير المؤمنين ثم الإمام الحسن ثم الإمام الحسين عليهم السلام، وعُبِّر عن هذا الانتقال بالوراثة، كما أنَّهم ورثوا من الرسول ﷺ الكتاب وعلمه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١). أو المقصود بيان فضل الإمام الحسين عليه السلام حيث إنّه حفيد الرسول ﷺ فجمع بين شرفين ـ شرف الولادة من أمير المؤمنين وشرف الولادة من فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ ـ.

[١٨] **(أضافها الله. . .) إلخ:**

أي أضاف الوراثة ـ من النبي ﷺ إلى وراثته من أبويه ـ، ولعلَّ المراد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كما يرث أباه وأُمّه عليهما السلام، كذلك يرث من رسول الله الإمامة إرثاً معنوياً.

وفي المرآة: إشارة إلى حضوره عند وصية النبي ﷺ والوصية إليه على الخصوص(٢).

[١٩] **(فقال له محمد بن علي):**

حاصل كلامه: أنَّه يعرف فضائل الإمام الحسين عليه السلام بحيث لا يمكنه بيان كل تلك الفضائل لكثرتها، ولقصور الكلام عن التعبير عنها، مع علمه بأنَّ تلك الفضائل قد بيَّنها السابقون كالرسول ﷺ والأمير عليه السلام، وأنّه مُسلِّم بإمامة الحسين عليه السلام وراضٍ بها.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٣.

(٢) المرآة: ج٣، ص٣١٠.

نَفْسِي ذَهَبَتْ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ هَذَا الْكَلَامَ[٢٠]، أَلَا وَإِنَّ فِي رَأْسِي كَلَاماً لَا تَنْزِفُهُ الدِّلَاءُ[٢١]، وَلَا تُغَيِّرُهُ نَغْمَةُ الرِّيَاحِ[٢٢]، كَالْكِتَابِ الْمُعْجَمِ فِي الرَّقِّ الْمُنَمْنَمِ[٢٣]، ....

---

[٢٠] **(قبل أن أسمع منك هذا الكلام):**

الذي فيه خبر وفاتك.

[٢١] **(في رأسي كلاماً لا تنزفه الدّلاء):**

أي كلاماً عظيماً في فضل الإمام الحسين عليه السلام أو في فضلكما.

و«لا تنزفه الدّلاء»: أي لا تفنيه كثرة البيان، كالبئر العميقة التي لا يغور ماؤها على كثرة النزح، و«النزف» أي النزح.

[٢٢] **(ولا تغيّره نغمة الرياح):**

كناية عن عذوبته حتى وإن قلّ بيانه، فإنّ البئر إذا لم تُنزح تغيّر ماؤها بسبب الذُّرى التي تحمله الرياح، وليست كذلك فضائله أو فضائلكما فإنّها محفورة بالقلب وإن قلّ النطق بها، و«النغمة» الصوت الحسن أو الصوت الخفيّ[١].

[٢٣] **(كالكتاب المعجم في الرق المنمنم):**

«المعجم»: الخط الذي تمّ تنقيطه كي يستبين ويتضح، و«الرق» الورق الذي يكتب فيه قال تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[٢]، و«المنمنم» من النمنمة وهي الزخرفة أو بمعنى مقاربة الخطوط[٣] فإنّه أجمل للخط، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لكاتبه: أَلِق دواتك، وأَطِل جِلفة قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمط بين الحروف، فإنّ ذلك أجدر بصباحة الخط[٤] والقرمطة بين الحروف هي المقاربة بينها وتضييق فواصلها.

والمقصود هو تشبيه فضائله عليه السلام بالخطّ الجميل.

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص١٠٠٠ والمرآة: ج٣، ص٣١١.

(٢) سورة الطور: الآيتان ٢ ـ ٣.

(٣) راجع المقاييس: ص٩٦٣.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة: ٣١٥.

أَهَمُّ بِإِبْدَائِهِ فَأَجِدُنِي سُبِقْتُ إِلَيْهِ[٢٤] سَبَقَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ، أَوْ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَإِنَّهُ لَكَلَامٌ يَكِلُّ بِهِ لِسَانُ النَّاطِقِ[٢٥]، وَيَدُ الْكَاتِبِ، حَتَّى لَا يَجِدَ قَلَماً، وَيُؤْتَوْا بِالْقِرْطَاسِ حُمَماً[٢٦]، فَلَا يَبْلُغُ إِلَى فَضْلِكَ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الْحُسَيْنُ أَعْلَمُنَا عِلْماً[٢٧]، وَأَثْقَلُنَا حِلْماً، وَأَقْرَبُنَا

---

[٢٤] **(فأجدني سُبقت إليه. . .) إلخ:**

«سُبقت» بالمجهول، «إليه» إلى ذلك الكلام، والمعنى أنَّ تلك الفضائل مذكورة قبلي، و«سبق» مصدر وهو مفعول مطلق للتشبيه، أي كما سُبقت بالكتاب وبما جاءت به الرُّسل، فكذلك سبقت في فضل الإمام الحسين عليه السلام أو في فضلكما ـ أي الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ـ.

ولا يخفى لطف التشبيه، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام عِدل القرآن الكريم، فيقول ابن الحنفية: كما سبقت بالكتاب وسائر ما جاءت به الرُّسل، كذا سبقت بعِدله وهو أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، فتأمَّل.

[٢٥] **(يكلُّ به لسان الناطق):**

أي يعجز عن النطق.

[٢٦] **(حتى لا يجد قلماً، ويؤتوا بالقرطاس حمماً):**

أي حتى تفنى الأقلام وتسودُّ الأوراق من الكتابة كأنَّها الفحم، فإنَّها لا تبلغ فضائلك أو فضائلكما.

وفي المرآة: بل المكتوب قليل من كثير كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾(١)، وقد ورد أنَّهم كلمات الله(٢).

[٢٧] **(أعلمنا علماً. . .إلخ):**

«علماً» ذكره للمبالغة والتأكيد.

والمعنى: أنَّ الإمام الحسين عليه السلام جامع للكمالات في النسب، وفي الصفات النفسية، وفي العلم، وأنَّ ذلك كان قبل خلقه لأنَّ الله تعالى اصطفاه.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) المرآة: ج٣، ص٣١٢.

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله رَحِماً، كَانَ فَقِيهاً قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ[٢٨]، وَقَرَأَ الْوَحْيَ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ[٢٩] وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِي أَحَدٍ خَيْراً مَا اصْطَفَى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ مُحَمَّداً، وَاخْتَارَ مُحَمَّدٌ عَلِيّاً، وَاخْتَارَكَ عَلِيٌّ إِمَاماً، وَاخْتَرْتَ الْحُسَيْنَ، سَلَّمْنَا وَرَضِينَا. مَنْ هُوَ بِغَيْرِهِ[٣٠] يَرْضَى؟ وَمَنْ غَيْرُهُ كُنَّا نَسْلَمُ بِهِ مِنْ مُشْكِلَاتِ أَمْرِنَا.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَمَّا احْتُضِرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام[١] قَالَ لِلْحُسَيْنِ: يَا أَخِي، إِنِّي أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ

---

[٢٨] (كان فقيهاً قبل أن يُخلق):

أي قبل ولادته كان فقيهاً، لأنَّ أرواحهم خُلقت قبل أجسادهم.

وعن حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه سئل الإمام الحسين عليه السلام: ما كنتم قبل خلق الخلق، فقال عليه السلام: «كنَّا أشباح نور معلَّقة حول العرش نعلِّم الملائكة التسبيح والتهليل»(١).

[٢٩] (وقرأ الوحي قبل أن ينطق):

في البحار: قبل أن ينطق أي بين الناس، كما ورد أنَّه عليه السلام أبطأ عن الكلام، أو مطلقاً إشارة إلى علمه في عالم الأرواح وفي الرحم(٢).

[٣٠] (من هو بغيره...):

الاستفهام للإنكار، والمعنى: لا نرضى بغيره عليه السلام، وفي مشاكلنا لا نسلِّم أُمورنا لغيره.

الحديث الثالث:

[١] (لما احتضر الحسن بن عليّ عليه السلام):

وكان سبب وفاته أنَّ جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، وأمّها أمّ فروة

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص٢٣.

(٢) البحار: ج٤٤، ص١٧٩.

فَاحْفَظْهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَهَيِّئْنِي، ثُمَّ وَجِّهْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأُحْدِثَ بِهِ عَهْداً، ثُمَّ اصْرِفْنِي إِلَى أُمِّي فَاطِمَةَ عليها السلام، ثُمَّ رُدَّنِي فَادْفِنِّي بِالْبَقِيعِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيُصِيبُنِي مِنَ الْحُمَيْرَاءِ مَا يَعْلَمُ النَّاسُ مِنْ صَنِيعِهَا وَعَدَاوَتِهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَعَدَاوَتِهَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

فَلَمَّا قُبِضَ الْحَسَنُ عليه السلام وَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ عَلَى الْجَنَائِزِ، فَصَلَّى عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام، فَلَمَّا أَنْ صَلَّى عَلَيْهِ حُمِلَ فَأُدْخِلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا أُوقِفَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلَغَ عَائِشَةَ الْخَبَرُ وَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ لِيُدْفَنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَخَرَجَتْ مُبَادِرَةً عَلَى بَغْلٍ بِسَرْجٍ - فَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ رَكِبَتْ فِي الْإِسْلَامِ سَرْجاً -، فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: نَحُّوا ابْنَكُمْ عَنْ بَيْتِي، فَإِنَّهُ لَا يُدْفَنُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُهْتَكُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ حِجَابُهُ، فَقَالَ لَهَا الْحُسَيْنُ[٢] بْنُ عَلِيٍّ

أخت أبي بكر(١)، سمَّته، بإغراءٍ من معاوية(٢).

وللتفصيل راجع كتاب بحار الأنوار للعلّامة المجلسي فقد جمع روايات الخاصّة والعامّة في تفصيل كيفية استشهاده عليه السلام(٣).

[٢] (فقال لها الحسين عليه السلام):

اعلم أنّه يظهر من مختلف الروايات أنَّ الإمام الحسن عليه السلام أوصى أن يُدفن عند جدّه ﷺ، فإن منعوا عن ذلك ففي البقيع عند فاطمة بنت أسد سلام الله عليها.

ففي أمالي المفيد بإسناده عن ابن عبّاس أنَّ الحسن عليه السلام قال للحسين عليه السلام: «ولكن اكتب يا أخي: هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي - إلى أن قال -: وأن تدفنّي مع رسول الله ﷺ

---

(١) راجع البحار: ج٤٤، ص١٣٥ عن المناقب.

(٢) المصدر: ص١٤٧ عن الاحتجاج.

(٣) المصدر، ص١٣٤ - ١٦٢.

فإنّي أحقّ به وببيته ممّن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله تعالى فيما أنزله على نبيّه صلى الله عليه وآله في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[1]، فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرُّف فيما ورثناه من بعده، فإن أبت عليك الامرأة فأنشدك الله بالقرابة التي قرَّب الله عزَّ وجلَّ منك والرحم الماسّة من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تهريق فيَّ محجمة من دمّ، ـ إلى أن قال ـ: ثم قبض عليه السلام، ـ إلى أن قال ـ: وإنَّ الحسين عليه السلام أمر أن يفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان، ـ إلى أن قال ـ: فقال الحسين عليه السلام: «أما والذي حرَّم مكَّة، لَلْحسنُ بن علي وابن فاطمة أحقّ برسول الله صلى الله عليه وآله وببيته ممَّن أُدخل بيته بغير إذنه»... الحديث[2].

وفي إرشاد المفيد: وقال الحسين عليه السلام: «والله لولا عهد الحسن إليَّ بحقن الدماء، وأن لا أهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا»، ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها[3].

وفي المناقب: ورموا بالنبال جنازته حتَّى سُلَّ منها سبعون نبلاً[4].

أقول: لعلَّ وصيته عليه السلام بعدم إهراق محجمة دم إنَّما هو لحفظ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لا يحدث قتال عند قبره الشريف ومسجده، وحفظاً لبني هاشم إذ كان سيُقتل منهم جمع لا محالة.

وقيل: إنَّ مروان أراد قتل عائشة بسهم ـ كما قتل طلحة يوم الجمل ـ ثم

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٢) راجع تفصيل الحديث في البحار: ج٤٤، ص١٥١ ـ ١٥٣ عن أمالي المفيد.

(٣) البحار: ج٤٤، ص١٥٧ عن إرشاد المفيد.

(٤) المصدر، عن المناقب.

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: قَدِيماً هَتَكْتِ أَنْتِ وَأَبُوكِ حِجَابَ رَسُولِ اللَّهِ[٣]، وَأَدْخَلْتِ بَيْتَهُ مَنْ لَا يُحِبُّ رَسُولُ اللَّهِ قُرْبَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُكِ عَنْ ذَلِكِ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ أَخِي أَمَرَنِي أَنْ أُقَرِّبَهُ مِنْ أَبِيهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُحْدِثَ بِهِ عَهْداً، وَاعْلَمِي أَنَّ أَخِي[٤] أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ كِتَابِهِ مِنْ أَنْ يَهْتِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ سِتْرَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وَقَدْ أَدْخَلْتِ أَنْتِ بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرِّجَالَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ[٥]، ....

يشيع بنو أمية أنّ الحسين وبني هاشم قتلوا عائشة ليستأصلوهم بعذر مقبول عند العامّة، وليلوثوا سمعتهم عند الجهّال من الناس.

[٣] **(قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله):**

أي إن كان الدفن عند رسول الله ﷺ هتكاً لحرمته فإن دفن أبي بكر وعمر عنده هتك له، فكيف جاز لك ذلك؟ بل الظاهر أنّ القضية ليس شرطية، أي إن دفنهما هتك له مطلقاً، كيف لا يجوز دفن الحسن عليه السلام عنده مع أنّه بضعته مع أنّ هذا البيت إرث فاطمة عليها السلام ثم ورثناه نحن منها، فالبيت ملكنا؟

[٤] **(واعلمي أنّ أخي...):**

حاصله: أنّ الحسن عليه السلام أعلم بالكتاب منكِ حيث وصّى أن يدفن عند جدّه ﷺ لولا منعك، بل أنت خالفتِ الكتاب حيث يقول تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ولم يأذن الرسول ﷺ ولا ورثته في ما فعلتِه من دفنهما عنده.

[٥] **(وقد أدخلت أنت بيت رسول الله الرّجال بغير إذنه):**

إمّا بمعنى دفنهما عنده بغير إذن، أو هو إشارة إلى ما روته العامّة في كتبهم أيضاً، من دخول الرّجال البيت، منها ما رواه مسلم أنّ رجلاً نزل بعائشة فأصبح يغسل ثوبه... الحديث(١).

---

(١) رواه مسلم: ج١، ص١٦٤، الحديث رقم ٦٩٤.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٦]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحُجرَات: ٢]، وَلَعَمْرِي لَقَدْ ضَرَبْتِ أَنْتِ لِأَبِيكِ وَفَارُوقِهِ عِنْدَ أُذُنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَعَاوِلَ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الحُجرَات: ٣] وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَدْخَلَ أَبُوكِ وَفَارُوقُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِهِمَا مِنْهُ الْأَذَى، وَمَا رَعَيَا مِنْ حَقِّهِ[٧] مَا أَمَرَهُمَا اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ....

وروى ابن حنبل بإسناده عن عروة بن الزبير: كانت عائشة تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبَّت عائشة أن يراها ويدخل عليها ـ وإن كان كبيراً ـ خمس رضعات ثم يدخل عليها(١).

[٦] **(وقد قال الله عزَّ وجلَّ):**

روت العامَّة أنَّ الآية نزلت في أبي بكر وعمر حين تشاجرا بمحضر رسول الله ﷺ فارتفعت أصواتهما فنزلت الآية(٢).

ثمَّ إنَّ حرمة الرسول ﷺ ميتاً كحرمته حيّاً، فلا يجوز رفع الصوت عند قبره الشريف، كما لم يجز في حياته، والحفر بالمعاول يستلزم أصوات قوية تحدث من ضربها في الأرض، وهذا نوع رفع صوت عند النبي، أو هو استدلال بالأولوية، فإذا كان رفع الصوت ممنوعاً فإحداث الصوت بالضرب بالمعاول أشدّ منعاً.

ثمَّ إنَّ الإمام الحسن عليه السلام حيث أوصى بدفنه عند جدِّه ﷺ لولا المنع، كان يعلم بأنَّ الحسين عليه السلام سيراعي هذه الآية فكان يحفر له قبراً من غير إحداث أصوات.

[٧] **(وما رعيا من حقِّه...) إلخ:**

عدم رعايتهما إمَّا لأنَّهما أوصيا أن يُدفنا عنده، أو هو إشارة إلى شأن

---

(١) مسند أحمد: ج٦، ص٢٧٠، الحديث رقم ٢٦٣٧٣.

(٢) رواه البخاري: ج٤ ص١٨٣٣، الحديث رقم ٤٥٦٤.

إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ[٨] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَاتاً مَا حَرَّمَ مِنْهُمْ أَحْيَاءً، وَتَاللَّهِ يَا عَائِشَةُ! لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتِهِ مِنْ دَفْنِ الْحَسَنِ عِنْدَ أَبِيهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَائِزاً فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ[٩]، لَعَلِمْتِ أَنَّهُ سَيُدْفَنُ وَإِنْ رَغِمَ مَعْطِسُكِ[١٠].

قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَقَالَ: يَا عَائِشَةُ يَوْماً عَلَى بَغْلٍ،

نزول الآية حيث نزلت فيهما ـ على ما روته العامَّة ـ.

والحاصل: لم تراعَ حرمة الرسول في حياته برفع الصوت عنده حتى نزلت الآية ناهية، ولم تراعَ حرمته بعد وفاته حيث أوصيا بأن يدفنا عنده من غير استئذان ورثته، مع رفع الصوت عنده بالضرب بالمعاول.

[٨] **(إنَّ الله حرَّم. . .) إلخ:**

في المرآة: دفع بذلك ما ربَّما يتوهم من أنَّ حرمة الدخول في بيته بغير إذنه أو رفع الصوت عنده لعلَّهما كانا في حال حياته ولا يشمل ما بعد موته ﷺ(١).

[٩] **(جائزاً فيما بيننا وبين الله):**

أي لم يكن جائزاً، تنفيذاً لوصيته عليه السلام حيث قال: «فإن أبت عليك المرأة فأنشدك الله. . .»إلخ، وقد ذكرنا الوصية في أوَّل هذا الحديث.

وفي حديث آخر: فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين عليه السلام: «الله الله لا تضيِّعوا وصية أخي»(٢).

[١٠] **(رغم معطسك):**

«المعطس» الأنف، و«الرَّغام»: التراب، ومنه (أرغم الله أنفه) أي ألصقه بالرغام، وهو كناية عن الانقياد على كره.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣١٨.

(٢) البحار: ج٤٤، ص١٤١ عن عيون المعجزات، للمرتضى.

وَيَوْماً عَلَى جَمَلٍ، فَمَا تَمْلِكِينَ نَفْسَكِ[١١]، وَلَا تَمْلِكِينَ الْأَرْضَ، عَدَاوَةً لِبَنِي هَاشِمٍ، قَالَ: فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ هؤُلَاءِ الْفَوَاطِمُ[١٢] يَتَكَلَّمُونَ فَمَا كَلَامُكَ؟ فَقَالَ لَهَا الْحُسَيْنُ عليه السلام: وَأَنَّى تُبْعِدِينَ مُحَمَّداً مِنَ الْفَوَاطِمِ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ وَلَدَتْهُ ثَلَاثُ فَوَاطِمَ[١٣]: فَاطِمَةُ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ عَائِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصَمِّ ابْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حِجْرِ بْنِ عَبْدِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام: نَحُّوا ابْنَكُمْ وَاذْهَبُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.

---

[١١] **(فما تملكين نفسك...) إلخ:**

أي لا تسيطرين عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾(١).

«ولا تملكين الأرض» أي لا تستقرّين في البيت كما قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾(٢).

«عداوة لبني هاشم» مفعول له، أي سبب عدم استقرارك وخروجك إلى البصرة ثم خروجك الآن هو العداوة لبني هاشم.

[١٢] **(هؤلاء الفواطم):**

أي المنسوبون إلى فاطمة عليها السلام، فكأنّه جمع (فاطمي) على غير قياس.

وفي المرآة: أي المنسوبون إلى فاطمة، فالجمعيّة باعتبار (المنسوب) لا باعتبار (المنسوب إليه)، فإنَّه يُقال للقرشي: قريش، فـ(الفاطم) بمنزلة الفاطمي، جُمع على الفواطم، والمراد الفاطميُّون(٣).

[١٣] **(ثلاث فواطم):**

الأولى: زوجة عبد المطلب، وهي أُمّ عبد الله وأبي طالب.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) المرآة: ج٣، ص٣١٩.

قَالَ: فَمَضَى الْحُسَيْنُ عليه السلام إِلَى قَبْرِ أُمِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ فَدَفَنَهُ بِالْبَقِيعِ.

والثانية: زوجة أبي طالب، وهي أمّ أمير المؤمنين.

والثالثة: زوجة هاشم، وهي أمّ عبد المطلب، سلام الله عليهم وعليهن أجمعين(١).

---

(١) وقد صادف كتابة شرح هذا الباب كلّه، ليلة ويوم السابع من شهر صفر عام ١٤٣٢ وهو يوم استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، رزقنا الله زيارته وشفاعته، والحمد لله ربّ العالمين.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ؛ وَأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام لَمَّا حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ، دَعَا ابْنَتَهُ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَدَفَعَ إِلَيْهَا كِتَاباً مَلْفُوفاً وَوَصِيَّةً ظَاهِرَةً، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَبْطُوناً مَعَهُمْ لَا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّهُ لِمَا بِهِ، فَدَفَعَتْ فَاطِمَةُ الْكِتَابَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، ثُمَّ صَارَ وَاللَّهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ إِلَيْنَا يَا زِيَادُ. قَالَ: قُلْتُ: مَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: فِيهِ وَاللَّهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وُلْدُ آدَمَ[١] مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَنْ تَفْنَى الدُّنْيَا، وَاللَّهِ إِنَّ فِيهِ الْحُدُودَ، حَتَّى أَنَّ فِيهِ أَرْشَ الْخَدْشِ.

الحديث الأوّل:

هذا الحديث جزء من حديث طويل، وقد مضى شرحه في الحديث السادس من باب (ما نصَّ الله ورسوله على الأئمَّة) فراجع، وفي آخر هذا الحديث تكملة لم يروها هناك.

[١] **(ما يحتاج إليه ولد آدم...):**

الظاهر أنَّ مضمون الكتاب كان في الأحكام الشرعية، ويمكن أن يكون قد احتوى على كلّ شيء، ولا يبعد أن يكون هذا الكتاب هو الكتاب نفسه الذي كان في ذؤابة سيف رسول الله وفيه الأحرف التي يفتح منها ألف باب ـ وقد مرَّ ذكره سابقاً ـ(١).

---

(١) راجع باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين، الحديث السادس.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَمَّا حَضَرَ الْحُسَيْنَ عليه السلام مَا حَضَرَهُ، دَفَعَ وَصِيَّتَهُ إِلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ ظَاهِرَةً فِي كِتَابٍ مُدْرَجٍ[١]، فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا كَانَ، دَفَعَتْ ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام. قُلْتُ لَهُ: فَمَا فِيهِ ـ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ـ؟ فَقَالَ: مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وُلْدُ آدَمَ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تَفْنَى.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا صَارَ إِلَى الْعِرَاقِ اسْتَوْدَعَ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْكُتُبَ وَالْوَصِيَّةَ[١]، فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام دَفَعَتْهَا إِلَيْهِ.

الحديث الثاني:

هذا الحديث هو القطعة الأخيرة نفسها من الحديث السابق، بسند آخر.

[١] **(ظاهرة في كتاب مدرج):**

«ظاهرة» حال من (وصيته)، والمقصود أنَّ دفع الوصية لها كان علناً، «مدرج» أي مطوياً ـ ملفوفاً ـ.

الحديث الثالث:

[١] **(الكتب والوصية):**

في المرآة: وهذه الوصية غير الوصية التي دفعها إلى فاطمة، ولعلّها كانت الوصية المختومة النازلة من السَّماء(١).

ويدلّ الحديث على جلالة قدر أم سلمة، بحيث استودعت مواريث الأنبياء، وأمارات الإمامة، بل لها مواقف عظيمة دفاعاً عن العترة

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣٢١.

٤ ـ «وفِي نُسْخَةِ الصَّفْوَانِيِّ[١]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ فُلَيْحِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعِنْدَهُ وُلْدُهُ[٢]، إِذْ جَاءَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَخَلَا بِهِ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأُدْرِكُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، يُكَنَّى أَبَا جَعْفَرٍ، فَإِذَا أَدْرَكْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، قَالَ: وَمَضَى جَابِرٌ، وَرَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فَجَلَسَ مَعَ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَإِخْوَتِهِ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَيَّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ؟ فَقَالَ: قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّكَ سَتُدْرِكُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، يُكَنَّى أَبَا جَعْفَرٍ، فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: هَنِيئاً لَكَ يَا بُنَيَّ مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ رَسُولِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ بَيْتِكَ، لَا تُطْلِعْ إِخْوَتَكَ عَلَى هَذَا فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً، كَمَا كَادُوا إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ عليه السلام».

الطاهرة وبث فضائلهم ومناقبهم، فرضوان الله عليها.

الحديث الرابع:

[١] (وفي نسخة الصفواني):
أي كان هذا الحديث في نسخته في هذا الباب، مع أنَّه من الباب الآتي، لأنَّ فيه الإشارة على الإمام الباقر عليه السلام.

[٢] (وعنده ولده):
كانوا أحد عشر ذكراً من أُمّهات الأولاد، إلَّا الإمام محمّد الباقر وعبد الله الباهر فإنَّ أُمّهما فاطمة بنت الحسن بن علي (عليهما وعليها السلام)(١).

---

(١) للتفصيل راجع البحار: ج٤٦، ص١٥٥.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةُ، قَبْلَ ذَلِكَ أَخْرَجَ سَفَطاً أَوْ صُنْدُوقاً[١] عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ احْمِلْ هَذَا الصُّنْدُوقَ، قَالَ: فَحَمَلَ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ[٢]، فَلَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ إِخْوَتُهُ يَدَّعُونَ مَا فِي الصُّنْدُوقِ فَقَالُوا: أَعْطِنَا نَصِيبَنَا فِي الصُّنْدُوقِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكُمْ فِيهِ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ لَكُمْ فِيهِ شَيْءٌ مَا دَفَعَهُ إِلَيَّ. وَكَانَ فِي الصُّنْدُوقِ سِلَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكُتُبُهُ.

الحديث الأوّل:

[١] (سفطاً أو صندوقاً):

التردد من الراوي، أو أراد الإمام عليه السلام الإبهام كما مرَّ نظيره في ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(١)، والظاهر أنَّ «السفط» معرب (سبد) وهو وعاء يُصنع من الخوص ونحوه.

[٢] (فحمل بين أربعة):

وذلك لثقله، حيث كان فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وجميع الكتب النازلة على الأنبياء عليهم السلام، وقد مرَّ ذكر تفاصيل السلاح والكتب.

وقوله: «قال فحمل...» أي قال الراوي ـ وهو إسماعيل بن محمَّد ـ.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٧.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: الْتَفَتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَى وُلْدِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا الصُّنْدُوقُ اذْهَبْ بِهِ إِلَى بَيْتِكَ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَلَكِنْ كَانَ مَمْلُوءاً عِلْماً[١].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ[١] ....

ويمكن أن يكون القائل هو الإمام الباقر عليه السلام، فقوله: (جاء إخوته...) على سبيل الالتفات، أو كان في كلامه عليه السلام (جاء إخوتي) لكن الراوي نقله بالمعنى.

وروى هذه الرواية في بصائر الدرجات بسند آخر عن الإمام الصّادق عليه السلام، فلا يحتاج إلى تأويل حينئذٍ.

الحديث الثاني:

[١] **(ولكن كان مملوءاً علماً):**

ولا ينافي احتواءه على السلاح أيضاً ـ كما في الحديث السابق ـ، بل المعنى كان أكثره العلم، وهذا تعبير متداول، فيقول الناس عن احتواء شيء لشيء بحيث كان الغالب فيه: مملوء من كذا.

الحديث الثالث:

[١] **(إنَّ عمر بن عبد العزيز):**

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وظنَّ البعض أنّه كان خيّراً،

كَتَبَ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ[٢]: أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ بِصَدَقَةِ عَلِيٍّ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ[٣]، وَإِنَّ ابْنَ

لمنعه عن سبّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولبعض ما حكي عن سيرته.

ولكن الصحيح أنَّه رأى تزلزل عرش بني أمية نتيجة شدَّة الجور والاستئثار، فأراد بدهاء تقوية أُسس ملكهم، فلمَّا رأى استياء المسلمين من سبّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر بإلغاء السبّ لأنَّ ذلك كان من عوامل تزلزل صرح بني أمية، كما تظاهر بالتقشُّف والزهد ليبيِّض ما اسودّ من وجوههم من الاستئثار والتبذير والمجون ونحو ذلك.

ولكن بعض شياطينهم لم يفهموا ما قصده لذا أزاحوه عن السلطة بأن سمّوه ـ على ما قيل ـ، ثم رجعوا إلى السبّ والاستئثار وسائر منكراتهم، وكان نتيجة ذلك سقوط دولتهم بعد ما يُقارب من ثلاثين سنة بعد موت عمر بن عبد العزيز.

وممَّا يدلُّ على شقائه عدم إرجاعه السلطة إلى أهل البيت عليهم السلام، ولو فرض أنَّه كان عاجزاً عن ذلك فكان عليه اعتزال السلطة كما فعله معاوية بن يزيد بن معاوية.

والحاصل: أنَّ منعه السبّ وزهده لم يكن يريد به وجه الله تعالى، فهو كمن يصلِّي رياءً فإنَّ صلاته تنقلب وبالاً عليه.

[٢] **(ابن حزم):**

هو محمد بن عمر بن حزم الأنصاري، وكان والياً على المدينة حينذاك.

[٣] **(يرسل إليه بصدقة علي وعمر وعثمان):**

أي الأوقات التي أوقفوها، والمراد أن يرسل إليه بإحصاء تلك الأوقاف، أو بمعنى أن يرسل إليه محصول تلك الأوقاف.

وعلى الأوَّل: لعلَّ الغرض هو اطلاع السلطة على الأموال التي هي في يد ذرّيتهم.

وهذا من دأب الحكومات الجائرة، فإنَّها تُحصي أموال الناس، وخاصَّة

حَزْمٍ بَعَثَ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ[٤] وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ، فَسَأَلَهُ الصَّدَقَةَ، فَقَالَ زَيْدٌ: إِنَّ الْوَالِيَ كَانَ بَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنَ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ الْحُسَيْنَ، وَبَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، وَبَعْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، فَابْعَثْ إِلَيْهِ فَبَعَثَ ابْنُ حَزْمٍ إِلَى أَبِي، فَأَرْسَلَنِي أَبِي بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ حَتَّى دَفَعْتُهُ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا[٥]: يَعْرِفُ هَذَا وُلْدُ الْحَسَنِ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا لَيْلٌ،

من يُخشى منهم، ليعرفوا مقدار إمكانياتهم وتحرُّكاتهم، ولكي لا تُصرف تلك الأموال في المعارضة، أو ليكون مقدِّمة لمصادرتها.

ولما شعر عمر بن عبد العزيز بتزلزل أركان حكم بني أمية أراد استقصاء أموال من يخشى منهم لمعرفة الناس بهم أو لميلهم إليهم.

وعلى الثاني ـ أي إرسال محصول تلك الأوقاف ـ: فالأمر أوضح حيث جرَّدهم عملياً من تلك الأموال.

ويبدو أنَّه لم يكن لأبي بكر أوقاف ولذا لم يذكره في الرسالة.

[٤] (زيد بن الحسن):

في إرشاد المفيد: وأما زيد بن الحسن عليه السلام، فكان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسَنَّ، وكان جليل القدر، كريم الطبع، ظريف النفس، كثير البِرّ، ومدحه الشعراء، وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله، ـ إلى أن قال ـ: ومات زيد بن الحسن وله تسعون سنة(١).

وقال المفيد أيضاً: وخرج زيد بن الحسن ـ رحمة الله عليه ـ من الدُّنيا ولم يدّع الإمامة، ولا ادّعاه له مدّع من الشيعة ولا غيرهم(٢).

[٥] (فقال له بعضنا):

أي قال للصادق عليه السلام: إنَّ هذه القضية التي نقلتها ـ وهو قول زيد بن الحسن: إنَّ الوالي بعد علي. . .إلخ ـ هل يعرفها من ادّعى الإمامة من

---

(١) البحار: ج٤٤، ص١٦٤.

(٢) المصدر: ص١٦٥ عن الإرشاد.

وَلَكِنَّهُمْ يَحْمِلُهُمُ الْحَسَدُ، وَلَوْ طَلَبُوا الْحَقَّ بِالْحَقِّ[٦] لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الدُّنْيا[٧].

بني الحسن، مثل محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى عليه السلام؟

ولا يخفى أنَّ أولاد الإمام الحسن عليه السلام أخيار فاضلون استشهد ثلاثة منهم مع عمّهم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وجرح الحسن المثنى فأنقذه بعض أقرباء أُمّه[١]، ولم يدّع أحد منهم الإمامة ولا عارض الأئمّة عليهم السلام.

وكان عقب الإمام الحسن عليه السلام في زيد والحسن المثنى، وكان غالب ذرّيتهم أخياراً، إلّا ما كان من أمر عبد الله بن الحسن المثنى؛ وأبنائه، والروايات الذامّة تحمل على هؤلاء لأنّهم كانوا الأشهر.

على أنَّ في صحَّة ادعائهم للإمامة كلاماً، ولعلَّ ما ورد في ذمّهم كان للتقية، والله العالم.

[٦] **(ولو طلبوا الحق بالحق):**

أي «طلبوا الحق» وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع البدع ونحو ذلك، «بالحق» أي عن الطريق الحق وهو استئذان الإمام المعصوم، إذ لا يجوز القيام إلّا بإذنه لا عن طريق ادعاء الإمامة، وفي الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٢]، فإنَّ صحَّة الغاية لا تُبرِّر الوسيلة الباطلة، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور لا والله لا أفعل»[٣].

[٧] **(ولكنّهم يطلبون الدُّنيا):**

أي من ادعى الإمامة منهم، وقد ذكرنا إمكان كون هذا الكلام عن تقية، لأنَّ العيون كانت منتشرة على الإمام الصَّادق عليه السلام، فأراد حفظ نفسه وأصحابه، فتأمَّل.

---

(١) المصدر: ص١٦٧ عن الإرشاد.

(٢) أمالي الصدوق: ص٤٥٢.

(٣) أمالي المفيد: ص١٧٢.

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ ابْنُ حَزْمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَبِي عليه السلام.

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ مِثْلَهُ.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ: نَظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَمْشِي فَقَالَ: تَرَى هَذَا؟ هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

الحديث الأوّل:

[١] (قال الله عزَّ وجلَّ...):

اعلم أنَّ نبي الله موسى عليه السلام وشيعته هم من مصاديق هذه الآية، ومصداقها الآخر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كما يظهر من مستفيض الروايات(١).

ومعنى (الاستضعاف) هو غصب حقوقهم وظلمهم وعدم إطاعتهم، كما قال هارون عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾(٢)، ومنزلة أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله هي منزلة هارون من موسى.

وأما قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فللدلالة على أنَّ الاستضعاف إنَّما هو في الأرض، وإلَّا فهم عظماء عند الله تبارك وتعالى.

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٧، ص٣١٦، وراجع أيضاً مقدّمة (كلمة الإمام المهدي) للشهيد السيِّد حسن الشيرازي.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي عليه السلام الْوَفَاةُ قَالَ: يَا جَعْفَرُ أُوصِيكَ بِأَصْحَابِي خَيْراً[١]، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَاللَّهِ لَأَدَعَنَّهُمْ ـ وَالرَّجُلُ[٢] مِنْهُمْ يَكُونُ فِي الْمِصْرِ ـ فَلَا يَسْأَلُ أَحَداً.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْمُثَنَّى، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْوَلَدُ، يُعْرَفُ فِيهِ شِبْهَ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ وَشَمَائِلِهِ[١]،

وقوله: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي للأرض وملكها، وذلك في الرجعة المباركة، فراجع الأحاديث في تفسير البرهان.

الحديث الثاني:

[١] **(أوصيك بأصحابي خيراً):**
وقد مرَّ أنَّ الوصية علامة الإمامة، وهذه الوصية عامَّة أن يراعيهم مادياً ومعنوياً.

[٢] **(لأدعنهم والرجل. . .) إلخ:**
المعنى: أنِّي سأنفذ الوصية بحيث لا يبقى محتاجاً منهم بحيث يسأل الناس الصدقة أو يسأل الناس عن أحكامه، حتى إذا كانوا في المدن الأُخرى، أي سأعتني بهم حتى البعيدين عنِّي في المدن الأُخرى.
«لأدعنهم» أي سأتركهم على حالة غنى مادي ومعنوي «والرجل» الواو للحال، «المصر» المراد المدن الأُخرى.

الحديث الثالث:

[١] **(شبه خَلقه وخُلقه وشمائله):**
«الخلق» بالفتح، والمراد به هنا ما خُلق منه، كالنُّور والطينة.

وَإِنِّي لَأَعْرِفُ مِنِ ابْنِي هَذَا شِبْهَ خَلْقِي وَخُلُقِي وَشَمَائِلِي، يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ طَاهِرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَأَقْبَلَ جَعْفَرٌ عليه السلام فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هَذَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ[١] أَوْ أَخْيَرُ.

و«الخُلق» بالضم الصورة الباطنية كالعلم والحلم ونحوهما.

و«الشمائل» الصورة الظاهرية كالهيئة والشكل والقامة ونحوها.

وما من شك أنَّ من كان شبيهاً بالإمام في نوره وطينته وأخلاقه لا بُدَّ أن يكون إماماً مثله.

الحديث الرابع:

[١] (هذا خير البرية):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾(١)، والمراد بهم الإمام علي عليه السلام وشيعته كما في مستفيض الروايات(٢)، و«البرية» الناس من (برأ) إذا خلق.

والمعنى: هذا خير الناس في زمانه، وما من شك أنَّ من كان أفضل أهل زمانه كان هو الإمام، إذ لا يجوز إمامة المفضول على الفاضل، كما مرَّ سابقاً.

وأمَّا قوله: (أو أخير) فهو من ترديد رجال السند، والصحيح هو (الخير) لأنَّ (الأخير) غير مستعمل بل حُذفت همزته لكثرة الاستعمال، والذي يدلُّ على هذا عدم هذا الترديد في الحديثين اللاحقين مع أنَّ الراوي للأحاديث الثلاثة هو(طاهر) وكان خادماً للإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام.

---

(١) سورة البيِّنة: الآية ٧.

(٢) راجعها في تفسير البرهان: ج١٠، ص٣٦١ ـ ٣٦٨.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ طَاهِرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَأَقْبَلَ جَعْفَرٌ عليه السلام فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هَذَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ طَاهِرٍ قَالَ: كُنْتُ قَاعِداً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَأَقْبَلَ جَعْفَرٌ عليه السلام فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هَذَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنِ الْقَائِمِ عليه السلام[١]؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، قَالَ عَنْبَسَةُ: فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام دَخَلْتُ عَلَى أَبِي

الحديث السابع:

[١] (سئل عن القائم):

من معاني (القيام) هو مراعاة الشيء والحفظ له[١]، كقوله تعالى: ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾[٢]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٣]، فعلى هذا المعنى كل الأئمّة عليهم السلام قائمون، وسيأتي في باب (أنّ الأئمّة كلّهم قائمون بأمر الله تعالى هادون إليه) بعض الروايات، ومنها: عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سُئل عن القائم؟ فقال: «كلنا قائم بأمر الله، واحداً بعد واحد، حتى يجيء صاحب السيف، فإذا جاء صاحب السيف جاء بأمر غير الذي كان».

---

(١) راجع المفردات: ص٦٩٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨.
(٣) سورة الرعد: الآية ٣٣.

عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: صَدَقَ جَابِرٌ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّكُمْ تَرَوْنَ[٢] أَنْ لَيْسَ كُلُّ إِمَامٍ هُوَ الْقَائِمَ بَعْدَ الْإِمَامِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ!.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَبِي عليه السلام اسْتَوْدَعَنِي مَا هُنَاكَ[١]، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: ادْعُ لِي شُهُوداً فَدَعَوْتُ لَهُ أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ[٢]، فَقَالَ: اكْتُبْ هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ يَعْقُوبُ بَنِيهِ[٣] ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

---

[٢] **(لعلّكم ترون...)**:
هذا نفي لتوهمهم، أي هل تظنون ذلك؟ كلا ليس الأمر كما تظنون، بل كل إمام قائم... الخ.

الحديث الثامن:

[١] **(استودعني ما هناك)**:
لعلّه عليه السلام أشار إلى مكان جعل فيها تلك الودائع، وهي الكتب والسلاح ونحوهما.

[٢] **(فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر)**:
أي كان من الأربعة، فيكون المراد من (قريش) ما يشمل مواليهم، فقد كان يطلق لقب القبائل على مواليهم، وأحياناً كانوا يضيفون (بالولاء) أو (مولاهم) فيقولون: فلان القرشي بالولاء ـ مثلاً ـ.

[٣] **(هذا ما أوصى يعقوب بنيه)**:
لعلَّ في اختيار الآية ـ وهي في أصول الدين ـ إشعاراً بأنّه عليه السلام يريد الوصية بأمر هام هو من أصول الدين أيضاً، ألا وهي الإمامة.
وأمّا الآية فهي قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ

مُسْلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٢]، وَأَوْصَى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ[٤] فِي بُرْدِهِ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ الْجُمُعَةَ، وَأَنْ يُعَمِّمَهُ بِعِمَامَتِهِ، وَأَنْ يُرَبِّعَ قَبْرَهُ، وَيَرْفَعَهُ أَرْبَعَ أَصَابِعَ[٥]، وَأَنْ يَحُلَّ عَنْهُ أَطْمَارَهُ[٦] عِنْدَ دَفْنِهِ. ثُمَّ قَالَ لِلشُّهُودِ: انْصَرِفُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ - بَعْدَ مَا انْصَرَفُوا - مَا كَانَ فِي هَذَا بِأَنْ تُشْهِدَ عَلَيْهِ[٧]؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ

يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١).

[٤] **(وأن يكفنه. . .) إلخ:**

ولعلّ سبب ذلك - مضافاً إلى الآثار الغيبيّة والأخروية - هو ربط الدين بالإنسان حيّاً وميتاً، وبيان أهمية هذا النوع من الزيّ، وكذا أهمية الصلاة، والله العالم.

[٥] **(يربّع قبره ويرفعه أربع أصابع):**

و«التربيع» أن يكون التراب مستوياً على القبر من غير تسنيم، وفي حديث آخر عن الإمام الصّادق عليه السلام: «والقبور تربَّع ولا تسنَّم»(٢).

وأما رفعه أربع أصابع، فلعلّه لأجل أن يكون محلّ القبر معلوماً. وهذا هو أقل مقدار الاستحباب، وإلّا فالرفع أكثر من ذلك جائز.

[٦] **(أطماره):**

جمع (طمر) وهو الثوب البالي، والمراد به الكفن، أي يحلُّ عقد الكفن.

[٧] **(ما كان في هذا بأن تشهد عليه):**

«ما» استفهامية، أي ما هي الفائدة في الإشهاد على هذه الأمور؟

---

(١) سورة البقرة: الآيتان: ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) الوسائل: ج٣، ص١٨٢.

كَرِهْتُ أَنْ تُغْلَبَ[٨] وَأَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُوصَ إِلَيْهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لَكَ الْحُجَّةُ.

---

[٨] **(كرهت أن تُغْلب):**

أي ينكروا إمامتك وذلك عن طريق إنكار الوصية، وقد مرَّ أنَّ الوصية من علامات الإمامة.

ثمَّ إنَّ في تركيب العبارة ومعناها احتمالات أُخرى، فراجع المرآة.

بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقَلَّاءِ، عَنِ الْفَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: خُذْ بِيَدِي مِنَ النَّارِ[١]، مَنْ لَنَا بَعْدَكَ؟ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ـ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ ـ فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، فَتَمَسَّكْ بِهِ.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ ثُبَيْتٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَ أَبَاكَ مِنْكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ[١] أَنْ يَرْزُقَكَ مِنْ عَقِبِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ مِثْلَهَا، فَقَالَ: قَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هُوَ

الحديث الأوّل:

[١] (خذ بيدي من النار):

أي أنقذني منها.

الحديث الثاني:

[١] (الذي رزق أباك منك هذه المنزلة):

أي كما رزق أباك بأن يكون ابنه إماماً، كذلك أسأله أن يجعل الإمامة في ابنك، و«من» في (منك) للتعليل أي رزق أباك بسببك، «هذه المنزلة» بأن يكون إمام في أبنائه.

ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ ـ وَهُوَ رَاقِدٌ ـ، فَقَالَ: هَذَا الرَّاقِدُ ـ وَهُوَ غُلَامٌ[٢] ـ.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَرَّجَانِيُّ الْفَارِسِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، قَالَ[١]: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي السَّنَةِ الَّتِي أُخِذَ فِيهَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَاضِي عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ

---

[٢] **(وهو غلام):**
والمقصود أنَّ إمامته عليه السلام كانت مثبتة ومعينة، حتى مع حياة إسماعيل وعبد الله الأفطح ـ وهما أكبر منه عليه السلام ـ، وكان الإمام الصادق عليه السلام يعلم ذلك ويشير إلى الخواص به.

الحديث الثالث:

[١] **(عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال):**
سؤال الأرجاني كان عن الإمام بعد الكاظم عليه السلام، وكان جواب عبد الرحمن بن الحجّاج حول النص عليه ـ أي على الكاظم ـ.
قيل: كان في آخر هذا الحديث الشريف قصة إمامة الرِّضا عليه السلام، فتركه المصنّف، لأنَّ الباب معقود لغيرها.
وقيل: إنَّ عبد الرحمن بَيَّن العلامة العامَّة لكلّ الأئمّة ـ وهي استواء درع رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم ـ.
وقد مرَّ أنَّه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله درعان، أحدهما علامة الإمامة فتستوي على كلّ الأئمّة، والآخر علامة المهدي فلا تستوي إلَّا على جسده الشريف.
أقول: الظاهر أنَّ عبد الرحمن بن الحجّاج ـ في بداية أمره ـ كان يتصوَّر أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام هو المهدي، ولذا وقف عليه، ثم رجع إلى الحق بعد ظهور المعجزات على يد الإمام الرِّضا عليه السلام(١)، قال النجاشي: وبقي

---

(١) البحار: ج٤٨، ص٢٥٨ عن غيبة الطوسي.

هَذَا الرَّجُلَ قَدْ صَارَ فِي يَدِ هَذَا[٢] وَمَا نَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ، فَهَلْ بَلَغَكَ عَنْهُ فِي أَحَدٍ مِنْ وُلْدِهِ شَيْءٌ؟ فَقَالَ لِي: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَداً يَسْأَلُنِي عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي مَنْزِلِهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ كَذَا فِي دَارِهِ[٣]، فِي مَسْجِدٍ لَهُ، وَهُوَ يَدْعُو، وَعَلَى يَمِينِهِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام يُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ قَدْ عَرَفْتَ انْقِطَاعِي إِلَيْكَ وَخِدْمَتِي لَكَ، فَمَنْ وَلِيُّ النَّاسِ بَعْدَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى قَدْ لَبِسَ الدِّرْعَ وَسَاوَى عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَحْتَاجُ بَعْدَ هَذَا إِلَى شَيْءٍ.

بعد أبي الحسن ورجع إلى الحق ولقي الرِّضا عليه السلام(١)، وبهذا يتّضح سائر كلامه في هذا الحديث، فقوله: «ما ظننت أنَّ أحداً يسألني عن هذه المسألة» إشارة إلى وقفه، وزعمه أنَّ الكاظم عليه السلام هو القائم، وأيّد كلامه بأن ساق حديث لقائه بالإمام الصَّادق عليه السلام ونصّه على ابنه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وحديثه في لبس الدرع، ثم توهم عبد الرحمن أنَّ المُراد هو الدرع الذي يستوي على الإمام القائم عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، والحال أنَّ المقصود كان الدرع الذي هو علامة الإمامة ويستوي على جميع الأئمَّة عليهم السلام.

[٢] **(هذا الرجل قد صار في يد هذا):**

أي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد صار حبيساً عند هارون لعنه الله تعالى.

[٣] **(في بيت كذا في داره):**

البيت هو الحجرة، فإن كانت في الطابق العلوي سُمِّيت غُرفة، و«الدار» هو الجامع للحجرات وسائر أقسام المنزل.

«في مسجد له» أي كان في مصلّاه الذي يصلّي فيه، فالمعنى أنَّ الإمام كان على مصلّاه في حجرة من منزله.

---

(١) رجال النجاشي: ص٢٣٨، رقم ٦٣٠.

٤ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُوسَى الصَّيْقَلِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَدَخَلَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَهُوَ غُلَامٌ، فَقَالَ: اسْتَوْصِ بِهِ[١]، وَضَعْ أَمْرَهُ عِنْدَ مَنْ[٢] تَثِقُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِكَ.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ[١] قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يَوْماً فَسَأَلَهُ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِلَى مَنْ نَفْزَعُ وَيَفْزَعُ النَّاسُ بَعْدَكَ[٢]؟ فَقَالَ: إِلَى صَاحِبِ الثَّوْبَيْنِ الْأَصْفَرَيْنِ وَالْغَدِيرَتَيْنِ ـ يَعْنِي

الحديث الرابع:

[١] **(استوص به):**
أي اقبل وصيتي فيه، أو بمعنى وصِّ نفسك وغيرك برعاية حقِّه.

[٢] **(وضع أمره عند من...) إلخ:**
أي أخبر بأمر إمامته، «من تثق به من أصحابك» وذلك للتقية، وذلك لما سيأتي في الحديث الثالث عشر من أنَّ المنصور لعنه الله أمر بقتل وصي الإمام الصَّادق عليه السلام.

الحديث الخامس:

[١] **(إسحاق بن جعفر):**
قال الشيخ المفيد: كان من أهل الفضل والصلاح والورع... وكان يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام(١).

[٢] **(إلى من نفزع ويفزع الناس بعدك):**
«الفزع» الاستغاثة والالتجاء، والمقصود إلى من نرجع في أُمور ديننا؟

---

(١) الإرشاد: ج٢، ص٢١١.

الذُّؤَابَتَيْنِ[٣] - وَهُوَ الطَّالِعُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، يَفْتَحُ الْبَابَيْنِ بِيَدِهِ جَمِيعاً، فَمَا لَبِثْنَا أَنْ طَلَعَتْ عَلَيْنَا كَفَّانِ آخِذَةٌ بِالْبَابَيْنِ[٤] فَفَتَحَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ.

٦ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ[١]: قَالَ لَهُ مَنْصُورُ بْنُ حَازِمٍ: بِأَبِي

---

[٣] **(يعني الذؤابتين):**

«الذُؤابة» ما استرسل من شعر الصُّدغ - وهو طرف الوجه ما بين خط العين إلى أصل الأذن(١).

[٤] **(آخذة بالبابين):**

أي مصراعي الباب، وفي إرشاد المفيد تتمة للحديث: (آخذتان بالبابين حتى انفتحتا ودخل علينا أبو إبراهيم موسى بن جعفر وهو صبي وعليه ثوبان أصفران)(٢).

ثم إنَّ التعريف بأمثال هذه الأوصاف سبب لبقاء الصورة في الذهن أكثر من مجرّد ذكر الاسم، وقد ثبت في العلم الحديث أنَّ ما يراه الإنسان بعينه أقل عرضة للنسيان ممّا يسمعه، وقال بعض أهل الاختصاص أنَّ سبب ذلك أنَّ الخلايا البصرية هي أكثر من الخلايا السمعية فيكون الانتقال إلى الدماغ بخلايا أكثر وهذا سبب كون المعرفة بالرؤية أكثر من المعرفة بالسمع.

الحديث السادس:

[١] **(قال):**

أي قال صفوان: «قال له» أي للإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) المقاييس: ص٥٦٤.

(٢) الإرشاد: ج٢، ص٢٢٠.

أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ الْأَنْفُسَ يُغْدَى عَلَيْهَا وَيُرَاحُ[٢]، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَمَنْ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَهُوَ صَاحِبُكُمْ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام الْأَيْمَنِ ـ فِيمَا أَعْلَمُ[٣] ـ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خُمَاسِيٌّ[٤] وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ[٥] جَالِسٌ مَعَنَا.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

---

[٢] **(يُغدى عليها ويُراح):**

«الغدو» أوّل الصباح، و«الرواح» العصر، والمراد أنَّ ملك الموت يطوف على الناس دائماً فيقبض الأرواح صباحاً ومساءً ـ أي في كلّ وقت ـ «فإذا كان ذلك» أي وفاتك، لم يذكره صراحة تأدُّباً.

[٣] **(فيما أعلم):**

أي أظنُّ أنَّه كان المنكب الأيمن، ولعلَّه كان الأيسر.

[٤] **(خماسي):**

في الوافي: أي طوله خمسة أشبار، ولا يُقال: سداسي ولا سباعي، لأنَّه إذا بلغ ستة أشبار فهو رجل(١). فالمقصود أنَّه عليه السلام كان صغيراً حينذاك.

[٥] **(وعبد الله بن جعفر):**

الذي ادّعت الفطحية إمامته بعد الإمام الصَّادق عليه السلام، ثم مات بعد أربعين يوماً من استشهاد أبيه، فرجع أكثر الفطحية عن إمامته، وبقي القليل منهم اعتبروه الإمام السابع، واعتبروا الكاظم الإمام الثامن، وقد انقرضت الفطحية في عصورها الأولى.

الحديث السابع:

قد مرَّ صدر هذا الحديث في الحديث السادس من باب (إثبات

---

(١) الوافي: ج٢، ص٣٥٢.

أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَانَ كَوْنٌ - وَلَا أَرَانِي اللَّهُ ذَلِكَ - فَبِمَنْ أَئْتَمُّ؟ قَالَ: فَأَوْمَأَ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى عليه السلام. قُلْتُ: فَإِنْ حَدَثَ بِمُوسَى حَدَثٌ فَبِمَنْ أَئْتَمُّ؟ قَالَ: بِوَلَدِهِ، قُلْتُ: فَإِنْ حَدَثَ بِوَلَدِهِ حَدَثٌ وَتَرَكَ أَخاً كَبِيراً وَابْناً صَغِيراً فَبِمَنْ أَئْتَمُّ؟ قَالَ: بِوَلَدِهِ. ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا أَبَداً. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَعْرِفْهُ وَلَا أَعْرِفْ مَوْضِعَهُ[١]؟ قَالَ: تَقُولُ[٢]: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَلَّى مَنْ بَقِيَ مِنْ حُجَجِكَ مِنْ وُلْدِ الْإِمَامِ الْمَاضِي، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الإمامة في الأعقاب وأنَّها لا تعود في أخ ولا عمّ ولا غيرهما من القرابات).

[١] **(فإن لم أعرفه ولا أعرف موضعه):**

أي لا أعرف شخصه، ولا يمكنني التحقيق عنه لعدم معرفتي بمكانه حتى أذهب إليه مثلاً.

[٢] **(قال: تقول):**

يدلُّ على أنَّ من تعذَّر عليه المعرفة التفصيلية تكفيه المعرفة الإجمالية مع الإذعان.

وقد ذكرنا في كتاب (التفكُّر في القرآن) المقدار اللازم من الاعتقاد في أُصول الدِّين، فراجع.

ولذا لو بلغ أهل قُطر من الأقطار البعيد وفاة الإمام، فأرسلوا من يثقون بهم ليعرفوا الإمام اللاحق، فإنَّهم معذورون في عدم المعرفة التفصيلية إلى حين رجوع من أرسلوهم، ومن مات منهم في هذه المدة تجزيه المعرفة الإجمالية ولا يكون ممَّن كانت ميتته ميتة جاهلية.

٨ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقَلَّاءِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام ـ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ ـ فَقَالَ: هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِينَا[١] مَوْلُودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى شِيعَتِنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: لَا تَجْفُوا إِسْمَاعِيلَ[٢].

الحديث الثامن:

[١] **(لم يولد فينا):**
أي بين أولادي، فهو الإمام دونهم، ومن الواضح أنَّه لا نسبة بين بركة الإمام وبركة غيره حتى الأخيار.

[٢] **(لا تجفوا إسماعيل):**
«الجفاء» بمعنى الابتعاد وهو نقيض الصلة، والمعنى: إنَّ إسماعيل وإن لم يكن إماماً، لكن له فضله لورعه وتقواه، إضافة إلى نسبه وكونه أكبر الأولاد، وليس عدم إمامته لعيب فيه، بل لأنَّ الله اصطفى موسى بن جعفر عليه السلام واختاره للإمامة، فلا تذهب بكم الظنون في إسماعيل.
وإسماعيل هذا قد مات في حياة الإمام الصَّادق عليه السلام، وقد كان بعض الناس يزعمون أنَّه سيكون الإمام بعد أبيه.

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَأَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمِيثَمِيِّ، عَنْ فَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ ـ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي أَمْرِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام ـ حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هُوَ صَاحِبُكَ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ فَقُمْ إِلَيْهِ فَأَقِرَّ لَهُ بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ حَتَّى قَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَدَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَمَا إِنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي أَوَّلَ مِنْكَ[١]، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأُخْبِرُ بِهِ أَحَداً؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَهْلَكَ وَوُلْدَكَ[٢]، وَكَانَ مَعِي أَهْلِي وَوُلْدِي وَرُفَقَائِي وَكَانَ

الحديث التاسع:

[١] **(لم يؤذن لنا في أوَّل منك):**

«أوَّل» أفعل تفضيل، أي في أسبق منك، والمقصود: إنَّك أوَّل من أُخبرك بإمامته عليه السلام، وحيث فهم الراوي ـ فيض بن المختار ـ هذا المعنى وعلم أنَّه كانت مصلحة في كتمان إمامته قبل ذلك للتقية أو نحوها لذلك استفسر عن إخبار الآخرين.

[٢] **(نعم أهلك وولدك):**

أي لا تخبر به إلَّا هؤلاء، ولا تخبر به رفقاءك الذين معك.

ولكن بَلَغَ الخبر إلى أحد الرفقاء وهو يونس بن ظبيان، ولعلَّ بَلَغ الخبر إليه كان عن طريق الأهل والولد، لأنَّ الأخبار الخاصَّة إذا قيلت لعدَّة أشخاص لا يُؤمَن عليها من الانتشار، أو لأنَّ الفيض لم يُراع الاحتياط فأخبرهم بحيث سمع يونس، أو لجهات أُخرى.

ثمَّ اعلم أنَّ في بصائر الدرجات (نعم أهلك وولدك ورفقاءك)(١) فعلى هذه الرواية يكون إخبار الفيض ليونس امتثالاً لأمر الإمام عليه السلام.

---

(١) البحار: ج٤٨ عن البصائر.

يُونُسُ بْنُ ظَبْيَانَ مِنْ رُفَقَائِي، فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُمْ حَمِدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ يُونُسُ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى أَسْمَعَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَكَانَتْ بِهِ عَجَلَةٌ، فَخَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى الْبَابِ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ لَهُ: ـ وَقَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ ـ يَا يُونُسُ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لَكَ فَيْضٌ. قَالَ: فَقَالَ: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، فَقَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: خُذْهُ إِلَيْكَ يَا فَيْضُ[٣].

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنْ طَاهِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَلُومُ عَبْدَ اللَّهِ[١] ....

---

[٣] (خذه إليك يا فيض):

أي أجمعه إليك، بمعنى اضبطه حتى لا يذيع هذا الأمر.

الحديث العاشر:

[١] (يلوم عبد الله):

قال الشيخ المفيد: أُمّه فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(١).

وقال أيضاً: وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم يكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد، فيُقال: إنَّه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذاهب المرجئة، وادَّعىٰ بعد أبيه الإمامة، واحتجَّ بأنَّه أكبر إخوته الباقين، فتابعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، ثمَّ رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبيَّنوا ضعف دعواه وقوَّة أمر أبي الحسن، ودلالة حقيقته، وبراهين إمامته(٢).

---

(١) البحار: ج٤٧، ص٢٤١ عن الإرشاد.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ عن الإرشاد.

وقال بإمامته كثير من الشيعة، ثم منهم من رجع عن القول بإمامته لما امتحنه بمسائل من الحلال والحرام لم يكن عنده فيها جواب، ولما ظهر منه من الأشياء التي لا ينبغي أن تظهر من الإمام، ثمَّ إنَّ عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوماً فرجع الباقون إلَّا شُذَّاذاً منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى(١).

أقول: لا يُعلم صحَّة ما نُسب إلى عبد الله من خلاف في الاعتقاد، ولذا عبَّر الشيخ المفيد بـ(وكان متهماً) و(فيُقال) ونحو ذلك. والأخبار في ذمِّه ضعيفة السند، مع إمكان حملها على التقية أو بما لا يضرُّ في اعتقاده، بل لعلَّ الذَّمّ لبعض الأعمال التي لا يخلو عنها غير المعصومين عادة.

كما لم يثبت ادعاؤه الإمامة بدليل قاطع، ومجرَّد جلوسه وإجابته عن مسائل الناس ليس دليلاً على ادعاء الإمامة.

وأما زعم الناس إمامته، فليس دليلاً على ادعائه لها، وسكوته عن زعمهم ليس دليلاً على قبوله لما يزعمون، بل لعلَّ سكوته كان لمصلحة أهم.

وهناك تحليل لموقف عبد الله، وهو أنَّ المنصور كان مترصِّداً لإنهاء خطّ أهل البيت عليهم السلام، فلذا أمر بسَمِّ الإمام الصادق عليه السلام، كما أمر بقتل الوصي ـ كما سيأتي في الحديث الثالث عشر والرابع عشر ـ، بل يحتمل أن يكون موت إسماعيل غير طبيعي لأنَّه كان أكبر أولاد أبيه مع توهم الناس أنَّه سيكون الوصي، وكذا موت عبد الله يمكن أن يكون بالسُّم إذ كان أكبر الإخوة الباقين مع زعم الناس إمامته، فعلى هذا التحليل يكون عبد الله قد ضحَّىٰ بنفسه وقاية لحياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وهذا التحليل وإن لم يقم عليه دليل، ولكنَّه ليس بالبعيد، لما علمنا من صنيع حكومات الجور واضطرار الأئمَّة عليهم السلام إلى التقيَّة.

---

(١) المصدر: ص٢٦١ عن رجال الكشي.

وَيُعَاتِبُهُ وَيَعِظُهُ[٢]، وَيَقُولُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ أَخِيكَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ النُّورَ فِي وَجْهِهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لِمَ؟ أَلَيْسَ أَبِي وَأَبُوهُ وَاحِداً وَأُمِّي وَأُمُّهُ وَاحِدَةً[٣]؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُ مِنْ نَفْسِي وَأَنْتَ ابْنِي[٤].

فالأولى: التوقف في شأن عبد الله، وإن كان المشهور ذمّه، والعلم عند الله تعالى.

[٢] **(يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه):**

«اللوم» هو العذل، أي التنقيص من الشخص لأجل عمل غير لائق.

و«العتب» هو بيان الغضب برفق.

و«الوعظ» هو التخويف والتذكير بالخير بما يرقّ له القلب.

[٣] **(وأُمّي وأُمّه واحدة):**

لعلّ المراد فاطمة الزّهراء عليها السلام، أي كلينا ننتسب إليها، وإلّا فأُمّ عبد الله هاشميَّة، وأُمّ الكاظم عليه السلام أُمّ ولد، أو المقصود أنَّه لا فرق من جهة الأُمَّهات، لأنَّ علوّ النسب إنّما هو من جهة الأب لا الأمّ، فتأمَّل.

[٤] **(إنَّه من نفسي وأنت ابني):**

في المرآة: أي من طينتي، وفيه خَلقي وخُلقي وشمائلي، وهذه العبارة تُطلق لبيان كمال الاتحاد في الكمالات والفضائل والدرجات ونهاية الاختصاص، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «عليٌّ منّي وأنا من عليّ»، والحاصل: انتسابك إليَّ بالنسب الجسدي، وانتسابه إليَّ بالروابط الجسمانية والرُّوحانيَّة والعقلانيَّة معاً، وإذا كان هو بهذه المنزلة منه عليه السلام فكان أولى بالإمامة من سائر أولاده، فهو نصّ على إمامته(١).

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣٣٦.

١١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، فَجَعَلَ يُسَارُّهُ[١] طَوِيلاً، فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَغَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: ادْنُ مِنْ مَوْلَاكَ فَسَلِّمْ، فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ، ثُمَّ قَالَ لِيَ: اذْهَبْ فَغَيِّرِ اسْمَ ابْنَتِكَ الَّتِي سَمَّيْتَهَا أَمْسِ، فَإِنَّهُ اسْمٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وَكَانَ وُلِدَتْ لِيَ ابْنَةٌ سَمَّيْتُهَا بِالْحُمَيْرَاءِ[٢]، فَقَالَ أَبُو

الحديث الحادي عشر:

[١] (يساره):

أي يناجيه ـ بصوت خفي ـ.

[٢] (بالحميراء):

«الحميراء» كان رسول الله صلى الله عليه وآله لقّب عائشة بالحميراء، فكان لقباً خاصّاً بها.

ثم اعلم أنَّ الأئمّة عليهم السلام اختاروا لأبنائهم الأسماء الحسنة المتعارفة.

وأمّا تسمية أبنائهم بعمر وعثمان ونحوهما فلأنَّ هذه الأسماء كانت شائعة رائجة في الجاهلية والإسلام، وقد كان لعشرات الصحابة والتابعين وغيرهم هذه الأسماء، فلم تكن أسماء مختصة بالخلفاء، ولم يكن التسمية بها لأجلهم، ولذا كان الشيعة لقرون عدّة أيضاً يُسمّون أبناءهم بهذه الأسماء، ويكفيك مراجعة كتب الرِّجال لتجد تعارف هذه الأسماء وعدم انصرافها إلى الخلفاء.

كما أنّه في العصر الحاضر يُسمّي الناس أبناءهم بأسماء رائجة مع أنَّ بعض الحكّام الذين يُبغضونهم يتسمّون بتلك الأسماء، وحينما تسألهم لماذا سمّيت ابنك باسم الحاكم الفلاني؟ يجيب بأنَّ الاسم ليس حكراً على ذلك الحاكم بل هو من الأسماء المتعارفة.

عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : انْتَهِ إِلَى أَمْرِهِ تُرْشَدْ[٣]، فَغَيَّرْتُ اسْمَهَا.

١٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: دَعَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَوْماً وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَنَا: عَلَيْكُمْ بِهَذَا، فَهُوَ وَاللَّهِ صَاحِبُكُمْ بَعْدِي.

١٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلٍ؛ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ زُرْبِيٍّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ النَّحْوِيِّ[١] قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَتَيْتُهُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةٌ وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ، قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ رَمَى بِالْكِتَابِ إِلَيَّ وَهُوَ يَبْكِي[٢]، ....

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام لما سمَّى أحد أبنائه باسم عثمان، أنَّه قال: إنَّما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون(١).

[٣] (انته إلى أمره ترشد):

أي لتكون غايتك الوصول إلىٰ أمره، والمقصود: إطاعته في هذا الأمر وفي سائر أوامره.

«ترشد» من (الرشد) بمعنى الاستقامة في الطريق، والمقصود: تهتد.

الحديث الثالث عشر:

[١] (أبو أيُّوب النحوي):

يظهر من الرواية أنَّه كان كاتباً عند المنصور لعنه الله.

[٢] (وهو يبكي):

بكاؤه ـ مع أنَّه هو الذي أمر بسمِّ الإمام الصادق وأراد قتل وصيّه ـ إنما هو بوخزة الضمير، فإنَّه كان من الذين ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(٢).

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٥٥؛ البحار: ج٣١، ص٣٠٧.

(٢) سورة النّحل: الآية ٨٣.

فَقَالَ لِي: هَذَا كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ[٣]، يُخْبِرُنَا أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ـ ثَلاثاً ـ، وَأَيْنَ مِثْلُ جَعْفَرٍ؟ ثُمَّ قَالَ لِيَ: اكْتُبْ، قَالَ: فَكَتَبْتُ صَدْرَ الْكِتَابِ[٤]، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ إِنْ كَانَ أَوْصَى إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ فَقَدِّمْهُ وَاضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ أَوْصَى إِلَى خَمْسَةٍ[٥]، وَاحِدُهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ؛ وَعَبْدُ اللَّهِ؛ وَمُوسَى؛ وَحَمِيدَةُ.

---

[٣] **(محمد بن سليمان):**

هو والي المدينة إذ ذاك.

[٤] **(فكتبت صدر الكتاب):**

أي الكليشة المتعارفة في مقدِّمة الرسائل، كالتسمية والتحميد والصلاة ونحو ذلك.

[٥] **(قد أوصى إلى خمسة):**

مع أنَّه عليه السلام قد أوصى إلى المتعدِّد تقيَّة، لكنَّه بيَّن الإمام من بينهم، لأنَّ المنصور ومحمد بن سليمان لا يصلحان للإمامة أصلاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) مضافاً إلى افتقادهما سائر شرائطها، وأما حميدة فهي امرأة، وأما عبد الله فكان أفطح، والإمام لا يكون في بدنه عيب، فانحصرت الإمامة في الكاظم عليه السلام.

وفي المناقب: جاء أعرابي إلى أبي حمزة الثمالي، فسأله خبراً؟ فقال: توفي جعفر الصَّادق عليه السلام، فشهق شهقة وأغمي عليه، فلمَّا أفاق قال: هل أوصى إلى أحد؟ قال: نعم، أوصى إلى ابنيه عبد الله وموسى وأبي جعفر المنصور، فضحك أبو حمزة وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى، وبيَّن لنا الكبير، ودلَّنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم، فسُئل عن قوله؟ فقال: بيَّن عيوب الكبير، ودلَّ على الصغير لإضافته إيَّاه، وكتم

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

١٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ أَوْصَى إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَمُوسَى وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَمَوْلًى لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]، قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: لَيْسَ إِلَى قَتْلِ هَؤُلَاءِ سَبِيلٌ.

١٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ[١]،

الوصية للمنصور لأنَّه لو سأل المنصور عن الوصي لقيل أنت!!(١).

الحديث الرابع عشر:

[١] **(محمد بن جعفر ومولى لأبي عبد الله):**

يختلف الخبر السابق عن هذا الخبر في هذين الاسمين:

إمَّا لأنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام أوصى مختلفاً. وإمَّا الاختلاف من الرواة بين (محمَّد بن سليمان ومحمَّد بن جعفر) و(حميدة ومولى لأبي عبد الله). مع إمكان أن يكون المولى نفس حميدة ـ لأنَّها كانت أمّ ولد ـ، فالتبس الأمر على الرواة بين المولى والمولاة، وكذا يُحتمل أن يكون (محمد بن سليمان) نفس (محمَّد بن جعفر) فنُسب تارة إلى أبيه وتارة إلى جدّه ـ مثلاً ـ.

الحديث الخامس عشر:

[١] **(لا يلهو ولا يلعب):**

«اللهو» هو أن ينشغل بشيء فيغفل عن الأهم.

وفي المقاييس: وكل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك(٢).

---

(١) البحار: ج٤٧، ص٤، عن مناقب ابن شهرآشوب.

(٢) المقاييس: ص٩٠٥.

وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى - وَهُوَ صَغِيرٌ وَمَعَهُ عَنَاقٌ مَكِّيَّةٌ[٢] وَهُوَ يَقُولُ لَهَا: اسْجُدِي لِرَبِّكِ[٣] - فَأَخَذَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ لَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ.

١٦ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عُبَيْسِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ الرُّمَّانِيُّ، عَنْ فَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: إِنِّي لَعِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ أَقْبَلَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام - وَهُوَ غُلَامٌ - فَالْتَزَمْتُهُ وَقَبَّلْتُهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنْتُمُ السَّفِينَةُ وَهَذَا مَلَّاحُهَا[١]، قَالَ: فَحَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعِي

و«اللعب» هو فعل ما لا فائدة فيه، أو ما لا غرض عقلائي فيه.

[٢] (عَناق مكية):

عناق - كسحاب -: الأنثى من أولاد المعز، قيل: إلى أن يصير عمرها خمسة أشهر(١) وقيل: إلى سنة(٢).

[٣] (اسجدي لربّك):

في المرآة: وإن صدر منه شيء يشبه ظاهراً فعل الصبيان، ففي الواقع مبنيٌّ على أغراض صحيحة، ولا يغفل عند ذاك عن ذكره سبحانه، كما أنّه عليه السلام في حال اللعب الظاهري كان يأمر العناق بالسجود لربّه تعالى(٣).

الحديث السادس عشر:

[١] (أنتم السفينة وهذا ملّاحها):

وجه التشبيه أنَّ السفينة لا بُدَّ لها من قبطان ليقودها بحيث يجنّبها مخاطر

---

(١) راجع المقاييس: ص٦٨٥.

(٢) راجع المرآة: ج٣، ص٣٣٩.

(٣) المرآة: ج٣، ص٣٣٩.

أَلْفَا دِينَارٍ، فَبَعَثْتُ بِأَلْفٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَلْفٍ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: يَا فَيْضُ عَدَلْتَهُ بِي[٢]؟ قُلْتُ: إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِقَوْلِكَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، بَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَعَلَهُ بِهِ.

البحر ثم يوصلها إلى بَرِّ الأمان، وكذلك لا بُدّ للمؤمنين من هادٍ يهديهم إلى سواء السبيل.

[٢] **(عدلته بي):**

أي سوّيت بيني وبينه، والاستفهام للتقرير والمدح.

الفهرس

باب أن مَثَل سلاح رسول الله ﷺ مثل التابوت في بني إسرائيل ٥

تعظيم آثار الأنبياء ٦

سبب جعل التابوت والسلاح علامة ٨

باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ١٠

منشأ علوم الأئمة عليهم السلام ١٠

معنى يُفتح من كل باب ألف باب ١٢

حول مصحف فاطمة عليها السلام ١٦

باب في شأن (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وتفسيرها ٣١

أولاً: عدم اختلاف علمهم عليهم السلام ٣٤

ثانياً: سبب عدم اختلاف علمهم عليهم السلام ٣٦

ثالثاً: كيفيةتعلمهم عليهم السلام لهذا العلم ٣٧

رابعاً: سبب عدم ظهور كل علمهم عليهم السلام ٣٩

الأمر الأول: صفة الملائكة مع القائم عليه السلام ٤١

الأمر الثاني: معنى حكم القائم بحكم آل داود ٤١

الأمر الثالث: محلّ أرواح الكفار في الدنيا ٤٢

خامساً: الدليل على إمامتهم وعلمهم عليهم السلام ٤٤

سادساً: شبهة وجوابها ٤٨

حول ليلة القدر ٥٠

إرسال الملائكة لغير النبي ﷺ ٥١

شبهة أخرى وجوابها ٥٤

سابعاً: ما يدل عليه القرآن ٥٨
ثامناً: الإمام علي عليه السلام هو الدليل ٥٩
معنى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) ٦١
حكم القصاص والدية في قطع اليد ٦٣
حول ابن عباس ٦٩
ما ينزل في ليلة القدر ٧١
تفسير سورة القدر ٧٣
سبب فضيلة ليلة القدر على ألف شهر ٧٤
المخاصمة بسورة القدر ٨٢
بطلان العول في الميراث ٨٦
التلازم بين ليلة القدر وحجة الله وبعض ما ينزل فيها ٨٩
شهادة الأئمة يوم القيامة ٩٩
من فوائد نزول الملائكة والروح ليلة القدر ١٠٤
زيارة الشياطين لأهل الضلال في ليلة القدر ١١٣
أصناف الناس من ليلة القدر ١١٩
باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة ١٢٢
معنى نفاد العلم ١٢٦
باب لولا أن الأئمة يزدادون لنفد ما عندهم ١٢٨
سبب ذكر هذه الأمور درء الغلو ١٢٨
تساوي علم الأئمة عليهم السلام ١٣١
باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام ١٣٢
باب نادر فيه ذكر الغيب ١٣٦
معنى الغيب ١٣٦
من أدوات الغيب ١٣٧

تعليم الله الرسول ﷺ للغيب ١٣٨
باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا ١٥١
باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم ١٥٣
في استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ١٥٤
في استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ١٥٨
وقاية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نفسه للشيعة ١٦٢
كيفية بقاء الأرواح بعد الموت ١٦٤
رد القول بالتناسخ ١٦٥
في تخيير الإمام الحسين عليه السلام بين النصر والشهادة ١٦٦
باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم ١٦٨
الرد على من يُصيبه الضعف الفكري أمام المخالفين ١٧٢
سبب إعراض الدنيا عن الأئمة عليهم السلام ١٧٥
باب أن الله عز وجل لم يُعلّم نبيّه علماً إلا أمره أن يُعلّمه أمير المؤمنين وأنه كان شريكه في العلم ١٨٢
باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام ١٨٥
باب أن الأئمة لو سُتر عليهم لأخبروا كل امرء بما له وما عليه ١٨٩
سبب ابتلاء من يعلم البلايا والمنايا ١٩٠
سبب كثرة المعجزات الظاهرة لأمير المؤمنين عليه السلام ١٩١
باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين ١٩٣
معاني التفويض الست ١٩٣
الولاية التكوينية ١٩٤
الولاية التشريعية ١٩٥
حول جواز نكاح المتعة وجواب عن شبهة ٢٠٨
باب في أن الأئمة عليهم السلام بمَن يشبهون ممن مضى وكراهية القول في النبوة فيهم ٢١٥

براءة الأئمة عليهم السلام عن الغلاة ٢٢١
من خصائص الرسول صلى الله عليه وآله ٢٢٦
باب أن الأئمة عليهم السلام محدَّثون مفهَّمون ٢٢٧
باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام ٢٣٥
١ ـ معاني الروح ٢٣٥
٢ ـ روح القدس ٢٣٦
٣ ـ الروح التي من أمر الله ٢٣٧
٤ ـ كلمة الروح في القرآن ٢٣٨
معنى تعدد أرواحهم ٢٤٠
باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام ٢٤٨
باب وقت ما يعلم الإمام جميع علم الإمام الذي كان قبله عليه السلام ٢٥٧
باب في أن الأئمة صلوات الله عليهم في العلم والشجاعة والطاعة سواء ٢٥٩
باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون من بعده وأن قول الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فيهم عليهم السلام نزلت ٢٦٤
باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد عليهم السلام ٢٧١
حول إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام ٢٧٢
حكم داود وسليمان في الغنم ٢٧٤
باب أن الأئمة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه ٢٧٧
معاني كلمة (أهل البيت) ٢٧٨
الوصايا المختلفة للأئمة عليهم السلام ٢٨١
معنى (البراءة) ٢٩٢
سبب قِلة أعمارهم عليهم السلام ٢٩٧
تعويض الإمام الحسين عليه السلام عن قتله ٢٩٩
الملائكة المُطيفين حول قبر الإمام الحسين عليه السلام ٣٠٢

حول الرجعة ٣٠٣
باب الأمور التي توجب حجة الإمام عليه السلام ٣٠٥
علائم الإمام عليه السلام ٣٠٥
براءة الأنبياء والأئمة عن العيوب الجسدية ٣١٠
باب ثبات الإمامة في الأعقاب وأنها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرهما من القربات ٣١٣
آية (أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض) ٣١٤
سبب جعل الإمامة في ذرية الإمام الحسين عليه السلام ٣١٦
باب ما نصّ الله عز وجل ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحد ٣١٩
لماذا لم يذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن ٣١٩
حديث الغدير ودلالته ٣٢٢
حديث الثقلين ٣٢٤
وجوه عدم افتراق القرآن والعترة ٣٢٤
أحاديث أخرى على إمامة الأئمة عليهم السلام ٣٢٥
آية التطهير ٣٢٥
حول آية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ٣٣٥
الولاية آخر ما نزل من الفرائض ٣٣٩
حول صيام عاشوراء ٣٤٢
تبليغ الولاية في عرفة ٣٤٤
الحكمة في تأخير التبليغ إلى يوم الغدير ٣٤٥
حول المختار الثقفي ٣٥٤
باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام ٣٥٦
حول الخمس ٣٧٦
تعليم الرسول صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين ألف باب من العلم ٣٨٣
باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام ٣٩١

باب الإشارة والنص على الحسين بن علي عليه السلام ٤٠٦
حول محمد بن الحنفية ٤٠٩
حول ما جرى حين تشييع الإمام الحسن عليه السلام ٤١٩
باب الإشارة والنص على علي بن الحسين صلوات الله عليهما ٤٢٥
باب الإشارة والنص على أبي جعفر عليه السلام ٤٢٨
حول عمر بن عبد العزيز الأموي ٤٢٩
حول بني الحسن عليه السلام ٤٣٢
باب الإشارة والنص على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليهما ٤٣٤
باب الإشارة والنص على أبي الحسن موسى عليه السلام ٤٤١
في تسمية الأئمة أبناءهم ٤٥٣